أبو علي مسكويه الرازي

تجارب الأمم

حقّقه وقدّم له

الدكتور ابو القاسم امامي

الجزء السابع

الذيل والملحق

دار سروش للطباعة والنشر
طهران ١٣٧٩ ش ٢٠٠١ م

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۰۰۳۵۷۵
تاریخ ثبت :

أبو علي مسكويه الرازي
(۳۲۰-۴۲۱)

تجارب الأمم

۳۲۷۰۴

حققه وقدم له
الدكتور ابوالقاسم امامي

الجزء السابع
الذيل والملحق

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

دار سروش للطباعة والنشر
طهران ۱۳۷۹ ش ۲۰۰۰ م

مسکویه، احمدبن محمد، ۳۲۰؟ - ۴۲۱ق.
تجارب الامم/ ابوعلی مسکویه الرازی؛ حققه و
قدم له ابوالقاسم امامی.— طهران: دارسروش
للطباعه و النشر، ۱۹۸۷ = ۱۴۰۷ق. = ۱۳۶۶-.
ج.
بهای هرجلد متفاوت (دوره) ISBN 964-435-331-5
ISBN 964-435-327-7 -.بها: ۱۸۰۰ ریال (ج. ۱)؛
(v. 4)
فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.
پشت جلد به‌انگلیسی: Miskawayh, Tajarib
al-umam (experiences of nations).
عربی.
کتابنامه.
جلد چهارم (چاپ اول: ۱۳۷۶): ۱۶۰۰۰ ریال (جلد
نرم)، ۱۹۵۰۰ ریال (جلد زرکوب).
ج. ۵ (چاپ اول: ۱۳۷۲) ISBN 964-435-328-5
ج. ۶ (چاپ دوم: ۱۳۷۸) ISBN 964-435-441-9
ج. ۳ (چاپ اول: ۱۳۷۹) ISBN 964-435-551-2
ج. ۷ (چاپ اول: ۱۳۷۹) ISBN 964-435-552-0
۱. اسلام -- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۴.
۲. تاریخ جهان -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. ۳. ایران
-- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. الف. امامی،
ابوالقاسم، ۱۳۱۳ - ، مصحح. ب. صدا و سیمای
جمهوری اسلامی ایران. انتشارات سروش. ج. عنوان.

DS۳۵/ ۶۳/الف۳۵۶۳ ۹۰۹/ ۰۹۷۶۷۱
۱۳۶۶

کتابخانه ملی ایران ۹۳۴-۶۶م*



طهران، شارع الاستاذ مطهری، مفترق الدكتور مفتح بناية جام‌جم، رقم ۲۲۸
مركز التوزيع: مجمع سروش الثقافی، المعاونية التجارية، رقم التليفون ۶۴۰۴۲۵۵

العنوان: تجارب الامم (المجلد السابع)

المؤلف: ابوعلی مسكويه الرازی

تحقيق: الدكتور ابوالقاسم امامی

تنضيد الحروف والاخراج: دار البصائر للخدمات الثقافية

الطبعة الأولى: ۱۳۷۹ ش / ۱۴۲۱ ق / ۲۰۰۱ م.

عدد النسخ: ۳۰۰۰ نسخة

طبع هذا الكتاب بجميع مراحل الطبع في مطابع دار سروش للنشر.

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر.

شابک: ۰ - ۵۵۲ - ۴۳۵ - ۹۶۴ (جلد هفتم) ISBN: 964 - 435 - 552 - 0 (Vol. 7)

شابک: ۵ - ۳۳۱ - ۴۳۵ - ۹۶۴ (دوره ۷ جلدی) ISBN: 964 - 435 - 331 - 5 (7 Vol. SET)



تجارب الأمم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ذيل كتاب تجارب الأمم

للوزير أبى شجاع محمد بن الحسين الملّقب
ظهير الدين الروذراورى
(حوادث سنة ٣٦٩ إلى ٣٨٩ هجرية)

ويليه :

الملحق بذيل الروذراورى

وهو الجزء الثامن ، من تاريخ هلال الصابى
(حوادث سنة ٣٨٩ إلى ٣٩٣ هجرية)

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدّمة صاحب الذيل

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

أمّا بعد حمد الله سبحانَهُ والثناء عليه، أهل الحمد والثناء، المفرد بالوحدانية والبقاء الذى لا يُحيط به مكان، ولا يغّيره زمان، لا إله إلاّ هو مبدع المكان وموجده، ومحدث الزمان ومنفده، خالق الخلق أطواراً، وجاعل الظلمة والضياء ليلاً ونهاراً، كتب على الخلائق تقلّب الأحوال لأنّه لا يحول، وقضى على الأزمنة حكم الزوال لأنّه لا يزول. والصلاة على رسوله محمد الذى بعثه بالرسالة، وهدى به من الضلالة، وأنفذ بمعرفته من الجهالة، ودلّ على نبوّته بأفضل الدلالة، واختاره من أشرف البلاد وطنا وداراً، واصطفاه من أكرم العباد حسباً ونجاراً، حيث المشعر الحرام والمعشر الكرام، وجعله آخر الأنبياء بعثا فى الدنيا إلى العباد، وأولهم بعثاً إلى المعاد، وجعلنا من أمّته الذين جعلهم أمّة وسطا، وأبان لهم من الإسلام منهجاً جددا، ووفقهم فى الدين فتحرّوا رشدا. فقولهم سديد، وفعلهم رشيد، وهم شهداء على الناس والرسول عليهم شهيد، وعلى آله الذين سبقوا إلى مصاحبته وسعدوا بمرافقته،[3] وشرفوا بمتابعته فى هجرته، وكرموا بإيوائه ونصرته، فهم معالم

الهدى، ومصابيح الدجى[١]، كدراری النجوم تهدى الساری بنورها، وتقی الغاوی من فتنة الدنيا وغرورها.

والدعاء لخليفته الإمام المقتدی بأمر الله أمير المؤمنين صاحب العصر المؤيد بالنصر المختار من شجرة طيبة للشرف[٢] والعلاء، «أصلها ثابت وفرعها فی السماء»[٣] شربت من ماء النبوة الطاهرة عيدانها، وتفرّعت بالخلافة الظاهرة أفنانها. كما قال جدّه العباس لبعض أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين: كان رسول الله دوحة نحن أغصانها وأنتم جيرانها، وهو المنصب العظيم، من المحتد الصميم، والبيت الكريم، الذی أول درجاته النبوّة والكرامة، وثانيهما[٤] الخلافة والإمامة. ولا ثالث لها بعد ذلك إلى القيامة. توارثها إمام عن امام. وقام بها أمير المؤمنين المقتدی بأمر الله خير قيام.

إنّ الذی رفعَ السماءَ بَنَى لهم بيتاً دعائمُهُ أعـزُّ وأطْـوَلُ[٥]

شدّ الله عضده بذخر الدين، وولّى عهده فی المسلمين، وباخوته الغرّ الميامين، وجعلها كلمة باقية فی عقبه إلى يوم الدين، [4] وأيّد دولته بجلالها الذابّ عن حماها، المناضل عن علاها، جمال الملة مغيث الأمّة معزّ الدنيا والدين يمين أمير المؤمنين الملك العادل المحبب إلى القلوب، والركن الشديد المعدّ لدفع الخطوب، ودبّر ملكه بنظامه المبارك فی أيامه، قوام الدين رضیّ

١. فی الأصل فی مد: الدجا.

٢. فی مد: الشرف.

٣. س ١٤ ابراهيم: ٢٤.

٤. فی مد: ثانيهما.

٥. أوّل بيت الفرزدق هو هكذا: إنّ الذی سمك السماء بنى لنا.

أمير المؤمنين الوزير الظهير، الموفق بحسن التدبير.

وبعد أداء الفروض المقدمة الواجبة، والسنن المؤكدة الراتبة، وقضاء حقوقها المستثبتة الأزلية وسلوك طرقها المستقيمة اللاحبة، فإنّ أولى ما صنفه المفيد، وعنى بقراءته المستفيد، جمع أخبار الأمم الخالية، وحفظ تواريخ الأزمان الماضية، لانها أوفى المصنفات فائدة وأكثرها عائدة، وأحسنها أثرا، وأطيبها ثمرا، إذ كان أنفع العلوم ما أدّت مقاصده إلى التوحيد، ووقفت موارده على تثبيت قدرة الخالق في نفوس العبيد، وفى تدبير اختلاف الليل والنهار، وتأمّل مجارى الأقدار وتقلّب الأدوار، فى توالى الأمم وتعاقبها، وتداول الدول وتناوبها. قال الله تعالى: «وتلك الأيّام نداولها بين الناس»[١] اكبر دليل على وحدانية من ينبتهم ثم يحصدهم [5] ويشقيهم ويسعدهم، وينشئهم ويبيدهم، ويعيدهم، ويحييهم ويميتهم «وهو على جمعهم اذا يشاء قدير» تبارك اسمه وجلّ ثناؤه، وعظمت قدرته وكثرت آلاؤه، مرجع الخلق والأمر إليه «وبيده ملكوت كلّ شيءٍ وهو يُجير ولا يُجار عليه»[٢] له الحمد كله وبتوفيقه يتضح فى الرشاد سبيله. فلا عبادة اذاً أرقى من التوحيد فموقعه من العبادات موقع الرأس من الجسد به اعتداله وبقاؤه، ومحله من الاعتقادات محل الروح من الجسم بها حياته ونماؤه.

ولو لم يكن علم القصص عظيما لما منّ الله تعالى به على نبيه عليه السلام فقال: «نحن نقصّ عليك أحسن القَصَصِ بما أوحينا إليك هذا القرآنَ وإن كنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمنَ الغافلينَ»[٣] وقال سبحانه: «طسم تلك آياتُ الكتابِ

١. س ٣ آل عمران: ١٤٠.

٢. س ٢٣ المؤمنون: ٨٨.

٣. س ١٢ يوسف.

المُبينِ، نَتْلوا عليك مِنْ نَبَإِ موسى وفرعونَ بالحقِّ لِقَومٍ يُؤمِنونَ»[١] وقال تعالى: «كذلكَ نقصُّ عليكَ من أنباءِ ما قد سبق وقد آتيناك من لدنّا ذكراً»[٢] ولو لم يكن فى ذلك الا ما ينتفع به المعتبر من قلّة الثقة بالدنيا الفانية، وكثرة الرغبة فى الآخرة الباقية، لكفى ما تنتجه هذه البصيرة من جميل الأفعال، وتحثّ عليه هذه النتيجة من صالح [6] الأعمال. فكيف وأولى ما يعتمده أولو الأمر وأصحاب الزمان، ومن بأيديهم مقاليد الملك والسلطان، وأوجب ما يتشاغل به من إليهم أزمّة الأمور، وعليهم سياسة الجمهور، إدمان النظر فى كتب التاريخ وإحسان التتبع للأخبار، والآثار والتفكر فى حال من مضى من الأخيار والأشرار، ليعلموا ما بقى للمحسن من الصيت الحميد الذى صار له حياة مخلّدة بالأجر[٣] الذى اكتسبه، وللمسيء من الذكر القبيح الذى جعل صحيفته مسودّة بالوزر الذى احتقبه، ويتصفّحوا حال الحازم فى حزمه وعقله، والمضيع فى تفريطه وجهله، فيسلكوا من الطرائق أوضحها وأمثلها، ويتقبّلوا من الخلائق أشرفها وأفضلها، ويردوا من المشارب أصفاها وأعذبها، ويرعوا من المراتع أمرأها وأخصبها، ويأخذوا من الأمور بأحزمها، ومن التجارب بأحكمها. فمهما يكن من حسنة اقتبسوا منها، ومهما يكن من سيئة ارتدعوا عنها. فالسعيد من انتفع بالأدب فيما دأب غيره فيه من التجارب، والرابح من حظى بالراحة فيما تعب به سواه من المطالب. لأنّ العقل غريزة فى الإنسان، والتجارب مكتسبة فى الزمان، والرأى [7] لقاح العقل والتجربة نتاجه، والخير مقصد الحجى والاجتهاد منهاجه، ومن أين للانسان من العمر الطويل، ما يحصل فيه على تجربة الدقيق والجليل. وقيل: العمر قصير

---

١. س ٢٨ القصص: ٣.

٢. س ٢٠ طه: ٩٩.

٣. فى مد: وبالأجر. (بزيادة الواو).

والعلم كثير[1] فخذوا من كلّ شيء أحسنه.

فاذا تأمّل المرء سيرة الماضين من الأقوام، جنى مع تقارب الشهور والأيّام، ثمرة ما غرسوه على تطاول الدهور والأعوام، وعلم علل الأحوال وفوائدها، وحيل الرجال ومكايدها، وعرف مبادئ الأمور ومصائرها، وقاس عليها أشباهها ونظائرها، وعمل بأنفع ما حبى به من الفهم والعلم، وانتفع بأصوب ما عمل به في الحرب والسلم، وأقدم على المواطن التى يرتجى فى أمثالها الظفر، وأحجم عن الأماكن التى يتوقّى فى أشكالها الحذر، وتسلّى بمن تدرّع الجلد عند حدوث النوائب، وتأسّى بمن توقّع الفرج حين ظهور العجائب، وذكر مصير العاقبة إذا أرخت يد الغفلة عنان أشره، ونظر بالبصيرة الثاقبة اذ غطى غرور الدنيا على بصره.

فهذان القسمان يجمعان الدين والدنيا، ويبلغان بصاحبهما الدرجة العليا. فأمّا ما فى ذلك من حسن المفاوضة والمذاكرة، وأنس المحادثة والمسامرة، فقد [8] خفّفت القول فيه لأنّه يصغر في جنب ما قدّمت ذكره من القسمين العظيمين، والأمرين الجسيمين، كما قال النبى صلعم: كل الصيد فى جوف الفرا[2].

وإنّنى تأمّلت كتاب تجارب الأمم وعواقب الهمم، الذى صنّفه أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، فوجدت فوائده غزيرة، ومنافعه كثيرة، وعلمه جمًّا، وبحره خضمًّا، فراقنى تأليفه، وأعجبنى تصنيفه. فرحم الله مصنّفه وأجزل فى الآخرة أجره كما طيّب فى الدنيا ذكره. فلقد اختار فأحسن الإختيار، ومخض فأتى بزُبد الأخبار. وسلك سبيلا وسطا بين التطويل والإختصار. ثم لم يقنع بذلك حتى قرّب مسالك الطرق البعيدة، وبرز من أثناء الإختيار ذكر الآراء السديدة، ونبّه فيها على، مقامات حميدة، وبين

---

١. هذا الرأى منسوب الى بقراط اليونانى (مد).

٢. فى مد: الفراء (بالمدّ)، وقاله (ص) متمثّلاً. انظر: الميدانى: رقم ٣٠١٠.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ما جرى في كل وقت من خدعة ومكيدة. لئلاّ يبعد من يد المتناول قطف الثمرة اليانعة، ولا يطول على فكر المتأمل وجود الزبدة النافعة. وأحر به ذلك، فإنّ فضله وإن لم يدرك زمانه باقي النفع بادي الأثر، والروض ينبيء عن فضيلة الغيث وإن ولى أوان المطر. فدعاني وقوف همّتي عليه إلى اقتفاء أثره،[9] وسلوك ما سنّه في ورده وصدره. وصلا للسلك الذي بدأ[١] بنظامه، ونيابة عنه في تشييد ما بناه بعد انقضاء أيّامه، وسنّة لمن بعدنا يستمرّ الآتي منها على سيرة الغابر، ويتصل بحبل الأول فيها حبل الآخر، لا تعاطياً منّا للمساجلة، ولا تمادياً في المماثلة، لا مجاراة في المضمار، ولا مساواة في الإختيار، ولا ما قاله زهير:

هُوَ الجَوادُ فإنْ يلحقْ بِشَأوِهِما عَلَى تَكاليفِهِ فَمِثلُهُ لَحِقَا

فهيهات كيف الطمع في اللحاق، وقد شأى المتقدم في السباق. لاسيما وطرف الفصاحة تحتي كاب، وحدّ البلاغة في يدي ناب. فأين المصلي من المجلي. وأين الكهام من الحسام. وأين السنيح من المعلّى، وأين العاطل من المحلّى. أريها السها وتريني القمر ولكني أقول ما قاله في البيت الثاني:

أَو يَسبقاهُ عَلى ما كانَ مِن مَهَلٍ فَمِثلَ ما قَدِما من صالحٍ سَبَقَا

هذا لعمري أقرب إلى الصواب، وأليق بهذا الباب. فأحسنت القياس وسلمت قصبة السباق وأعطيت القوس باريها، وأنشدت الضالّة باغيها.[10]

---

١. في الأصل: بنا. والإقتراح من مد.

فلَو قبلَ مَبكاها بكيتُ صَبابةً إذاً لشفيتُ النفسَ قبلَ التندّمِ
ولكنْ بكتْ قَبلى فهيَّجَ لِى البُكا بُكاها فكانَ الفضلُ للمتقدّمِ(١)

ثمّ إنّ للتصنيف رجالا عُنوا بأمره وعاموا فى بحره، وأنسوا بجمع شارده، وتفرّدوا بنظم فرائده. وصاروا بصدده، واستولوا على أمده. فهم لقسيّه براة، وإلى غرضه رماة، وفى طرقه هداة. وقد رُبِّيت فى غير هذا الوكر، وسقيت من غير هذا الدرّ، وتحليت بغير هذه الصناعة. فان قصرت عن بلوغ معانيه، فاحذوا العذر فى العجز وإن وقع سهمى دون مراميه، فأعذر فالنزع(٢) فى القوس لين، فلمن سبقنا فضيلة الجمع والاستكثار. ولنا من يمدهم وسيلة الاختيار والاختصار، وكل مجتهد مصيب، وله من حسن الذكر نصيب.

فسلّمت إلى من تقدّمنا الفضل فى زمانهم لمحاسن تلك العلوم المشهورة. ولو أنّهم أدركوا زماننا لسلموا الفضل إلينا بمحاسن هذه الدولة المنصورة، دولة الإمام المقتدى بأمر الله، أمير المؤمنين ذى الكرم والفخار، والحلم والوقار، والأخلاق الطاهرة، والأفعال الباهرة، والكرامات العجيبة فى المنشأ والمولد، والدلالات الصحيحة فى المغيب والمشهد. به أنقذ الله الرجاء من أسر اليأس[11] وألقى عليه محبة قلوب من الناس، بعد أن فجعوا بذخيرة الدين ، وليس للقائم رضوان الله عليهما، عقيب سواه، ولا للبيت أحد يصلح للعهد فيولاّه، فتقطّعت النفوس حسرات، وترجّعت الأنفاس زفرات. وبكت الملة واستولت الوحشة والغمّة، فأتي الحمل الميمون به لتمام، وبدا وجهه المنير فجلا كلّ ظلام، وسارت البشرى بذكره فى سائر الآفاق، وزهت أعواد المنابر باسمه حتى كادت تعود للإيراق. ثمّ كلاه فى الفتنة الحادثة أحسن

١. البيتان لعدى بن الرقاع.
٢. لعله فاعذروا لنزع (مد).

كلاءة بين أعاديه، وألحفه جناحا من الحياطة ستره بين قوادمه وخوافيه. فكانت قصّته كقصّة موسى عليه السلام، حين القى صغيرا فى اليمّ، ونُجّى[١] كبيرا من الغمّ. وأعاد القائم بأمر الله رضوان الله عليه إلى مقرّ سلطانه. وفسح فى مدّته وبارك فى زمانه لإتمام عهده وانجاز وعده حتى يسلم الأمر منه على حين السن المستحقّة لتسلم أسبابه وتقمّص جلبابه. فكان ذخيرة الدين خلفاً لنجله، وكان القائم بأمر الله عاد فى تلك النوبة لأجله، فاستحقّ بنفسه وارثه شرف الخلافة العظيمة، وحوى فى شرخ الشبيبة جميع محاسن الأخلاق الكريمة، وارتقى من المجد ما لا تبلغ الأوهام ذروته،[12] واجتنى من الحلم ما لا تحلّ الأيام حبوته، وساس الأمور بهمّة عليّة، وسيرة رضية، وخلافة جاءت كالنصر من السماء، ولم يكن مثل ذلك لامثاله من الخلفاء، وكأنّما عناه أبو العتاهية بقوله:

أَتـتْهُ الخِـلافَةُ مُنقادةً إليـهِ تُـجَرِرُ أذيـالَها
فلَمْ تَكُ تَـصلُحُ إلاّ لهُ ولم يَكُ يَصلحُ إلاّ لَـها
ولَو رامَها أحـدُ غـيرُهُ لَزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلزالَها

فما خلا متقلّد للخلافة فى عصر ممّن ينازع فى ردائها ويجاذب على عنانها، ويترشّح لمحلّها ويتطاول لمكانها، إلى أن يستقرّ الرأى فى قراره، ويجتمع الأمر من أقطاره. الاّ امام عصرنا المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين، فانّه تفرّد فى عصره بهذا الإستحقاق، واجتمعت الكلمة عليه لوقتها بالاصطلاح والإتّفاق. فلم يخطر منازعته بخَلَد ولا بال، ولو كان الزمان ذا

١. والمثبت فى مد: تجا.

لسان لقال: «هذا صاحبي بلا مراء ولا جدال»، لا جرم أن سعادته مخصوصة بأوفى كمال، محروسة بإذن الله تعالى عن نقصان وزوال، ودولته محوطة بأكرم ظهير ومُوال.

وأنّى يكون للدول الأولى مثل جلال الدولة بن عضد الدولة الهمام ابن الهمام الملك [13] عضد الدولة المعظم من الأخوال والأعمام، الحامي حوزة الاسلام، الملّبي لدعوة الإمام، الذي كرم طرفاه، وعظم شرفاه، ودانت لصولته الأمم، وانكشفت بدولته الظلم، وجرت بنصرته الأقدار، وانفتحت على يديه الفتوح الكبار، أطول الملوك باعاً، وأحسنهم في الدين ذبًّا ودفاعاً. فهو تاج على جبين الأيام الزاهرة المفتدية[١]. يزيد في أنوارها، وركن الدولة القاهرة العباسية يدفع عن أقطارها. زاد على أنوشروان بفضله وبمعدلته، وأوفى على بهرام ببأسه ونجدته، وفضل أردشير بتدبيره وسياسته، وساوى الإسكندر بملكه وبسطته. فالشرق والغرب[٢] مذعنان لطاعته، والبدو والحاضر منقادان لتباعته كل ذلك ببركات مخالصته لإمامه. وحسن نيته في محبة أيامه.

وأين كان لتدبير الأقاليم وزمّ أمورها، وحفظ الممالك وسدّ[٣] ثغورها مثل نظام الملك قوام الدين الذي أعدّ للخطوب أقرانها، حين عجم بالتجربة عيدانها، وجمع رياسة السيف والقلم، لما كفل بسياسة العرب والعجم، بنقيبة في الدولة ميمونة، وسريرة في النصيحة مأمونة، وحزم لا يشان بهفوة، وعزم لا يخان بنبوة، وخلق لا تجد فيه عنفا، ورأي لا [14] ترى فيه ضعفا، وهيبة مع طلعة بشر، وتواضع مع رفعة قدر. فاذا قيل له اتق الله سمع وأطاع، وإذا

١. كذا في مد: المفتدية. ولعلّه: المقتدية.

٢. في مد: المغرب.

٣. في الأصل: صدّ.

خوّف بالله خاف وارتاع. فأفعاله أفعال العباد، وأخلاقه أخلاق الزهاد، مع انقياد الدنيا له في الإصدار والإيراد، ونفاذ أمره على الرعايا والأجناد، وجمعه في منهل العدل بين الظباء والآساد.

فأىّ دولة تباهى هذه الدولة القاهرة فى مناقبها ومآثرها، وأىّ أيام تضاهي هذه الأيّام الزاهرة فى محاسنها ومفاخرها، وأىّ قول ينتهى الى حدّ وصفها وان امتدّ وطال، وأىّ بليغ يبلغ أمد فضلها وإن أسهب وقال.

فأعود الآن الى ذكر ما أنا قاصده من الاختيار، متبرّئاً من عهدة ما أورده من الأخبار، لأنّى أتبع فى كتاب التاريخ مسطورها، فأختار بحسب المعرفة عقودها وميسورها. وما عساه يندر من خبر شاذّ تلقف من أفواه الرجال، وخلا التاريخ من ذكره إمّا بخفاء أو نسيان أو إغفال. فإنّه يثبت فى بواطنه، وينظم مع قرائنه. وإذا انتهيت، انشاء الله سبحانه، إلى أخبار زماننا اتسع المجال، وأمكن المقال، وعمدت حينئذ إلى ما شاهدناه وخبرناه فأخبرت به على وجهه وذكرته مجتهداً فى التحرّي وبحسب الإمكان الذى لا أقدر على سواه، [15] وبقدر الوسع الذى لا يكلّف الله نفساً إلاّ إيّاه.

وأوّل ما أبدأ به الآن فى كتابى، هو آخر ما ختم أبو على مسكويه[1] رحمه الله، به كتابه فى سنة تسع وستين وثلاثمائة. والله تعالى ولي حسن التوفيق، والهادى فى جميع المقاصد إلى سواء الطريق، وبه أعوذ من الخطل، واعتصم من الزلل، وإيّاه أسأل خاتمة جميلة، بالمغفرة كفيلة. إنّه غفور رحيم.

(انتهت المقدمة)

---

١. وإذا قارنّا بين الموطنين اللذين أورد فيهما الروذراورى ذكر مسكويه، تبيّن لنا مرّة أخرى أنّ "مسكويه" لقبه هو، لا لقب أبيه محمد، أو جدّه يعقوب. انظر مقالنا فى التصدير، فى صدر الجزء الأوّل من تجارب الأمم.

ذكر ما جرى عليه أمر عضد الدولة
عند توجّهه إلى الجبل

رحل بالعسكر من المصلي في يوم السبت لثلاث خلون من ذي الحجة وقد استصحب أبا عبد الله الحسين بن سعدان ينفذ الأمور بين يدى عضد الدولة واليه عرض العسكر.

فلما حصل بين حلوان وقرميسين عاده المرض الذى كان عرض له من قبل وحجب الناس عنه حجابا وقع به الإرجاف والإضطراب ثم أفاق وظهر وركب إلى قرميسين.

ووافاه بنو حسنويه وقد كانوا راسلوا وبذلوا الطاعة بوساطة أبى نصر خواشاذه إلاّ أنّه لم يقدر أنهم يأنسون إلى الحضور بأجمعهم.[16]

ذكر القبض على بعض أولاد حسنويه
واصطناع بعضهم

حضروا المعسكر فأقعدوا فى خركاه من وراء السرادق ووكّل بهم خواص الديلم وغلمان الخيول ورتّب الأعراب والأكراد والرجالة [و][1] الفرس من حوالي المعسكر وبظاهر البلد لئلا يفلت منهم أحد أو من أصحابهم وقبض

---

١. الواو زيادة من مد.

منهم على عبد الرازق وأبى العلاء وأبى عدنان وبختيار وعلى كتّابهم وأسبابهم ووجوه الأكراد الذين معهم.

واستدعى بدر وعاصم وعبد الملك ووصلوا إلى حضرة عضد الدولة وخاطبهم بما رآه من اصطناعهم[١] وحملوا إلى الخزانة فخلع على بدر القباء والسيف والمنطقة الذهب وحمل على فرس بمركب ذهب وقلد زعامة الأكراد البرزيكاني ومن يجرى مجراهم وخلع على كل واحد من عاصم و عبد الملك الدراعة الديباج والسيف بالحمائل وحملا على دابّتين بمركبين مذهّبين ووضع على كل من كان مع المقبوض عليهم من الأكراد السيف ونهبت حللهم بما فيها.

ونفذ أبو الوفاء طاهر بن محمد إلى قلعة سرماج فافتتحها [17] وأخذ ما كان فيها من ذخائر حسنويه.

ودخلت سنة سبعين وثلثمائة

وسار عضد الدولة إلى نهاوند وأقام بها ورتّب العمال فى النواحى وجدّ فى تناول الموجود لانّه كان من رأيه أن يجعل همذان ونهاوند لمؤيد الدولة ويستضيف الدينور وقرميسين وما يجرى مجراهما إلى أعمال العراق.

ثم انتقل فى صفر من نهاوند إلى همذان ونزل دار فخر الدولة بها.

ذكر ورود الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد

فى هذا الشهر ورد الصاحب ابن عبّاد الخدمة عن مؤيّد الدولة وعن نفسه فتلقّاه عضد الدولة على بعد من البلد وبالغ فى اكرامه ورسم لأكابر كتّابه

---

١. فى مد: من واصطناعهم (بزيادة الواو).

وأصحابه تعظيمه ففعلوا ذلك حتى أنّهم كانوا يغشونه مدّة مقامه مواصلة ولم يركب هو إلى أحد منهم وكان غرض عضد الدولة بذلك استمالة مؤيد الدولة وتأنيس [18] الصاحب.

ووردت كتب مؤيد الدولة يستطيل مقام الصاحب ويذكر اضطراب أموره ببعده فوقع الشروع فى تقرير ارتفاع همذان ونهاوند معهما عليه وتولّى أبو عبد الله محمد بن الهيثم عمل العمل بالإرتفاع.

ذكر عمل رتّب فى تكثير اعتداد بارتفاع

صدر العمل بأن قال: مبلغ ارتفاع النواحى الفلانية. وتمّم الحكاية عن كذا وكذا ورقا صحاحا. من الورق ينفد الخرج كذا وكذا. وأضاف اليه الربع اعتمادا للتكثير. وأنفذ العمل مع أبى القاسم عبد العزيز بن يوسف وأبى الوفاء طاهر بن محمد وأبى عبد الله ابن سعدان إلى الصاحب أبى القاسم ورسم لابى عبد الله الحضور معهم عنده وموافقته على أبوابه ففعل واستوفى مناظرته وكمل الإرتفاع بزيادة على موجوده.

ذكر عود عضد الدولة إلى مدينة السلام [19]

برز عضد الدولة إلى ظاهر همذان فى شهر ربيع الآخر للعود إلى مدينة السلام وخلع على الصاحب الخلع الجليلة وحمله على فرس بمركب ذهب ونصب له دستا كاملاً فى خركاه يتصل بمضاربه وأجلسه فيه وأقطعه ضياعاً جليلة من نواحى فارس وحمل إلى مؤيد الدولة فى صحبته ألطافاً كثيرة وضمّ اليه من العسكر المستأمن عن فخر الدولة عدداً ليكونوا برسم خدمة مؤيّد الدولة.

ذكر ما جرى عليه أحوال أولاد حسنويه بعد وما جرّه الحسد من إلقاء من نجا منهم بيده الى التهلكة

لما قدم بدر وفضل بالسيف والمنطقة أحفظ ذلك عاصما وأوحشه وأقام قليلاً ثم انحاز إلى الأكراد المخالفين خالعاً للطاعة منابذاً لبدر.

فأخرج اليه أبو الفضل المظفر بن محمود فى عدة من الأولياء حتى أوقع بمحمود وأخذه أسيراً وأدخله همذان راكب جمل بدراعة ديباج ولم يعرف له خبر بعد ذلك وتفرّد بدر بالخدمة والانتساب [20] إلى الحجبة، وقتل جميع أولاد حسنويه.

وفى هذه السنة ورد الكتاب بأنّ أبا علي الحسن بن محمان أخذ المعروف بالصيداوى وقتله.

ذكر حيلة تمت على الصيداوى حتى أخذ وقتل

كان هذا الرجل أحد قطّاع الطريق فى أعمال سقى الفرات فاحتال أبو على ابن محمان فى أخذه بأن دسّ عليه جماعة من الصعاليك أظهروا الانحياز اليه. فلما خالطوه قبضوا عليه وحملوه أسيراً إلى الكوفة فقتله وأنفذ رأسه إلى مدينة السلام فشهره بها.

وفى هذه السنة ورد كتاب أبي علي الحسن بن علي التميمى بالقبض على ورد الرومى[١].

١. هو السقلاروس قد تقدم ذكره (مد).

ذكر السبب في ذلك

لمّا توفّى أرمانوس ملك الروم اتّفق أن نقفور الدمستق وهو رجل ذو سياسة وصرامة كان قد خرج إلى بعض بلاد الاسلام ونكأ فيها ثم عاد فعرف خبر وفاة أرمانوس حين قرب من القسطنطينية [21] فاجتمع اليه وجوه الجند وقالوا له:

ـ «ان الملك قد مضى وخلف ولدين لا غناء عندهما مع صغر سنهما وما يصلح للنيابة عنهما في تدبير الملك غيرك ونحن نرى ذلك من المصلحة للناس والمملكة.»

فامتنع فراجعوه حتى أجابهم ودخل إلى الملكين وخدمهما وأظهر الحجبة لهما والنيابة عنهما ثم لبس التاج وتزوج بوالدتهما ثم وقع منه جفاء لها استوحشت به منه.

ذكر تدبير دبّرته المرأة حتى تمّ لها قتل نقفور لقلّة حزمه

راسلت ابن الشمشقيق وأطمعته في قتل نقفور وأقامته مقامه في التدبير واستقرّ الامر بينهما على أن صار هو وعشرة نفر من خواصه سرّاً إلى البلاط التي تنزلها هي ونقفور فأدخلته ليلاً وكان نقفور يجلس أكثر الليل للنظر في الأمور وقراءة السير ويبيت على باب البيت الذي يأوى إلى فراشه فيه خادمان. فلما حصل ابن الشمشقيق داخل البلاط هجموا على الموضع وقتلوا الخادمين وأفضوا إلى نقفور وقتلوه ووقعت الصيحة وظهرت القصة واستولى ابن الشمشقيق على [22] الامر وقبض على لاون أخي نقفور وعلى ورد بن

لاون[١] فأمّا لاون فإنّه كحله وأما ورد فانه حمله إلى قلعة في البحر واعتقله. وسار إلى أعمال الشام وفعل فيها الافاعيل وانتهى إلى طرابلس فامتنع عليه أهلها فنزل عليهم ونازلهم.[٢]

فكان لأمّ الملكين أخ خصيّ وإليه وزارة الملك منذ أيام الملك أرمانوس واسمه بركموس[٣] فقيل: إنّه دس على ابن الشمشقيق سمّاً في طعام أو في شراب فأحسّ به ابن الشمشقيق في بدنه فسار عائداً إلى قسطنطينية وتوفى في طريقه واستولى بركموس على الأمر.

وكان ورد بن منير[٤] كبيراً من كبراء أصحاب الجيوش ومقيماً في بعض الأعمال فطمع في الأمر وجمع الجموع واستجاش بالمسلمين من الثغور وكاتب أبا تغلب ابن حمدان وواصله وصاهره.

وأخرج الملكان اليه عسكراً بعد عسكر فكسرهم واستظهر وسار إلى القسطنطينية ودهم الملكين ما ضاقا به ذرعاً فأطلقا ورديس بن لاون واصطنعاه واستحلفاه على المناصحة وأنفذاه للقاء ورد في الجيوش الكثيرة وجرت بينهما وقائع أبلى كل واحد منهما بلاء ظاهرا حتى تبارزا وتضاربا باللتوت إلى أن وقعت خُوذُهُما عن رؤوسهما.

ثم انهزم ورد ودخل إلى بلاد[23] الاسلام مفلولاً وحصل بظاهر ميافارقين على نحو فرسخ منها ـ وأبو على الحسن بن على التميمى الحاجب إذ ذاك بها ـ وراسل عضد الدولة وأنفذ أخاه اليه فأحسن تقبّله ووثق اليه بخطه وأعاده عليه بوعد جميل في إنجاده.

---

١. هو الفقاس (ورديس) (مد).
٢. ليراجع فيه تاريخ ابن القلانسى ص ١٢ ـ ١٤ (مد).
٣. هو باسيل أخ لجدة الملكين (مد).
٤. هو السقلاروس (مد).

وتلاه رسول ملك الروم يلاطف عضد الدولة في أمره[١] فقوى في نفسه ترجيح جانب ملك الروم على ورد وبدا له رأى في تدبير القبض عليه فكاتب أبا على التميمي بالتوصل إلى تحصيله.

فخرج أبو على اليه بعد مراسلة ترددت بينهما في الاجتماع وقبض عليه وعلى ولده وأخيه وجماعة من أصحابه وحملهم إلى ميافارقين ثم أنفذهم إلى مدينة السلام.

رأى صواب رآه أصحاب ورد وأشاروا عليه فأهمله واستبدّ برأيه

كان وجوه أصحاب ورد اجتمعوا اليه قبل القبض عليه وقالوا:

ـ «لسنا نرى أمرنا مع عضد الدولة مستقرّاً عن نصرة ومعونة وقد تردّد بينه وبين ملكي الروم في معنانا وانّا لا نأمن أن يرغّباه [24] فينا فيسلمنا والوجه الاستظهار وترك الاغترار وأن نفارق موضعنا عائدين إلى بلاد الروم على صلح إن أمكننا أو حرب نبذل فيه جهدنا. فامّا ظفرنا أو مضينا أعزاء كراماً.»

فقال: «ما هذا رأى، ولا رأينا من عضد الدولة الا الجميل ولا يجوز أن نقصده ثم نتصرف عنه من قبل أن نبلو ما عنده.»

فلما خالفهم وتركهم تركه كثير منهم وفارقوه.

فأقام ورد وأخوه وولده وتحصلوا في الاعتقال إلى أن أفرج عنهم صمصام الدولة في آخر أيامه على ما يأتي ذكره فيما بعد إن شاء الله.

---

١. قد ذكر صاحب تجارب الامم هذه الرسالة فيما تقدم.

ذكر ما جرى عليه أمر فخر الدولة

لما صار إلى قزوين بعد هزيمته من همذان قفل عنها إلى بلاد الديلم وحصل بهوسم[١] وأقام بها مدّة. وتردّدت بينه وبين قابوس بن وشمكير[٢] مراسلات وأيمان وعهود سببها الاجتماع على عداوة عضد الدولة ومؤيدها، ثم سار إلى خراسان لاستنجاد صاحبها.

ودخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة [25]

كان عضد الدولة أنفذ أبا نصر خرشيد يزديار[٣] إلى قابوس برسالة يستصلحه فيها فعاد بجواب ظاهره المغالظة وباطنه الملاينة[٤] فسأل عضد الدولة الطائع لله أن يعقد لمؤيد الدولة أبي منصور على أعمال جرجان وطبرستان وينفذ اليه العهد واللواء والخلع السلطانية فأجابه إلى ذلك.

وجلس في محرّم هذه السنة وجرّد أبا حرب زيار بن شهراكويه إلى مؤيد الدولة عدد كثير وضمّ اليه أبو نصر خواشاذه وأصحاب خزائن المال والثياب والسلاح فوصلا إلى مؤيد الدولة وهو معسكر بظاهر الريّ وأوصلا اليه الخلع السلطانية فلبسها وركب في العسكر وسار.

فلما انتهوا إلى استراباذ وبينها وبين طبرستان عشرة فراسخ وقابوس مقيم بها حفر بظاهرها خندقاً أجرى فيه المياه وبنى عليه أبراجاً رتّب فيه الرماة وعمل على المطاولة ولم يهمل مع ذلك الاستعداد للمواقعة إن دعته ضرورة

---

١. هُوْسَم: من نواحي بلاد الجبل، خلف طبرستان (مراصد الاطلاع).
٢. وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٦ : ١٤٣.
٣. وفي الاصل «بن زياد» والصواب فيما تقدم.
٤. في الأصل: «المباينة» وهو تصحيف كما نُبه عليه آمدروز.

اليها ونزل مؤيد الدولة على فراسخ من البلد فى موضع ماء وجده، وأنفذ إلى طبرستان من دخلها وملكها لأنّ قابوس أخلاها وجمع العساكر عنده واحتشد بغاية جهده.

وطلعت طلائع العسكرين وتمسّك قابوس بموضعه وتوقّف [26] مؤيد الدولة عن مقاربته إشفاقا من تعذُّر الماء وأقام الفريقان على هذه الحال أيّاما.

ذكر حرب جرت على غير ترتيب آل عقباها الى الخير والاتفاق

لم يزل مؤيد الدولة يجيل الرأى ويعمل التدبير إلى أن عرف خبر واد بظاهر البلد يجتمع اليه مياه الامطار فى أيّام الشتاء وأنّه متى سدّت أرجاء تقاربه وأسيح ماؤها اليه أمكن النزول عليه فركب هو وجماعة من خواصه فى عدد قليل من الغلمان لمشاهدة الموضع وتقدم إلى من كان خرج للمناوشة بالتوقف فى ذلك اليوم وأقام على الجبل من يمنع ويردّ.

فما هو أن بعد عن العسكر حتى زحف الديلم منازعين إلى لقاء القوم وقابلهم عسكر قابوس بمثل حالهم واشتد القتال وبلغ مؤيد الدولة ذلك فقامت عليه القيامة وأنفذ جماعة من الحجّاب والنقباء فوجدوا الأمر قد فات عن حدّ القبول، فانكفأ حينئذ إلى موضع المعسكر.

ولم تزل [27] الحرب قائمة على ساق إلى أن صوّبت الشمس للغروب.

ذكر غلط جرى من قابوس فى ردّ أصحابه بعد أن لاح له الضعف من مؤيد الدولة

وردّ قابوس أصحابه وعاد مؤيد الدولة إلى معسكره وقد قتل من أصحابه خلق وجرح أكثر ممن قتل من أصحاب قابوس وخرج فأنفذ مؤيد الدولة

بدر بن حسنويه فى عدد كثير من الأتراك والأكراد إلى الجبل الحاجز بين الفريقين ليضبطه إشفاقاً من أن يسير قابوس على أثرهم فانّه لو تبعهم لنكا فيهم وبلغ مراده منهم.

واحتاج مؤيد الدولة إلى المقام أسبوعاً حتى ثاب أصحابه واستراحوا وأجرى الماء إلى الوادى، ثم سار ونزل عليه ثم استعدّ أربعة أيام وزحف بعدها في جميع العسكر.

واشتبكت الحرب وحملت ميمنة مؤيد الدولة على ميسرة قابوس فكسرتها وفيها جمرة عسكره، فانهزم ودخل البلد مخترقاً إلى جانبه الآخر وثبت القتال من ميمنة قابوس وفيها أخوه [28] جركاس ساعتين بعد الهزيمة لأنّهم كانوا من وراء غيضة ولم يعلموا الصورة، فلمّا عرف جركاس هزيمة قابوس انهزم لاحقاً به.

وأنفذ مؤيد الدولة جماعة فرسان من عسكره لاقتصاص أثره فنكب قابوس عن الطريق وسار مارّاً على القلاع معتقداً لصعود أحدها متى أرهقه طلبٌ إلى أن حصل بنيسابور واجتمع مع فخر الدولة هناك.

ولمّا ملك فخر[١] الدولة استراباذ رتّب أمورها واستخلف أحد أصحابه فيها وسار إلى جرجان فنزلها وأقام بها وأنفذ أبا نصر خواشاذه إلى الحضرة ببغداد فى رسائل ووردها فى شهر رمضان مع الأسارى من أقارب قابوس ووجوه أصحابه فأعرض عضد الدولة عنه وأظهر الشكر[٢] له وأخرج أبا على الحسن بن محمد إلى جرجان.

---

١. يظهر أنّ المراد مؤيد الدولة وليراجع التاريخ اليميني ١٠٨: ١ الى ١١٠: ١ (مد).
٢. كذا بالاصل.

ذكر خيانة في مشورة جرّت نكبة

كان عادة أبي نصر إذا أنفذ إلى الرّيّ وقرب منها أن يتلقّاه الصاحب أبو القاسم ابن عباد وإذا رآه أبو نصر أن يترجّل له فلمّا[29] خرج في هذا الوقت مع زيار أحبّ أن يفعل مثل فعله لئلا يكون له، في الامتناع منه زيادة رتبة عليه. فقال له زيار قول المستشير:

ـ «ما الذي ترى أن تفعل في خدمة الصاحب إذا لقيتَهُ؟»

فقال: «أنت أعلم، إلاّ أنّ عضد الدولة ينزله المنزلة الكبيرة ويؤثر أن يقضى حقّه، والذي أفعله أنا الترجل له ومتى فعلت ذلك لم تأمن أن يفعل مثل ذلك.»

فحمل زياراً على أن يترجّل له عند خروجه لتلقّيه ولم يترجّل الصاحب ولا كان ممن ينقاد لهذا أو يسمح به وإنّما خدعه أبو نصر حتى تمّ غرضه.

وبلغ عضد الدولة ذلك فغاظه غيظاً عظيماً أسرّه إشفاقاً من أن يتأدّى الى الصاحب أبي القاسم فيه ما يوحشه. فلما ورد أبو نصر وفي قلب عضد الدولة من[1] هذا الامر ما فيه اطَّرحه وأعرض عنه ثم قبض عليه بعد مدة وحمله الى بعض القلاع بفارس.

ولقابوس أبيات قالها بعد الهزيمة مستحسنة:

قُلْ للّذى بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنا ... هَلْ عانَدَ الدَّهرُ إلاّ مَنْ لَهُ خِطَرُ
أَما تَرَى البحرَ تَطْفُو فَوقَهُ جِيَفٌ ... وَيَستَقِرُّ بأقصىٰ قَعْرِهِ الدُّرَرُ
فإنْ تَكُنْ نَشِبَتْ أَيدِى الخُطُوبِ بِنَا ... وَمَسَّنَا مِنْ تَوالِى صَرْفِها ضَرَرُ [30]

---

١. في الاصل ما.

فَفِى السَّماءِ نُجُومٌ لا عِدادَ لَهَا وَلَيْسَ يَكْسِفُ إلاَّ الشَّمسُ وَالقَمَرُ

سخط عضد الدولة على التنوخى

وفيها سخط على القاضى أبى على المحسّن بن على التنوخى وألزم منزله وصرف عما كان يتقلّدهُ.

ذكر السبب فى ذلك

كان التنوخى مع عضد الدولة بهمذان، فاتّفق يوماً أنّه مضى إلى أبى بكر بن شاهويه وكان صديقه ومعه أبو على الهائم، فجلسا يتحدثان فى خركاه وأبو على على بابها وقال ابن شاهويه للتنوخى:

ـ «أيها القاضى اجعل فى نفسك المقام فى هذا البلد مدة هذه الشتوة.»

فقال: «لِمَ.»

قال: «لأنّ عضد الدولة يدبّر فى القبض على ابن عبّاد»

وكان قد ورد إلى حضرته.

فانصرف التنوخى من عنده فقال له أبو على الهائم:

ـ «قد سمعت ما كنتما فيه وهذا أمر ينبغى أن تطويه ولا تخرج إلى أحد به ولاسيّما إلى أبى الفضل ابن أبى أحمد الشيرازى.»

فقال التنوخى:

ـ «أفعل.»

ونزل إلى خيمته وجاءه من كانت عادته جارية بملازمته ومؤاكلته ومشاربته وفيهم أبو الفضل ابن أبى أحمد الشيرازى فقال له:

ـ «ما لى [31] أراك أيها القاضى مشغول القلب؟»

تفريط في إذاعة سرّ عاد بوبال

فاسترسل اليه وقال له:

ـ «أما علمت أنّ الملك مقيم وقد عمل[١] على كذا في أمر الصاحب وهذا دليل على تطاول السفر.»

ولم يتمالك أن انصرف واستدعى ركابيّاً من ركابيّة القاضي التنوخي وقال له:

ـ «أين كنتم اليوم؟»

فقال: «عند أبي بكر ابن شاهويه.»

فكتب إلى عضد الدولة رقعة يقول فيها:

ـ «كنت عند التنوخي فقال لي كذا وكذا ـ وذكر انه عرفه من حيث لا يشكّ فيه ـ وعرفت أنّه كان عند أبي بكر ابن شاهويه وربما كان لهذا الحديث أصل، فاذا ذاع السرّ فيه فسد ما دبّرته في معناه.»

فلما وقف عضد الدولة على الرقعة وجم وجماً شديداً وقام من سماط كان عمله للديلم على منابت الزعفران مغيظا واستدعى التنوخي وقال له:

ـ «بلغني عنك كذا وكذا.»

فخجل التنوخي، ثم جمع بينه وبين أبي الفضل الساعي به، فواقفه فأنكره، وأحضر ابن شاهويه وسئل عن الحكاية فأنكرها، وسئل أبو على الهائم [32] عما سمعه فقال:

ـ «كنت خارج الخركاه وما وقفت على شيء.»

فَمُدَّ وضُرِب مائتي مقرعة وأقيم فنفض ثيابه وقال:

---

١. وفي الأصل: عولت. والصواب في الإرشاد

ـ «أكثر الله خيركم.»

واتّصل ذلك بعضد الدولة فأمر بضربه مائة مقرعة أخرى، واندفعت القصة فرجع التنوخى الى خيمته بعد أن ظنّ أنّه مقبوض عليه وبقى يتردّد إلى خدمة عضد الدولة مدة وهو معرض عنه حتى عاد له إلى بعض الإقبال عليه.

ثم رحلوا إلى بغداد فرآه عضد الدولة وعليه ثياب جميلة وتحته بغلة بمركب ثقيل، فقال له:

ـ «من أين هذه البغلة؟»

فقال: «حملنى عليها الصاحب بمركبها وأعطانى عشرين قطعة ثيابا وسبعة آلاف درهم.»

فقال: «هذا قليل لك مع ما تستحقّه عليه.»

فعلم التنوخى أنّه اتهمه بذلك الحديث.

وورد عضد الدولة إلى بغداد فحكى له أنّ الطائع لله متجاف عن ابنته وأنّه لم يقرّبها فثقل ذلك عليه فقال للتنوخى:

ـ «تمضى إلى الخليفة وتقول له عن والدة الصبيّة إنها مستزيدة لإقبال مولانا عليها.»

فعاد التنوخى إلى داره ليلبس أهبة دار الخلافة.

ذكر اتّفاق ردىء جاء بالعرض [33]

فاتفق أنّ التنوخى زلق عند عوده إلى داره ووثئت رجله فأنفذ إلى عضد الدولة فعرّفه عذره فلم يقبله وأنفذ اليه من يستعلم ما جرى، فرأى غلمانه روقة وفرسا جميلة وعاد اليه فقال:

ـ «إنّه يتعلل وليس بعليل وشاهدته على صورة كذا والناس يغشونه

ويعودونه.»

فاغتاظ غيظا مجددا حرّك ما في نفسه أولاً فراسله بأن:

ـ «الزم منزلك ولا تخرج عنه ولا تأذن لاحد فى الدخول اليك.»[١]

إلاّ نفر من أصدقائه استأذنه فيهم، واستمر السخط عليه إلى حين وفاة عضد الدولة.

وفى هذه السنة أطلق أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الكاتب[٢] من الإعتقال وكان القبض عليه فى سنة سبع وستّين وثلاثمائة.

ذكر السبب في القبض عليه والإفراج عنه

كان قد خدم عضد الدولة عند كونه بفارس بالمكاتبة والشعر والقيام بما يعرض من أموره بالحضرة، فقبله وأرفده فى أكثر نكباته بمال حمله اليه، ولما ورد بغداد في سنة أربع [34] وستّين ازداد اختصاصه به حتى أشفق من المقام بها بعد عوده.

فاستظهر له عضد الدولة بذكره فى الاتفاق الذى كتب بينه وبين عز الدولة وعمدتها أخيه واليمين التى حلفا بها وشرطا عليها حراسته فى نفسه وماله.

فلما انحدر عضد الدولة لم يأمن على نفسه فاستتر حتى توسط أبو محمد ابن معروف أمرهُ وأخذ له الأمان من عز الدولة وابن بقيّة وظهر، فتركه مديدة ثم قبض عليه بإغراء من ابن السراج لهما به، ومازال مقبوضاً عليه حتى فسد أمر ابن السراج.

---

١. كأنه سقط: فلزم منزله ولم يأذن لأحد (مد).

٢. وفي الأصل «هليل كاتب» وترجمة ابراهيم بن هلال الصابي موجودة فى ارشاد الأريب ١: ٣٢٤ ووردت هذه الحكاية ص ٣٣٠ رواية عن حفيده هلال بن المحسن الصابى (مد).

ذكر اتفاق عجيب في خلاص أبي اسحاق وهلاك ابن السراج

قد تقدم في كتاب تجارب الامم ذكر السبب في القبض عليه عند إفاقة ابن بقيّة من علّته التي أشفى فيها فلمّا قبض عليه نقل القيد من رجل أبي اسحاق إلى رجله وعاد أبو اسحاق إلى خدمة عز الدولة وكتب عنه في أيام المباينة بينه وبين عضد الدولة الكتب [35] التي تضمنت الوقيعة فيه[١] فنقم عليه ذلك.

فلما ورد عضد الدولة في الدفعة الأخيرة وحصل بواسط خرج أبو اسحاق بما في نفسه من الحذر إلى أبي سعد بهرام بن أردشير وهو يتردّد في الرسائل والوساطة، وسأله اجراء ذكره وإقامة عذره والإحتياط له بأمان يسكن اليه نفسه وكتب على يده كتاباً.

ففعل أبو سعد ذلك وتنجز له جواب كتابه وفيه توقيع عضد الدولة بالتوثقة والأمان، ودخل عضد الدولة بغداد فأجراه على رسمه. فلما حصل بالموصل كتب إلى أبي القاسم المطهر بن عبد الله فقبض عليه على مضض منه وكراهية.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ذكر السبب في ذلك

لما أخرج إلى الديوان ما وجد في قلاع أبي تغلب من الحسبانات والكتب لتتأمل، كان فيها الشيء الكثير من كتب عز الدولة إلى أبي تغلب بخط أبي اسحاق الصابي فحملت إلى عضد الدولة. فلمّا وقف عليها حرّكت ما في

١. وفي الإرشاد: ومنها الكتاب عن الطائع لله بتقديم عز الدولة وإنزاله منزلة ركن الدولة وهو أعظم ما نقمه عليه (مد).

نفسه فكتب من هناك بالقبض عليه.

فبقي في الاعتقال يكتب إلى عضد الدولة ويستعطفه بأشعاره إلى أن [36] تقدم عضد الدولة إلى أبي القاسم المطهر بالانحدار إلى البطيحة فسأل حينئذ في إطلاقه والإذن له في استخلافه بحضرته لعناية أبي القاسم به فقال:

ـ «اما العفو عنه فقد شفّعناك فيه وعفونا له عن ذنب لم نعفُ عما دونه لاهلنا ـ يعني الديلم ـ ولا لأولاد نبينا صلى الله عليه ـ يعني أبا الحسن محمد بن عمر وأبا أحمد الموسويّ ـ ولكنا وهبنا إساءته لخدمته وعلينا المحافظة فيه على الحفيظة منه وأما استخلافك له بحضرتنا فكيف يجوز أن ننقله من السخط عليه والنكبة له إلى النظر في الوزارة؟ ولنا في أمره تدبير وبالعاجل فاحمل اليه من عندك ثيابا ونفقة وأطلق ولديه[١] وتقدم اليه بعمل كتاب في مفاخرنا.»

ففعل المطهر ذلك

وعمل أبو اسحاق الكتاب الذي سماه: التاجيّ في الدولة الديلمية. فكان اذا عمل منه جزءا حمله إلى عضد الدولة حتى يقرأه ويصلحه ويزيد فيه وينقص منه. فلما كان تكامل ما أراده حرّر وحمل كاملا إلى خزانته.

وهو كتاب بديع الترصيف حسن التصنيف، فان أبا اسحق كان من فرسان البلاغة الذين لا تكبو مراكبهم [37] ولا تنبو مضاربهم. ووجدنا آخره موافقا لآخر كتاب تجارب الامم حتى إنّ بعض الالفاظ تتشابه في خاتمتها وانتهى القولان في التاريخ بهما إلى أمد واحد والكتاب موجود يغني تأمّله عن الإخبار عنه.

---

١. وهما المحسن وعمر، كذا في الإرشاد (مد).

إنّ الجواد عيبهُ[١] فرارُهُ

ومن العجب كيف نكبه عضد الدولة وهو الموصوف بحسن السيرة والانصاف في السياسة مع ما سبق اليه من خدمته وعرفه أولاً من خلوص نيته وأعطاه أخيراً من أمانته وموثقته.

إن كان الذى نقم عليه منه هو ما ذكر في تاريخ من حال الكتب التي كتبها عن عزّ الدولة فغير مستحسن من الملوك أن ينقموا بغير حق وأن ينقضوا الأمان من غير موجب.

فلو أنّ عضد الدولة أمره بمثل ما كان عزّ الدولة أمرَهُ بِه هل كان يقدر على خلافه مع كونه فى قبضة سلطانه؟ والله تعالى يقول: «إلّا من أكرِه وقلبُهُ مطمئن بالإيمانِ»[٢]. وربما خفى السبب أو أخطأ القياس والاشخاص تفني والذكر يبقى والشاعر يقول:

وكذاكَ الزمانُ يذهبُ بالنا س وتبقى الديار والآثار [38]

ولو قال «ويبقى الحديث والاخبار» لكان أقرب إلى الصواب فإنّ الديار تدرس والآثار تذهب والحديث يبقى والاخبار تُروى على أنّ عضد الدولة أبقى عليه فى اعتقاله وعاود الحسنى فى إطلاقه وبدأ باستئناف الجميل معه.

لو أنّ المنايا أنسأتهُ لياليًا

ووجدت رواية أخرى[٣] فى سبب اطلاقه وهو أنّ عضد الدولة رقّ له لما

١. وفي الأصل «عيبه».

٢. س ١٦ النحل: ١٠٦.

٣. وهى رواية عن أبي ريان أحمد بن محمد الوزير: ارشاد ص ٢٣٦.

طال حبسه، وأنّ أبا الريّان وأبا عبد الله ابن سعدان تولّيا الافراج عنه، ثم شغلت عضد الدولة علّته عن النظر فى أمره واظهار آثار الرضاء[١] عليه بالاحسان اليه وقد حكينا ما رأينا.

وفي هذه السنة ورد عن أبي القاسم نوح[٢] بن منصور صاحب خراسان رسول يكنى بأبي الغنائم فخرج أولاد عضد الدولة مع سائر الجيش لتلقيه وأكرم غاية الاكرام.

وفيها أخرج معه أبو الغنائم نصر بن الحسين والقضاة وأبو محمد الجهرمى وأبو عقبة وأبو محمد ابن عقبة وسالم إلى أبي الغنائم[٣] يذكّره بما يعتمده ويورده من جملتها العتاب على فخر الدولة وقابوس وايوائهما وأنّه:

إن كان الوفاء بالمعاهدة التي جرت مع السلف واقعا فيجب ان يسلموها يدا بيد إلى مؤيد [39] الدولة ليحمل اليكم مال الموافقة سالفاً وآنفاً على العادة، فإن أردتم استئناف الصلح بيننا وهدر ما تقدم وأن تجعلوا ايواء العاقّ وقابوس ـ يعني بالعاق فخر الدولة ـ عوضا عن المال بعناكم إيّاهما بالثمن الذى استرخصتموهما به فيبين على ممرّ الايام الرابح منا ومنكم، وإن قال أبو العباس[٤] أنّه يكلّمنا فى أمر قابوس وما كان يجب في جواب شفاعتنا التسرع اليه، قيل له:

ـ «قد اعترفت وقلت أنت وأبو الحسين العتبى[٥] بأنّ الرجل أحد أصحابنا وأنّه جانٍ علينا مستحق للعقوبة وأنّكم شافعون فى بابه ومعلوم أنّ الصلح

---

١. كذا فى مد: الرضاء، بالمدّ.

٢. وفى الاصل: روح.

٣. فى هذه الجملة اضطراب كثير.

٤. هو حسام الدولة تاش حاجب نوح بن منصور (مد).

٥. هو وزير نوح بن منصور وليراجع التاريخ اليمينى. (مد).

معقود عن جرجان وطبرستان وعن غيرهما من قومس[١] بدامغان وكرمان وما يلزم واحداً منا ولا من صاحبك ان شفاعتهما...

ثم إنّا نقول في الجواب:

ـ «إنّه ما كان يجب التسرّع في باب أبي الحسن ابن سمجور وقد شفعنا فيه، فإن كان ذلك واجباً علينا فهذا واجب عليكم وإن كان بكم التجنى فهو ما لا يستعمله أصحاب التحصيل ولسنا ممن يتجنى عليه. وإن اخترتم استئناف الصلح على أن تطردوا العاقّ وقابوس طردا على أن لا يكونا في بلادكم ويذهبا حيث شاءا [40] من أرض الله قبلنا. وان سألتم أن نرضى بمقامهما عندكم رضينا على أن ينفذا إلى بخارا وينفض عنهما أصحابهما وإن لم ينفضوا[٢] عنهم فإنّهم سينفضون من ذات أنفسهم. وان سألتم أن نؤمنهما ليعودا إلى جملتنا هدرنا ما تقدم من الموافقة واستقبال الوقت الذى يقع فيه الصلح، فنحن نفعل ذلك كرامة لذلك الكبير ولكن على أن يردوا حضرتنا ويكون ما نفعله معهم تبرُّعاً منّا وموكّلاً إلى رأينا من غير اشتراط فذلك خير لهما. وان اخترتم بيعنا بمقامهما عندكم، فإنّنا نسمح لكم بهذين المقبلين المباركين ومال الصلح الذى تأخذونه منّا مستأنفا، فإنه سيذهب لكم عليهما وأكثر، فليس يحسن بكم أن تعطوهما أكثر من ذلك. فان أحسنتم اليهما خسرتموهما والمال جميعا ولم تحصلوا منهما على طائل، وان لم تحسنوا اليهما فارقاكم عن قِلى وعادا الينا بلا منةٍ لكم علينا في بابهما وتكون مفارقتهما لكم على ما يليق بهما إلى حيث يرمي بهما جدّهما الغار اليه.»

وقد كنا نقول لقابوس:

ـ «لا تقبل العاقّ ولا تؤوه، فقد سمعت ما كان من أبي تغلب ابن حمدان

---

١. في الاصل: قوس.

٢. في مد: لم يفضوا.

حين قبل [41] بختيار الشقيّ ورأيت عاقبتهما، فإن كان محمودا فسترى مغبّة فعلك وسيرى العاقّ مغبة فعله.»

ورأيتم فيهما ما يليق بهما ولله الحمد وقد اجتمعا عندكم وأنتم على بصيرة من أمرهما. فان استقر الصلح بنيسابور فليخرج إلى بخارا لعقد الوثيقة وإحكام الأمر على حسب ما رسمناه وبمحضر من القضاة والشهود ووجوه الحاشية والقواد والغزاة وأماثل البلدان، وإن أحبّ أن يتّم ما خرج له القضاة الثلاثة من حضرتنا استخار الله فيه وتمّمه، واذا عاد إلى نيسابور أحكم عقد الصلح فيها بشهادات الأماثل، وإن رأى الصواب فى أن يشهد على أبى العباس فى نسخة العهد الذى يتولى تجديده ببخارا أو يأخذ خطه فيها فعل.

وقد كان عضد الدولة متوقفا عن إنفاذ أبى غنائم[1] وقال له:

ـ «ان القوم قد غدروا ونكثوا العهد ورفضوا الودّ ولم يبق بعد ايواء فخر الدولة وقابوس هوادة.»

وقد سبق منهم فى قصة ابن سمجور ما قد سبق مما يدلّ على فساد الدخائل. فما زال أبو غنائم يراجعه ويعرض عليه ما يصله من كتبهم الدالة على بذل الموافقة حتى أذن له فى الخروج على ما تقدم [42] ذكره ابلاءً للعذر.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فأمّا قصة ابن سمجور وتنكّر آل سامان عليه فالسبب في ذلك

أنّه كان رجلاً قد حنكته التجارب وهذّبته الايام ورأى الدولة الديلمية وهي في ابتدائها تسرى فى البلاد سرى النار فى الهشيم فكان يرقع الخرق

---

١. وفي الأصل: أبي غانم.

ويعتمد الرفق[١] ويسلك طريق المفارقة فعرف عند آل سامان بالمداهنة والصغو إلى غيرهم وسعى بفساد ذات البين واغمار حتى آل الامر إلى ازالة قدمه عن مستقرها.

وأخبرنا من نثق به عن صدر عظيم فى زماننا هذا انّه قال وضربه مثلا فى غرض له:

ـ «انّ ابن سمجور كان كالسد لبلاد سامان يوارى عوراتهم ويغطّى هناتهم وكان يصرف ما يحصل من مال البلاد التى فى يديه فى مسالحها[٢] ومحارسها وأنفذوا يلتمسون منه مالاً ويتجنون عليه أقوالاً وأفعالاً.»

فقال فى الجواب:

ـ «اعلموا أنّ مثلى معكم مثل ستر من خرق على باب دار خراب، فدعوه بحاله مسبلا على الباب [43] فإنّكم ان رفعتموه بانت آثار الخراب.»

فلم يقبلوا منه وكان الامر كما زعم.

ونعود إلى سياقة التاريخ:

ودخلت سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة

عدّة حوادث منها الحرب بين المؤيّد والفخر على باب جرجان

وفيها أخرج أبو القاسم[٣] سعد الحاجب وقراتكين مدداً لمؤيد الدولة عند ورود فخر الدولة وقابوس وعساكر خراسان.

---

١. لعله الرتق (مد).

٢. فى مد: مصالحها. والتغيير بقرينة «محارسها».

٣. وفى الاصل «أبو الحسن» وهو غلط (مد).

شرح الحال فى ذلك

قد تقدّم ذكر اجتماع فخر الدولة وقابوس بنيسابور، ولمّا حصلا بها أقام قابوس ومضى فخر الدولة إلى صاحب خراسان فاستجار به وسأله المعونة وأقام عنده إلى أن جرد معه ناس وجماعة من أكابر القوّاد وسارت الجماعة حتى نزلت على باب جرجان ومؤيد الدولة بها.

ووقعت الحرب بين الفريقين أياماً كانت بينهم سجالا، ثم وقع الخلف بين عساكر خراسان وانصرفوا، ورجع فخر الدولة وقابوس إلى نيسابور مفلولين.

وفيها خرج أبو الفوارس [44] ابن عضد الدولة من بغداد الى كرمان للمقام بها والولاية عليها والإبعاد عن الحضرة، وقد كانت علّة عضد الدولة قويت واستحكمت.

وفيها ورد أبو اسحق محمد بن عبد الله بن محمد بن شهرام ومعه رسول ملك الروم.

ذكر ما جرى بين عضد الدولة وملك الروم فيما تردّدت به الرسالة

كان سبب هذه الرسالة ما تقدم ذكره من دخول ورد إلى بلد الاسلام فخاف ملك الروم وأنفذ رسولا إلى عضد الدولة فى أمره.

فأخرج أبو بكر محمد ابن الطيب الاشعرى المعروف بابن الباقلانى بجواب الرسالة فعاد ومعه رسول يعرف بابن قونس فأعيد وأنفذ معه أبو اسحق بن شهرام فاستثنى على ملك الروم بعدّة حصون ووصل معه رسول يعرف بنقفور الكانكلى بهدية جميلة.

نكت من جملة مشروح[1] وجد بخط [45] ابن شهرام دلت منه على دهاء وحزم وقوّة رأى

قال: لما حصلت بخرشنة عرفت انّ الدمستق خرج من القسطنطينية آخذا فى الاحتشاد والاستعداد ومعه رسول حلب المعروف بابن مامك وكُليَب حَمُو أبي صالح السديد. فأمّا كليب فإنّه كان مع ورد وحصل فى جملة العصاة الذين أومنوا وأقرّوا فى بلد الروم بعد ان صودروا وهّم الروم بمصادرته أسوة بغيره وارتجاع الضياع التى سلمت اليه حين سعى في تسليم قلعة برزوية اليهم، فتوصل كليب إلى البركموس والدمستق بما أرضاهما به وضمن لملك الروم فى أمر حلب وغيرها ضمانات دفع بها الشر العاجل وبذل تعجيل ما يتعلق بخراج حلب وحمص لما كان صهره وأنّه لا يخالفه، فتخلص بهذه الحجة. وأما رسول حلب فإنّه لم يفعل معه أمر الاّ انّه طولب بخراج ما مضى من السنين.

وحصل الدمستق بموضع عادل عن جادّة البريد فعدل ابن قونس بى اليه ووجدته حدث السن معجبا بنفسه لا يؤثر تمام الهدنة لاحوال منها أنّه يستغنى عنه في العاجل فتبطل سوقه [46] ومنها أن يقع الطمع فيه من ملك الروم «ولا نأمن بوائقه» والثالثة ما يرجوه ويشتهيه لنفسه، الاّ انه أظهر جميلاً وقبل الهدنة وشكر عليها.

ثم سألنى عما وردتُ فيه، فذكرت جملته وواقفه ابن قونس على نسخة الشرط فلما وقف عليه قال:

ـ «لو تمّ للرؤساء ان نخلّى لهم عما يريدونه من البلدان والحصون باللطف

---

١. كذا.

والرفق لكان كل رئيس يتلطف ويستغنى بذلك عن جميع الرجال وبذل الاموال.»

قلت: «اذا كان اللطف والرفق من وراء قوّة وقدرة فهو دليل الفضل ويجب تلقيه بالقبول.»

قال: «أما حلب فليست ببلدكم ولا يريدكم صاحبها وهذا رسوله وكليب يبذلان لنا خراجها ويسألان الذبّ عنها، وأما الحصون فإنّها أخذت فى زمان عمّي نقفور وغيره من الملوك ولا فسحة فى النزول عنها. فإن كان معك غير هذا وإلّا فلا تتعب نفسك بطول الطريق.»

فقلت: «ان كان أمرك ملك الروم بانصرافى فعلت، وإن كنت قلته من تلقاء نفسك فيجوز أن يسمع الملك كلامي وأسمع جوابه وأعود بحجة.»

فأذن لي فى السير.

فسرت إلى القسطنطينية ودخلتها بعد أن تلقّاني من أصحاب [47] ملكها من أحسن صحبتي اليها فأُكرمت وأنزلت فى دار نقفور الكانكلى الذى وصل الآن معي رسولا وهو خصيص بملك الروم. ثم استدعيت فدخلت إلى البركموس فقال:

ـ «قد وقفنا على الكتب وقد أحيل فيها على ما تقوله. فاذكر ما عندك.»

فأخرجت الشرط الظاهر فلما وقف عليه قال:

ـ «أليس قد تقرر الأمر مع محمد بن الطيب (يعنى أبا بكر الباقلانى) على ما طلبتموه من ترك خراج بلد أبي تغلب الماضى والمستأنف ورضى بما شرطناه عليه من رد الحصون التى أخذت منّا والقبض على ورد وقد رضى مولاك بما شرطنا وفعل ما أردنا وطلبنا. إنّ خطه معك بتمام الهدنة.»

فقلت: «ما عقد محمد بن الطيب معكم شيئاً[١].»

فقال: «ما خرج من عندنا الّا على تقرير ما شرطناه عليه وان ينفذ خطّ مولاكم بإتمامه.»

فقد كان أحضر كتابه بالرضا بجميع ما يمضيه هو. فاحتجت إلى أن أتطلب مجالا أقاوم به مجالهم.

ذكر بديهة جيّدة انقدحت لابن شهرام في دفع حجّة الخصم

فقلت: «ما عقد محمد بن الطيب شيئاً[٢] ولكن ابن قونس قرر هذا الشرط [48] وأخذ نسخته بالرومية.»

فاشتطّ البركموس وقال لابن قونس:

ـ «من أمرك بهذا؟»

فقال: «ما قررت شيئاً[٣] ولا محمد بن الطيب قرر شيئاً[٤].»

وانصرفت.

فاستعادني بعد أيام وعاود قراءة الشرط ووقف عند فصل كان قيل فيه «ما تقرر مع شهرام على ما في النسخ الثلاث» فقال:

ـ «هذه واحدة وأين الأخريان؟»

فرجعت إلى الموضع فوجدت السهو قد وقع في ترك ذلك فقلت:

ـ «معني هذا اللفظ أن يكون الشرط على ثلاث نسخ، احداها تكون عند

١. في مد: شيء.

٢. في مد: شيء.

٣. في مد: شيء.

٤. في مد: شيء. وهذا التكرار ينبئ عن أنّ الأصل كان كذلك عن قصد.

الملك[1] وأخرى بحلب والثالثة تكون بالحضرة.»

قال ابن قونس:

ـ «ليس كذا قيل لي «أملِ عليَّ تفسير الشرط».»

قال البركموس:

ـ «لا ولكن هذه النسخة هى الظاهرة والأخرى بترك الحصون والثالثة بترك ذكر حلب وإمضاء الشرط على ما قرره محمد بن الطيب، وانما أنفذ هذا ليأخذ خطّ الملك وخاتمه بذلك.»

فقلت: «هذا محال، وما عندى الا ما ذكرته من حال حلب والحصون على ما تضمّنه الشرط الذى وقفت عليه.»

فقال: «لو كان ورد فى عسكره وقد[49] أخذتمونا كلنا أسرى ما زاد على هذا، فكيف ذاك أسير.»

جواب سديد لابن شهرام

فقلت: «أمّا قولك: لو كان ورد فى عسكره، فهو غلط لأنك تعلم أنّ أبا تغلب ـ وأقل تابع لعضد الدولة أكبر منه ـ عاون ورداً فأهلك مُلك الروم سبع سنين فكيف لو أمدّه عضد الدولة بعساكره! وهو اليوم وان كان أسيراً فى أيدينا فإنّنا لم نفعل به ما تفعلون أنتم بأسراكم من المثلة، وكونه بالحضرة أحوط لنا لأنّنا لم نستأسره، لربما كان يضيق صدره بمدافعتنا ايّاه أو بياس[2] منّا فيستوحش ويمضى.»

والآن فهو متصرف على أمرنا وساكن إلى ما شاهده بالحضرة من العز والأمن والحبل فى أيدينا باطرافه.»

---

١. فى مد: ملك.

٢. وفى الأصل يأنس.

فاشتد عليه خطابي ووجم منه وعرف صحّته وقال :

ـ «الذي تطلبه لا طريق اليه فان أردت إمضاء ما تقرر مع محمد بن الطيب والاّ فانصرف.»

فقلت : «ان أردت أن أنصرف من غير أن أسمع كلام ملك الروم فعلت.»

فقال : «ما أقوله أنا عنه، ولكن استأذنه في ذلك.»

ثم استدعيتُ [50] بعد أيام فحضرتُ فاستعاد ملك الروم ما جرى فأعيد عليه بمحضرى فقال :

ـ «يا هذا قد جئت بأمر منكر لانّه جاءنا رسول لكم فشرط علينا ما أجبناه اليه وشرطنا عليه ردّ الحصون التي أخذت أيام العصيان وتريد حصوناً أخر وبلاداً أخذها الملوك من قبلى، فإن رضيتم بما تقرّر أولا، والا فامض بسلام.»

فقلت : «اما محمد بن الطيب فما قرر شيئاً وأما الشرط الذي قد ورد معه فقد قطعتم فيه نصف بلدنا فكيف يجوز أن نقرّر علينا أمراً، فانّ الحصون التى في ديار بكر منها شيء في قبضك وإنّما هو في أيدينا وليس لك فيها غير المنازعة ولا تدرى ما يحصل منها.»

فقال البركموس :

ـ «هذا رجل ذو جدل وتمويه للأقوال، والموت خير من الدخول تحت هذا الحكم، فدعه ينصرف الى صاحبه.»

وقام فانصرفت.

فاستدعانى البركموس بعد أن تكاملت مدة مقامي شهرين في القسطنطينية وأحضر القربلاط والد الدمستق وهو مكحول وعددا من البطارقة وتناظرنا فى أمر الحصون، وبذلوا خراج حصن كيفا الذى في يد والدة أبي تغلب وهو يؤدى الخراج اليها فقلت :

ـ «أنا أدع لكم [51] خراج سمند[١].»

فقالوا: «ما معنى هذا؟»

فقلت: «إنّما تذكر الأطراف فى الشرط لتعلموا أنّ ما وراءها داخل فى الهدنة معها وحصن كيفا داخل من دون آمد بخمسة أيام فكيف تذكرونه؟»

وجرى جدل فى أمر حلب حتى قال القربلاط:

ـ «إن حمل صاحب حلب الخراج الينا علمنا حينئذ أنّك مبطل فى قولك، وأنّه يريدنا دونكم.»

قلت: «وما يؤمنني أن تحتالوا على كاتبه كليب حميه حتى يعطيكم شيئاً تجعلونه حجة؟ فأمّا بغير حيلة فأنا أعلم أنّه لا يكون.»

وانصرفت.

ثم أحضرنى ملك الروم بعد ذلك وقد وصل خراج حلب، فوجدت كلامهم غير الاول قوة وتحكّما فقالوا:

ـ «هذا خراج حلب قد حضر وصاحبها قد سألنا أن نشارطه على حرّان وسَرُوج ومعاونته عليكم وعلى غيركم.»

فقلت: «أما الخراج وأخذكم ايّاه فأنا أعلم أنّه بحيلة، لأنّ عضد الدولة ظنّ أنكم لا تستجيزون ما قد فعلتموه، فلم ينفذ عسكراً يمنع عسكركم. وأما ما تحكونه عن صاحب حلب، فأنا أعرف بما عنده وكلّ ما يقال لكم عنه غير صحيح، والدعوة فيها فهى قائمة لعضد الدولة.»

قالوا: «هل معك شيء غير هذا؟»

قلت: «لا.»

قالوا: «فتودّع الملك[٢] وتنصرف مصاحبا.» [52]

---

١. يعنى سمندو المذكورة فى قصيدة المتنبى (مد).

٢. فى مد: فيودّع ملك.

قلت: «الساعة.»

وأقبلت بوجهى نحوه لتوديعه.

رأى سديد رآه ابن شهرام فى تلك الحال

قال: ثم تأمّلت الحال فوجدت البركموس والقريلاط وجماعة معهما ليس يؤثرون الهدنة، وأصحاب السيوف يخافون لئلاً تبطل سيوفهم وتنقص أرزاقهم على رسم الروم اذا هادنوا، ولم يبق لى طريق سوى مداراة ملك الروم والرفق به فقلت:

ـ «أيها الملك يجب أن تتأمّل ما فعله عضد الدولة معك ولم يعاون عليك عدوّك ولم يتعرض لبلادك أيام اشتغالك بمن عصى عليك، وتعلم أنّك إن أرضيته وحده وهو ملك الاسلام والا احتجت أن ترضى ألوفاً من أصحابك، ثم لا تدرى هل يرضون أم لا، ثم إن لم يرضوا ربما احتجت الى رضائه[1] من بعد، وتعلم أنّ كل من حول عضد الدولة لم يرغبوا فى هدنتك وانّما هو وحده أراد ففعل ما أراد، ولم يقدم أحد على مراجعته، وأراك تريد هدنته ولعلّ من حولك لا يساعدونك على مرادك.»

فاهتزّ لخطابي وبان فى [53] وجهه الامتعاض من علمى بالاعتراض عليه من أصحابه، وقام وانصرفت.

وكان المشرف علىّ الخصيص بملك الروم، وهو الذى يوقع عنه بالحمرة ولا يمضى أمر دونه، نقفور الكانكلى الذى وصل معى رسولاً فسألته أن ينصرف معى ففعل.

---

١. كذا في مد: رضائه، بالمدّ.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ذكر ما رتّبه ابن شهرام مع خصيص ملك الروم حتى بلغ به غرضه

فلما خلوت به قلت:

ـ «أريد أن تتحمل عنى رسالة الى ملك الروم فقد طال مقامى وتعرّفنى آخر ما عنده، فان فعل ما أريده والاّ فلا وجه لمقامى.»

ولاطفتُ هذا الكانكلى بشىء حملته اليه ووعدته عن عضد الدولة بجميل وكان مضمون رسالتي:

«انّه يجب عليك أولاً أن تحفظ أيها الملك نفسك ثم ملكك ثم أصحابك، ولا تثق بمن صلاحه فى فسادك. فانّ بمعاونة أبي تغلب عليك تمّ فى بلد الروم ما جرى، وكيف تكون الحال مع عضد الدولة ان عاون عليك أيها الملك؟ وانّى [54] أرى أصحابك لا يريدون تمام الهدنة بينك وبين أوحد الدنيا وملك الاسلام، والانسان لا يخفى عليه إلّا ما لم يجرّبه، وأنت فقد جربت سبع سنين عند عصيان من[١] عصى عليك لملكك وملكك لا نفسك يبقى[٢] الروم فما يبالون هذا ان لم يتحرك هو بنفسه. وقد نصحت لمّا رأيت من ميل صاحبي اليك وايثاره لك، فتأمل خطابى واعمل بعد ذلك برأيك.»

فعاد نقفور وقال:

ـ «يقول لك: الأمر كما ذكرت، ولكن ليس يمكن مخالفة الجماعة ويرونى بصورة من قد خانهم وأهلكهم ولكن سأتمم الأمر وأفعل ما يمكن فعله.»

ومن الاتفاق الحميد أنّ البركموس مرض مرضاً شديداً فتأخر عن الركوب

١. وفى الاصل: مع.

٢. فى الأصل: يبقى نفسك، والتصحيح من حواشى مد.

وتردّدت الرسالة بيني وبين ملك الروم. ثم استدعاني أيّاماً متوالية وتولى خطابي بنفسه وساعدني الكانكلي بغضا للبركموس ومنافسة له، الى أن أجاب الى الهدنة على جميع ما تضمنه الشرط بعد مراجعات جرت لإخراج حلب فإنّه ما أجاب اليه. فلمّا ضايقته فيه وقلت:

ـ «هذا كله بغير حلب لا يتم.» فقال: ـ دع هذا فلا نسلّم غير ما سلّمنا ولا نخلّي عن بلد نأخذ خراجه إلّا بالسيف، ولكنّي أحملك رسالة الى صديقي [55] ومولاك فإني أعلم أنّه فاضل وإذا عرف الحق لم يعدل عنه.»

ثم قال لمن حوله:

ـ «تباعدوا.»

وقال لي سرّاً من كل أحد:

ـ «قل له: والله إني اشتهي رضاك ولكنّي أريد حجّة فيه، فإن أردتم أن نحمل اليكم الخراج عن حلب أو أتركه لكم تأخذونه على أن تصرفوا ابن حمدان عنها فافعلوا ما بذلتموه على لسان ابن قونس.»

اشارة الى تسليم ورد.

فقلت: «ما سمعت هذا ولا حضرته وإنني أستبعد فعله.»

فتنكّر عليّ وقال:

ـ «دع التطويل فما بقي شيء تراجعني فيه.»

وأمر أن تكتب جوابات، فكتبت وأحضرت لتوديعه.

واقع جيّد وقع لابن شهرام

وأشفقت أن يعرض من المقادير في موت من قد طلبوا تسليمه ما يعرض مثله فنخرج من الجميع بغير منية وتحصل الهدنة عن بلدنا الى دون الفرات وبلد باد بغير حلب فقلت:

ـ «أنتم تعلمون أنّي عبد مملوك ولست مالكاً وما أقدر أن أزيد على ما أمرت به وقد صدقتك عنه والذى شرطته الآن فى أمر حلب فقد حلفت لك أننى ما [56] سمعته بالحضرة. فهل لك أيها الملك فى أمر قد وقع لى أنّه صواب؟»

قال: «ما هو؟»

قلت: «تكتب كتاباً بالهدنة بيننا وبينك عن جميع ما [فى] أيدينا من حمص الى بلد باد ولا نذكر فيه حديث من قد التمست تسليمه ولا غيره وتحلف بدينك وتوقع فيه خطّك وتختمه بخاتمك بحضرتى ويخرج به صاحبك معي الى الحضرة فإن رضي به وإلّا عاد صاحبك.»

قال: «فاكتب أنت شرطاً مثله.»

قلت: «إنّ سلّمت أنت شرطك بما طلبت.»

قال: «ان ذكرت في خطك تسليم الرجل.»

قلت: «لا أقدم على ذكر ما لم يُرسم لى.»

قال: «فإنّنى أكتب شرطين: أحدهما عما قطع الفرات وبلد باد والآخر بذكر حمص وحلب على الشرط، فإن اختار مولاك ما قطع الفرات على إبعاد ورد كان اليه، وان اختار الآخر فعل ما يختاره.»

قلت[1]: «فيكتب الشرط ولا يذكر فيه شيء من هذا.»

قال: «فتكتب أنت أيضاً ما أعطى خطّاً بغير خط آخذه.»

قلت: «ولكن يكتب ترجمانك نسخة ما أقوله، فإذا رضي عضد الدولة بما تقوله كتبته بحضرته ووقع فيه بخطّه.»

فرضي بهذا وكتبتُ الشروط والكتب عليه، وتقررت الهدنة على عشر

---

١. وفي الأصل: قال.

سنين. ولما فرغت من ذلك قلت له :[57]

ـ «لا تجعل رسولك مثل فيج، ووافقه على ما تحبّ أن يفعله بعد ما تقرّر معي بحسب ما يشاهده وأمض كلّما يمضيه.

فقال : «قد فعلت.»

وكتب ذكر ذلك في الكتب.

وركب البركموس من داره لما برئ وقامت قيامته لأحوالٍ: منها انفراد الكانكلي بصاحبه، ومنها إتمام الأمر بغير حضوره، ومنها أمر حلب وحمص وما ضمنه له كليب.

كلام لملك الروم استمال به قلب البركموس

قال له على ما حدّثني به بعض خواصّهم :

ـ «يا بركموس ما معي أحد يشفق عليّ مثلك ولا من يحل مني محلك، لأنّك منّي بأدنى نسب وسبب وهؤلاء فكما قال الرسول لا يبالون من كان ملكاً، كنت أنا أو غيري، ويجب أن تحفظ نفسي ونفسك ولا تسمع كلام القربلاط ولا تثق به ولا برأيه لنا. فقد علمت ما حدّثنا به ابراهيم عنه وعن ابنه[1] من اضمار الغشّ لملكنا وخبث نيّاتهما في أمرنا.»

قلت لمن حدّثني :

ـ «ومَن ابراهيم ؟»

قال : «رسول كان للدمستق اليكم جاء الى الملك ناصحاً وعرفوا أنّه[58] أنفذه اليكم يطالب منكم إعانته على العصيان.»

فقبل البركموس[2] هذا القول من ملك الروم واستدعاني ورأيت من

---

١. وفي الأصل : أبيه.

٢. وفي الأصل : بركمونس.

خطابه وانبساطه معي غير الأول إلاّ أنّه لم تكن تخفى على وجهه كراهـية لهذا الأمر ورتّب معي هذا الكانكلي رسولاً بعد امتناعه، لكن ملك الروم لم يجد أحداً يجري مجراه في ثقته، فألزمه وساعده البركموس عليه، فقال له :

ـ «ليس بحضرة الملك أكبر منّي ومنك فإمّا أن تسير أو أسير.»

وجدّ في الأمر حتى ظننت أنّه فعل ذلك إيثاراً لإبعاده وحسداً لمـا رأى من اختصاصه.

موت عضد الدولة
وحضور رسول ملك الروم مجلس صمصام الدولة

فهذه نكت معان من ألفاظ ابن شهرام وعضد الدولة عليل والناس عـنه محجوبون فأمر بشرح ما جرى عليه أمره ليعرض ـ فإنّ علّة عـضد الدولة التي توفّي فيها كانت في هذا الوقت ـ وحضر رسول مـلك الروم المـذكور مجلس صمصام الدولة بعد وفاة عضد الدولة، وتسلمت الهدايا مـنه، وتـمّم معه ما ورد فيه وكتب شرطان: أحدهما الهدنة التي قرّرها ابن شهرام عـلى إتمام مبانيها وإلقاء مراسيها، والشرط الآخر بما تقرّر آنفاً مع نقفور.[59]

ذكر ما تقرّر في أمر ورد وأخيه وولده

جرت مخاطبات تقرّر آخرها على أن يقيم نقفور وينفذ صـاحباً له مـع رسول من الحضرة ليأخذ خط ملك الروم وخاتمه لأخي ورد وابنه والأمان والتوثقة لهما بضـمان الإحسان وإعادتهما الى مراتـبهما القـديمة وأحـوالهـما المستقيمة. فإذا وصل ذلك أقدما حينئذ على ملك الروم مع نقفور ويكـون ورد مقيماً في هذه البلاد ممنوعاً من طروق بلد الروم بإفساد، فإذا عرف ما يعاملان به من الجميل في الوفاء بالعهد المبذول لهما اتبعا حينئذ ورداً فـي

السنة الثالثة بعد أخذ التوثقة لهما بما يرضيهم حسب ما فعل مع ابنه وأخيه، وأن يكون ما يحمله الآن ابن حمدان من حمص وحلب الى ملك الروم من مال المفارقة عنهما محمولاً على استقبال إطلاق ورد الى بلد الروم الى خزانة صمصام الدولة، فإن دافع ابن حمدان حينئذ عن حمل، ألزمه ملك الروم ذلك لئلا يتكلف صمصام الدولة [60] تجهيز عسكر اليه، وأن يجرى أمر بلد باد علي ما كان عليه من الملاطفة التى كان يحملها الى ملك الروم على أن لا يعاون باداً ولا يجيره إن التجأ الى الروم.

وأنفذ الشرطان جميعاً وعاد الجواب عنهما بإمضاء ما تقرّر ثمّ تجدّد فى أمر ورد وإطلاقه من الاعتقال ما سيأتى ذكره من بعد[١].

وفى الثامن من شوال من هذه السنة توفى عضد الدولة وأخفى خبره.

وفى التاسع منه قبض على أبى الريّان. فلمّا قبض عليه أخذت من كمّه رقاع مشدّدة ومنها رقعة فيها:

أَيا واثِقاً بِالدَّهرِ غِرّاً بِصَرفِهِ رُوَيدَكَ إِنّى بِالزَّمانِ أَخُو خَبَرْ
وَيا شامِتاً مَهلاً فَكَمْ ذِي شَماتَةٍ تَكُونُ لَهُ العُقْبَىٰ بِقاصِمَةِ الظَّهَرْ

فلمّا وقف أبو عبد الله ابن سعدان عليها قال لحاجبه:

ـ «امض وسله عنها.»

ففعل فقال:

ـ «هذه رقعة أنفذها أبو الوفاء طاهر بن محمد اليّ عند القبض عليه ولست أحسن قول الشعر ولكن أقول إنّها[٢] كانت من أبى الوفاء من قبل.

١. فى مد: بعده.
٢. فى مد: ابها.

ونختار الآن طرفاً من سيرة عضد الدولة ونورده هاهنا عن ذكر خاتمة أيامه فإنّه أحفظ لترتيب القول ونظامه. [61]

أخبار من سيرة عضد الدولة

كان ملكاً كامل العقل، شامل الفضل، حسن السياسة، كثير الإصابة، قليل السقطة، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ثاقب الرأى، صائب التدبير، محبّاً للفضائل، مجتنباً للرذائل، باذلاً فى مواطن العطاء كأن لا سخاء بعده، مانعاً فى أماكن الحزم حتى كأن لا جود عنده، يستصغر الكبير من الأمر ويستهون العظيم من الخطب.

وكان يقول على ما يحدَّث عنه:

ـ «الأرض أضيق عرصة من أن تسع ملكين.»

فأمّا أفعاله فى تدبير نفسه وترتيبه فى قسمة زمانه

فإنّه كان يباكر دخول الحمام، فإذا خرج منه ولبس ثيابه أدى فرض الصلاة، ودخل اليه خواصه وحواشيه، فجلس منهم أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف بحضرته ويضع دواته بين يديه، ثم يؤذن لأبى القاسم المطهر بن عبد الله وزيره ومن قام مقامه بعده [62] فيسأله عما عمله فيما سبق التقدم به اليه، فيخبره بذلك ثم يذكر له ما عرض من الأمور ويستأذنه فى كلّ أمر فيوعز اليه بما يعتمده فيه.

ويفعل مثل ذلك مع أبى الحسن على بن عمارة وأبى عبد الله ابن سعدان عارضى الجيش ذاك للديلم وهذا للاتراك والاعراب والاكراد.

فإذا ترحّل النهار سأل عن ورود النوب المترددة بالكتب ولها وقت معلوم

تصل فيه وتُراعى من ساعات النهار فإن اتفق أن تتأخر قامت القيامة ووقع البحث عن العارض العائق، فإن كان بعائق ظاهر فيه عذر قبلَ، أو عن أمر يحتاج الى إزالته أزيل أو من تقصير النوبيين أنزل العذاب بهم.

ولقد ذكر بعض الطراد أنّ أحد المرتبين قالت له امرأته:

ـ «قد طبخنا أرزاً فتوقف لتأكل منه وتمضي.»

فتوقف بقدر ما أكل وتأخرت النوبة ذلك المدى فضرب الطراد والمرتبون ما بين شيراز الى بغداد أكثر من ثلاثة آلاف عصا. لاجرم أنّ النوب كانت تصل من شيراز فى سبعة أيام وكان يحمل مع المرتبين بواكير الفواكه والمشموم من نواحي فارس وخوزستان فتصل طريّة سليمة.

وقيل: إنّ بعض أصاغر الحواشى حمل فى النوبة[63] من همذان فى كتانتة[١] دنانير يسيرة الى منزله وقد كان عادتهم جارية بذاك فقصرت عن أهلها وعرف عضد الدولة الخبر فلم يزل يكشف عن ذلك إلى أن ظهر للخرائطى آخذ الدنانير فأمر بقطع يده.

فإذا وصلت النوبة كان فضّ ختومها وفتح خرائطها وأخرج[٢] الكتب منها بحضرته ويأخذ منها ما كان الى مجلسه ويخرج الباقى الى ديوان البريد فيفرّق على أربابه.

ثم يقرأ الكتب اليه كتاباً كتاباً ويطرحه الى أبي القاسم عبد العزيز. فإذا تكامل وقوفه عليها جدّد أبو القاسم قراءتها عليه فيأمره فى جواب كل فصل بما يوّقع به تحته، وأخرج منها ما يأمر بإخراجه ليواقف عليه المطهر بن عبد الله أو من يجرى مجراه في تذكرة وهي أبدا بين يديه يعلق فيها ما يعرض له.

---

١. في مد: كتانة.

٢. فى مد: اخراج.

ثم يسأل عن الطعام عند فراغه من ذلك فإذا حضر الوقت الذى رسمه بالأكل فيه استدعاه فأصاب منه وطبيب النوبة قائم على رأسه وهو يسئله عن شيء شيء من منافع الأغذية ومضارّها ثم يغسل يده وينام. فإذا انتبه جدد الوضوء وصلى الصلاة الوسطى وخرج الى مجلس الشرب فجلس وحضر الندماء والملهون.

ووافى أبو القاسم عبد العزيز فقعد [64] بحضرته على رسمه وعرض عليه ما كتبه الكُتّاب أو كتبه هو بنفسه من أجوبة الكتب الواردة، فربّما زاد فيها أو نقص منها ثم تصلح وتختم وتجعل فى اسكدارها وتحمل الى ديوان البريد فتصدر فى وقتها.

ومتى غاب أبو القاسم ابن عبد العزيز لأمر يقطعه أو تأخّر فى داره واحتيج الى كتاب يكتب، يستدعى كاتب النوبة فأجلس بين يديه وتقدم بما يريده اليه أو أملاه عليه وهو مع ذلك يشرب ويسمع الغناء ويسأل عمّا يمضى من أشعاره وما يجب معرفته من اخباره ولا يزال على ذلك الى أن يمضى صدر الليل ثم يأوى الى فراشه.

وإذا كان يوم موكب برز للأولياء ولقيهم ببشر وتأنيس تعلوهما هيبة ووقار وأجاب كل ذى حاجة بما يجب فى السياسة من بذل ومنع، وتفرق الناس عند انتصاف النهار وأقام أصحاب الدواوين وكتّابهم الى حين غروب الشمس. فأمّا عموم الأيام فإنّ الأمر يجرى على ما تقدّم ذكره.

عضد الدولة والجارية

فيقال: إنّه مال فى بعض الأيام الى جارية ميلاً دعاه إلى أن خلا معها خلوة أطالها وانقطع بها عن مراعاة ما كان يراعيه من الأعمال، فلمّا حاول النظر فى ذلك من غد وجده قد [65] تضاعف فشقّ عليه تلافى ما مضى.

ثم دعاه الشغف بالجارية الى أن خلا معها نوبة ثانية كالأولى فى الإطالة فوقف من الأمور أكثر مما كان، وتأمّل الصورة فرأى الخلل قد استمر، فأحضر شكر الخادم وتقدم اليه بأخذ الجارية وتغريقها فأخذها شكر وراعى ما عرفه من شدة وَجدِهِ بها فاستبقاها ولم يحدث حدثاً فى بابها. فلمّا مضت على ذلك أيام قال له:

ـ «يا شكر لقد عجّلنا على تلك الجارية وكان التثبت أولى.»

فقال: «يا مولاى قد والله تثبتُّ فى أمرها خوفا من ندمك على ذهابها فاستبقيتها.»

قال: «فرُدّها الى موضعها.»

فردّها وعاود عضد الدولة الخلوة بها والانقطاع اليها وعاد الخلل الى حاله السالفة. فاستدعى شكرا وأمره بتغريقها وقال:

ـ «ما يساوى طاعة النفس فى شهوتها ترك الدنيا وإفساد سياستها.»

فغرقت ومضت الى حال سبيلها.

هذه الحكاية وجدناها فى كتاب التاريخ كما سطرناها وهى حكاية مستفاضة قد سمعناها مختلفة النسبة الى عدة ملوك والله أعلم بالصحيح[١].

وكان ضبطه لداره أشدّ ضبط ونظره فى أمر الصغير من أمر الخزائن والمطابخ والاقامات [66] والوظائف مثل نظره الى الكبير من أمور الممالك، فلا يطلق درهماً فى غير وجهه، ولا يمنع أحداً مما يستحقّه.

تدبيره لجنده

فأمّا ما ذكر فى أمر تدبيره لجنده فقد كانت أموالهم مطلقة فى أوقاتها

---

١. وفي ترجمة عضد الدولة فى تاريخ الاسلام أنّه كان من أفراد الملوك لولا ظلمه، كان سفاكاً للدماء حتى إنّ جارية شغل قلبه بميله اليها فأمر بتغريقها. والحكاية موجودة فى الفخرى أيضاً (مد).

متتبعة فى تصرفاتها وأكثر كتّابهم وأصحابهم عوناً له عليهم. وطبل العطاء يضرب فى كل يوم ويحضر من ينتهى اليه الدعوة من القوّاد ومعه أصحابه بأحسن رتبة فقبض ماله والزيادات فى الأصول محظورة على العموم إلّا عند الفتوح وما تدعو السياسة اليه من استمالة القلوب.

فقيل إنّ طغان الحاجب ـ وكان أكبر الأتراك فى دولته ـ راسل عضد الدولة وقد جرده الى بعض الثغور وسأله زيادة عشرة أرطال خبزاً فى خزانته، فدفعه عن ذلك وحمل اليه خمسة آلاف درهم صلة وقال له:

ـ «هذا ثمن ما استزدتناه للسنين الكثيرة ولو أجبناك الى مرادك على ما طلبتنا به لا تفتح علينا باب لا يمكننا سدّه.»

قصّته مع الوارد من الديلمان

وحدث أبو الحسن ابن عمارة العارض قال:

ـ ورد الى عضد الدولة فلان الديلمى [67] ـ وأسماه ـ من أرباب البيوتات المذكورة بديلمان فأكرمه وعظّمه وخلع عليه وحمله على فرس بمركب ذهب.

واتفق أن دعا قائداً من أقاربه بالحضرة كانت له مروءة حسنة فشاهد من آلته ومروءته وزيّه وتجمّله ما كثر فى عينه، فاستقصر حاله عندما شاهده فأحضر كاتباً كان عضد الدولة قد استخدمه له وقال له:

ـ «قد دعانى ابن عمى ورأيت من مروءته ما استحسنته وشاهدت عليه فرجية ورداء من حالهما كيت وكيت وأريد ان تبتاع لى مثلها.»

فقال: «نحتاج لثمن ذلك الى ما تقصر عنه أيدينا فى هذا الوقت.»

فقال: «خذ المركب الذهب فارهنه.»

فصار الكاتب الى عضد الدولة فعرّفه ما جرى، فاستدعانى ـ يعنى أبو

الحسن ابن عمارة العارض نفسه ـ وقال لى[1]:

ـ «أحضر فلاناً القائد الذى دعا الديلمى الوارد من ديلمان.»

فأحضرته وعرّفته حضوره، فقال:

ـ «اخرج اليه وقل له: ليس يكفيك بطرك بالنعمة الخالصة لك وتشاغلك بالترّف عن الجندية وشروطها حتى تريد أن تفسد عسكرنا علينا وتعمل الدعوات وتظهر الزينة. الآن قد ندبناك للخروج الى البلد الفلانى فتأهّب واخرج.» [68]

قال: «فلما أوردت عليه هذا القول قبّل الأرض وتنصّل وكاد يموت، وانصرف على عزم الخروج.»

ثمّ رسم بعد ذلك إحضار الديلمى الوارد من ديلمان، فلمّا حضر أمر أن يفرش له بساط منجرد ويطرح عليه صدر مثله وثلاث مخادّ مخلقة ولبس جبّة رثّة وعمامة شهجانى[2] وجلس وأوصل الديلمى وتشاغل عنه ساعة، الى أن علم أنّه قد شاهد فرشه وثيابه وسأله عن حاله وخاطبه خطاب مؤانس له:

ـ «أراك يا فلان تتأمّل فرشنا وثيابنا ولعلك تقول ـ كيف يقنع ملك الدنيا بهذا؟ نعم إنّ الشرف والجمال بالأصول والأفعال والمواقف فى التدبير والحروب، والثياب الحسان والترفّه، والنعمة للنساء والمخانيث، وتالله إنّ الرجل ليدخل علىّ وهو متصنّع متعمّل، فأتصور أنّه فارغ عاطل، ويدخل وهو مقتصد مسترسل، فأراه بصورة من له نفس وهمّة.»

ثمّ حادثه بعد ذلك ساعة وانصرف. [قال] وعاد الكاتب فقال له عضد

---

١. وفى الأصل: له.

٢. قال الثعالبى فى لطائف المعارف (١١٩): قد بقي الى الآن اسم الشاهجانى على الثياب الرقيقة، فإنّها كانت تجلب من مرو شاهجان.

الدولة :

ـ «أي شيء جرى بعد انصراف صاحبك ؟»

قال : لما عاد من حضرة مولانا سألني عما كان واقفني على ابتياعه من الرداء والثوب للفرجية فأحضرتهما له.فقال :

ـ« ردّهما على صاحبهما [69] وارتجع المركب وردّه الى موضعه.»

فتبسّم عضد الدولة.

وحدث أبو نصر خواشاذه قال :

رأيه في دفع المشاهرات

«كان بالقصر جماعة من الغلمان تحمل اليهم مشاهراتهم من الخزانة بالحضرة. فلمّا كان في آخر شهر قد بقي منه ثلاثة أيام استدعاني وقال لي :

ـ «تقدم الى الخازن في بيت المال بأن يزن كذا وكذا ألف درهم ويسلّمها الى أبي عبد الله ابن سعدان ليحملها الى نقيب الغلمان بالقصر.

فقلت : «السمع والطاعة.»

فأنسيت ذلك وسألني عنه بعد أربعة أيام، فاعتذرت بالنسيان فخاطبني بأغلظ خطاب فقلت :

ـ «أمس كان استهلاك الشهر والساعة تحمل المادة وما ههنا ما يوجب شغل القلب بهذا الأمر.»

فقال : «المصيبة بما لا تعلم، ما في فعلك من الغلط أكثر منها فيما استعملته من التفريط. ألا تعلم أنّا إذا أطلقنا لهؤلاء الغلمان مالهم وقد بقي في الشهر يوم كان الفضل لنا عليهم، وإذا انقضى الشهر واستهلّ الآخر حضروا عند عارضهم فأذكروه فيعدهم، ثم يحضرونه في اليوم الثاني فيعتذر اليهم ثم في الثالث فتبسط في اقتضائه ومطالبته ألسنتهم، فتضيع المنّة وتحصل الجرأة

ونكون الى الخسارة أقرب منّا الى الربح.»

ولعل عضد الدولة نظر [70] في هذا الوقت الى ما وجد فى سيرة المعتصم رضوان الله عليه، وهل ينكر لبنى هاشم أن يقتدي بأقوالهم أو يهتدى بأفعالهم وهم الأصدقون أقوالاً، والأكرمون أفعالاً، والأشرفون أنساباً، جبال الحلوم، وبحار العلوم، وأعلام الهدى، وساسة الدين والدنيا، وفرسان الحروب والمحاضر، وأملاك الاسرّة والمنابر، الى مكارمهم ينتهى الكرم، وبمآثرهم تنجلى الظلم، المعتصم بينهم المعتصم.

خبر مأثور في سياسة جند

يقال: إنّ جنداً كانوا بدمشق فطالبوا عاملها برزق استحقّوه وشكوا اليه ضيقة وحاجة، فاحتج بأنّ المال الحاصل للحمل، وأنّه لا يقدم على أخذ شيء منه، وسيقيم لهم وجوهاً من بعد، ودعتهم حاجتهم الى أن مدّوا أيديهم وأخذوا بعض ما يستحقّون وكتب العامل على البريد الى الحضرة بذلك.

وكان المعتصم بنيّة الغزو وقام يكتب جوابه وقال:

ـ «انتفيتُ من الرشيد لئن لم يعيدوا المال الذى أخذوه ساعة وصول هذا الأمر لأجعلنّ وجه الغزاة اليهم [71] ولأجعلنّهم حصائد السيوف.»

فعاد الجواب أسرع ما يكون إلى العامل فأحضر الجند وقرأ عليهم الكتاب ونظر بعضهم الى بعض وقالوا:

ـ «هو المعتصم وإنّه يقول ويفعل.»

وتبادروا الى ردّ ما أخذوه، فما كان طرفة عين حتى اجتمع المال كأنّه لم يبرح وسألوا العامل التنصل عنهم الى المعتصم وذكر صورتهم التى أحلّت فى أمثالها المحرّمات فكتب بذلك الى الحضرة فأمر المعتصم بالجواب وذمّ فعل العامل وتبيّن خطيئته كيف جنى على السياسة وجرّأ الجند بتأخير أعطيتهم

عن أوان وجوبها، ويحذّره أمثالها، وأمره بإطلاق ما اجتمع لهم من مال استحقاقهم وإسلافهم عطاء آخر لحسن طاعتهم.

ونعود الى ذكر ما نختاره من كتاب التاريخ[١]

وحدّث أبو الحسن ولد عمارة قال:

دخل بعض الأتراك الخواصّ الى ديوان الجيش ومعه صكّ يريد أن يثبته، فقال للكاتب:

«أثبته.»

فقال: «أنا مشغول بعمل استدعاه الملك وما أنا متفرغ لعمل صكّ[٢] [72] اليوم.»

فأخذ الحساب من يده ووضعه فى الأرض وقال له:

ـ «قدّم أمرى أولاً.»

فكتب صاحب الخبر بذلك فى وقته فلم يستتمّ الكاتب اثبات الصكّ حتى استدعانى عضد الدولة وقال:

ـ «قد جرى من فلان الديلمى كذا وكذا، فاخرج الى ديوانك واستدع الصكّ من كاتبك وحرّقه بين يديك، وتقدّم بأن تجرّ رِجْل الديلمى من موضعه الى باب العامة ووكّل به من النقباء من يطالبه بالخروج الليلة من البلد الى ديلمان.»

ففعلت ذلك، وتقدّم فيما بعد ألّا تعمل أعمال الجند إلّا فى أيدى المديرين.

---

١. والواضح أنّ هذا تاريخ هلال الصابى (مد).

٢. فى مد: صككك.

عضد الدولة وأسفار والتنّاء

وقيل: إنّه كان رفع أسفار بن كردويه عن قبول الظلامات فيه ومطالبة كتّابه بحضور مجالس الحكم فيما يتعلق به اجلالاً له، وأنّ أحد التنّاء[١] تظلّم منه في معاملة ورفع قصّته[٢] الى عضد الدولة فوقّع على ظهرها: أخونا [أبو] زهير يرتفع عن مثل هذا الفعل والدعوى عليه بذلك باطلة، وإنّ التوقيع حُمل الى أسفار، فأنصف الرجل.

وحكي عن بعض التنّاء أنّه قال:

ـ حصلت ضيعتي في أيام عضد الدولة في إقطاع أسفار بن كردويه، وكان من الظلم على حال معروفة، وكان عضد الدولة قد رفع عنه وعن زيار بن شهراكويه العدوي [73] في كل فعل وتتابعت عليّ جوائح ولم تحصل لي ما يفي بالخراج، فاجتمع لأسفار على ثلاثة آلاف وستمائة درهم اعتقلني بها وأساء اليّ وقيّدني وأدخل يده في نيابتي فاقمت في حبسه سبعة أشهر.

فأنس بي الموكّل وعلم أنّي لا أتمكّن من الهرب مع القيد الذي في ساقي فكان يستخلفني موضعه عند خلوّ الباب وانتصاف النهار ويمضي الى منزله فيتشاغل بشغله ويعود.

وضاق صدري، فانتهى بي سوء الحال وشدّة القنوط الى أن اخترت الموت على الحياة فحملت نفسي في بعض الأيام عند مضّي البواب وخلوّ الباب على أن خرجت أمشي بالقيد.

وكان أسفار ينزل في دار صاعد بن مخلد بدرب الريحان والزمان صائف والماء ناقص، فلزمت شاطئ دجلة حتى وصلت الى الميدان الذي تحت دار

---

١. التُّـنَّاء: المقيمون.

٢. في مد: قصّة.

عضد الدولة والناس يرونى فى طريقي، فمن منكر لى يقول: «مجنون وقد أفلت» ومن عارف بى قد علم أنّى هارب.

فلمّا وقفت فى الميدان رأيت الستائر ممدودة وعضد الدولة قائم على الروشن وأنا لا أعلم، وعلى ابن بشارة الفراش على قرب منه، فصحت ودعوت، فبادر الىّ على بن بشارة وأومى الىّ «أن اسكت وصر الى باب [74] البستان».

فصرت اليه وخرج الىّ وقال:

ـ «من أنت وما قصتك ؟»

فشرحت له حالى وظلامتي من أسفار، فأجلسنى عند البوابين وعاد، وإذا به قد خرج فأدخلنى وقال: إنّ الملك كان واقفاً وقت مجيئك وهو الذى رآك فإذا رأيته فقبّل الأرض بين يديه وأكثر الدعاء له.

فمشيت وأنا أحجل فى القيد حتى قربت منه فى الموضع الذى شاهدته أولاً فيه، فتداخلنى من الهيبة والجزع ما لم أملك نفسى معه، فقبّلت الارض مراراً ودعوت له دعاء كثيراً وبكيت وسكتّ. فقال لعلى بن بشارة:

ـ «قل له حتى يشرح صورته.»

فقلت: «ما لي لسان يطاوعنى على القول لعظم ما قد تداخلنى من الرهبة والخوف.»

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فقال: «تكلم ولا تخف.»

فقلت: «إنّ أسفار قبض ضيعتي وطالبنى بما لا قدرة لى عليه وحبسنى فى القيد منذ سبعة أشهر.»

فأطرق ساعة ثم قال لى:

ـ «عد الى دار أبي زهير وأعلمه أنك جئتنا وشرحت حالك لنا وأنّا أمرناك بالعود اليه.»

فقلت: «يا مولانا أخافه.»

وجهلت في قولي هذا.

فقال: «لا تخف فأنا من ورائك وعد لتعرف ما ينتهي اليه أمرك.»

فقبّلت الأرض وخرجت أجرّ نفسى وأحجل في قيودى حتي وافيت باب أبي زهير، فإذا البوّاب [75] قد عاد فلم يجدنى وبثّ الركابية والغلمان في طلبي، وعرف أبو زهير خبرى فضرب البواب مائة مقرعة والدنيا قائمة على ساق.

فلمّا رآني الغلمان صاحوا:

ـ «هاهوذا» وقالوا:

ـ «أين مضيت؟»

فقلت:

ـ «مضيت الى الملك عضد الدولة فأوصلني وشكوت اليه أمرى فأمرني بالعود الى القائد وعدت.»

فلمّا سمع الغلمان ذلك ذكروه لأسفار فأحضرني وقال:

ـ «أين كنت؟»

قلت: «يا صاحب الجيش لما ضاق صدرى وغلب يأسى صبرى، قصدت باب الملك، فوجدته قائماً على الروشن وبين يديه الأستاذ على بن بشارة، فدعوت له وشكوت اليه حالى فأوصلنى[1] وحدّثته حديثى فأمرنى بالعود اليك. فقلت: أخاف أن أعود. فقال: «عُد فإنّنا من ورائك. وقد جئت.»

فقال أسفار:

ـ «تؤاخذ اذاً.»

١. كذا في مد.

وأحضر من فكّ القيد وأعطاني عمامة وثوباً ومائة درهم وقال:
«انصرف مصاحباً.»
فقلت: «ضيعتى.»
فقال: «اخرج اليها وتصرّف فيها ولا تطمع مستأنفاً فى كسر خراجها.»
فدعوت له وخرجت من عنده فمضيت من فورى ذلك الى روشن عضد الدولة وصحت ودعوت له. فدنا خادم من الروشن وأومى الىّ أن
ـ «تقدّم الى الباب» فتقدمت اليه وجاءني الخادم فقال: [76]
ـ «من أنت؟»
فقلت: «المحبوس الذى كان منذ ساعة بحضرة مولانا.»
وتقدم الىّ بالعود فدخل وخرج الىّ علىّ بن بشارة فأدخلنى، ورأيت الملك جالساً على عتبة البيت الذى بناه على دجلة، وغلمان وقوف بالقرب منه، فقبّلت الأرض ودعوت له، فقال:
ـ «كيف جرى الأمر؟»
فشرحت له الحال وأريته الثياب والدراهم التى أعطانيها أسفار. فاستدنى علىّ بن بشارة وأسرّ اليه شيئاً[1] لم أسمعه، ثم قال لى:
ـ «كم عليك لأبى زهير؟»
فقلت: «ثلاثة آلاف وستمائة درهم.»
قال: «نحن نؤدّيها اليه عنك لتبرأ منها فى ديوانه وتكون مقابلة له على الجميل الذى عاملك به.»
فقبّلت الأرض ودعوت له، وأخذ علىّ بن بشارة بيدى ودخلت الى الخزانة فأخذ ثلاثة آلاف وستمائة درهم فى كيس، واستدعى أحد نقباء

---

١. فى مد: شىء.

النوبة وقال له:

ـ «امض مع هذا الرجل فاحمل هذا الكيس الى أبى زهير أسفار وقل له: هذه الدراهم التى أنفذناها اليك لعوض عملك على هذا الرجل، فأثبتها فى ديوانك باسمه.»

فخرجت والنقيب معى والكيس معه، وصرنا الى دار أبى زهير ودخلنا اليه. فلمّا وضع النقيب الكيس بين يديه وأدّى الرسالة قام قائماً وقبّل الأرض ثلاث [77] دفعات وقال:

ـ «أنا عبد وخادم وهذا مال مولانا.»

وهب لى خمسمائة درهم وللنقيب خمسمائة وانصرفنا.»

الذى مضى فى هذين الخبرين هو تدبير لطيف وتوصّل جميل الا أنّ رفع العدوى عن أحد الاتباع وإن كان عظيم القدر مضر بالسياسة أىّ إضرار، والقاعدة إذا وضعت على ذلك كانت «عَلىٰ شَفا جُرُفٍ هارٍ».[1]

ولقد رأينا فى زماننا من سياسة ملك الاسلام عضد الدولة البارسلان رحمه الله وكان أقوى جنداً، ما هو أوفى جدّاً.

وأين كان من الملوك من يصول كصولته ويهاب كهيبته! ونقتصر هاهنا على إيراد خبر واحد من أخباره التى ينتهى القول بنا[2] الى ذكر أيامه بمشيئة الله سبحانه.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ذكر خبر في إقامة سياسة

حكى أنّ غلاماً خصيصاً بسنكلو أخذ من بعض المزارعين بطّيخاً على قارعة الطّريق بغير رضاه وانتهى الخبر الى عضد الدولة رحمه الله، فطلبه

---

١. س ٩ التوبة: ١٠٩.

٢. لعله: بها.

فأخفى شخصه رجاء أن يسكن غضبه ويعفو عنه أو يقتصر من عقوبته على السوط دون السيف.

فاستدعى بسنكلو الى بين[78] يديه وأقسم لئن لم يحضر الغلام ليقيمن السياسة فيه بدلاً عنه ـ وسنكلو يومئذ صاحب الجيش ومعه جمرة العسكر وأمره قوي وجانبه منيع وهو أشد الترك بطشاً وأخشن الجند جنباً ـ فملكه الرعب وكان قصاراه البدار بإحضار الغلام. فلمّا أحضر وسّطه بالسيف وأجرى الفرس بين شلويه على سنّة لهم فى قتالهم.

قياس العضد بالمعتضد في سياسة الجناة

ويوشك أن يكون لهذه السياسة باطن بأن تكون قد سبق للغلام جريمة يستحقّ بها القتل وأتبعها بهذه الصغيرة التى يجرى فى مثلها التعزير فقتله عضد الدولة رحمه الله، بالجريرة الكبيرة التي أوجبت قتله، وأظهر للعامة أنّه قتله بصغيرته الظاهرة لهم اقتداء بخبر وجدته فى بعض الكتب مرويّاً عن المعتضد بالله رضى الله عنه، وهو أنّه كان سائراً فى موكبه فتظلم أحد الرعية من بعض الجند فيما يقارب قصّة البطيخ، فأمر بإحضاره وسحبه الى السجن وحبسه الى أن يعود الى مستقرّ عزّه فيأمر فيه.

فلمّا كان فى اليوم الثانى وأصبح الناس رأوا رجلاً مصلوباً فتحدثوا بقتل الجانى بالأمس وصلبه.

فدخل أحد خواص[1] المعتضد اليه وقال له [79]عند خلوّ مجلسه:

ـ «يا أمير المؤمنين قد كان التعزير فيما جرى يقنع من غير صلب.

---

١. هو أبو محمد عبد الله بن حمدون النديم والحكاية موجودة في إرشاد الأريب ١ : ١٥٩ وفى كتاب الأذكياء لأبى الفرج بن الجوزى ص ٤٢ قصة بطيخ أخذه بعض غلمان جلال الدولة رواها من تاريخ هلال الصابى (مد).

فقال له:

ـ «أتعرف الرجل.»

قال: «نعم.»

قال: «فامض الى السجن فانظر.

فلمّا دخل رأى الرجل حيّاً وهو مقيد فعاد وقال:

ـ «قد وجدته حيّاً.»

قال المعتضد:

ـ «إنّما أمرت بإخراج غيره من المفسدين الذين قطعوا الطريق وأخذوا المال وقتلوا ووجب صلبهم، فهو الذى رأيتموه مصلوباً وظهر للعامة أنّ المصلوب هو الجانى بالأمس إيداعاً للرهبة فى قلوبهم، فما تعديت حدود الله.»

ولقد وُفّق المعتضد بالله رضى الله عنه، وهل يدافع عن حسن سياسة يضرب بها المثل؟

وبلغني أنّ بعض أمراء مصر كثر المفسدون فى أيامه فقتل وتعدّى حدود الله التى أتت بها الشريعة فتضاعف الفساد حتى وقف أمره، فأشير عليه باتباع الشرع فأحضر أحد الفقهاء المجتهدين وشاوره واستفتاه وعرض عليه من فى السجون وذكر له أحوالهم، فأفتاه بما أمر الله تعالى به، فأقام الحدود فيهم بالعدل من غير زيادة ولا نقصان وسلك هذه الطريقة الحميدة فيمن ظفر به من المفسدين، فما مضى من الزمان إلّا قليل حتى استقامت له الأحوال فانقطع الفساد فأمنت البلاد [80] وليس للمخلوقين أن يحتاطوا بصلاح الأمّة بزيادة على أمر الخالق ربّ العالمين، سبحانه وتعالى.

وما أحسن سيرة هذه الدولة التركية، فإنّ مندوباً للمظالم قد وسموه بـ«أميرداذ» معناه أمير العدل يجلس للمظالم والى جانبه حاكم من أهل العلم

يرجع ذلك الأمير الى رأيه وكلمه وينفذ ما تأمر الشريعة في الجند والرعية.

وكلّ عبد من عباد الله تعالى في إمداده بحسن التوفيق لم يهذّب بسياسة الأقرب فالأقرب ولم يذلّل بهيبته الأصعب فالأصعب، نسب[١] الى إحدى خطتين: إمّا ظلم في طبعه وإمّا عجز في نفسه، وكلتاهما غير حميدة.

ولم يكن مثل ذلك يخاف على عضد الدولة بن بويه مع كمال فضله، ولعله سمح لأسفار وزيار بهذا الفعل. ان الخبر صحيح[٢] لمداراة عاجلة، ليتلافاها من بعد بسياسة شاملة، فإنّ غوره كان بعيداً وصبره لمداواة كل خطب عتيداً. وهو من الملوك الذين لا يقدح الثلم في سياستهم بحال، ولا يجد العيب في سيرهم أدنى مجال.

ونعود الى سياقة الأخبار

حدّث أبو اسحاق ابراهيم بن هلال[٣] الصابي قال:

«لمّا ورد عضد الدولة في[81] الدفعة الثانية خرجتُ لاستقباله الى المدائن وخدمته، وخفت أن يتطرّق على داري الشاطئة[٤] الترك في سورة الدخول لأنني من حواشي البختيارية وسألته إنفاذ من يحرسها فأنفذ معي أحد النقباء الأصاغر وتقدّمت عائداً والنقيب معي.

فكان يمضي أكثر النهار في أشغاله، فاتفق أن هجم على الدار أحد القوّاد الأكابر وطرح أصحابه أحمالهم وفرشوا فرشهم وربطوا دوابّهم وتقدّموا الينا بالانتقال فأيسنا من دورنا ومضى غلماني يطلبون النقيب. فلمّا حضر سلّم

---

١. في الأصل: ونسب.
٢. يريد ان كان الخبر صحيحاً (مد).
٣. وفي الأصل هليل.
٤. وأمّا هذه الدار فليراجع ما قال فيها حفيده هلال في كتاب الوزراء ص ٢٨٨ (مد).

على القائد وقبّل يده ووقف بين يديه وأخذ يحادثه ثم قال له الديلمى:

«فيم جئت؟»

قال: «أنفذنى الملك لأحفظ هذه الدور ممن يتعرّض لها.»

فقال له:

ـ «هذا كاتب من أصحاب بختيار فأيُّ شيء بينه وبين الملك؟»

قال: «كان يخدمه وله موضع عنده.»

قال أبو اسحق:

ـ فوالله ما استتمّ النقيب كلامه حتى نهض القائد الديلمى ورمى بكرسى كان جالساً عليه وقال لغلمانه: ارفعوا.

وركب فى الحال وخرجوا بعده فما رأيت هيبة أعظم من هيبته.»

وأمّا ذكر ما فعله في أمر الحماية[82]

فإنّه حمى البلاد من كل مفسد وحفظ الطرق من كل عائث وهابه الحواضر والبوادى.

وكان منه فى قتل داود بن مصعب العقيلى آمر بنى عقيل وسيدها بأبى القاسم ابن الباهلى ما شاع ذكره.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ذكر مكيدة في قتل داود بن مصعب

وكان من خبره أنّ عضد الدولة أنفذ أبا القاسم ابن الباهلى الى داود برسالة يدعوه فيها الى الطاعة والدخول الى بغداد وضمّ اليه عشرين رجلاً من الحمدانية وواقفه على الفتك ان وجد غرّة منه.

فلمّا حصل عنده وكان نازلاً بالقرب من سنجار أورد عليه ما تحمله ورغّبه فى الخدمة فقال له داود:

ـ «أما الطاعة فأنا ألزمها، وأما الدخول الى الباب فما جرت لي عادة به.»

فلم يزل يراوضه وهو مقيم على أمره فيما بذله وامتنع عنه. وعوّل ابن الباهلي على اغتياله وواقف فراشاً كان معه على ذلك، وطلب الغرّة فوجدها عند رواح الجمال والبقر والغنم، فإنّ الصياح يكثر والرجال والنساء مشغولون بإبلهم ومواشيهم وضمّها إلى [83] بيوتهم وحلب ألبانها فعمل علي فعل ما يريد فعله في هذا الوقت واستأذن على داود في بعض العشايا وحضر عنده وأخذ فراشه معه ـ وقد خرج اليه بسره ـ ورسم له أن يمسك داود إذا خلا مجلسه وغمزه بعينه واستصحب سكّيناً ماضية في كمّه.

وراحت الإبل والمواشي فارتجّت الحلّة بأصواتها وضوضاء الناس وحادثه ساعة ثم غمز الفراش فوثب وأخذ يدى داود ومسكهما وضربه ابن الباهلي بالسكّين في صدره وكرر ذلك حتى أصاب مقتله وخرج غير عجل ولا مضطرب والفراش خلفه طالباً للصحراء والبعد عن البيوت كأنّه قاضي حاجة وقد أعدّ له وللفراش[1] فرسين فركباهما وسارا سيراً رفيقاً حتى أوغلا في الصحراء ثم حثّا وعدلا عن طريق الموصل وتعسفا الطريق الى برقعيد[2] ونزلا منها الى دجلة وانحدرا في سفينة.

ودخل أصحاب داود عليه بعد ساعة فوجدوه طريحاً قتيلاً ولم يجدوا ابن الباهلي فعلموا أنّ الفعل له. ومضى قوم من الفرسان يتبعون أثره في الطريق المؤدية الى الموصل فلم يجدوه فأخذ من كان معه من الحمدانية فقتلوا صبراً، ومضت على ذلك السنون وقتل ابن الباهلي بالكوفة قتله بنو عقيل.[84]

---

١. ولعلّه : الفرّاش ، بدل « وللفرّاش ».

٢. بَرقَعيد : بليدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين (مراصد الإطلاع).

وقد قيل: «كل قاتل مقتول» وهو أسهل الأمرين، لأنّ ما جاء من الوعيد في القرآن وفي الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، لمن قتل نفساً بغير حقّ مع ما يلقاه في الدار الآخرة أشدّ نكالاً وأعظم عقاباً وأدوم عذاباً. نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

إطماع المطلوب في الصفح عنه ثمّ الغدر به

وذكر أبو الحسن محمد بن عيسى الهيتي قال:

«أخرجت الى هيت لتقرير ارتفاعها وارتفاع الأنبار على أبي العلاء الحسن بن محمد الاسكافي، فورد علينا في بعض الأيام كتاب من عضد الدولة يرسم فيه المسئلة عن أعرابي من بني عقيل تناول شيئاً[١] من بعض زواريق المعادن والمطالعة باسمه وحاله.

فأحضرت الملاحين وسألتهم عن هذه الحال فلم يعرفوها، فكتبت بذلك وورد الجواب بأن نزيد في البحث، فلم أزل أتعرف وأسأل كل واحد حتى ذكر لي بعض الملاّحين أنّ فلاناً العقيلي اعترض سفينة من سفن المعادن وهي مصعدة والتمس من بعض المدادين قطعة من شاروفة فأخذها قهراً من صدره وأنّه لم يجر سوى ذلك فأحضرنا المسيّب بن رافع وطالبناه بالأعرابي فقال:

- «ما تريدان منه.»

فأعلمناه أنّ الملك طلبه. قال أبو الحسن الهيتي: وكان بيني وبين [85] المسيب أنسة ومودة فأقسم على أن اطلعه على الصورة فذكرتها له فانصرف واجماً وغاب عنّا يومين ورجع ومعه جماعة من أهل المطلوب وبني عمّه

---

١. في الأصل: شيء.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وسألونا الإمساك عنه وانتهى الأمر فيما بيننا وبينهم الى أن تصححوا ذنبه.

قال أبو الحسن:

ـ فلم أتجاسر على مكاتبة عضد الدولة بذلك.

وكتب به أبو العلاء وعنده أنّه قد أثر أثراً منه فعاد الجواب اليه بإنكار ما كان منه في قبول ما قبله من المال وإطماع القوم في الرضاء[1] عنهم وأنّ الغرض حسم مواد الفساد في الطرق وقيل له فيما خوطب به:

ـ «لولا أنّها أول جناية لك لأنفذنا من يحسن تقويمك وتأديبك.»

وكوتبت أنا بالتماس الأعرابي وأخذ المسيب بتسليمه وإطماعه واطماع بني عمّه في الصفح عنه إذا سلّموه فاعدتُ خطاب المسيب والقوم في إحضار الرجل فأحضروه وسلّموه فاعتقلته وكتبت بحصوله. فورد الكتاب بأن أطالبه بالشاروفة التي أخذها فإذا أحضرها خنق بها في الموضع الذي أخذها منه وصلب ففعلت ذلك.

ثم راسل عضد الدولة المسيب ووجوه بني عقيل بأنّه: متى لم يضمن أكابركم أصاغركم ويلزموا عهدتهم ويضبطوا الطرق [86] ويحموا مواد الفساد صرفناكم من ممالكنا.

فحملهم الخوف على العبور الى الجانب الشامي وأوغلوا في البرية.»

ومن العجب من حسن سياسة عضد الدولة إطماع المطلوب في الصفح عنه إذا حضر وإطماع بني عمه في مثل ذلك إذا أحضروه ثم الغدر به بعد تسليمه. قال الله تعالى: «إلّا الذينَ تابوا منْ قبلِ أنْ تقدرُوا عَليهم فاعلموا أنّ الله غفورٌ رَحيمٌ»[2].

واستجابة الرجل الى الحضور طمَعاً في الأمان قبل القدرة عليه هو توبة

---

١. كذا في مد: الرضاء (بالمدّ).

٢. س ٥ المائدة: ٣٤.

فالغدر به بعد بذل الاطماع في العفو قبيح إن كان ما ذكر في هذه القصة صحيحاً.

قتل القُطّاع بالحلاوات المسمومة

ومن بعض توصله ما وجدنا في عين التاريخ وهو أنّ عضد الدولة أنفذ أحمالاً من الأمتعة الى مكة مع تجار أو حاج. فلمّا انتهوا الى بعض الطريق عند بعض أحياء العرب خرج عليهم قوم منهم فقطعوا عليهم فقال المأخوذ:

ـ «هذه الأحمال لعضد الدولة الملك.»

فسبّوه عند ذكره وعاد المأخوذ الى حضرة عضد الدولة وحكى ذلك.

فتقدّم بعمل شيء كثير من الحلاوات المسمومة وأعاد المأخوذين وأصحبهم أمتعة وجعل تلك الحلاوة المسمومة في جملتها وقال:

ـ «تعمدوا لقاء القوم فإذا وقعوا[87] عليكم فقولوا: إنّ هذه الامتعة والحلاوات أنفذها عضد الدولة لفقراء مكة. فإذا أخذوا الأحمال فعودوا لوقتكم.

ففعلوا ذلك وصادفوا القوم فأخذوا ما صحبهم وأكلوا من تلك الحلاوات فهلكوا.[1]

فإن كان هذا الخبر صحيحاً فإنّه كيد يأباه كلّ ذي دين ويأنف منه كل سلطان مكين. فذو الدين يراه من أعظم الآثام وذو السلطان يراه عجزاً وضعفاً في الانتقام.

وفيه تغرير نفوس من لا ذنب له. فهل كان يأمن أن يأكل من ذلك النساء والولدان ومن عسى أن ينزل بالحيّ من ضيف بريء الساحة؟ قال الله تعالى:

---

١. وردت هذه الحكاية في كتاب الأذكياء ص ٤١ رواية عن تاريخ محمد بن عبد الملك الهمذاني (مد).

«ولا تزر وازرة وزر أخرى.[١]

واستفتى رجل ابن عباس رضوان الله عليه فى قتل أولاد المشركين فقال:

ـ «ان علمت منهم ما علمه الخضر عليه السلام من الغلام الذى قتله فاقتلهم»

إيجاباً عليه بأنّه لا يجوز له قتل من لم يبلغ الحلم منهم.

ومن غريب مكائد عضد الدولة

ومن غريب مكايده التى تتداولها الألسن ما كاد به طائفة من القفص والبلوص حين أوغل فى بلاد كرمان لتنظيفها منهم[٢] فإنّه انتهى اليه أنّ قوماً منهم بيوتهم من وراء جبل بحيث لا يمكن الوصول اليهم إلّا بعد سلوك مضيق، إذا وقف فيه عدد قليل [88] منع عسكراً كثيراً. فلمّا أيس من الوصول اليها بالقوة أعمل الفكر فى الحيلة وراسلهم: بأنّى لا أنصرف عنكم إلّا باتاوة.

فقالوا: «ما لنا مال نؤديه اليك.»

فقال: «أنتم أصحاب صيد وأريد من كل بيت كلباً.»

فهان عليهم ذلك فأنفذ من عدّ بيوتهم فأخذ منهم كلاباً بعددها.

ومن شأن الكلب أن يلوذ بصاحبه ويبصبص له وحوله، ويحتكّ به ويألف بيته حتى إنّه إذا أفلت من فراسخ كثيرة عاد الى مربضه.

فأمر بأن يشدّ فى أعناقها حلق النفط الأبيض وتجتمع عند مضيق الجبل ثم تضرب النار فى النفط ويخلّى سبيلها ويتبعها العسكر. ففعلوا ذلك وأسرعت الكلاب عدواً وأحس القوم بركوب العسكر فلقوهم فى المضيق وطلب كل كلب صاحبه لائذاً به من حرق النار. فكلّما احتكّ بالرجل أسرت

---

١. س ٦الأنعام: ١٦٤.

٢. وذلك فى سنة ٣٦٤ كما تقدم ذكره (مد).

النار اليه وأفرجوا عن الطريق والكلاب تتبعهم، وتعدّت النار اليهم فاحترق عدد كثير منهم. وهجمت الكلاب على البيوت فخلا أهلها وأسرع العسكر وراءهم ووضعوا السيف فيهم واستأصلوا شأفتهم.

إيداع الرهبة في صدور الرعيّة

فأمّا ما أقامه من الهيبة وأودعه [89] صدور الرعية من الرهبة فإنّه كان قد منع كل واحد من حمل السلاح بالحضرة إلّا من كان مستخدماً في المعونة أو مرتبطاً في جملة الرجالة المرتزقة، فإن وجد مع غيرهم سلاح أخذ وحبس وألزم جناية. وحظر أيضاً أن يضرب واحداً أو يمّد اليه يده، فمن فعل ذلك أخذ وعوقب وحبس واغرم فكانت أيدي الناس مقبوضة.

قال صاحب التاريخ:

وإنّني لأذكر في درب أبان من الجانب الشرقي وأبو اسحق جدّي[١] إذ ذاك في الاعتقال وكان في هذا الدرب رجل شيرازي رث البزّة يذهب في أمره مذهب التطايب ويضحكنا إذا جلس معنا. فبينما هو في بعض الأيام قاعد مع والدي على باب دارنا ومعنا رجل يعرف بابن مواتة من أولاد الشهود والجيران إذ اجتاز بائع رمان، فدعاه ابن مواتة وسامهُ وجرى بينهما ما رفع له ابن مواتة يده فلطمه.

فقبض الرجل الشيرازي يده على كمّ ابن مواتة وقال:

ـ «قم الى دار الملك.»

قال له:

ـ «أصنع ماذا؟»

١. أبو اسحاق هو ابراهيم بن هلال الصابي وحفيده هو هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي وهو «صاحب التاريخ» (مد).

قال: «أطالع بما فعلته من لطم الطوّاف ويؤخذ بحقّه منك ثم يجرى [90] حكم السياسة فيك.»

لقد مات ابن مواتة خوفاً وجزعاً وعطف والدى على الشيرازى يسأله الإمساك والطوّاف يقول عندما شاهده من الحال:

ـ «قد وهبت وسامحت.»

وهو يقول له:

ـ «إذا وهبت حقّك وهب السلطان حقّه.»

ويقول لوالدى:

ـ «لا أتمكن من الإمساك لأنّ خبرنا قد رفع الساعة الى الحضرة وإذا أمسكت صار لى ذنب أهلك به وتنقطع معيشتى وأنا أرتزق رزقاً سلطانياً على نقل هذه الأشياء.»

وانتهت الحال الى أن قبّل والدي وابن مواتة يده فخلى عنه وقال:

ـ «قد دخلت معكم في خطر أسأل الله تعالى السلامة منه.»

وصرنا بعد ذلك نخافه ونرهبه. وكان معلمو الصبيان مواقفين على أن يسألوا أولاد الجند الذين فى مكاتبهم عن أمور آبائهم ومتصرفات أحوالهم فى منازلهم ويكتبون بذلك الى ديوان البريد ولهم على ذلك رزق دارٌ.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ذكر حيلة لطيفة عادت باقامة هيبة عظيمة بين رعية بعيدة

خبر الحلاوىّ [91]

كان أحد جواسيس عضد الدولة العائدين من مصر ذكر لعضد الدولة فى جملة ما أخبر به أنّه تقدّم الى شيخ حلاوى فى زقاق القناديل بمصر فدفع

اليه درهماً تاجيّاً ليبتاع به شيئاً[١] مما بين يديه، فردّه عليه وتنازعا فيه فشتمه وشتم الآمر بضرب الدرهم وأنّه سأل عن اسم الحلاوى حتى عرفه وسمّاه.

قال أبو عبد الله ابن الحسين بن محمد الحلاوى الموصلى: بينما أنا فى منزلى فى بعض الليالى إذ طرق بابى نقيب ومعه نفّاط فجزعت منه وخرجت إليه فقال لى:

ـ «ابن محمان يستدعيك.»

فمضيت معه إليه فلمّا حضرت بين يديه وجدت عنده فرّاشاً من دار عضد الدولة فقال لى:

ـ «إنّ مولانا سأل عن صانع حاذق فوصفت له ورسم إنفاذك الى الدار فصر مع هذا الفرّاش اليها.»

فقلت: «السمع والطاعة.»

فنزلنا سمارية من سماريات النوبة كانت مقدمة فى المشرعة وانحدرنا وصعدنا الى الدار فوقّفنى فى الصحن ودخل ثم خرج فأدخلنى الى الحجرة التى فى ظهر القبة الخضراء وإذا عضد الدولة جالس وشُكْر قائم. فلمّا رأيته قبّلت الأرض مراراً فقال الملك:

ـ «قد أزعجت فلا بأس عليك وما دعوناك إلّا لخير.» [92]

فقبّلت الأرض. ثم قال:

ـ «قد احتجنا الى استخدامك في أمر تنفذ فيه إلى الموصل وتقدّمنا بإطلاق نفقة لك تخلّفها لعيالك فخذها من أبى الثناء (يعنى شكرا).»

فقلت: «السمع والطاعة.»

---

١. فى مد: شيأ (إبقاء على ما فى الأصل) وقد تكرّر ذلك فى هذا الكتاب.

فقال: «انصرف وانظر فى أمرك وادفع النفقة الى أهلك ولا تعرّض أنت لأخذ شيء منها فما بك في طريقك حاجة اليها.»

فخرج شكر وأعطاني عشرين ديناراً وانصرفت بها إلي أهلي وذكرت لهم الصورة ووصّيتهم بما أريد.

فلمّا كان من غد آخر النهار وحضر من يستدعيني فصرت معه إلى الدار ووصلت إلى حضرة عضد الدولة بين العشاء والعتمة فقال لي:

ـ «اخرج فى هذه الساعة مع من نسلّمك إليه إلى مصر فإذا حصلت بها فاقصد باب الجامع وسل عن منير الخادم الأبيض فإنّه يكون هناك يبيع الفراخ المسمنة وهو معروف فإذا رأيته فقل له: صديقك يقرئك السلام. فسيقوم من موضعه ويمشي فاتبعه إلى منزله فإذا دخلت فانزع ثياب سفرك التي عليك والبس الثياب التي يسلّمها اليك وخذ منه ما تريده لنفسك واقصد بعد ذلك زقاق القناديل فإنّك سترى شيخاً حلاوياً اسمه كذا ويعرف بكذا فاسئل عنه لتتحقق أنّه هو. ثم اجلس عنده فاذكر له صنعتك [93] ومعرفتك بأمر الحلواء وتوصّل إلى أن تعمل عنده من يومك والزمه وخفّف مؤنتك عليه وإن دعاك الى منزله فامض معه فإذا عملت معه خمسة عشر يوماً أو أكثر وعرفك الناس واشتهر عنك جودة الصنعة فاستأجر بإزاء دكانه دكاناً وابتع ما تريده من آلة ومتاع واستدع ثمن ذلك من منير الخادم فإنّ زبون الحلاوى سيعدل اليك ويقف أمره ويسئلك الشركة فإذا سألكها فأجبه اليها وشاركه وأقم فيها معه شهراً. ثم أظهر له شوقك الى بغداد والى عيالك الذين بها وصفها عنده وعظّم الكسب بها فى عينه وابعثه على الخروج اليها وعده المواعيد الكثيرة فإن احتجّ عليك بأهله وولده فقل له: معي دنانير وأنا أدفعها اليك لتجعلها نفقة لهم مدة غيبتك عنهم. وأعلمه أنّك تفعل ذلك إيثاراً لصحبته وأنّه إذا حصل ببغداد أنزلته دارك وجعلته في دكانك وأعطيته قسماً وافراً من

الربح مما تتجر فيه من مالك فإن أحبّ بعد ما يشاهده المقام أقام وإن آثر العود الى مصر زوّدته من طريق العراق ما يعود به إلى أهله واجهد فى حمله معك الى حضرتنا واخدم فى ذلك خدمة تحظ [94] بحسن العاقبة فيها وتناول من منير ما تحتاج اليه لنفسك وله واحفظ السر واحترس من حيلة تتمّ عليك واجتز على طريق الموصل فى عودك.»

فلمّا سمعت ذلك كلّه قلت:

ـ «السمع والطاعة وأرجو أن يوفّقنى الله لمّا أهّلت له.»

فأخذ شكر بيدى وعدل بى الى موضع ونزعت ثيابى والبست مبطنة ودفعت اليّ عشرون ديناراً وقال:

«هذه نفقة طريقك.»

ثم استدعى أعرابياً اسمه حسّان جالساً فى الصحن وسلّمنى اليه وقال له:

ـ «هذا الرجل فاحفظه وأوصله[1] الى حيث وقفت عليه.»

فأخذ الأعرابى بيدى ونزلنا فجلسنا فى سمارية من سماريات النوبة وصعدنا باب خراسان ومشينا الى وجه الجامع فإذا هناك أربعة أجمال ورجلان من العرب وركبا وركب الأعرابى وركبت وسرنا وما زلنا من موضع الى موضع آخر حتى وصلنا إلى مصر فى سبع وعشرين ليلة فحطّنى القوم وقال لى صاحبى منهم:

ـ «امض فى حفظ الله وهات علامة بوصلك.»

فقلت: «العلامة أنّ مولانا قال لى: إذا عدت فخذ على طريق الموصل.»

ولا والله ما سألونى من أنا ولا فى أىّ شىء توجّهت.

وقصدت باب الجامع فإذا الخادم الأبيض فسلّمت عليه وقلت له [95] ما

---

١. فى الأصل: وواصله (مد).

وُصّيت به فرحب بي ونهض معي في الحال الى منزله ونزع ثيابي وأعطاني ثياباً نظافاً من عنده. وجرى الأمر مع عضد الدولة[١] مدة مقامي بمصر على ما كان مثّله عضد الدولة حتى كأنّه حاضر معنا ومازلت أرفق بالحلاوى وأعده وأمنّيه حتى أجاب الى الخروج.

فعدت الى الخادم وودّعته ونزعت الثياب التي أعطانيها ولبست المبطنة التي وصلت بها وأخذت نفقة وتوجّهت أنا والشيخ الحلاوى معي وما زلنا ننتقل من مكان الى مكان حتى وصلنا الموصل وأقاربي بها فنزلنا عند بعضهم. واستأجرنا في كورة[٢] البريد ومازلنا ننتقل الى أن وصلنا الى بغداد وانحدرنا الى منزلي والشيخ معي لنجدّد الوضوء ونصلي ونعبر.

فما استقررت حتى حضر نقيب من الدار يستدعيني ومن معي فعجبت من ذلك وكان صاحب الخبر قد كتب يخبرنا فبادرت ومعي الشيخ وعبرنا الى الدار وجلسنا في موضع منها الى أن خلا وجه عضد الدولة. ثم أدخلت والشيخ معي وقد طار لبّه وعظم رعبه وهو يحتسب الله عليَّ وأنا أسكن منه وقد تداخلني له الرحمة الشديدة وعدل بي الى موضع فيه شكر فنزعت ما كان عليَّ من الثياب وأنا أراها قد أخذت[96] وحملت الى حضرة الملك فأعطيت ثيابي التي نزعتها عند خروجي ومثلت بين يديه أنا والشيخ فقال:

ـ «كيف جرى الأمر؟»

قلت: «كما مثّله مولانا.»

قال للشيخ:

ـ «أأنت فلان بن فلان الحلاوى؟»

قال: «نعم.»

---

١. لعله: وجرى الأمر مع من وصفهم عضد الدولة (مد).

٢. لعله: ركوبة (مد).

قال: «لا تخف وإن كنت قد أسأت الى نفسك وجشّمتها السفر عن منزلك بالفضول من قولك وفعلك.»

فبكى الشيخ بكاء شديداً فتركه قليلاً ثم قال:

ـ «يا هذا هبك رددت الدرهم الذى من ضربنا ولم تحبّ أخذه من الرجل الغريب الذى وقف بك فما بالك شتمته وشتمت الذى أمر بضربه؟ ولولا أنّ فى تأديبك والفتك بك، وأنت شيخ غريب ولعلّ وراءك من يتوقعك ومادته منك، بعض الاثم واللوم لأمرنا بتقويمك لكنا نهب جنايتك لمن خلفك من عيالك وقد تقدمنا بإطلاق نفقة لك تردك الى بلدك فلا تعاود مثل ما كان منك وتحدّث فى بلدك بصفحنا عنك وعن جرمك ومنّتنا عليك.»

فبكى الشيخ حتى كاد يموت ولم يكن له لسان يجيب به وخرجنا وأعطانى شكر عشرين ديناراً وقال:

ـ «اصرفها فى نفقتك.»

وأعطى الشيخ دنانير وحملته الى منزلى وأكرمته واستأجرت له ما ركبه فى بعض القوافل الى الموصل [97].

فذكر أنّ الشيخ لمّا عاد الى مصر تحدّث بحديثه وشاع ذلك هناك فكان الغريب إذا جلس الى بعض أهل البلد صاحوا: الحذر الحذر. فتمسك الناس عن ذكر عضد الدولة وقال الحسين الحلاوى:

ـ «كانت فى المبطنة التي لبستها ملطفات وما علمت بها إلّا بعد عودى.»

مراعاته للقوانين
في كلّ الأحوال

وأما ذكر مراعاته للقوانين وحفظها في الأحوال جميعاً فإنّه كان لا يعوّل فى الأمور إلّا على ذوى الكفايات ولا يقضى فيمن لا غناء عنده حقوق

ذوي الشفاعات ولا يجعل لمن حوله من ذوي المناصب ولا لأحد من الأقارب والأباعد مساغاً في الجنس المفوض الى كلّ فرقة منهم ويجري الأمر في ذلك على أحسن نظام ويزمّه بأحسن زمام.

قال أبو محمد الحسن ابن أبي الفرج ابن مسلمة[1] الشاهد قال:

ـ «أحبّ أبو العبّاس محمد بن نصر بن أحمد بن مكرم الشاهد أن تقبل شهادة أبي يعلى محمد ابنه وكان أبو عمر محمد ابن عبد الله بن أيّوب القطّان صهره على ابنته ومعاملاً لأبي زهير أسفار [98] ابن كردويه ومختصّاً به.»

وقال أبو العباس لأبي عمر:

ـ «أنا أعلم نبوك عن[2] أبي يعلى ابني لما تنكره من أخلاقه وقد أحببت أن تقبل شهادته وشرعت في أخذ الخطوط بتزكيته وهذا أمر هو في يدك فإن ساعدتني عليه مشى وإن وقف فما يقف إلّا بك.»

فقال له:

ـ «والله لا تركت ممكناً.»

فقال أبو العباس:

ـ «القائد [أبو] زهير كثير القبول منك قليل الخلاف عليك وإن خاطب عضد الدولة على ذلك مع حصول التزكية لم يقع امتناع عليه فيه وأريد أن تجعل هذه الحاجة أكبر حوائجك إليه.»

فقال: «أفعل.»

قال أبو عمر:

ـ «فدخلت إلى أسفار وقلت له: يا صاحب الجيش قد خدمتك الخدمة التي وجب بها الحقّ لي عليك، ولي حاجة فيها قيام جاهي في البلد قد

---

١. في الأصل: المسلمة.

٢. وفي الأصل: علي.

جعلتها ثمرة أملي فيك.»

فقال لي :

ـ «ما هي ؟»

فقلت : «أبو العباس يريد أن تقبل شهادة أبى يعلى ابنه واستشفع بى اليك فى خطاب عضد الدولة.»

فقال : «أفعل، وقد جرت العادة فيما بينى وبين الملك بأن أراسله فيما أريدهُ على لسان ثقة.»

وأحضر الرجل الذى أشار اليه، فحمّله فى ذلك رسالة استوفاها فمضى وعاد وقال :

«يقول لك الملك : مالك وللخطاب فى مثل هذا الأمر ؟ [99]»

قال أبو عمر :

«فاستدعاني أسفار حتى سمعت الجواب فقلت : يا صاحب الجيش والله ما يقبل منى أبو العباس ذلك ولا يقدّر إلّا أنّى قد قصرت فى مسئلتك مع علمه بموضعي منك وموضعك من الملك وأنك لا ترد فى الكبير فضلاً عن الصغير.»

فقال : «ما جرت لى عادة بمعاودته ولكنى أعاوده بعد أيام.»

ومضت على ذلك مديدة فأعاد الرجل الرسالة وجدد السؤال فعاد مثل الجواب الأول. فأظهرتُ الوجوم والإنكسار ومضت أيام وهو يرانى كاسف البال فقال لي :

«ياباعمر قد عملت على الركوب الى الدار فى غد.»

ووصل الى حضرة عضد الدولة ووقف ساعة ثم قال : قد راسلت مولانا فى أمر أبى يعلى ابن مكرم دفعتين وعاد الجواب يرسم فيه الإمساك ولى فى تمام هذا الأمر جاه والقوم الذين سألونى فى ذلك فى اختلاط وأمل قويّ

ومتى وقف انكسر جاهی عندهم وعند الناس.»

فضحك وقال:

«یابازهير مالك وللخطاب فی مثل هذا وفی الشهادة والشهود؟ إنّما يتعلق بك الخطاب على زيادة قائد أو تقويد خاصة نقل رتبة الى رتبة. فأما قبول الشهادة فليس لنا ولك قول فيه وهو متعلق بالقضاة ومتى عرفوا من إنسان ما يرون معه قبول [100] شهادته فعلوا ذلك بغير أمر ولا شفاعة شافع اليهم وإلينا وإذا أقمت عذر نفسك عند من سألك بمثل ما قلنا لك عرف صحّة ذلك.»

وانصرف أسفار بهذا الجواب وحدّث أبا عمر به ووقف الأمر فی قبول شهادة أبی يعلی إلی أن توفّی عضد الدولة.

وأما ما ذكر من صدقاته ومبرّاته وما تأدی[1] ذلك من فضل احتياطه ومراعاته فإنّه كان يخرج عن افتتاح مال كلّ سنة شيئاً كثيراً فی البرّ والصدقة ويكتب إلی العمّال فی النواحی بتسليمه إلی قضاتها ووجوه أهلها ليصرفوه الی ذوی الحاجة والمسكنة.

قال أبو نصر خواشاذه:

أعطانی عضد الدولة فی بعض الأيام توقيعاً على أنّه بثلاثين ألف درهم للصدقة ورسم وزن ذلك وتفرقته بحسب ما جرت به العادة وكان قد غلط وكتب:

ـ «يخرج من الخزانة ثلاثون بدرة للصدقة»

فرددته وقلت:

ـ «يا مولانا المال ثلاثون ألف درهم والتوقيع ثلاثون بدرة [101]»

---

١. لعله: تعدی (مد).

فقال: «أرنيه.»

فقال: «لن أعود فيها فأخرجها.»

فأخرجتها فأطلقت فى الصدقات.

وقد شوهد فى كثير من تذاكيره وما كان يوقعه فى تقاويمه:

ـ «نذرنا للأمر الفلاني كيت وكيت وكذا وكذا ألف درهم للصدقة»

فى مواضع كثيرة. فكان لا يهمّ بعزم ولا يكون فى سرور أو همّ إلّا وهو يقدم نذراً: أمّا فى السرور فلكماله. وأمّا فى الهمّ فلزواله. وذلك مبنيٌّ على جميل اعتقاد وحسن يقين وصحة إيمان وإقرار بالمعاد.

وكان يطلق للكتّاب والعمّال المتعطلين إذا شكوا أحوالهم وقصورهم أو اطلع على ذلك منها ما يُنسب إلى الأسلاف التى لا يحاسبون بها عند استعمالهم واستخدامهم. وكان المستخدمون يستسلفون من أبى يعلى سليمن بن الحسن الناظر فى التمور والأمتعة البصرية على ما يسبّب به أرزاقهم ما يأخذون به منه التمر وما يجرى مجراه بفضل فى ثمنه فيرغب الطالب فى الأخذ للحاجة والاتساع بالسلف ويرغب المعطى فى الأسلاف للزيادة فى الأثمان والفائدة مردودة للسلطان.

وتوفّى عضد الدولة وعلى المتصرفين والمتعطّلين من هذه الأسلاف مال جزيل كثير.

وبازاء ذلك من احتياطه ما[102] ذكره أبو نصر خواشاذه قال:

قباء سقلاطون للجلوس
فى نيروز

حضر نيروز وأراد أن يقطع عضد الدولة فيه قباء سقلاطون يجلس فيه للتهنئة فقال لى:

ـ «أحضر من الخزانة ثوباً يصلح للقباء.»

فمضيت فاخترت منها ثوباً حسناً مستعملاً فجئته به فلمّا وضعته بين يديه تأمّله وأخذه ورماني به وقال:

ـ «ليس من هذا طلبت.»

فظننت أنّه قد استرذله وأراد ما هو أرفع منه فعدت وأخرجت من بابة أخرى ما هو أجود منه فأحضرته. فلمّا ملا عينه منه قال لي:

ـ «يا أعمى القلب ليس من هذا.»

فبقيت متحيّراً لا أدرى ما أصنع ورجعت إلى الخزانة فقال لي أبو نصر بندار:

«مالى أراك ضيق الصدر وقد أخذت ثوبين ورددتهما.»

فعرّفته الصورة فضحك وقال:

ـ «لو أعلمتني لكفيتك ما اشتغل قلبك به.»

وقام وفتح سفطا فيه ثياب سقلاطونيات متقاربات يسوى الثوب منها خمسة دنانير وأخذ ثوباً واحداً منها فتركه بين يدىّ وقال:

ـ «احمله اليه فإنّه يرضيه.»

فأخذته وحملته فلمّا وضعته بحضرته وشاهده وأدخل يده فيه وقلّبه قال:

ـ «هذا جيّد.»

فتقدم بقطعه وإعداده ولبسه في يوم ذلك الفصل ووهبه لبعض الديلم. [103]

وأمّا حبّه للعلم

فأمّا محبّته للعلوم وتقريب أهلها فإنّه كان يكرم العلماء أوفى إكرام وينعم عليهم أهنأ إنعام ويقرّبهم من حضرته ويدنيهم من خدمته ويعارضهم فى

أجناس المسائل ويفاوضهم فى أنواع الفضائل. فاجتمع عنده من كل طبقة أعلاها وجنى له من كل ثمرة أحلاها. وصنفت فى أيامه المصنفات الرائقة فى أجناس العلوم المتفرقة، فمنها: كتاب الحجة في القرآت السبع، وهو كتاب ليس له نظير في جلالة قدر واشتهار ذكر، ومنها كتاب الإيضاح فى النحو، وهو مع قلّة حجمه يوفى على الكتب الكبار التى من جنسه فى قوة عبارة وجودة صنعة.

وحكى أبو طالب أحمد بن بكر العبدى[١] صاحب كتاب شرح الإيضاح أنّ عضد الدولة كان ضنيناً بهذا الكتاب محبّاً للاختصاص بقراءته دون كل أحد وإنّ رجلاً توصل الى كتبه بخطه بحيلة، فأمر عضد الدولة بقطع يده لنفاسة الكتاب فى نفسه وحلاوته فى قلبه حتى سئل فى أمره فعفى عنه. ومنها الكُنّاش[٢] العضدى فى الطب[104] المؤلف في أيامه.[٣] الموفى على غيره بياناً وحسن ترتيب وكمالاً وغير ذلك من المقالات الرياضية والرسائل الهندسية.

وأمّا آثاره الجميلة

وأما ما عمله من الآثار الجميلة فإنّه جدّد بفارس وخوزستان، منها ما هو باقي الأثر عند الناظر شائع الخبر عند السامع. وعمد الى مصالح بغداد فأوجدها بعد العدم وأعادها الى ريعانها بعد الهرم، واستدرّ أفاويق الأعمال

١. وردت ترجمته فى ارشاد الأريب ١: ٣٨١(مد).

٢. فى مد: الكناس. والأصحّ الكُنّاش: دفتر تدرج فيها الشوارد والفوائد. والكُنّاشات هى الأصول التى تتشعّب منها الفروع.

٣. ومؤلفه على بن العباس المجوسى يعرف بابن المجوسى وليراجع ترجمته فى تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطى ص ٢٣٢ (مد).

بعد أن كانت متصرّمة واستمدّ ينابيع الأموال بعد أن كانت مستهدمة[١] وفعل في تجديد العمران وبناء البيمارستان ووقف الوقوف الكثيرة عليه ونقل أنواع الآلات والأدوية من كل ناحية اليه[٢] ما يدرك العيان بعضه إلى الآن، وعمل السكور وأنفق فيها الأموال وأعدّ عليها الآلات ووكّل بها الرجال وألزمهم حفظها بالليل والنهار وراعى ذلك منهم أتمّ مراعاة في آونة المدود الجوارف وأزمنة الغيوث الهواطل وأوقات الرياح العواصف.

فقيل: إنّه لما سدَّ المطهر بن عبد الله بثق السهلية رتّب عليه ابراهيم المعروف بالأغرّ، وأمره بالمقام عليه [105] ومواصلة تعليته الى حين انقضاء المدود.

قال ابراهيم:

فأقمت على هذا السكر زماناً طويلاً والرجال معي وشقيت شقاء طويلاً وكان لي منزل بجسر النهروان وبيني وبينه مدى قريب فكنت لا أتجانبه على الإلمام به ولا على دخول الحمام إشفاقاً من أن يكتب صاحب الخبر بجسر النهروان بخبري.

فلمّا مضت المدة الطويلة على هذه الجملة من حالي عصفت ريح في بعض الليالي وورد معها مطر شديد فدخلت القبة المبنية على السكر أستتر بها من الريح والمطر واجتهدنا في أن نشعل سراجاً فلم يدعنا عصوف الريح وضجرت وضاق صدري ونازعتني نفسي أن أقوم فأمضي في الظلمة الى جسر النهروان وأبيت في منزلي وأعاود بكرة موضعي. فبينما أنا في ذلك وقد حققت عزمي عليه إذ سمعت كلاماً على باب القبّة فقلت لغلامي:

ـ «انظر ما هو.»

---

١. لعله: مسدمة (مد).

٢. في الأصل: مما.

فخرج وعاد وقال:

ـ «انسان على جمل قد أناخ عندنا.»

ودخل الرجل وسلّم فرددت عليه وقلت للغلام:

ـ «اشعل سراجاً.»

فقدح وأشعل وجاء بالنار في نفاطة فإذا الرجل من خواص عضد الدولة عربي قد ورد من بغداد فقلت له:

ـ «ما تشاء.»

فقال: «استدعاني الساعة الأستاذ شكر وقد خرج من حضرة [106] الملك فقال: أمر مولانا أن تمضى على جمازة وتقصد سِكر السهلية وتدخل الى القبّة التى على ظهر المروحة فإن وجدت ابراهيم الأغرّ هناك فأعلمه أنّنا نجازيه على خدمته وطول ملازمته وادفع إليه هذا الكيس ففيه ألف درهم ليصرفه في نفقته وإن لم تجده وكان قد دخل إلى داره بجسر النهروان فاقصده واهجم عليه في منزله وخذ رأسه واحمله.»

وترك[1] الكيس بين يديّ وقال:

ـ «احمد الله على ما كفاك إيّاه.»

وعاد من وقته، فبقيت حيران وعزمت على نفسي ألّا أدخل جسر النهروان.

وأما ذكر ما رتّبه في تربية أولاده ودبّر به دار مملكته بفارس عند غيبته عنها

فإنّ له من محاسن التدبير في أمثلته التى مثّلها لأصحابه في تذاكير

---

١. والمثبت في مد: واترك.

وُجدت له ما يدلّ على علوّ همّته وحسن سياسته في تربية أولاده وقسمة أيامهم بين آداب البراعة والشجاعة وأوقات الجدّ واللعب والاقتصاد فيما يجري بينهم من الترافه والتهاجر وتهذيب من يلوذ بهم [107] ويكون في جملتهم. فإنّ الاخلاق بالممازحة[١] تعدى وبالمجاورة تسرى. وترتبت الأمور بدار مملكته بفارس في حال غيبته بالعراق وغيرها لتجرى على السداد وتستمرّ على الاستقامة والاطّراد. فكان إذا بعد عنها بجثمانه لم يبعد عنها بسلطانه كالشمس التي يبعد جرمها عن العالم وضياؤها فيه موجود.

والقليل من ذكر سيرته ينبئ عن الكثير فنجنب الإطالة والإكثار إذ قد شرطنا الإقتصار والإختصار.

ونذكر الآن طرفاً مما رواه صاحب التاريخ من أخبار أضافها إلى جملة محاسنه وهي بضدّها أشبه، فأفردناها عنها إذ لا «تستوى الحسنة ولا السيئة»[٢] «ولا الظلمات ولا النور ولا الظلّ ولا الحرور.»[٣]

ذكر الرسوم التي أحدثها عضد الدولة

زاد في المساحة واحداً في عشرة بالقلم وأضافه الى الأصول وجعله رسماً جارياً واستمرّ الى هذه الغاية في جميع السواد.

وأحدث جنايات لم تكن ورسوم معاملات لم تعهد وأدخل يده في جميع الأرحاء وجبى [108] ارتفاعها وجعل لأهلها شيئاً منه وكثرت الظلامة من ذلك في آخر أيّامه... «إنّ الله لا يُغَيِّرُ ما بقوم حتّى يُغيّروا ما بأنفسِهِم»[٤]...

١. كذا في مد. ولعلّه «بالممازجة».

٢. س ٤١ فصّلت: ٣٤.

٣. س ٣٥ فاطر: ٢٠ ـ ٢١.

٤. ١٣ الرعد: ١١.

فأزاله صمصام الدولة بعده وأطلق الإرتفاع للملاّك.

وجعل للمراعى وفرائض الصدقات ديواناً وأفرد له عمالاً وكتّاباً وجهابذة فارتفع من أعمال السواد ما زاد على ألف ألف درهم فى السنة.

وأدخل يده فى وقوف السواد ورتّب لها ناظرين متصرفين وقرّر لأربابها اجارة تطلق لهم عنها فتحصل منها جملة كثيرة وصارت فى المقبوض وخرجت فى الإقطاعات من بعد ذلك.

وقرّر على أسواق الدوابّ والحمير والجمال عما يباع فيها من جميع ذلك وفعل فى ضرائب الأمتعة الصادرة والواردة ما زاد فيه على الرسوم القديمة وحظر عمل الثلج والقزّ وجعلهما متجراً للخاص وكانا من قبل مطلقين لمن يريد عملهما والمتجر فيهما.

ولعل صاحب التاريخ قصد بإيراد هذه الأخبار فى محاسنه الفضيلة فى إقامة وجوه المال واستنباط ينابيعه.

ولا خير في مال يسيء ذكراً ويحبط أجراً وكلّما يجمع من أشباه تلك الوجوه فإنّه جمعٌ تبديد وما يشرب من أمثال هذه المناهل فإنّه شرب تصديد [109] والخبر المشهور المرويّ[١] عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم قوله : «من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الي يوم القيامة ومن سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الي يوم القيامة.»

ذكر أخبار ضبط مسرف لا يليق بملك

حدّث أبو على ابن مكيخا صاحب ديوان الخزائن قال :

سألت عضد الدولة فى بعض الأيام وقد صادفت منه طيب نفس وإقبالاً

---

١. ليراجع كتاب الإعتصام ١ : ٢٣١.

على زيادة في عادته وذكرت له تضاعف مؤنتي وقصور مالي عن كفايتي فقال لي :

ـ «أليس الموجب لك في كل شهر كذا وكذا ولك من رسم الكسوة كذا وكذا في الفصلين ؟»

قلت : «نعم.»

قال : «فأنت تحتاج لراتبك ومؤنك وغلمانك ودوابّك الى كذا وكذا فما وجه الإستزادة؟ هذا فأنت تأكل في كل أيامك مع أبي منصور نصر بن هارون.»

فقبّلتُ الأرض وتأخّرت، فإذا هو يحاسبني ويعتدّ عليَّ بما آكله على مائدة أبي منصور.

وحكى أبو علي أيضاً أنّ عضد الدولة [110] رأى له يوماً بغلة بمركب حديد ثقيل فتركه مدة وقبض عليه وألزمه مالاً فعرض في جملة ما يبيعه من رحله دست ديباج كان له وبلغ عضد الدولة خبره فاستدعاه ليشاهده ويحتسب له بما يقوّم به. قال أبو علي :

ـ «وقد كنت أعطيت فيه ألفاً وخمسمائة درهم.»

فقال : «احتسبوا له بألف ومائتي درهم.»

فقلت : «قد دفع به ألف وخمسمائة درهم وثمنه عليَّ أكثر من ذلك.»

فغاظته هذه المراجعة وتقدّم الى الخادم بأن يسلم اليَّ دستا دونه بكثير إلّا انّه شبيه به فأخذته ولم يمكني أن أقول شيئاً في أمره فاجتهدت أن يحتسب لي بألف ومائتي درهم المبذولة فقال :

ـ «لا حاجة بنا الى دسته.»

وكان قصاراي ان بعتُ هذا المسلَّم بتسعمائة درهم.

وحدث أبو الحسن رستم بن أحمد قال :

استكتبنى عضد الدولة لأبى جعفر الحجاج بن هرمز عند وروده من ديلمان ورسم لى أن أعمل تذكرة بما يحتاج اليه راتبةً فى كل يوم ونفقاته فى كل شهر. فعملت وأحضرت التذكرة وكان فيها رطلية شمع فى كل ليلة فوقف عليها ونقص كثيراً منها وزاد فى أبواب وقال:

ـ «رطل شمع فى كل ليلة سرف[111] وينبغي أن يكون في كل أسبوع رطلية وأن يواقف الفراش على أن يتركها فى تورها وتُقدم بين يديه المنارة عليها سراج بفتيلتين فإن حضر من يحتشم رُفعت وأحضر التور والشمعة فأوقدت فإذا انصرف شيلت وأعيدت المنارة.»

فقلت: «السمع والطاعة.»

وجرى الأمر على ذلك.

وحدّث أبو الحسن على بن أبى على الحاجب قال:

كان لعضد الدولة فرجية سقلاطون مبطنة بقماقم فكان يلبسها كثيراً فى الطريق بين بغداد وهمذان. وكان أحد الديلم قد أغرى بطلبتها وواصل المسألة فى بابها وعضد الدولة يعده ويدفعه حتى زاد لجاجه فعارضه يوماً في موكبه وقال:

ـ «يا مولانا قد طال الوعد بهذه الفرجية وأسئل انجازه اليوم.»

فاغتاظ وقال:

ـ «نعم.»

وكان يمشي فى ركابه أصحابه الركاب ومن جانبه الأيمن أحمد بن أبى حفص وفى جانبه الأيسر ابن فارس فقال لهما سرّاً وأرسل كمّى الفرجية:

ـ «اقربا منّى وأفتقا البطانة من الظهارة واجذباها وسلّماها الى الموكبدار.»

ففعلا ذلك ونزل عضد الدولة وحضر الديلمى مذكراً فأخرجت اليه فى

الحال طاقاً بغير بطانة [112] فبقي متعجباً وأخذها وأمسك.

فلما خلا الملك استدعاهما وقال لهما:

ـ «أنا أعلم أنكما فضوليان وكأنّي بكما وقد قلتما «ما أشحّ هذا السلطان! طلب منه بعض خواصّه فروة منذ أمد ودافعه بها فلمّا أراد عطاءها له أمره بكذا بخلاً بالبطانة» »

فقبّلا الأرض وقالا:

ـ «لا إله إلّا الله يا مولانا ان تتصوّرنا بهذه الصورة.»

فقال: «بلى أنتما كذلك. فاعلما أنّ في جوانبنا من الثياب السقلاطون ما يمكننا أن نعمّ به عسكرنا لو أردنا أن نعطي جميعها وهذه البطائن الوبر قليلة وإنّما تحمل الينا منها في السنة من البلاد البعيدة الخارجة عن ممالكنا العدّة اليسيرة ولو وهبنا لهذا الديلمي بطانة الفرجية لرفعناه الى منزلة لا يستحقها لأنّه أقل من أن يدفَع إليه مبطناً. ثم طلب منا غداً من هو أجل منه جبّة مبطنة بوبر فخرج ما في خزائننا من هذا الجنس الى نفر قليل.»

وقد ذكر ارسطاطاليس في رسالته المشهورة:

«إنّ الملوك ملك سخيٌّ على نفسه سخيٌّ على رعيته وملك شحيح على نفسه شحيح على رعيّته وملك سخيٌّ على نفسه شحيح على رعيّته وملك شحيح على نفسه سخيٌّ على رعيته. فسابقهم الى الفضل [113] من كان سخيّاً على نفسه سخيا على رعيته وتاليه من كان شحيحاً على نفسه سخيّاً على رعيته وعضد الدولة كان كذلك إلّا أنّ طلب الدرجة العليا أعبق بذوى الكرم وسبب الغاية القصوى أولى بأولى الهمم. ولعل بعض من يقرأ كتابنا يقول: أما كان يسع طيّ هذا البساط وقطع هذا الرباط فكم قد طوى من خبر ومحا من أثر. بلى ولكننا أردنا الخير وقصدنا النفع حتى إذا تأمل المتأمل ذلك وتلك الأحاديث الجميلة والأفاعيل الشريفة استلذ من طيبها واستروح

من نسيمها الى كل ما يهزُّ أريحيته لفعل الخير وبناء المجد وإطالة الذكر واقتناء الحمد. فإذا انتهى الى ما قد ذكر أخيراً وجد من الكدر فى المنهل والشرق بالزلال الذي شربه ما يحذّره اهمال اليسير من رياضة أخلاقه فيصفيها تصفية الذهب الخالص. والسعيد من تأدب بغيره والكمال عزيز فى كل حال.» وقد قيل:

لا سلمَ من قولِ الوُشاة وتسلمى
سلمت وهل حيٌّ من الناسِ يَسلم [114]

ذكر وفاة عضد الدولة سامحه الله

توفّى عن سبع وأربعين سنة وأشهر وعلّته التى توفّى بها مشهورة. ولم تكن أمثال هذا العمر عمله ولا فى أضعافه أمله ولكن فى خفاء مواقيت الآجال مشغلة بأكاذيب الآمال. وما أحسن قول عديّ بن زيد:

ليس شيءٌ على المَنونِ بباقٍ غيرَ وجهِ المهيمنِ الخَلّاقِ

ذاك عضد الدولة سامحه الله. أعجب بصحّة عقله وفيه دهاء، وهذا عضد الدولة البارسلان رحمه الله، أعجب بقوة بأسه، ومنه ليعلم أنّ البشر لا يملك شيئاً وأنّ الملك لله الواحد القهّار.

ونورد ههنا كلمات قيلت عند وفاة عضد الدولة فيها حكمة بالغة وموعظة نافعة:

ذكر أبو حيّان التوحيدي فى كتاب الزلفة أنّه لما صحت وفاة عضد الدولة كنّا عند أبى سليمان السجستانى وكان [115] القومسى حاضراً والنوشجانى

وابو القسم غلام زحل [و] ابن المقداد والعروضى والأندلسى والصيمرى، فتذاكروا الكلمات العشرة المشهورة التي قالها الحكماء العشرة عند وفاة الإسكندر فقال الأندلسي:

ـ «لو قد تقوّض مجلسكم هذا بمثل هذه الكلمات لكان يؤثر عنكم ذلك.»

فقال أبو سليمان:

ـ «ما أحسن ما بعثت عليك[1] أمّا أنا فأقول: لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها وأعطاها فوق قيمتها وحسبك أنّه طلب الربح فيها فخسر روحه في الدنيا.»

وقال الصيمرى:

ـ «من استيقظ للدنيا فهذا نومه ومن حلم بها فهذا انتباهه.»

وقال النوشجانى:

ـ «ما رأيت غافلاً فى غفلته ولا عاقلاً فى عقله مثله. لقد كان ينقض جانباً وهو يظنّ أنّه مبرم ويغرم وهو يرى أنّه غانم.»

وقال العروضى:

ـ «أما إنّه لو كان معتبراً فى حياته لما صار عبرة [فى] مماته.»

قال الأندلسى:

ـ «الصاعد فى درجاتها الى سفال والنازل من درجاتها الى معال.»

وقال القومسى:

ـ «من جدّ للدنيا هزلت به ومن هزل راغباً عنها جدّت له. انظر الى هذا كيف انتهى أمره والى أى حظّ وقع شأنه وإنّي لأظنّ أنّ الرجل [116] الزاهد

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

١. لعله: عليه (مد).

الذى مات فى هذه الأيام ودفن بالشونيزية أخفّ ظهراً[١]. وأعزّ ظهيراً من هذا الذى ترك الدنيا شاغرة ورحل عنها بلا زاد ولا راحلة.»

وقال غلام زحل :

ـ «ما ترك هذا الشخص استظهاراً بحسن نظره وقوّته ولكن غلبه ما منه كان وبمعونته بان.»

وقال ابن المقداد :

ـ «إنّ ماء أطفأ هذه النار لعظيم، وإنّ ريحاً زعزعت هذا الركن لعصوف.»

فقال أبو سليمان :

ـ «ما عندك فى هذا الحديث أحسن مما سمعت أبا أسمعيل الخطيب الهاشمى لمّا نعاه على المنبر يوم الجمعة يقول فى خطبته : كيف غفلت عن كيد هذا الأمر حتى نفذ فيك، وهلّا اتخذت دونه جنّة تقيك. ماذا صنعت بأموالك والعبيد ورجالك والجنود وبخولك العتيد وبدهرك الشديد. هلاّ صانعت من عجلَ على السرير وبذلت له من القنطار الى القطمير. من أين أتيت وكنت شهماً حازماً وكيف مكّنت من نفسك وكنت قوياً صارماً. من الذى وطّأ على مكروهك وأناخ بكلكله على ملكك. لقد استضعفك من طمع فيك ولقد جهلك من سلم العزّ لك ! كلّا، ولكن ملكك من أخسرك بالتمليك وسلبك من قدر عليك بالتهليك[٢] إنّ فيك لعبرة للمعتبرين[٣] وإنّك لاية للمستبصرين. جافى[117] الله جنبك عن الثرى وتجاوز عنك بالحسنى، ونقل روحك الى الدرجات العلى وعرّفنا من خلفك خيراً وعدلاً يكثر من

١. فى الأصل : أحفظهما. والاقتراح من مد.
٢. فى الاصل بالقهر لك (مد).
٣. فى الاصل انّ فيك لمعتبرين.

أجلهما الدعاء وثناؤنا عليك أنّه على ذلك قدير، وهو عليه بصير[١].»

ذكر ما جرى عليه الأمر في قيام
صمصام الدولة بالملك

كانت سعادة عضد الدولة قوية في أحواله حتى في موته. فإنّه انكتم أمره مع عظم قدره للسياسة التي قدّمها في الأمور والهيبة التي أودعها بنات الصدور واختياره من الأصحاب كلّ من كان بحسن التدبير خبيراً وبخدمة الملوك جديراً.

فلمّا توفي أخفي خبره، فأحضر الأمير أبو كاليجار المرزبان الى دار المملكة كأنّه مستدعًى من قبل عضد الدولة. فلمّا حضر أخرج الأمر إليه بولاية العهد والنيابة في الملك واستخلاف أخيه أبي الحسين أحمد بن عضد الدولة بفارس على أعمالها.

وكتبت عن عضد الدولة كتب بذلك إلى كلّ صقع حسب العادة وضُمّنت ذكر القبض على أبي الريّان حمد بن محمد وذمّ أفعاله واستدعاء [118] أبي منصور نصر بن هارون الى الحضرة ليقوم مقامه في أعماله، وأنفذ مع كل كتاب نسخة يمين بالبيعة لتؤخذ على الأمراء والقواد وأتباعهم من الأصحاب والأجناد.

وروسل الطائع لله في ذلك وسئل كتب عهد له مقرون بالخلع والألقاب واللواء وإمضاء ما قلّده عضد الدولة من النيابة عنه. فأنعم بالإجابة ولقّبه صمصام الدولة، وشرّفه بالعهد واللواء والخلع السلطانية وجلس صمصام الدولة جلوساً عامّاً حتى قرئ العهد بين يديه وهنّأه بما تجدّد لديه.

---

١. وفيه قال سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان: بين كلام هؤلاء وأولئك المتقدمين المتكلمين على تابوت الإسكندر كما بين الملكين في المساواة (مد).

ونظر أبو عبد الله ابن سعدان فيما كان أبو الريان ينظر فيه من أمور الأعمال واستمرّت الحال فى إخفاء وفاة عضد الدولة الى أن تمهّد الأمر لصمصام الدولة.

وفي هذا الوقت أزيل ما كان قرر على الأرحاء والطحون وأجرى الناس على رسومهم القديمة.

وفيه خلع على أبى الحسين أحمد وأبى طاهر فيروزشاه ابنى عضد الدولة للتوجّه الى شيراز وأعمالها وخرج معهما أبو الفتح نصر أخو أبى العلاء عبيد الله بن الفضل برسم النيابة عن أخيه في مراعاة أمرهما.

ذكر ما جرى عليه أمرهما [119]

لما أفضى الأمر الى صمصام الدولة قبض على الأمير أبي الحسين فى الدار ببغداد ووكّل به.

وكانت والدته ابنة ملك الديلم[١] وشوكة الديلم قوية فعزمت على قصد الدار متنكرة عند اجتماع الديلم فيها فإذا حصلت فيها استغاثت بهم وهجمت على صمصام الدولة وانتزعت ابنها منه.

فعرف صمصام الدولة ذلك فخاف وراسلها رسالة جميلة ووعدها بالإفراج عنه وتقليده أعمال فارس، وفعل ذلك ووافقه على المبادرة ليصل الى شيراز قبل ورود شرف الدولة أبى الفوارس اليها وأزاح علته فى جميع ما يحتاج اليه.

فسار إلى الأهواز وعليها إذ ذاك أبو الفرج منصور بن خسره. فلمّا وصل إليها طالبه بمال والتمس منه ثياباً وأشياء أخر فمنعه ايّاها ظاهراً وحملها إليه

١. هو أبو الفوارس ماناذر بن جستان بن المرزبان السلار بن احمد بن مسافر كذا فى مرآة الزمان فى ترجمة سنة ٣٧١(مد).

باطناً مراقبة لصمصام الدولة وانتسجت بينهما حالة جميلة واستقرّ أنّ يستوزره عند تمهد أموره. فأشار عليه أبو الفرج بالتعجيل الى أرجان، فان وصلها وقد سبق شرف الدولة الى شيراز أسرع الكرة إلى الأهواز.

فلمّا وصل إلى أرجان ورد الخبر بحصول شرف الدولة بشيراز وكرّ راجعاً ودخل الأهواز وعوّل على أبي الفرج في مراعاة[120] الأمور وتدبير الأعمال وأظهر المباينة وارتسم بالملك وتلقّب بتاج الدولة، وأقام الخطبة لنفسه. وعرف صمصام الدولة ذلك فجرد اليه أبا الحسن علي بن دبعش الحاجب في عسكر كثير.

وندب الأمير أبو الحسين أبا الأعز دبيس بن عفيف الأسدي للقائه فالتقيا[1] بظاهر قرقوب ووقعت بينهما وقعة أجلت عن هزيمة ابن دبعش فأسر وحمل الى الاهواز وشهره بها.

فاستولى الأمير أبو الحسين على ما كان معدّاً بالأهواز وبقلعة رامهرمز من الأموال وفرّقها في الرجال وصرف همته الى جمع العساكر وأرغبهم فمالوا اليه وانثالوا عليه فاشتد أمره وسار [الى] البصرة فملكها ورتب أخاه أبا طاهر فيروزشاه بها ولقبه ضياء الدولة. وجرى أمره على السداد ثلاث سنين الى أن انصرف إلى اصبهان وقبض عليه شرف الدولة وحمله الى قلعة في بعض نواحي شيراز.

مسير شيرزيل من كرمان واستيلاؤه على شيراز

وفي هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل من كرمان الى

---

١. وفي الأصل: بالنقباء.

شيراز واستولى على الأمر.

شرح الحال في ذلك [121]

لما توفّى عضد الدولة كتب بعض الخواص بالخبر الى كرمان فسار شرف الدولة عند وقوفه على ذلك إلي فارس كاتماً أمره.

ذكر رأى سديد في كتمان أمر حتى تمّ

فلمّا وصل الى اصطخر قدم ابراهيم ديلمسَفار أمامه وأمره بالإسراع الى شيراز وإخفاء خبره والقبض على أبى منصور نصر بن هارون ففعل ابراهيم ذلك ودخل دار أبى منصور على غفلة من أهلها ووجده فى مجلس نظره، فقبض عليه ووكّل به وقال للديلم:

ـ «هذا أبو الفوارس فاخرجوا لخدمته.»

فتلقّاه العسكر ودخل البلد واستقرّ. ثمّ أظهر وفاة عضد الدولة وجلس للعزاء وأخذ البيعة على أوليائه وأطلق لهم ما جرت به العادة من العطاء.

بِذا قَضَتِ الأيّامُ ما بينَ أهلِها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فَوائدُ[1]

[و] أزال التوكيل عن كورتكين بن جستان وقلّده اصفهسلارية عسكره وأفرج عن الاشراف: أبى الحسن محمد بن عمر وأبى أحمد الموسوى [122] وأخيه أبى عبد الله وعن القاضى أبى محمد [ابن] معروف[2] وعن ابى نصر خواشاذه بعد أن طال بهم الاعتقال وضعفت فى خلاصهم الآمال وكما تطرق

---

١. البيت للمتنبي.

٢. هو عبيد الله بن احمد المعتزلي قاضى القضاة ولى بعد عمر بن اكثم وتوفي سنة ٣٨٨.

النوائب من حيث لا يحتسب فقد يأتي الفرج من حيث لا يرتقب.

فأمّا أبو منصور ابن هارون فإنّه وكّل أمر مطالبته الى المعروف بالشابشتي الحاجب فعسفه حتى إنّه انتهى به إلى أن ملأ طستاً بالجمر ووضعه على صدره فمات.

ذكر اتفاق عجيب

كان أبو منصور ابن هارون يبغض هذا الشابشتي في أيام نظره ويبعده من بين يديه ويقول:

ـ «إنّي أكره هذا الرجل كرهاً لا أعرف سببه.»

حتى كان هلاكه على يده وبان أنّ تلك الكراهية لعلة خافية.

ذكر اغترار بسلامة عاجلة آلت بصاحبها إلى هلاك

كان سبب سوء رأي شرف الدولة في نصر بن هارون اغترار نصر بيومه وترك النظر لغده وأنّه كان يضايقه في أيام عضد الدولة [123] في آرابه ويستقصي عليه في أسبابه، ثم لعداوة كانت بينه وبين أصحابه فهم لا يزالون يوغرون صدره عليه ويقبحون أثره لديه.

ومن سوء التدبير التقصير بأهل بيت الملك فكم قد حرّ[١] ذلك من وبال! ولم يكن سبب هلاك محمد بن عبد الملك الزيات الوزير على يد المتوكل على الله إلّا ما سبق من تقصيره في أيام أخيه الواثق بالله والخبر مشهور[٢].

---

١. في مد: حرّ.

٢. انظر الطبري ١١: ١٣٧٠.

اغتيال أبى الفرج
أبا محمد أخاه

وفى هذه السنة اغتال أبو الفرج ابن عمران أبا محمد أخاه[١] وانتصب فى موضعه وكتب إلى الحضرة يظهر الطاعة ويسئل التقليد والولاية.

ذكر حسد حمل صاحبه على قطيعة رحم

كان أبو الفرج جاهلاً متهوراً فحسد أبا محمد على موضعه فأعمل الحيلة فى الفتك به. واتفق أن أختهما اعتلّت فقال أبو الفرج لأبى محمد:

ـ «إنّ أختنا مشفية فلو عدتها.»

ففعل وركب اليها ورتب أبو الفرج فى دارها قوماً ووافقهم على مساعدته. فلمّا دخل أبو محمد وقف أصحابه لأنّها دار حرم. وحمل أبو الفرج سيفه على عادته ومشى من ورائه. فلمّا تمكّن منه[124] جرد السيف وضربه. وخرج القوم الذين رتبهم فساعدوه على الإجهاز عليه ووقعت الصيحة فصعد أبو الفرج اليهم مطلعاً عليهم من سطح الدار وقال:

ـ «قد فات الأمر ولكم عندى الإحسان.»

فسكتوا ثم وضع فيهم العطايا فأطاعوه وأمّروه.

مقتل الراعى بنصيبين

وفى هذه السنة قتل أبو على الحسن بن بشر الراعى بنصيبين وكان واليها وعاملها.

---

١. هو الحسن بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة قد تقدم ذكره وفى الاصل: بن عمر بن أبان والصواب فى الكامل لابن الاثير ٩: ١٧(مد).

ذكر سيرة عادت بخسران دنيا وآخرة

كان هذا ابن الراعى ظالماً شريراً وخبره في سمل عينه قد تقدم في كتاب تجارب الامم[١] ثم ولى نصيبين فأساء الى أهل البلد واستحلّ محارمهم. فلمّا شاعت الاراجيف بعلة عضد الدولة وبعد ذلك بموته ثار العامة وقصدوا داره للفتك به فخرج فى لباس امرأة وغمز عليه فأخذ وقتل ومثل به ثم أحرق.

واستولى أحد الأكراد على البلد وورد الخبر بذلك فأخرج أبو سعد بهرام بن أردشير لتلافى الأمر. فلمّا وصل الى الموصل تقاعد به أبو المطرّف عاملها وانزاح المستولى عليها منها ولحق بباد.

وكان أمر باد قَد قوى بميافارقين فعجل بهرام الى قصده واستهان بأمره وواقعه فأجلت الوقعة عن هزيمة بهرام [125] وأسر جماعة من الديلم الذين معه. وشمت أبو المطرّف به وكتب الى أبى القاسم سعد الحاجب يطعن على بهرام ويقول:

ـ «انه قد جنى على الدولة وأطمع باداً وإننى قد عملت على مكاتبة باد وإعلامه موقع الخطأ فى المكاشفة.»

فأجابه سعد بجواب يقول فيه:

ـ «أنا وارد. والسيف أصدق أنباءً من الكتب».»

فلمّا وصل الى أبى المطرّف الجواب قال:

سيوفٌ لَعَمرِى يا لُؤَىُّ بنُ غالبٍ   جِدادٌ ولكنْ أينَ بالسيفِ ضاربُ

---

١. ليراجع ما تقدم ٢ : [478].

فبلغ ذلك سعداً فأحفظه وأسرّ فى نفسه عليه.

ذكر خبر باد ومبدأ أمره

باد لقبٌ وهو أبو عبد الله الحسين بن دوشنك[١] من الأكراد الحميدية وكان يتصعلك كثيراً ويمضى الى الثغور ويغزو بها دائماً وكان فظيع المنظر عظيم الهيكل.

فلمّا حصل عضد الدولة بالموصل حضر على الباب بوساطة زيار بن شهراكويه[٢] ثم هرب.

ذكر فراسة دلّت على دهاءٍ [126]

يقال: إنّه لمّا خرج من بين يدى عضد الدولة مضى على وجهه هارباً فسأله أصحابه عن سبب هربه فقال:

ـ «شاهدت رجلاً ظننت أن لا يبقى علىّ بعد حصولى فى يده.»

وطلبه عضد الدولة فى أثر خروجه آمراً بالقبض عليه وقال:

ـ «هذا رجل ذو بأس وبطش وشرّ وغدر ولا يجوز الإبقاء عليه.»

فأخبر بهربه وحصل بثغور ديار بكر وأقام بها الى أن استفحل أمره. ثم خرج اليه أبو القاسم سعد الحاجب فكان من أمره معه ما سيأتى ذكره فى موضعه.

---

١. ولعله: روشنك.

٢. هو أبو الحرب ذكره ابراهيم الصابى فى رسالة كتبها عن صمصام الدولة فى سنة ٣٧٥ الى أبى القاسم سعد الحاجب وهو مقيم بنصيبين على محاربة باد الكردى يأمره فيه أن ينفذ الى الحضرة الوثيقة المكتتبة على باد (مد).

ودخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة
ركوب صمصام الدولة
إلى دار الخلافة

وفيها ركب صمصام الدولة الى دار الخلافة وخلع عليه الخلع السبع والعمّة السوداء وسُوّر وطُوّق وتُوّج وعُقد له لواآن وحمل على فرس بمركب ذهب وقيدَ بين يديه مثله وقرئ عهده بتقليده الأمور فيما بلغت الدعوة من جميع الممالك وعاد الى داره. وجدّدت له البيعة وأطلق رسومها وأقيمت الدعوة وغُيِّرت السكة.

وزارة الحسين بن
أحمد بن سعدان

وفيها خلع على أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان خلع الوزارة وكان رجلاً باذلاً لعطائه مانعاً للقائه فلا يراه أكثر من يقصده إلّا ما بين [127] نزوله من درجة داره الى زبزبه ومع ذلك فلا يخيّب طالب إحسان منه فى أكثر مطلبه لكن يسير البشر أملك للقلوب من كثير البرّ.

فبسط يده فى الإطلاقات والصلات وتقرير المعايش والتسويفات وأحدث من الرسوم استيفاء العشر من جميع ما تسبب به الاولياء والكتّاب والحواشى من أموالهم وأرزاقهم والتوقيع فى آخر الصكاك الى العمال بمقاصّة أربابها به وجمعه عليهم وأخذه منهم وصرفه فى مشاهرات غلمان الخيول ونفقاتهم.

وانضاف الى ضيق خلقه ما اتفق فى وقت نظره من غلاء سعر. فتطيرت العامة ورجموا زبزبه وشغّبوا الديلم عليه لأجله وهجموا على نهب داره وانتهت الحال الى ركوب صمصام الدولة الى مجتمعهم حتى تلافاهم وردّهم.

ورود زيار وسعد بن محمد
من جرجان

وفيها ورد زيار بن شهراكويه وأبو القاسم سعد بن محمد الحاجب عائدين من جرجان فندب أبو القاسم الى الموصل لقصد باد وتلافى خطئه وجدد معه عسكراً اجتهد فى عِدّته وعُدّته.

ذكر ما جرى عليه أمر سعد
بن محمد مع باد [128]

سار سعد، فلمّا حصل بالموصل قبض على أبى المطرّف عاملها وفى نفسه عليه تمثله بالبيت الذى تقدم ذكره واعتقله بالموصل.

ويمّم سعد الى لقاء باد وهو واثق باقتناصه وربَّ واثق خجل. فتواقعا على خابور الحسينية فانهزم سعد واستولى باد على جميع الديلم فأسر بعضاً وقتل بعضاً ثم ضرب رقاب الأسرى صبراً وسار الى الموصل.

وقد كان سعد سبقه اليها عند الهزيمة فثار العامة به وخرج ناجياً بنفسه حتى بلغ تكريت وكتب الى الحضرة بخبره فأجيب بأن يقيم فى موضعه.

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

ذكر حصول باد بالموصل وإفراجه عن أبى المطرّف

لما حصل باد بالموصل أفرج عن أبى المطرّف واستوزره.

وقويت شوكته بما تمّ له من كسر عساكر السلطان دفعة بعد أخرى واستولى على الأعمال وجبى وجوه الأموال وخرج عن حكم البوادى والمتطرفين وصار فى اعداد الخوارج المتجوفين وأرجف بأنّه محدّث نفسه بأخذ سرير الملك وقامت له هيبة فى النفوس وعظم ذلك على صمصام

الدولة وابن [129] سعدان وزيره وقطعهما الهمّ به عن سائر الأمور.

ولم يبق في الحضرة من يندب لهذا الأمر مع استفحاله إلّا زيار بن شهراكويه. فووقف علي المسير اليه وخلع عليه واستظهر له في العدد والعُدد وأخرج معه شُكراً في الغلمان الأتراك وسار الى الموصل وانضم إليهما أبو القاسم الحاجب من تكريت وواقعوا باداً في صفر سنة أربع وأجلت الوقعة عن انهزام باد وأسر كثير من أقاربه وأصحابه وورد الخبر بذلك فسكن ما عليه الناس من الأراجيف به.

ثم وصل الأساري الى بغداد فشهروا.

ذكر ما جرى عليه أمرُهُ بعد الهزيمة

لما انهزم باد وخيّم زيار بظاهر الموصل خرج سعد الحاجب الى الجزيرة من الجانب الشرقي في عدد وافر وحصل باد في أطراف بلاده يجمع الرجال الى نفسه ليقصد ديار بكر.

فرأى ابن سعدان ان كتب الى سعد الدولة ابن حمدان وبذل له تسليم ديار بكر إليه على ما كانت مع أبيه واستدعى منه تجريد أصحابه إليها قبل استيلاء باد عليها.

فأنفذ ابن حمدان أصحابه إلى ميافارقين فأقاموا مديدة ثم انصرفوا ولم يكن لهم [130] طاقة بمقاومة باد وملك باد ميافارقين وسار إلى تلّ فافان مرهبا وراسل في الصلح وتثاقل العسكر الذى مع سعد عن المسير معه الى لقائه فعمل على العدول الى الحيلة ودس رجلاً لقتل باد غيلة[١].

١. وفي الأصل: لغيلة.

ذكر حيلة جيّدة لو وافقت قضاء

يقال: إنّ الرجل الذى دسّه دخل على باد فى خيمته ليلاً ووصل إلى موضع منامه وضربه بالسيف ضربة على رجله ظنّ أنّها على رأسه وصاح باد وهرب الرجل فلم يُلحق ومرض باد لتلك الضربة حتى أشفى واجتهد سعد فى انتهاز الفرصة منه عند مرضه فلم يطاوعه من معه.

وكان شُكَر قد توجّه مع الأتراك إلى نصيبين على أن يكون مسيرهم ومسير سعد من الجانبين فاضطرب من كان معه من الأتراك عليه.

وراسل باد زياراً وألقى عليه نفسه وردّ أمره إليه. فمال زيار للصلح غير مظهر للميل مراقبة لأبى القاسم سعد وأشار على باد بسلوك سبيل الاستصلاح معه أيضاً.

فلمّا أعيت سعداً الحيل وكثرت عليه الأسباب والعلل وعلم أنّ كثير الاجتهاد مع معاندة الأيام ضائع وقليله مع مساعدتها نافعٌ، صالح باداً على [131] أن تكون له ديار بكر والنصف من طور عبدين من غربيها وعاد سعد إلى الموصل وزيار بها وانحدر زيار إلى الحضرة وأقام سعد بمكانه.

وكان أمر هذه الوقعة والصلح فى سنة أربع ولكن سياقة الحديث اقتضت إيراده ههنا فى أخبار سنة ثلاث.

استيلاء المظفّر على الأمر

وفى هذه السنة قتل المظفر بن على الحاجبُ أبا الفرج محمد بن عمران وأجلس أبا المعالى ابن أبى محمد الحسن بن عمران فى الامارة ثم استولى المظفر على الأمر بعد.

ذكر ما جرى عليه الأمر في ذلك

قد تقدّم ذكر ما كان من أبي الفرج في قتل أخيه أبي محمد. فلمّا جلس في الإمارة قدّم القوم الذين ساعدوه وجفا مشايخ القوّاد، فأحفظ الأكابر تقدُّم الأصاغر.

وكان المظفر أحد قوّاد عمران الذين أبلوا معه في حروبه فاتفق هو والمعروف بابن الشعراني اصفهسلار الجند وقالا لشيوخ القوّاد:

ـ «قد فعل هذا الرجل ما فعل من استحلال محرَّم أخيه وصبرنا عليه مع وجوب حقّه وحق أبيه ولم يقنعه سوء فعله حتى استأنف حطّ منازلنا وتقديم أراذلنا ولا نأمن أن يتعدى الأمر من [132] بعد إلى إزالة نعمتنا واطّراح حرمتنا.»

فاتفقت كلمة الجماعة على كراهيته ثم تكفل المظفر لأبن الشعراني بأمر قتله وتكفل ابن الشعراني بأمر جنده وتواعدا على ذلك.

ذكر تهوّر سلم صاحبهُ بالإتفاق

ثم إنّ أبا الفرج ركب من دار الإمارة إلى بناء استحدثه وعرف المظفر خبره فقصده إلى الموضع ودخل عليه فلمّا رآه أبو الفرج قال له:

ـ «فيم حضرت؟»

قال: «علمتُ ركوب الأمير فأحببت خدمته.»

وحضر من أعطاه كتاباً. فلمّا أخذه وتشاغل بقراءته جرّد المظفر سيفه وثار اليه فضربه.

وبادر[١] من كان بين يديه من خواصه الى المظفر بسيوفهم وهو كالجمل الهائج يدافعهم عن نفسه وأكبَّ على أبي الفرج ضرباً حتى فرغ منه وقد أصابته جراحة في يده وضربات في ذباب سيفه.

ونزل في ورجيته[٢] إلى المنصورة التي بها دار الإمارة وأخرج أبا المعالي ابن أبي محمد ابن عمران وهو صغير السنّ فأقامه أميراً وأطلق المال وأرضى الجند.

ومضى أبو الفرج بعد أخيه سريعاً، صرع أخاه فأصبح بعده صريعاً، وباع دينه فخسرهما جميعاً، وكذلك كل قاتل مقتول، وكل خاذل [133] مخذول، وكن كيف شئت فكما تدين تُدان.

ونعود إلي ذكر ما جرت عليه الحال بعد ذلك

لمّا فعل المظفر ما فعله أظهر الصرامة وقيل له في التوثقة من العسكر بالأيمان فقال:

ـ «التوثقة سيفي من استقام غمدتهُ عنه ومن اعوجَّ سللتهُ عليه.»

وكتب إلي الحضرة بما فعله من أخذ ثأر أبي محمد وإعادة الأمر إلى ولده[٣] وسأل في تقليده وأنفذ من استحلف صمصام الدولة له ولنفسه فأجيب إلى ذلك جميعه وأخذ المظفر أمره بالرهبة وقتل الشعراني مع بضعة عشر نفساً من القواد الذين ساعدوه في يوم واحد.

ومضت أيام والمظفر يتولى الأمور وأبو المعالي صبيٌّ لا فضل فيه ولا تدبير، ثم نازعت المظفر نفسه إلى التردّي برداء الإمارة والتفرّد بها لفظاً

١. وفي الأصل: وباد.
٢. كأنّه مشتق من ورج (=ارج) كلمة فارسية معناها المرتبة (مد).
٣. وفي الأصل: والده.

ومعنى.

ذكر منصوبة عملها المظفر فى إظهار إمارته

أمر كاتبه أن يكتب كتاباً عن السلطان إليه بالتعويل فى تدبير الأمور [134] عليه ثم أمره بإحضار ركابى غريب وتسليم الكتاب إليه ومواقفته على الدخول بالكتاب عند احتفال المجلس بالناس مغبّر الثياب والوجه كأنّه بشعت بشعث[1] الطريق ففعل ذلك.

فلمّا كان فى غد ذلك اليوم واجتمع الناس دخل الركّابىّ على تلك الصورة وأوصل الكتاب إليه.

فلمّا أخذه المظفر قبّله ودفعه إلى الكاتب فقرأه وأظهر الاستبشار وقال لأبى المعالى فى الوقت:

ـ «قُم إلى أمّك.»

وتظاهر بالإمارة ثم أحضر الجند وتوثّق منهم، وقد كان أبادَ من خاف جانبه ولم يبق إلّا من أمن بوائقهُ. وتلقّب بالموفّق واستمال القلوب وعدل عن الطريق الأول.

ذكر ما اعتمده من حسن السيرة

لمّا استتبّ له الأمر على ما أراد حمل الناس على محجّة العدل وخفض لهم جناح اللين وكفّ يده عن القتل واستعمل الرأفة بعد تلك الفظاظة والرحمة، بعد تلك القساوة.

وردّ على أرباب الضياع ما كان قبضه عمران وولده منهم وأجرى على

---

١. والمثبت فى مد: بشعث.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أبي المعالي وأمّه جراية واسعة وأقرّهما في دارهما مدّة طويلة ثم أمرهما بالإنصراف فانصرفا إلى واسط وكانت جرايته [135] دارّة عليهما مع بعدهما عنه.

ومضت مدة فعهد في الأمر إلى أبي الحسن علي بن نصر الملقّب أخيراً بمهذّب الدولة، ولقّبه إذ ذاك بالأمير المختار، وإلى أبي الحسن علي بن جعفر من بعده وهما ابنا أختيه.

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة مؤيد الدولة بجرجان وجلس صمصام الدولة للعزاء به وجاءه الطائع لله معزّياً.

ذكر ما جرى عليه الأمر في وفاة مؤيّد الدولة وإلى أن استقرّت الإمارة لفخر الدولة من بعده

لما انصرفت عساكر خراسان الواردة مع فخر الدولة وقابوس الانصراف الذي تقدّم ذكره استقرّ مؤيد الدولة بجرجان وجعلها داره وأقام أبو الحسن علي بن كامة عنده.

واتصلت الأخبار باشتداد علة عضد الدولة والعهد على صمصام الدولة في الملك من بعده وأخذ البيعة له على جنده وتفرقة الأموال بالحضرة على الرجال، فشغب الجيش بجرجان وأفردوا خيمهم إلى ظاهر البلد والتمسوا الزيادة والإحسان [136] وتوسط زيار بن شهراكويه والحسن بن ابراهيم الأمر معهم حتى سكنوا وعادوا.

فاستأذن بعد ذلك زيار ومن كان معه في المسير إلى بغداد فرفق مؤيد الدولة بهم إيثاراً لمقامهم فلم يفعلوا نزاعاً إلى أوطانهم مع ما تجدد لهم من أمر صمصام الدولة على ما قد ذكر فقضى عند ذلك حقوقهم وأذن لهم في الانصراف فانصرفوا شاكرين.

ذكر ما دبّره مؤيّد الدولة في الاستيلاء على الملك وحالت المقادير دونه

لمّا علم مؤيد الدولة بوفاة عضد الدولة سَمَت نفسه للاستيلاء على الممالك والقيام مقامه فيها وكان قد أنفذ أبا على القاسم إلى فارس متحملاً لرسالة إلى الأمير أبى الفوارس ابن عضد الدولة. فورد كتاب أبى على هذا عليه بوقوع الخطبة له فى بلاد فارس وثبوت اسمه على الدينار والدرهم.

وقدم أبو نصر خواشاذه ورسول من الأمير أبى الفوارس إليه فلبث عنده أياماً وعاد بالجواب ثم راسل أخاه فخر الدولة بالوعود الجميلة [137] وبذل له ولاية جرجان وتقويته بما يحتاج إليه من الأموال فلم يسكن فخر الدولة إلى قوله وأقام بموضعه.

وبينما الحال على ذلك إذ جاءه الأمر الذى لا يغلب والنداء الذى لا يحجب فخضع لأمر الآمر مطيعاً ولبّى دعوة الداعى سريعاً قضية الله سبحانه فى الأولين والآخرين ومشيئته فى الذاهبين والغابرين. قال الله تعالى: «لقد أحصاهم وعَدَّهم عداً وكلُّهم آتيه يوم القيامة فرداً».[١]

ذكر كلام سديد للصاحب ابن عبّاد

ولمّا عرضت لمؤيد الدولة علة الخوانيق واشتدت به قال له الصاحب:

ـ «لو عهد أمير الأمراء عهداً إلى من يراه يسكن إليه الجند إلى أن يتفضل الله تعالى بعافيته وقيامه إلى تدبير مملكته لكان ذلك من الاستظهار الذى لا ضرر فيه.»

---

١. س ١٩ مريم: ٩٥.

فقال له:

ـ «أنا فى شغل عن هذا وما للملك قدر مع انتهاء الانسان إلى مثل ما أنا فيه فأفعلوا ما بدا لكم.»

ثم أشفى فقال له الصاحب:

ـ «تُب يا مولانا من كل ما دخلت فيه وتبرّأ من هذه الأموال التى لست على ثقة من طيبها وحصولها من حلّها، واعتقد متى أقامك الله وعافاك صرفها فى وجوهها وردَّ كل ظُلامة تعرفها وتقدر على ردّها.»

ففعل [138] ذلك وتلطف به وقضى نحبه ولعلّ الصاحب اقتدى فى هذا القول بقصة ابن أبى دؤاد مع الواثق بالله رضى الله عنه إلّا أنّ تلك قول وفعل:

خبر حسن فيه تنبيه على فعل خير (١)

يقال: إنّه لمّا اشتدت علة الواثق التى توفى فيها وكان فى حبسه جماعة من الكتّاب والعمّال وهم فى ضنك شديد من المطالبة دخل ابن ابى دؤاد عليه وسأله عمّا يجد فشكا الواثق بالله شدة ما به إليه فقال:

ـ «يا أمير المؤمنين إنّ فى حبسك جماعة وراءهم عدد كثير من العيال وهم فى ضرّ وبؤس ولو أمرت بالإفراج عنهم لرجوت لك الفرج من هذه الشدة.»

فقال له:

ـ «أصبت.»

وأمر بذلك فأفرج عنهم. فلمّا أصبح حضر ابن أبى دؤاد عنده على رسمه فقال له الواثق:

---

١. وردت هذه الحكاية رواية عن على بن هشام فى كتاب الفرج بعد الشدة ١: ٩٩ـ٩٨.

ـ «إنّي وجدت البارحة بعض الخف.»

فقال ابن أبي دؤاد:

ـ «وفّق الله لأمير المؤمنين. فلقد رفعت البارحة ألوف من الأيدى بالدعاء له كانت ترفع من قبل بالدعاء عليه. هذا وقد عاد من أفرج عنهم إلى دور شعثة وعيال جياع وأحوال مختلّة ولو قد أطلقت ضياعهم[139] المقبوضة وأعيدت إليهم أموالهم المأخوذة لكان الدعاء أكثر والأجر أعظم.»

فأمر الواثق عند ذلك بتسليم ضياعهم إليهم وإعادة ما أخذ من أموالهم وخرج الأمر بذلك على يد ابن أبي دؤاد، فقام بتمامه في يومه وأحيا الله أقواماً على يده.

ولم يكن قد بقي للواثق أجل فمضى لسبيله واستصحب أجر ذلك الفعل معه وفاز ابن أبي دؤاد بهذه المنقبة بقية الدهر. ونعود الى سياقة الحديث.

ذكر ما دبّره ابن عبّاد بعد وفاة مؤيد الدولة

كتب في الوقت إلى فخر الدولة بالإسراع وأرسل أخاه وبعض ثقاته ليستوثق منه باليمين على الحفظ والوفاء بالعهد.

وتجرّد الصاحب لضبط الأمر ووضع العطاء في الجند ونصب أبا العباس خسرفيروز بن ركن الدولة في الامارة تسكيناً للفتنة وإزالة للمخلف في عاجل الحال، وكتب الناس مثنى[١] وفرادى إلى فخر الدولة بالطاعة وهو يومئذ بنواحي نيسابور على حالة مختلفة[٢] وإضاقة شديدة.

وقد أنفذ نصر بن الحسن بن فيروزان[٣] الى الصاحب ببخارا مع من نفذ

---

١. وفي الأصل: مثنى الامارة.

٢. لعله: مختلة.

٣. هو خال فخر الدولة وله قصة مع الصاحب ابن عباد: ارشاد الأريب ٢: ٣٠٦.

من جهة قابوس من [140] وجوه قوّاده حين استدعاهما صاحب بخارا للخلف الواقع بينه وبين ابن عمّه عبد الملك بعقب انهزام عساكره بباب جرجان. فاعتذر إليه في تأخرهما عنه بنفوسهما وأنفذ إليه أصحابهما المذكورين.

فلمّا ورد إلى فخر الدولة كتاب ابن عباد، وتلاه كتب وجوه العساكر أولاً فأولاً، سار على الفور وعرف قابوس الخبر فأرسل إليه:

ـ «أنّ بيننا ما أريد مفاوضتك فيه.»

فأجابه بأنني:

ـ «قد توجّهت ولا قدرة لي على العود بعد التوجّه ومهما أردت فاكتب به.»

وبادر يطوي المنازل نحو جرجان.

ذكر وصول فخر الدولة إلى جرجان واستقراره في دار الإمارة

لما ورد الخبر بقرب وصول فخر الدولة إلى جرجان قال الصاحب ابن عبّاد للجند:

ـ «إنّما أخذت البيعة عليكم لأبي العباس خسرفيروز على أنّه خليفة أخيه فخر الدولة فبادروا إلى تلقّيه وخدمته.»

فندبوا عند ذلك أبا الحسين محمد بن علي بن القاسم العارض للاستيثاق بجماعتهم، فسار إليه ولقيه بالتعزية بأخيه والتهنئة بالملك والتوثق [141] للأولياء، فأكرمه فخر الدولة وتقبّل منه ما أورده.

وبادر الناس بعد أبي الحسين إلى خدمته فوجاً فوجاً وهو يقرّبهم ويدنيهم. ثم تلقّاه الصاحب أبو القاسم ابن عبّاد مع الأمير أبي العباس

خسر فيروز وأكابر القوّاد فرحّب به فخر الدولة وبالغ فى إكرامه وتناهى فى إعظامه ونزل بظاهر المدينة فى الموضع الذى كان مؤيد الدولة معسكراً فيه عند قتال عسكر خراسان، ثم دخل البلد من غده وأخذت البيعة له بالطاعة والمخالصة واستقرّت الإمارة عليه.

وكذلك الدهر يتقلّب من حال إلى حال وينتقل بأهله بين أسفل وعال والبؤس والنعيم فيه إلى زوال.

ذكر كلام اختبر به ما فى نفس فخر الدولة

لمّا انتظم الأمر لفخر الدولة قال له الصاحب:

ـ «قد بلّغك الله يا مولاى وبلّغنى فيه ما أملته لنفسك وأملته لك ومن حقوق خدمتى عليك إجابتى إلى ما اوثره من ملازمة دارى واعتزال الجندية والتوفر على أمر المعاد.»

وقال له:

ـ «لا تقل أيها الصاحب هذا، فإنّنى ما أريد الملك [142] إلّا لك ولا يجوز أن يستقيم أمرى إلّا بك، وإذا كرهت ملابسة الأمور كرهت ذاك بكراهيتك وانصرفت.»

فقبّل الأرض شكرا وقال:

ـ «الأمر أمرك.»

وتلا ذلك أنّه خلع عليه خلع الوزارة وأكرمه منها بما لم يكرم وزير بمثله.

ثم عمل فخر الدولة والصاحب جميعاً على أخذ على بن كامة والاستيلاء على ماله وأعماله، وعلما أنهما لا يقدران عليه لجلالة قدره فعدلا إلى إعمال الحيلة فى أمره.

ذكر حيلة تمّت في قتل عليّ بن كامة

اجتمع رأيهما على موافقة شرابى كان له على سمه فتوصّلا إليه وقرّرا أمور ذلك واتفق أنّ على بن كامة عمل دعوة واحتفل فيها واحتشد وسأل فخر الدولة والصاحب الحضور عنده. فواعداه بذلك وراسلا الشرابى بفعل ما تقرر معه فى هذا اليوم وأعطياه سمّاً موجباً.

ودخل على بن كامة خزانة الشراب يتخيّر الأشربة ويذوقها فطرح الشرابى السمّ فى بعض ما ذاقه فأحس فى الحال باضطراب جسمه فدخل بيتاً وطرح نفسه فيه وألقى عليه كساء وعلم فخر الدولة [143] خبره فتأخر عن الحضور.

وأطعم الناس وسقوا وتركه أصحابه فى موضعه وعندهم أنّه نائم ولم يقدموا على إنباهه. فلمّا كان من غد رأوه على خملته فدخلوا إليه فوجدوه ميتاً.

فأنفذ فخر الدولة إلى داره من توكل بها وإلى خزانته من استظهر عليها والى قلاعه من أخذها وإلى أعماله من تولّاها. وكان لعلى بن كامة أولاد فلم يتمّ لهم الأمر مع فخر الدولة.

وليس العجب من فخر الدولة فى سمّ الرجل كالعجب من الصاحب الذى سأل بالأمس فى الخبر الذى تقدّم هذا الخبر فى الإذن له فى ملازمة داره والتوفر على أمر المعاد.

ووصل أبو نصر شهريسلار بن مؤيد الدولة الى حضرة فخر الدولة فى هذا الوقت فأكرمه.

ذكر السبب في ذلك

كان أبو نصر باصبهان مقيماً نائباً عن أبيه مؤيد الدولة في ولده وحرمه. فلمّا عرف خبر وفاته بادر بمن خفّ معه يريد جرجان فبلغه في بعض الطريق خبر استقرار فخر الدولة في الامارة فأقام بموضعه وكاتبه يستأذنه في الإتمام إلى حضرته. فأجابه بالجميل وصلة [144] الرحم وأمره بالإتمام والمسير فسار ووصل إلى جرجان فأكرم غاية الإكرام.

وقدم أبو علي القاسم بن علي بن القاسم عائداً من فارس مع المال المحمول وقد كان مؤيد الدولة أنفذه إليها حسب ما تقدم ذكره.

وأنفذ فخر الدولة أباالقاسم القاضي العلوي رسولاً إلى الأمير أبي الفوارس ابن عضد الدولة وأقام بجرجان يجمع الأموال ويملأ بها القلاع إلى أن ورد إليه تاشي هارباً من خراسان فأنزله بجرجان وقرّر عليه ارتفاعها وانصرف هو إلى الريّ وأقام تاشي بها إلى أن توفي وقيل مات مسموماً.

وفي هذه السنة شغب الأتراك ببغداد وبرزوا متوجهين إلى شيراز بعد أن كانت طائفة منهم قد سارت قبلهم ولحقت بفارس.

فركب زيار بن شهراكويه في أثر هؤلاء وردّ أكثرهم وأخذ أبا منصور ابن أبي الحسن الناظر وكان قد خرج هارباً وولده مع شرف الدولة لم يقبض عليه فردّ بعد أن جرح لأنّه مانع عن نفسه واعتقل.

وكان خال ولد أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف. فلمّا عرف عبد العزيز هربه من الليل خاف أن يسعى أبو عبد الله بن سعدان به إلى صمصام الدولة ويوغر صدره عليه وينسب هربه إليه فرأى أن يسبق بإظهار إبراء الساحة قبل أن [145] ينتهز عدوّه الفرصة.

ذكر رأى سديد وقع لعبد العزيز بن يوسف أمن به ما خاف وقوعه

وذلك أنّه غلّس فى صبيحة تلك الليلة إلى الدار وجلس فى الدهليز وراعى قيام صمصام الدولة من منامه وانتظر حضور على ابن أبى على الحاجب وكان له صديقاً.

فلمّا حضر الحاجب خرج إليه عبد العزيز بما فى نفسه وسأله الإستئذان له على خلوة قبل كل أحد فدخل الحاجب وأعلم صمصام الدولة بحضوره فإذن له. فلمّا حضر قبّل الأرض وبكا بكاء شديداً وقال:

ـ «قد خدمت عضد الدولة وخدمتك ولم تعهد منى إلّا الصدق والمناصحة.»

وحلف بطلاق صاحبته أخت أبى منصور وبالأيمان المغلظة إن كان عرف خبر أبى منصور فيما عمل عليه من الهرب أو شاوره فيه.

فسكن منه صمصام الدولة وخاطبه بما طابت نفسه به وانصرف من بين يديه وقد زال إشفاقه وخوفه.

وحضر من الغد ابن سعدان وأشار إلى أبى القاسم عبد العزيز فى هرب [146] أبى منصور فى أثناء كلامه إشارة لم يتقبلها منه صمصام الدولة وقال:

ـ «أبو القاسم برىء من هذا الأمر ولا علقة له فيه.»

فأمسك حينئذ ابن سعدان وزادت العداوة بينهما وجدّ أبو القاسم فى إفساد حال ابن سعدان حتى تمّ له القبض عليه والإنتصاب فى مكانه حتى يأتى شرح ذلك من بعد بإذن الله تعالى.

ودخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة

وفيها شرف فخر الدولة من حضرة الطائع لله بالخلع السلطانية والعهد واللواء وزيادة اللقب وسلّم جميع ذلك إلى أبى العلاء الحسن بن محمد بن سهلويه رسول فخر الدولة.

شرح ما جرى عليه الأمر فى ذلك

لمّا توفّى مؤيد الدولة وانتصب فخر الدولة في موضعه شرع أبو عبد الله ابن سعدان فى إصلاح ما بين صمصام الدولة وبينه، وكاتب الصاحب أبا القاسم ابن عباد فى ذلك.

وتردّد بينهما ما انتهى إلى ورود أبى العلاء ابن سهلويه للسفارة فى التقرر وتنجز الخلع السلطانية لفخر الدولة [447] فأكرمه أبو عبد الله ابن سعدان إكراماً بالغ فيه وأقام له من الأنزال وحمل إليه من الأموال ما جاوز به حدَّ مثله.

واتصلت مدة مقامه من المكاتبات ما دلّ على إظهار المشاركة بين الجندين فى كل تدبير وتقرير وتجديد السنَّة التى كانت بين الإخوة عماد الدولة وركنها ومعزّها من الاتفاق والألفة.

وسدَّى الصاحب فى ذلك قوله وألحم، وأسرج فيه عزمه وألجم، حتى أنّه كان لا يجرى أمر ولا بال بحضرة فخر الدولة إلّا كتب به مساهماً ولا يعرف حالاً يتعلق بمصلحة صمصام الدولة إلّا أشار بها مناصحاً.

فمن جملة ما كتب الصاحب بشرحه إلى الحضرة

ذكر وصول أبى سعيد أحمد بن شبيب صاحب جيش خوارزم رسولاً من

أمير خراسان متحملاً من الرسالة ألطف الأقوال وورود كتب أبى [العباس] تاش[١] مشتملة من القرب والإخلاص على أجمل الأقوال وأنّ الخطاب دارّ مع الرسول الوارد فى الصلح على قواعد أوّلها طاعة الخلافة. فهى التى لا دين إلّا بها ولا دنيا إلّا معها. ثمّ أن لا يفرج لهم عن شيء من هذه [148] البلاد ولا يكون منهم فى باب قابوس قول أو فعل فى معونة وإسعاد وأن يُردّ إلى بخارا ويستخدم فى أبعد الأطراف وأن يقتصر على المال المبذول الذى يجرى مجرى المعونة من أمير المؤمنين لهم على ما أسند[٢] إليهم من الثغور وأنّه قد أخرج مع الرسول العائد أبو سعد صالح بن عبد الله. فإذا استتب التقرير واستحصف العقد أنفذت نسخته على شروطه إلى بغداد حسب ما يقتضيه التمازج بين الحضرتين.

ومما نطقت به الكتب من المشورة والرأى

الحثّ على استمالة الأمير أبى الحسين واستخلاص طاعته وأنّ فخر الدولة قد راسله وخاطبه فى ذلك بما يجرى مجرى التقدمة والتوطئة ومتى أريد التكفل بالتمام فهو على غاية الطاعة.

وقد أثبت على الدينار والدرهم اسم فخر الدولة وكتب من البصرة بإقامة الدعوة كما أقامها بالأهواز وليس يتجاوز ما ينهج له ولا يتعدّى ما يحكم به. والصواب طلب التوازر والتعاطف وترك التباين والتخالف. ولا يقال هذا إلّا من طريق ابتغاء المصالح لصمصام الدولة وجمع الأهواء [149] المتفرقة إليه وردّ القلوب النافرة عليه.

ثمّ لمّا طال مقام ابنى سهلويه وتمادت به الأيّام ساء ظنّ فخر الدولة

---

١. ليراجع التاريخ اليمينى ١: ١٣٤ (مد).

٢. فى الأصل: سدّ. والإقتراح بقرينة «إليهم».

والصاحب ووردت كتب على ابن سعدان بالمعاتبة. وكان السبب فی تـأخر ذلك خطبُ باد واتساع الخرق فيه وشغل ابن سعدان به عن كل أمر ينجزه وارب يقتضيه.

فلمّا ورد الخبر بهزيمة باد واستقرّ الأمر فی ذلك وأسفر الخطب عن المراد كما قد تقدم ذكره، خلا درع ابن سعدان وخوطب الطائع لله على ما يجدّده لفخر الدولة من الخلع السلطانية فأجاب.

وجلس على العادة فی أمثالها وحضر أبو العلاء الرسول وأحضرت الخلع السبع والعمّة السوداء والسيف والطوق والسـواد واللـواء والدابّـتان بـمركبی الذهب وقرئ العهد بتولية الأعمال التی فی يده وأضيف الى لقبه الأول فلك الأمّة وسُلّم جميعه إلى أبی العلاء.

وضُمّ إليه أبو عبد الله محمد بن موسى الخازن وخـرجـا إلى جـرجـان وسلّما ذلك وعادا وأقام أبو العلاء برسم النيابة عن فخر الدولة بالحضرة إلى آخر أيام صمصام الدولة.

وفی هذه السنة ورد كتاب أبی بكر محمد بـن شـاهويه مـبشّراً بـإقامة الدعوة لصمصام الدولة بعمان [150].

ذكر ما جرى عليه الأمر بعُمان إلى أن عادت إلى شرف الدولة

كان المتولی بها فی الوقت أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن[1] من قبل شرف الدولة فمازال ابن شاهويه يفتل له فی الذروة والغارب حتى أماله إلى الحملة وأزاله عما كان عليه من الإنحياز إلى شرف الدولة.

١. وفي الاصل «الحسين» وهو غلط.

وكان صغوه مع من ببغداد لكون أبي علي الحسن ولده بها فجمع الأولياء والرعية بعمان على طاعة صمصام الدولة وخطب له على منابر تلك الأعمال.

ووصل الخبر إلى بغداد فأظهرت المسرة وجلس صمصام الدولة للتهنئة وكتب كُتب البشائر إلى أصحاب الأطراف على العادة وأنفذ إلى أستاذ هرمز العهد بالتقليد مع الخلع والحملان.

وأحضر ابنه أبو علي الحسن وخلع عليه ونقله من رتبة النقابة إلى رتبة الحجبة.

ولمّا عرف شرف الدولة عصيان أستاذ هرمز أخرج إليه أبا نصر خواشاذه في عسكر استظهر فيه ووقعت بينهما وقعة أجلت عن ظفر أبي نصر وحصول أستاذ هرمز أسيراً تحت اعتقاله واستيلائه على رجاله وأمواله.

وعند بلوغ أبي نصر ما أراده من ذلك [151] رتّب بعمان من يراعيها ويشحنها بمن يحميها وعاد إلى فارس ومعه أستاذ هرمز فشهر بها ثم قرّر عليه مالاً ثقيلاً وحمل إلى بعض القلاع مطالباً بتصحيحه.

وفي هذه السنة أفرج شرف الدولة أبو الفوارس عن أبي منصور محمد بن الحسن بن صالحان وعن أبي القاسم العلاء بن الحسن وعن أبي الحسن الناظر أخيه واستوزر أبا منصور من بينهم وردّ الأمور إلى نظره.

ذكر ما جرى عليه الأمر في اعتقالهم والإفراج عنهم والتعويل على أبي منصور في الوزارة

ولمّا وصل شرف الدولة أبو الفوارس إلى شيراز قبض على نصر بن هارون كما تقدّم ذكره واستوزر أبا القاسم العلاء بن الحسن فقصر أبو القاسم في أمور الحواشي والخواص وهم أفسدوا رأي شرف الدولة فيه وأغروه به

وبأخيه أبى الحسن الناظر على سخيمة كانت فى نفس فخر[١] الدولة على أبى الحسن فقبض بعد مدة يسيرة عليهما وعلى أبي منصور محمد بن الحسن ابن صالحان معهما وأمر بحملهم إلى بعض القلاع.

وردّ النظر إلى أبى محمد [152] على بن العباس بن فسانجس وإلى[٢] أبى الحسن محمد بن عمر العلوى فإنّه أشار به للمودة البغدادية التى جمعتهما وعوّل على أبي منصور فى الوزارة من بينهم فاتفق له بالعرض ما صار سبباً لثباته فيها.

ذكر اتفاق حميد صار سبباً لثبات قدَم

حكى أبو محمد[٣] ابن عمران أنّ شرف الدولة أنفذ رسولاً إلى القرامطة. فلمّا عاد الرسول من وجهه سأله عن مجارى الأحوال، فقال له فى جملة الأقوال:

ـ «إنّ القرامطة سألونى عن الملك فوصفت لهم حسن سياسته وجميل سيرته. فقالوا: من حسن سيرة الملك أنّه استوزر فى سنة واحدة ثلاثة لغير ما سبب.»

فحصل هذا القول فى نفس شرف الدولة ولم يغيّر على أبى منصور أمراً وبقى فى خدمته إلى أن توفّى.

وأما أبو الحسن الناظر فإنّه أنفذ إلى جرجان برسالة وتوفّى بها.

وأما أبو القاسم العلاء فإنّه أقام فى داره إلى أن خرج شرف الدولة إلى الأهواز فخرج معه على ما [153] سيأتى ذكره فى موضعه.

---

١. لعله يريد شرف الدولة (مد).

٢. وفى الأصل: ابن.

٣. لعله: أبو الحسن محمد (مد).

وفي هذه السنة قبض على أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان ومن يليه وعلى أبي سعد بهرام وأبي بكر بن شاهويه وسائر أصحابهم ونظر أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف في الأمور ودبّرها مديدة.

ودخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمائة

فيها شورك بين أبي القاسم وبين أبي الحسن أحمد بن محمد بن برمويه في الوزارة وتنفيذ الأمور وخلع عليهما جميعاً.

شرح الحال فيما جرى عليه أمر هذه الوزارة المشتركة

كانت الحال فيما بين أبي القاسم وبين أبي الحسن بن برمويه ثابتة على الإخاء جائزة على الصفاء، وكانا يتجاوران في منازلهما ويتزاوران في مجالسهما، فهما أبدا عاكفان إمّا على معاشرة وإمّا على مشاورة.

فلمّا توفّى أبو الحسن علي بن أحمد العماني كاتب والدة صمصام الدولة سعى أبو عبد الله ابن سعدان لأبي نصر والده في كتابتها فعمل أبو القاسم عبد العزيز في [154] عكس ذلك للعداوة التي بينهما.

ذكر كلام سديد لعبد العزيز بن يوسف
في تحذير صمصام الدولة من الحجر عليه

قال له: إنّ أبا عبد الله قد استولى على أمورك وملك عليك خزائنك وأموالك وإذا تمّ له حصول والده مع السيدة حصلنا تحت الحجر معه وهذا أبو الحسن ابن برمويه رجل قد خدم عضد الدولة وهو أسلم خبيّة وأطهر

أمانة وأليق خدمة للحرم[١] لأنّه كان خصيّاً خصاه [ابن] الياس[٢] واشتراه عضد الدولة من البلوص عند حصوله في أسرهم.

فوقّر هذا القول في سمع صمصام الدولة وقبله وقلّد أبا الحسن كتابة والدته.

فلمّا نظر أبو القاسم بعد أبي عبد الله ابن سعدان استخلف أبا سعد الفيروزاباذي وأبا عبد الله ابن الحسين بن الهيثم. فاستوحش أبو الحسن ابن برمويه بعدوله عنه بعد أن قدّر أنّ الأمور تكون مفوضة إليه للحال التي بينهما. فواصله أياماً على رسمه ثم انقطع عنه وصار يجتاز ببابه ولا يدخل إليه.

وشرع مع والدة صمصام الدولة في طلب الأمر لنفسه فتغيّر أبو القاسم [155] عليه واعتقد كل واحد منهما عداوة صاحبه.

ذكر رأي ضعيف أشارت به والدة صمصام الدولة عليه فعمل به

خاطبته على أن يجمع بين أبي القاسم وبين أبي الحسن في الوزارة فأجلبها إليه وخوطب أبو القاسم في ذلك فامتنع. وجدّت السيدة في الأمر وتردد من الخطاب ما انتهى آخره إلى إلزامه الرضا[٣] به فخلع عليهما وسوى في الرتبة والخطاب بينهما وجلسا جميعاً في دست واحد في دست الوزارة المنصوب، وتقرّر أن يكون اسم أبي القاسم متقدماً في عنوانات الكتب عنهما.

---

١. والمثبت في مد: الحرم.

٢. هو اليسع بن محمد بن الياس وكان انهزم إلى خراسان بعد استيلاء عضد الدولة على قلعة بردسير في سنة ٣٥٧ كما تقدّم ذكره.

٣. كذا في مد: الرضاء (بالمدّ).

فلم يتمّ ذلك واستعلى أبو الحسن بقوة سرّه واستظهاره بعناية السيدة بـه وخوف الناس منه، وصار الأمر سخيفاً بهذا الرأى الضعيف.

والدولة إذا كفلها النساء فسدت أحوالها ووهنت أسبابها وبـدأ اخـتلالها وولّى اقبالها والأمر إذا ملكته انتقضت قواه وانـهدم بـناه ولم تـحمد عـقباه والرأى إذا شاركن فيه قلّ سداده وضلّ رشاده وعند ذلك يكون الفساد إلى الأمور أسرع من السيل إلى الحدور.

لاجرم أنّ أبا القاسم احفظه ذلك وما عاملته السيدة [156] من نصرة أبى الحسن عليه و[لمّا] رأى أنّ أبا الحسن أشدّ بـطشاً فـى عـداوتـه مـن ابـن شهراكويه[1] شرع فى إخراج الملك من يدى صمصام الدولة واستغوى أسفار بن كردويه ووافقه على ذلك.

ذكر ما جرى عليه الأمر فى عصيان أسفار

كان قد تردّد بين صمصام الدولة وبين زيار بن شهراكويه أسـرار اطّـلع عليها أبو القاسم بحكم امتزاجه بالخدمة وخرج بها إلى أسفار وخـاض فيها الغمرات وأشعر قلبه وحشةً أخرجته من أنس الطاعة.

وتقرّر بينهما فى ذلك ما أحكما عقده ودخل معهما فى هذا الرأى المظفر أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وأبو منصور أحمد بن عـبيد الله الشيرازى كاتب الطائع يومئذ وقد كان صمصام الدولة اعتلّ علة أشفى فيها. فواقف أسفار أكابر العسكر وأصاغرهم عـلى خـلع صـمصام الدولة وإقـامة الأمير أبى نصر ـ وسنّه فى الوقت خمس عشرة سنة ـ خليفة لأخيه شرف الدولة ووعدهم بمواعيد الاحسان واستظهر عليهم بمواثـيق الأيـمان وابـتدأ

---

١. وفى الاصل: ابن شهران.

الفتنة بالتأخّر عن الدار واستعمال التخبّى[١] وترددت [157] اليه من صمصام الدولة مراسلات التأنيس والتسكين فما زادته إلّا إغراء وتغميراً.

فصار إليه أبو القاسم عبد العزيز وأبو الحسن ابن برمويه وأبو الحسن ابن عمارة العارض برسالة من صمصام الدولة هى ألطف ممّا تقدم.

فلمّا حصلوا عنده امتنع من لقائهم وقبض عليهم وجمع العسكر وأحضر الأمير أبا نصر ونادى بشعار شرف الدولة وأفرج عن أبى القاسم لأنّ القبض عليه كان بموافقة منه واجتمعوا على تدبير الأمور وترتيبها، وتولّى المظفر بن الحسن بن حمدويه وأبو منصور الشيرازى أخذ البيعة على الجند.

وبلغ صمصام الدولة الخبر وقد أبلّ من مرضه، فتحير فى أمره وجمع غلمان داره وراسل الطائع لله فى الركوب، فاستعفى وامتنع منه.

ذكر رأى سديد واتّفاق حميد اتّفقا لصمصام الدولة أسفر بهما الأمر عن الظفر

لمّا رأى الخطب معطّلاً استنصر فولاذ بن ماناذر[٢] مستصرخاً وبذل له المواعيد الكثيرة على ذلك وكان فولاذ مع القوم فيما عقدوه لكنّه أنف من بعد رتبة الانحطاط لأسفار عن رتبة المتابعة.

وكان من [158] حميد الإتّفاق إطلال المساء وحجاز الليل، ولو سار أسفار فى الوقت الذى أظهر فيه ما أظهره الى صمصام الدولة لأخذه ولم يكن له دافع عنه لكنّه ظنّ أن لن يفوته الأمر وكان قدراً مقدوراً.

فأصبحوا وقد خالفهم فولاذ وانحاز إلى صمصام الدولة فحضر لديه وأكّد

١. والمثبت فى مد: التخبيّ.

٢. وفى الأصل: ماناذار. هو ملك الديلم وابنه مولاذ مذكور مع الصاحب ابن عباد: ارشاد الأريب ٢: ٣٠٥.

العهد والعقد عليه وتنجّز منه توقيعاً بجميع ما التمسه من جهته وتكفّل له بالذبّ عن دولته والقيام بخدمته.

وانضاف إلى صمصام الدولة فولاذ ورجاله والجيل وهم أقاربه وأخواله وغلمان داره وعدّتهم كثيرة وشوكتهم قويّة ففتح خزانتي السلاح والمال وعجّل لهم وأعطاهم ووعدهم من بعد ومنّاهم وسار بهم فولاذ مصعداً للقاء القوم.

ذكر تدبير جيد دبّره فولاذ في أمر الحرب

نزل إلى زبزب صمصام الدولة وجلس على كرسيّه في دسته وعلى رأسه علامته ومن ورائه وأمامه الزبازب والطيارات، حتى ظنّ النّاس أنّ صمصام الدولة قد خرج بنفسه. وسير العسكر بإزائه على الظهر. فلمّا انتهى إلى الجزيرة بسوق يحيى وجد الجيل وعدّتهم قليلة يقاتلون ديلم أسفار[1] وقد [159] ثابتوهم وصابروهم.

فصعد من الزبزب وعبّى المصاف، وسار قليلاً قليلاً حتى صدم عسكر أولئك ـ وعندهم أنّ تحت العلامة صمصام الدولة ـ فانكسروا.

ورآهم أسفار من روشنه مولّين فأيقن بالهزيمة، فركب وولّى هارباً، وتبعه طائفة من أقاربه وشيعته وأبو القاسم عبد العزيز، وأفلت أبو الحسن ابن عمارة العارضي جريحاً وأُخذ الأمير أبو نصر وحمل إلى صمصام الدولة.

فرقّ له لما شاهده وعلم أنّه كان لا ذنب له فلم يؤاخذه وتقدّم باعتقاله وترفيهه فكان في الخزانة محروساً مراعي.

ونهبت دور الديلم والأتراك العاصين ودور أتباعهم وأشياعهم.

---

١. أسفار: لعلّ أصله الفارسي «الأسوار»: الفارس. عُرِّبت الواو فيه إلى الفاء.

وقتل في الليلة التي وقعت في صبيحتها الهزيمة أبو عبد الله ابن سعدان.

ذكر مكيدة لعبد العزيز في أمر ابن سعدان صارت سبباً لقتله

لمّا قبض أسفار على أبي القاسم وأبي الحسن ابن برمويه وأبي الحسن ابن عمارة انتهز أبو القاسم الفرصة وأرسل في الحال إلى صمصام الدولة يغريه بابن سعدان ويوهمه أنّ الذي جرى كان من فعله وتدبيره وأنّه لا يؤمن ما يتجدّد [160] منه في محبسه فسبق في هذا القول إلى ظنّه.

وكان أحمد بن حفص المحرى عدوّاً له فزاد بالإغراء به فأمر حينئذ بقتله وقُتل معه أبو سعد بهرام على سبيل الجرف وقد كان خليفته وقت نظره وقُتل أبو منصور غيظاً لأبي القاسم.

قال الله تعالى: «واتّقوا فتنةً لا تُصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّةً.»[1]

وكان أبو بكر ابن شاهويه معتقلاً فسلم لحسن اتّفاق.

ذكر اتّفاق عجيب سلم به ابن شاهويه من القتل

كان محبوساً في حجرة تتصل بالحجرة التي فيها هؤلاء، لكن بابها خلف الأخرى فإذا فتح ذلك غطّى هذا فلا يُؤبَهُ له. فانستر لهذه العلّة وسكنت سورة الفتنة فأفرج عنه من بعد.

وأطلق أبو الريّان حمد بن محمد من الإعتقال وعوّل عليه في الوزارة وعلى أبي الحسن علي بن طاهر في كتابة السيدة، وكتب الكتب بذكر البشارة إلى فخر الدولة وسائر الأطراف وقبض على أخوى أبي القاسم وكتّابه

---

١. س ٨ أنفال: ٢٥.

وأصحابه.

وكان المظفر أبو الحسن ابن حمدويه وأبو منصور الشيرازى هرباً من دار أسفار يوم الهزيمة فظفر بهما وقرّر أمرهما [161] على مال صودرا عليه.

وخلع الطائع لله على صمصام الدولة وجدّد له تشريفاً وإكراماً وخلع على أبي نصر فولاذ بن ماناذر الخلع الجميلة وخوطب بالإصفهسلارية[١] بعد أن استحلف على الوفاء والمناصحة.

ومضى أسفار بن كردويه وأبو القاسم ومن معهما إلى الأهواز مغلولين.

ذكر ما جرى عليه أمر أسفار وعبد العزيز بن يوسف والأتراك الخارجين من بغداد

خرجوا من بغداد إلى جسر النهروان وساروا إلى الأهواز. فلمّا حصلوا بها تلقّاهم الأمير أبو الحسين وأرغبهم فى المقام. فأمّا الأتراك فإنّهم أظهروا الموافقة وأسرّوا غيرها، ثم ركبوا في بعض الأيّام غفلة وساروا.

فتقدّم الأمير أبو الحسين إلى سابور بن كُردويه يتتبعهم وردّهم فركب وراءهم ولحقهم بقنطرة أرْبَق[٢] فلم يكن له بهم طاقة وجرت بينهم مناوشة ورموه فأصابوا بعض أصحابه ومضوا هم وعاد هو.

وأما أسفار بن كردويه فإنّه أقام بالأهواز مكرماً وكان أخوه سابور زعيم [162] الجيش فقدم عليه أسفار لكبر سنّه وجلالة قدره وأقام على ذلك إلى أن أقبل شرف الدولة من فارس، فأنفذه الأمير أبو الحسين إلى عسكر مكرم لضبطها فى خمسمائة رجل من الديلم. فلمّا حصل شرف الدولة

---

١. الإصفَهْسَلاريّة: قيادة الجيش، رئاسة الجيش. وأصله الفارسي: «سپاه» أي الجيش أو العسكر، و«سالار» أي الرئيس والقائد.

٢. أربق: ويقال بالكاف: أربك. من نواحي رامَهُرمُز من خوزستان (مراصد الإطلاع).

بالأهواز صار أسفار إليه، فأمر بالقبض عليه وحمل إلى بعض القلاع بفارس. وكان بها إلى أن توفي شرف الدولة وأفرج عنه عند الإفراج عن صمصام الدولة وأقام بفارس مديدة ومضى إلى الريّ.

وأمّا أبو القاسم عبد العزيز، فإنّ أبا الفرج منصور بن خسره تكفّل بأمره وأعظم منزلته وعرف له حق تقدّمه فجازى أبو القاسم إحسانه بسوء النيّة فيه وحدّث نفسه بطلب مكانه وألقى ذلك إلى بعض من عوّل عليه فيه. فأحسّ أبو الفرج واستظهر لنفسه بالتوثيق من الأمير أبي الحسين ومن والدته باليمين على إقراره في نظره وترك الإستبدال به.

ولم يزل يتوصّل حتى غيّر نيّة الأمير أبي الحسين في أبي القاسم ونقصه في المنزلة التي كان أنزله ايّاها في ابتداء وروده واطّرح الرجوع في شيء من الأمور إلى رأيه «وجزاء سيئة سيئةٌ مثلها»[1] والبادئ أظلم.

وبقى على هذه الحال إلى أن ورد شرف الدولة فقبض عليه مع أسفار وأنفذ إلى القلعة وأفرج عنه بعد وفاته.

ورود إسحق وجعفر الهجريّين

وفي هذه [163] السنة ورد إسحق وجعفر الهجريان في جمع كثير وهما من القرامطة الستّة الذين يلقّبون بالسادة. فملكا الكوفة وأقاما بها الخطبة لشرف الدولة.

فوقع الإنزعاج الشديد من ذلك بمدينة السلام لما كان قد تمكّن في قلوب الناس من هيبة هؤلاء القوم وقوّة بأسهم ومسالمة الملوك لهم لشدّة

---

١. س ٤٢ الشورى: ٤٢.

مراسهم حتى إنّ عضد الدولة وعزّ الدولة قبله أقطعاهم إقطاعات بواسط وسقى الفرات. فكانت مآربهم تقضى ومطالبهم تُمضى وأبوبكر ابن شاهويه صاحبهم يجرى بالحضرة مجرى الوزراء في حاله، والإصغاء من الملوك راجع إلى أقواله، وأكابر الناس يخشونَهُ مجتملين لكبره منقادين لأمره، ولا سبب إلّا اعتزاؤه إلى هؤلاء القوم.

ذكر ما جرى عليه أمر اسحق وجعفر القرمطيّين

لما ورد الخبر باستيلائهما على الكوفة بدأهما أبو الريان بالمكاتبة وسلك معهما طريق الملاطفة والمعاتبة ودعاهما إلى الموادعة والمقاربة وبذل لهما ما يحاولانه. وعوّل على أبي بكر ابن شاهويه في[164] الوساطة معهما وكان قد أطلقه من الإعتقال وتلافى بالاحسان إليه والإجمال. فعدلا في الجواب الى التعليل والتدفيع، وجعلا ما كان من القبض على ابن شاهويه حجّة في اللوم والتقريع، وزاد الخطب معهما في بثّ أصحابهما في الأعمال ومدّ أيديهما الى استخراج الأموال، حتى لم يبق للصبر موضع ولا في القوس منزع.

وحصل المعروف بأبي قيس الحسن بن المنذر وهو وجه من وجوه قوّادهم بالجامعين في عدد كثير، فجرّد إليهم من بغداد أبو الفضل المظفر بن محمود الحاجب في عدّة من الديلم والأتراك والعرب وأخرج أبو القاسم ابن زعفران إلى ابراهيم بن مرح العقيلي لتسييره في طائفة من قومه.

وحصل أبو الفضل الحاجب بجسر بابل والقوم بإزائه فعقدوا جسراً على الفرات. فالى أن فرغ منه وصل ابراهيم وابن زعفران وحصلا مع القرامطة على أرض واحدة وتناوشوا وتطاردوا وفرغ الجسر وعبر سرعان الخيل من الأتراك وفرسان الديلم وحملوا مع ابراهيم بن مرح وأصحابه على القوم

حملة واحدة انكشفت عن هزيمتهم وأسر أبو قيس زعيمهم مع جماعة من قوّادهم وأسرع إليه ابراهيم بن مرح، فضرب عنقه لثأر له عنده. وعاد الفلّ إلى الكوفة. وجاء البشير إلى بغداد فأظهرت البشارة بها.[165]

ذكر ما كان من القرمطيّين بعد قتل أبي قيس صاحبهما

لمّا عاد الفلّ إليهما هزّتهما الحميّة ـ وللقرامطة نفس أبيّة ـ فجهّزا جيشاً جعلا عليه قائداً من خواصّهما يعرف بابن الجحيش واستكثروا معه من العُدّة[1] والعدّة، ووصل الخبر بذلك إلى بغداد فأخرج أبو مزاحم بجكم الحاجب في طوائف من العسكر وعبر إلى القوم وهم بغربي الجامعين وواقعهم وقعة أجلت عن قتل ابن الجحيش وأسر عدد من قوّادهم وانتهاب معسكرهم وسوادهم ونجا من نجا منهم هارباً إلى الكوفة. فرحل القرمطيان فيمن تخلّف عندهما وولّوا أدبارهم.

ودخل أبو مزاحم الكوفة وقصّ آثارهم حتى بلغ القادسية، فلم يدركهم وعاد إلي الكوفة. وزالت الفتنة وبطل ناموس القرامطة عند ذلك وذهبت الهيبة التي اشرأبّت النفوس منها.

ولكلّ قوم سعادة تجري إلى أجل معدود وتنتهي إلى أمل محدود ثم تعود إلى نقصان وزوال وتغيّر من حال إلى حال، إلّا سعادة الدين فإنّها إلى نماء، فإذا انفصلت من دار الفناء[166] اتصلت بدار البقاء.

وفي هذه السنة أفرج عن ورد الرومي ومن معه من الأسرى بسفارة زيار بن شهراكويه.

---

١. والمثبت في مد: العُد.

شرح ما جرى عليه أمر ورد في الإفراج عنه وإصعاده إلى بلد الروم

قد تقدّم ذكر القبض عليه في أيام عضد الدولة وبقي في الإعتقال إلى هذا الوقت فسفر زيار في إطلاقه وخاطب صمصام الدولة على اصطناعه فاشترطت عليه وله شروط وتوثّق منه فيها ووثق له على الوفاء بها.

وأمّا ما اشترط عليه فهو أن يعترف لصمصام الدولة بالصنيعة ويكون حرباً لمن حاربه سلماً لمن سالمه من المخالفين في الدين والموافقين عليه وأن يفرّج عن جماعة المسلمين بين من أحاطت ربقة الأسر برقابهم[١] أو طالت يد الحصر في أعناقهم ويعينهم على النهوض إلى بلادهم وحراستهم على طبقاتهم في نفوسهم وأموالهم وحرمهم وأولادهم، وأن لا يجهّز جيشاً إلى ثغر ولا يغضي العين لأحد من أصحابه في مثل ذلك على غدر، وأن يسلم سبعة من حصون الروم برساتيقها ومزارعها آهلة عامرة [167] وأن يفي بقيّة ما عاش بجميع ما قرّر معه واشترط عليه.

وأمّا ما شرط له فالتخلية عن سبيله وحمايته من الأيدي الخاطفة حتى يخرج هو ومن في صحبته موفورين من البلاد التي تضمّها مملكة صمصام الدولة وأن يكون أمر الحصون إذا سلّمها مجرى العادة المستمرّة في حراسة أهلها وإقرارهم علي أملاكهم وحقوقهم وإجرائهم في المعاملات والجبايات[٢] علي رسومهم وطقوسهم[٣].

واستوثق من أخيه قسطنطين ومن ابنه أرمانوس بمثل ما استوثق منه

---

١. والمثبت في الأصل: بأرقابهم.

٢. وفي الأصل : والجنايات.

٣. والمثبت في مد: طسوقهم.

وكتب بذلك كتب وسجلّات استؤذن الخليفة الطائع لله فى إمضائها فأذِن فيها وأمر بإحكام قواعدها ومبانيها.

فلمّا استقرّت القاعدة أفرج عنه وحمل إليه مال وثياب وجلس صمصام الدولة للقائه.

ذكر ترتيب جلوس صمصام الدولة بحضور وَرْد

قال صاحب التاريخ: عهدى بصمصام الدولة وجلس حتى يلقاه وَرْد ويشاهده ويخدمه ويشكره وقال: كان الوقت شتاء والدار ومجالسها مملوءة بالفرش الجليلة وستور الديباج النسيجة معلقة على [168] أبوابها وغلمان الخيل بالبزّة الحسنة والأقبية الملّونة وقوف سماطين بين يدى سدّته وكانت قد نصبت فى السَّدلِيّ الذهب الذى تفتح أبوابه إلى البستان وإلى بعض الصحن، والديلم من بعدهم على مثل ترتيبهم وزيّهم إلى دجلة.

وعبر ورد وأخوه وابنه فى زبزب أنفذ إليهم يمشون بين السماطين إلى حضرة صمصام الدولة وبحضرته كوانين من ذهب موضوعة فيها قطع العود توقد. فلمّا قرب منه ورد طأطأ رأسه قليلاً وقبّل يده، ووضع له كرسى ومخدّة فجلس عليهما.

وسأله صمصام الدولة عن خبره فدعا له وشكره بالروصيّة[١] والترجمان يفسّر عنه وله. وقال قولاً معناه:

ـ «قد تفضلت أيها الملك ما لا أستحقّه وأودعت جميلاً عند من لا يجهله، وأرجو أن يعين الله على طاعتك وتأدية حقوق فعلك.»

وقام ومشى الحجّاب والأصحاب بين يديه كفعلهم عند مدخله وعبر فى

١. كذا: بالروصيّة. وفى المواطن الآتية: الروسيّة.

الزبزب إلى داره.

ذكر ما جرى عليه أمر ورد
بعد إصعاده من بغداد [169]

لمّا توجّه تلقاء بلده استمال كثيراً من البوادى وأطمعهم فى العطاء والإحسان وأخذ فى المسير حتى نزل على ملطية وبها كليب عاملاً لملكى الروم عليها وكليب من أصحاب ورد ـ كما قد تقدّم ذكره فى المشروح الذى وجد بخط ابن شهرام ـ فأطاعه وحفظ عهده وسلّم إليه ما كان معدّاً عنده فلمّ به شعثه وقوى به حزبه وعمل على المسير إلى ورديس بن لاون مظهراً حربه.

فتردّدت بينهما رسائل انتهت إلى تقرير قاعدة في الصلح على أن يكون قسطنطينية وما والاها من جانبها لورديس بن لاون وما كان من الجانب الآخر من البحر لورد واتّفقا بعد توكيد الأيمان بينهما على الإجتماع.

وسار كل واحد منهما للقاء صاحبه فاجتمعا على ميعاد، فلمّا تمكّن منه ابن لاون قبض عليه.

ذكر غدر ورديس بن لاون بورد وقبضه عليه
ثم مراجعته الحسنى بالإفراج عنه

كان ورد قد وثق بما أكّده من العهود التى اطمأنّ إليها واعتقد ورديس [170] بالبديهة أنّه فرصة قد قدر عليها فغدر به وقبض عليه وحمله إلى بعض القلاع.

فلمّا راجع رويته علم أنّه أقدم على خطّة شنعاء تبقى عليه سمة الغدر وتجلب إليه وصمة في الذكر وأجرى إلى فعله نكراً ينفر كلّ قلب عن

معاهدته ويحمل كل قريب على مباعدته. فاستدرك الأمر بتعجيل الإفراج عنه والإعتذار إليه وتجديد المواثيق معه، فعادا إلى ما كانا عليه من الألفة والاتّفاق ودفعا أسباب الفرقة والشقاق.

وانصرف ورديس فنزل بإزاء قسطنطينية منازلاً لباسيل وقسطنطين ملك[1] الروم، وقد اجتمعت الكلمة عليه وانضوى العساكر وأهل البلاد إليه، وبقى الملكان فى قلّ من الناس متحصّنين بالمدينة وبحصينها.

ذكر تدبير لملكي الروم عاد به أمرهما إلى الاستقامة بعد الإضطراب

لمّا انتهت الحال منهما إلى الضعف راسلا ملك الروسية واستنجداه. فاقترح عليهما الوصلة بأختهما، فأجاباه إلى ذلك وامتنعت المرأة من تسليم نفسها إلى من يخالفها في دينها. وتردد من الخطاب في ذلك ما انتهى إلى [دخول] ملك الروسية فى النصرانية وتمّت الوصلة معه وهديت المرأة [171] إليه فأنجدهما من أصحابه بعدد عديد وهم أولو قوّة وأولو بأس شديد.

فلمّا حصلت النجدة بقسطنطينيّة عبروا البحر فى السفن للقاء ورديس وهو يستقلّهم فى النظر ويهزأ بهم: كيف أقدموا على ركوب الغرر. فما هو إلّا أن وصلوا إلى الساحل وحصلوا مع القوم على أرض واحدة حتى نشبت الحرب بينهم واستظهر فيها الروسية وقتلوا ورديس وتفرّقت جموع عساكره.

وثاب أمر الملكين إلى الاستقامة والاعتدال واشتدّ ملكهما بعد التضعضع والإنحلال وراسلا ورداً واستمالاه وأقرّاه على ولايته. فأقام على جملته

---

١. الصواب: ملكى.

مديدة ثم توفّى وقيل: إنّه سُمّ.

وتقدّم بسيل[١] في الملك وظهر منه حسن سياسة وأضاء له رأى وقوة عزم وثبات قلب، حتى إنّه صبر على قتال بلغر خمساً وثلاثين سنة يواقعهم ويواقعونه والحرب [لم تزل] بينهم حتى ظفر بهم وملك ديارهم وأجلى عنها الجمّ الغفير منهم وأسكنها الروم بدلاً عنهم.

وشاع ذكره فى عدله ومحبّته للمسلمين وطال عهده[٢] فى بلادهم وملكه بالكفّ عن بلادهم وإحسان معاملته مع من يحصل فى ممالكه منهم.

وفى هذه السنة همّ صمصام الدولة بأن يجعل على الثياب الأبريسميّات والقطنيّات [172] التى تنسج ببغداد ونواحيها ضريبة العشر فى اتمامها.[٣]

ذكر السبب فى ذلك

كان أبو الفتح الرازى كثّر ما يحصل من هذا الوجه وبذل تحصيل ألف ألف درهم منه في كلّ سنة.

فاجتمع الناس بجامع المنصور وعزموا على المنع من صلاة الجمعة وكان المدن تفتتن، فأعفوا من إحداث هذا الرسم.

فتوى الخوارزمى الفقيه في انتحار المعذّب

وفيها مات أبو العباس ابن سابور المستخرج تحت المطالبة بالتعذيب والمعاقبة. فقيل: إنّه عرضت فتوى على أبى بكر الخوارزمى الفقيه مضمونها:

---

١. بسيل = باسيل.

٢. والمثبت فى مد: أعده.

٣. في الأصل: اتمامها.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ـ «ما يقول الشيخ في رجل مطالب معاقب قد تردّدت عليه مكاره هوّنت عليه الموت، هل له فسحة في قتل نفسه وإراحتها مما تلاقيه.»

فكتب في الجواب:

ـ «إنّه لا يجوز ولا يحلّ فعله، والصبر على ما هو فيه أدعى إلى تضاعف ثوابه وتمحيص ذنوبه.»

فلمّا انصرف حاملها، قال بعض الحاضرين لزهير بن أبي بكر:

ـ «هذه فتوى ابن سابور المستخرج.»

قال أبو بكر:

ـ «رُدّوا حاملها.»

فردّوه، فسأله عنها، فأخبر أنّها لابن سابور فقال أبو بكر:

ـ «قل له: إن قتلت نفسك أو أبقيت عليها [173] فعاقبتك إلى الخسارة ومصيرك إلى النار.»

حركة شرف الدولة من فارس طالباً العراق

وفيها اتصلت الأخبار بحركة شرف الدولة[١] من فارس طالباً للعراق. فأخرج إليه أبو عبد الله محمد بن علي بن خلف رسولاً وسفيراً في تقرير الصلح.

فورد كتابه من الأهواز يذكر فيه: أنّه صادف شرف الدولة بها فبلغ ما تحمّله من الرسالة فقوبل بالجميل الدالّ على حسن النية، ووعد بإحسان السراح وضمّ رسول اليه ليقرّر أمر الصلح والصلاح.

---

١. وفي الأصل: سيف الدولة.

القبض على أبي الريّان

وبعد ذلك قبض على أبي الريّان حمد بن محمد وعلى أصحابه وأسبابه.

ذكر السبب في ذلك

كان أبو الحسن علي بن طاهر قد استولى على أمور والدة صمصام الدولة بحكم كتابتها، وعظمت حاله ومنزلته عندها وعند صمصام الدولة لأجل خدمتها.

وقد تقدّم القول بأنّ تملّك النساء لأمور الدولة عائد عليها بعظيم الخلل، فلا يزال بهنّ النقض والإبرام حتى تزيغ القلوب وتزلّ الأقدام.

وكان ابن طاهر هذا وأبو عبد الله ابن عمّه قد استوحشا من أبي الريّان، فأفسدا حاله عند صمصام الدولة واستعانا بالسيدة عليه، وقرفاه بالميل إلى شرف الدولة وأنّ نفوذ[1] ابن خلف لإصلاح [174] أمره معه، وما زالا يعملان الحيلة حتى تمّ القبض عليه.

ذكر ما جرى عليه أمر أبي الريّان

حضر الدار على رسمه وجلس ينظر فيما جرت عادته بالنظر فيه. ومن غريب الإتفاق أنّه فقد خاتمه في تلك الحال ولم يعلم كيف سقط من يده وطلب فلم يوجد. ثم استدعى إلى حضرة صمصام الدولة وعدل به إلى الخزانة ووقع القبض عليه. فكانت مدة وزارته هذه سبعة أشهر وأيّاماً.

واستولى أبو الحسن وأبو عبد الله ابن عمه على الأمور كان إليهما مصادر

---

١. وفي الأصل: نفود.

الأوامر فى الأصول، ونصبا أبا الفتح ابن فارس وأبا عبد الله ابن الهيثم لمراعاة الفروع وكانا يحضران فى حجرة لطيفة فى دار المملكة ويوقّعان بإخراج الأحوال وإطلاق الصكاك واستيفاء الأموال وجرت الحال على ذلك إلى أن زال صمصام الدولة.

وورد فى أثر القبض على أبى الريان أبو نصر خواشاذه رسولاً عن شرف الدولة ومعه أبو عبد الله ابن خلف فتلقّاه صمصام الدولة فى خواصّه وقوّاده وأكرمه. [175]

ذكر ما جرى عليه الأمر فى وروده

قد كان أبو نصر هذا وأبو القاسم العلاء بن الحسن وأكثر الحواشى الذين مع شرف الدولة يحبّون المقام بفارس لأنّها وطنهم وبها أهلهم ونعمهم وفى جبلّة البشر حبّ الأوطان واختيار الثواء بين الأهل والإخوان.

وكان أبو الحسن محمد بن عمر يشير على شرف الدولة بقصد العراق وهم لا يتابعونه فى الرأى على هذا الإتفاق، ويقولون: غرضه العود إلى مستقرّ قدمه والرجوع إلى بلده وأملاكه ونعمه وأنّ عضد الدولة منذ أعرض عن فارس وأقبل علي العراق لم يكن له بال رخىّ ولا عيش هنىّ.

وكان شرف الدولة يوعيهم لهذا الأمر سمعاً ويحبّ المقام بشيراز طبعاً لأنّ، فيها مولده وبها منشأه ولما قيل:

بِلادٌ بِهَا نِيطَتْ عَلَيَّ تَمائِمِى وَأَوّلُ أرضٍ مَسَّ جِلْدِى تُرابُها

فلذلك كانت كلمة هذه الجماعة عنده قويّه ومشورتها لديه مقبولة مرضيّة.

فلمّا ورد عليه ما ورد من كتب صمصام الدولة ووالدته وأبى الريّان يبذل

الطاعة والبخوع بالتباعة والإذعان بإقامة الدعوة [176] والتظاهر بشعار النيابة، وجد هذا القول من قلبه قبولاً وأنفذ أبو نصر خواشاذه لإتمام هذه القاعدة رسولاً وأصحبته تذكرة تشتمل على التماس الخلع السلطانية واللقب وإقامة الخطبة وإنفاذ الأمير أبي نصر مكرّماً واستدعاء آلات وفرش وخدم وجوار عازماً على القناعة بذلك. فلمّا حصل بالأهواز وأتته الدنيا طوعاً بإقبالها وألقت البلاد مفاتيح أقفالها بدا له من ذلك الرأى فعزم على قصد العراق مصمّماً وسار نحو بغداد متمّماً. وسيأتي ذكر ذلك فى موضعه بإذن الله تعالى.

شرح الحال فى مسير شرف الدولة من فارس واستيلائه على الأهواز وانصراف الأمير أبي الحسين عنها

لمّا عزم شرف الدولة على المسير من فارس كتب إلى الأمير أبي الحسين بالجميل والإحسان وبذل له إقراره على ما فى يديه من الأعمال والبلدان وأعلمه أنّ مقصده بغداد لاستخلاص الأمير أبي نصر أخيه وأنّه لا يحدث فى الاجتياز فى بلاده أمرا يضرّه أو يؤذيه.

فلم يقع هذا القول [177] من الأمير أبي الحسين موقع التصديق وعرض له من سوء الظنّ ما يعرض للشقيق.

واتفق أنّ والدته توفّيت وهي بنت ملك ماناذر ملك الديلم ولها الحسب الصميم والخطر العظيم. وكانت تكاتب شرف الدولة وتجامله وشرف الدولة يجلّها لبيتها الجليل ويراقبها لإذعان طوائف الديلم لها بالتبجيل. فلمّا مضت لسبيلها خلا سابور بن كُردويه بالأمير أبي الحسين فثنّاه عن هذه الطريقة.

ذكر رأي أشار به سابور على الأمير أبي الحسين في هذه الحال

قال له: إنّ هذه الكتب الواردة هي على وجه الخديعة والمكر، وإذا اغتررت لم تأمن أن تحصل معه في حبائل الأسر فما سار من فارس إلّا لطلب الممالك جميعها والإحتواء على عاصيها ومطيعها ولا يبدأ إلّا بك ومالنا لا نحاربه ونقاتله ولنا من العسكر والعدّة ما نقاومه ونماثله؟ فأصغى إلى قوله وعمل لأمر المحاربة معدّاً، وشمّر عن ساق المباينة مُجدّاً.

فبينما هو في ذلك إذ ورد الخبر بنزول قراتكين الجهشيارى أرجان على مقدمة شرف الدولة ونزل شرف الدولة أرجان وسار قراتكين إلى رامهُرمُز. [178]

وتبرّز الأمير أبو الحسين إلى قنطرة أربق وأنفذ أسفار بن كردويه إلى عسكر مكرم لضبطها وبدأ الديلم يتسللون إلى شرف الدولة لواذاً وتقطعت الكلمة المجتمعة جذاذاً. وتحيّز الغلمان الأتراك إلى جانب من العسكر ونادوا بشعار شرف الدولة. فأشرف الأمير أبو الحسين وسابور بن كردويه وأبو الفرج ابن خسره على أن يؤخذوا ويسلّموا. فعرّج الأمير أبو الحسين إلى فورة الإختلاط على الجبل وسار من ورائه طالباً صوب المأمونية وراسل سابور بن كردويه باللحاق به. فلحقه بعد هنات جرت له حتى خلص إليه، وثلثهما أبو الفرج ابن خسره وتبعهما غلام من غلمان داره فسار هو ومن معه طالبين حضرة فخر الدولة حتى وردوا أصفهان.

فكتب منها إلى فخر الدولة وهو يومئذ بجرجان يشكو إليه أمره ويرجو منه نصره، وكتب في جوابه وعداً لم يعقبه وفاء وأظهر له ودّاً لم يتبعه صفاء. ووقع له على الناظر بأصفهان بما قدرُهُ في الشهر مائة ألف درهم فاجتمع

عنده بتطاول مقامه فلّ من الديلم الذين كانوا فى جملته، وتبيّن له سوء رأى فخر الدولة فألبس عليه أمره وضلّ طريق الصواب عنه.

ذكر تدبير سيّئ [179] ألقى به نفسه إلى الهلاك

لما يئس من صلاح حاله أظهر لمن كان بأصفهان من الأولياء ما لا حقيقة له وأعلمهم أنّ بينه وبين شرف الدولة مراسلة استقرّ معها النداء بشعاره والإنضواء إلى أنصاره واستمال قوماً من الجند المقيمين بها وعمل على التغلّب على البلد.

وكان المتولى لتلك الأعمال أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبىّ[١] ونـدّ الخبر إليه، فعاجل الأمر وقصد دار الأمير أبى الحسين فى عدّة قويّة وأوقع به وانهزم من كان حوله من لفيفه وأسر هو وأبو الفرج ابن خُسرُه واعتقلا فى دار الإمارة.

وأمّا أبو الفرج فإنّه قتل من يومه، وأمّا الأمير أبو الحسين فإنّه صُفد وحمل إلى الرى واعتقل بها مدّة يسيرة ثم نقل إلى قلعة ببلاد الديلم ولبث فيها عدّة سنين.

فلمّا اشتدّت بفخر الدولة العلّة التى قضى فيها نحبه أنفذ إليه من قتله. ويروى له بيتان قالهما فى الحبس وكان يقول الشعر وهما:

هَبِ الدَّهرَ أرضَانى وَأعتَبَ صَرفُهُ
وأعقَبَ بالحسنَى وفَكَّ مِنَ الأسْرِ

---

١. وترجمته فى إرشاد الأريب ١: ٦٥ وليراجع فيه أيضاً ٢: ٣١١ ـ ٣١٠ (مد).

فَمَنْ لِي بِأَيَّامِ الشَّبابِ الَّتِي مَضَتْ
وَمَنْ لِي بِمَا قد فاتَ في الحَبْسِ مِن عُمْرِي [180]

وسار شرف الدولة من أرجان ودخل الأهواز وقد تمهّدت الأمور فأطلق من كان اعتقله الأمير أبو الحسين من أصحابه وقبض على أسفار وعبد العزيز ابن يوسف وعلى أصفهان[١] على بن كامة الوارد معه، وأخرج العلاء بن الحسن إلى البصرة للقبض على الأمير أبي طاهر ابن عضد الدولة وعلى من كان في جملته من الخواصّ فقبض عليه وعاد العلاء بن الحسن بعد تقرير أمر البصرة وأعيد إلى شيراز للمقام بها.

واستُدعى أبو منصور محمد بن الحسن ابن صالحان وعُوّل على أبي نصر سابور[٢] بن اردشير في مراعاة الأمور إلى أن يصل أبو منصور وأزمع شرف الدولة على المسير إلى العراق.

الطائع لله يبرز للتعزية

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة ابن مؤيّد الدولة فجلس صمصام الدولة للعزاء وبرز الطائع لله لتعزيته.

قال صاحب التاريخ: عهدي بالطائع لله وهو في دسته منصوب على ظهر حديدي وهو لابس السواد والمعمّمة الرصافية السوداء، وعلى رأسه شمسة وبين يديه الحجّاب والمسوّدة[٣] وحول الحديدي الأنصار والقرّاء والأولياء في الزبازب، وقد قدم إلى مشرعة دار المملكة من باب الميدان فنزل

---

١. في مد: أصفهان بن (بزيادة «بن»).
٢. وفي الأصل: ابن سابور.
٣. وفي الأصل: المسودّه.

صمصام الدولة إليه وقبّل الأرض بين يديه وردّه[181] بعد خطاب جرى بينهما فى العزاء والشكر.

ودخلت سنة ستّ وسبعين وثلاثمائة

فيها وقع الخوض مع أبى نصر خواشاذه فى إنجاز ما وعد به وإحكام قواعده ومبانيه، فأجيب إلى جميع ما تضمنته التذكرة إلّا إنفاذ الأمير أبى نصر، فإنّه أرجى أمره إلى أن يستبين أمر الصلح.

ذكر ما تقرر الأمر عليه مع أبي نصر خواشاذه فى ذلك

قرّرت أقسام الصلح على أقسام ثلاثة: قسم منها يعمّ الفريقين، وقسمان يخصّ كلّ فريق قسم منها.

فأمّا الأمر الذى يعمّ فهو: تألّف ذات البين حتى لا يدرك طالب نبوة مقصداً فى تنفير، وتصافى العقائد حتى لا يجد جالب وحشة مطمعاً فى تكدير، فإن ظهر عدوّ مباين لأحدهما ناضلاه جميعاً عن قوس الموافقة والمساعدة ودافعاه المظاهرة والمعاضدة، وأن يمنع كلّ واحد من تعرّض ببلاد الآخر ولا يُطمع فيها جنداً ولا [182] يقطع منها حدّاً ولا يجير منها هارباً ولا يأوى متحيزاً أو موازياً.

وأمّا ما يخصّ شرف الدولة: فهو أن يوفيه صمصام الدولة فى المخاطبة ما يقتضيه فضل السنّ والتقديم، ويلتزم من طاعته ما يوجبه حتى الإجلال والتعظيم، ويقيم له الخطبة على منابر مدينة السلام وسائر البلدان التى فى يديه ويقدم بعد إقامة دعوة الخليفة عليه.

وأمّا ما يخصّ صمصام الدولة: فهو أن يكفّ شرف الدولة عن سائر ممالكه وحدودها ويمنع أصحابه كافة عن طرقها وورودها وأن يراعيه فى

كلّ أمر يستمدّ فضله فيه مراعاة الأخ الأكبر لأخيه وتاليه.

وصدر كتاب المواضعة بالإتفاق على تقوى الله تعالى وطاعة الخليفة الطائع لله وامتثال ما أمرهما به من الألفة على الشروط المذكورة. وجعل على نسختين ختم أحدهما بيمين حلف بها صمصام الدولة معقودة بأن يحلف بمثلها شرف الدولة.

فلمّا تحرر ذلك جلس الطائع لله وحضر الأشراف والقضاة والشهود ووجوه أصحاب صمصام الدولة وأبو نصر خواشاذه وقرئ كتابه إلى شرف الدولة وزين الملّة بالتلقيب والتقليد وسلّمت الخلع الكاملة واللواء.

وندب أبو القاسم على بن الحسن الزينبى الهاشمى [183] وأحمد بن نصر العباسي الحاجب ودعي الحاجب للخروج من قبل الطائع لله بذلك وأبو على ابن محمان من قبل صمصام الدولة برسالة جميلة مشتملة على خفض الجناح والاستمالة إلى الصلاح والإذعان بالطاعة والولاء والترقيق بالرحم والإخاء وسارت الجماعة على هذه القاعدة المذكورة.

ووجد فيما خلّفه أبو الحسن ابن حاجب النعمان[1] نسخة أخرى بمثل الذى تقدم ذكره واتّصلت بها يمين. واشتمل آخرها على لفظ شرف الدولة بذلك. وأنّه قد ألزم ذلك وأشهد الله عليه به وحلف باليمين المذكورة فيه. وعلى ظهرها بخطّ أبي الحسن ابن حاجب النعمان:

«بسم الله الرحمن الرحيم: ثبت بحضرة سيدنا ومولانا الإمام الطائع لله أمير المؤمنين أطال الله بقاه، وأعزّ نصره وأدام توفيقه وكبت عدوّه، ما تضمّنه الإتّفاق المكتوب فى باطن هذا الكتاب وصحّ عنده التزام شرف الدولة وزين الملّة أبي الفوارس أمدّ الله تأييده، لصمصام الدولة وشمس الملّة أبي كاليجار

١. وترجمته فى إرشاد الأريب ٥: ٣٥٩.

مولى أمير المؤمنين أعزّ الله نصره، ما شرح فيه بعد أن ألزم له مثله. فحكم مولانا أمير المؤمنين أعزّ الله نصره عليهما به وجمعهما إلى الائتلاف عليه في طاعته وخدمته وقطع [184] به بينهما الفرقة والإختلاف.

وأمر بهذا التوقيع تأكيداً لما تصافيا عليه وإلزاما لهما الوفاء به وأنعم بعلامة بخط يده الكريمة في أعلاه والحكم الشريف النبوى فى منتهاه والله عون مولانا أمير المؤمنين على ما التزماه وتوخّياه.»

«وكتب على بن عبد العزيز بالحضرة الشريفة وعن الإذن السامى والحمد لله حمد الشاكرين.» علامة الطائع لله: «الملك لله وحده» نقش الخاتم فى الإسرَنْجَه[١] المسك والعنبر: «الطائع لله».

وأمر هذه النسخة عجيب لأنّ هذا الصلح لم يتمّ وما عاد به أبو نصر خواشاذه ونفذ فيه أبو على ابن محمان لم يلتئم. وربما يكون ذلك فيما كتب بالأهواز وأنفذ إلى بغداد ثم انتقض والله أعلم.

ذكر ما جرى عليه أمر الرسل الخارجين إلى شرف الدولة

انحدرت الجماعة إلى واسط ومدبّرها قراتكين الجهشيارى. فأكرمهم الكرامات الوافية وأقام لهم الإقامات الكافية وسار أبو عليّ على طريق الظهر.

فورد كتاب شرف الدولة فى أثر ذلك إلى قراتكين بالقبض عليه وحمله إلى الأهواز. فركب في جماعة من [185] الغلمان متبعاً له فلحقه بباذبين[٢] وقد نزل بها، فقبض عليه وعلى جميع ما صحبه مما كان حمل إلى شرف الدولة، وردّه إلي واسط واعتقله. ثم أنفذه وما كان معه على طريق البصرة.

---

١. لعله: إسرنجة (دون الألف واللّام).

٢. باذبين: قرية كبيرة كالبلد تحت واسط على ضفّة دجلة (مراصد الإطلاع).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وتوجّه أبو نصر خواشاذه في الماء إلى البصرة مع رسل الطائع لله وتمّم منها إلى حضرة شرف الدولة فوجده وقد تغيّر عما فارقه عليه من حاله، وانقادت له الأمور انقياداً ألواه عمّا كان مائلاً إليه.

وخلا به أبو الحسن محمد بن عمر فثنّاه إلى ما أراده، فلم يكن لأبي نصر موضع قول إلّا فيما علاّ بناء هذه الرأى وشيّده.

وقد كان العمّال والمتصرفون مضوا إلى شرف الدولة من كلّ بلد من أعمال العراق وتقدّم أبو عليّ التميمي من واسط وتلاه أبو عبد الله ابن الطيّب من النهروانات وأبو محمد الحسن بن محمد بن مكرم من الكوفة. وقصد الناس حضرته على طبقاتهم من كل فجّ عميق ووافاه الديلم والأتراك فوجاً بعد فوج وفريقاً أثر فريق. وكان نفوذ قراتكين الجهشيارى إلى واسط على مقدمته بعد وصول أبي عبد الله ابن الطيّب فضمّه إليه ناظراً في البلد وأعماله ومقيماً لنفقات قراتكين الجهشياري ورجاله.

فمدّ ابن الطيب جناحه على الأعمال ويده إلى[186] الأموال. فلمّا حصل [أبو] محمد ابن مكرم بالأهواز كثرت الأقوال على ابن الطيب فيما أخذه من النهروانات عند مفارقته لها وبواسط عند حصوله بها، أخرج أبو محمد ابن مكرم للقبض عليه والنظر بواسط.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ذكر ما جرى الأمر عليه في ترتيب القبض على ابن الطيب وإخفاء الحال فيه إلى أن تمّ

أنفذ أبو محمد من الأهواز وفي الظاهر أنّه رتّب في إقامة المير لشرف الدولة وعساكره بين الأهواز وواسط وفي الباطن قرّر معه النظر بواسط والقبض على أبي عبد الله ابن الطيّب وإخوته، فأصحب كتباً باطنة وظاهرة بذلك.

فلمّا حصل بواسط واجتمع مع قراتكين وواقفه على ما ورد فيه قبض على الجماعة الحاضرين والغائبين في يوم واحد بتدبير دبّره وبقوم قدم إنفاذهم إلى كل من عاتبا علي ميعاد قرّره ومقدار وقته.

ورأى أن يسلك مع أبى عبد الله على طريق المياسرة والمقاربة، فأحتسب له بجميع الظاهر [187] المأخوذ منه في جملة مال المطالبة واعتمد مع إخوته إظهار بعض التشديد والإستقصاء ثم سهّل أمورهم عند التحقيق والإستيفاء وعلم أنّ أعمال السلطان عواريّ، فتساهل وقارن وجامل وقارب.

فمن أحسن فإنّما يحسن لنفسه ومن أساء إنّما يسيء إليها، والعارية في الحالين مردودة، وأيام لبثها عند المعار معدودة، ومهما سلكه الإنسان من طريق فنجاحه فيه بهداية وتوفيق.

ذكر مسير شرف الدولة من الأهواز لمّا استتبّت له الأمور بواسط

سار إليها في عساكر كثيرة بالجموع الظاهرة التجمل وكانت زينته وأهبته في صاحته[1] من كل نوع على أحسن ما شوهد فقيل: إنّ جماله كانت ثلاثة عشر ألف رأس وجمال عسكره أكثر من هذا العدد وغلمان خيوله مع الخدم ألف وثمانمائة ما بين غلام وخادم إلى ما يتبع ذلك ويشاكله من كلّ ما يكون للملوك المخوّلين والسلاطين المموّلين.

يقول صاحب التاريخ هذا القول ويستكثر هذا القدر. ولو أدرك هذه الدولة القاهرة ورأى سلطانها وغلمانها وأركانها [188] وعدّتها ورجالها وزينتها وأموالها لعلم أنّ الذى استكثره في قبيل الإقلال، ولأقرّ أنّ البحر لا يقاس

---

١. كذا في مط: صاحته. وهي أرض لا تنبت شيئاً.

بالأوشال.

فلمّا استقرّ شرف الدولة بواسط سار قراتكين إلى دير العاقول ولمّا أجلت الأحوال بمدينة السلام حدر بالأمير أبي نصر ابن عضد الدولة إلى حضرة شرف الدولة مع غلام من الخواصّ.

وزادت أمور صمصام الدولة اختلالاً وتناقصت حالاً فحالاً، وشغب الديلم حتى أحاطوا بداره مطالبين بالمال ورفعوا سجف المراقبة ونادى سلارشُرْخ بشعار شرف الدولة، وثار العامة فى عرض هذه الفتنة وكبسوا حبس الشرطة فأطلقوا من فيه، وآذنت[1] دولته بزوال وعقدته بانحلال ولم يزل الأولياء والحواشي والنظار والعمّال يصيرون إلى حضرة شرف الدولة بالأهواز وواسط من غير احتشام ويُقدمون من غير احجام. فلمّا رأى صمصام الدولة ووالدته وأبو حرب زيار وفولاذ بن ماناذر ما قد انتهى الأمر إليه، أجالوا الرأى بينهم.

ذكر رأى سديد رآه زيار فى تلك الحال وأشار به على صمصام الدولة فلم يعمل به [189]

أشار بالإصعاد إلى عكبرا ليعرف بذلك من هو معهم ممن هو عليهم ويتميّز الآنس بهم من النافر عنهم. وقال:

ـ «إنّ الجيل كلّهم فى طاعتنا مخلصون وفى سلكنا منخرطون ولابد من أن ينضاف اليهم قوم آخرون فإن رأيتم عدّتنا كثيرة وشوكتنا قويّة بحيث تتكافى فى المقارعة أخرجنا ما فى أيدينا من المال وأطلقناه للرجال، وإن ضعفنا عن القراع وعجزنا عن الدفاع تمّمنا إلى الموصل وينضمّ أبو القاسم سعد الحاجب ومن العساكر إلينا ويكثر جمعنا ويقوى أمرنا. فإنّ الديلم

١. والمثبت فى مد: أذن. آذن بالشيء: أعلم به.

والأتراك سيكثرون عند شرف الدولة ثم لا يزال بهم التنافس والتحاسد حتى يحدث بينهم التباين والتباعد وبإزائهم منك ملك تعلق به آمالهم وتطمح نحوه أبصارهم وهي الأيام والغِيَر والقضاء والقدر والأمر يحدث بعده الأمر.»

ذكر رأي آخر سديد أشار به فولاذ فلم يقبل منه

قال فولاذ:

ـ «الصواب المسير إلى قرميسين والحصول في أعمال بدر بن حسنويه ومكاتبة فخر الدولة ـ وكان في صلح صمصام الدولة [190] بحسب ما نسجه ابن عباد بينهما ـ واستمداد عسكر والمسير على طريق أصفهان إلى فارس والتغلّب عليها.»

وفيها أخر:

«اين شرف الدولة وذخائره؟ فليس بإزائنا في تلك الأعمال أحد يقاومنا ويدافعنا، وإذا حصلنا بها لم يستقرّ لشرف الدولة قدم بالعراق ولم يستمرّ له أمر على الإتساق ويضطرب أمره وتنحل قواه وينزل في الصلح على حكم اختياره ورضاه.»

فمال صمصام الدولة إلى رأي زيار في الإصعاد ووقع الشروع في ترتيب أسبابه ثم بدا له من ذلك.

ذكر رأي خطأ استبدّ به صمصام الدولة في إسلام نفسه إلى شرف الدولة

لمّا رأى الخرق قد اتّسع والأمر قد التبس ضاق صدره وقلّ صبره. وكلّ ملك لم يكن صدره في النائبات رحيباً وصبره في الحادثات عتيداً ونفسه في المعضلات مديداً أوشك أن يضمحلّ شأنه ويولّيَ زمانه.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

فعمل على اطّراح ذلك كلّه والإنحدار إلى شرف الدولة ونزل إلى زبزبه[١] مستبدّاً برأيه غير ناظر فى بصائره وواردا على أمر غير [191] عالم بمصادره.

فلمّا حصل تحت روشن[٢] زيار قدم[٣] إلى فنائه وتقدّم باستدعائه فنزل إليه وعنده أنّه يصعد إلى داره. فلمّا لم يبصر لصعوده أثراً قال:

ـ «إلى أين أيّها الملك؟»

قال: «إلى أخى.»

قال: «أوَقد تغيّر رأيك عمّا كنا عليه.»

قال: «نعم.»

قال: «لا تفعل فإنّ الملك عقيم والخطب عظيم، والملوك لا تصل أرحامها ولا ترعى للقربى ذمامها، وفى إسلام النفوس أخطار وحسن الظنّ فى مثل هذه المواطن اغترار. فراجع فكرك وتبصّر أمرك.»

فقال له: «ما أرى لنفسى رأياً صواباً إلّا ما عملت عليه.»

قال له: «خار الله لك.»

ثم قال له صمصام الدولة:

ـ «فعلى ماذا عملت أنت؟»

قال: «إذا كنت قد رأيت ذلك رأياً وأنت أنت لم أرغب بنفسى عن نفسك، ولم يكن خوفى أعظم من خوفك.»

فقال له: «أمّا أنت فلا أرى لك أن تضع يدك فى يد شرف الدولة.»

وودّعه وانحدر.

فلمّا قرب من معسكر شرف الدولة وقد خيّم بنهر سابس أنفذ من يؤذن

---

١. الزبْزب: ضرب من السفن.

٢. الرّوشن: الكوّة. فارسيّة.

٣. والمثبت فى مد: قدّم، بتشديد الدال.

بوصوله. فوافى أبو نصر خواشاذه فى زبزب وقرب من زبزبه وخدمه. ثم قال له:

- «الملك يتعرّف خبر الأمير، والحمد لله على ما وفّقه من هذا العزم الذى يبلغ فيه مراده.»

ثم صار إلى المشرعة وهناك دابّة قد قدّمت لأجله [192] فركبها ونزل عند خيمة شرف الدولة وهو واقف ينتظره وبين يديه حواشيه وخواصّه وقد ارتجّ المعسكر بالخبر.

فلمّا وصل إليه قبّل الأرض ثلاث مرّات بين يديه وقرب منه. فقبّل يده فسأله شرف الدولة عن حاله فى طريقه فاستصوب رأيه فى وروده. فأجابه صمصام الدولة جواباً شكره فيه وأراه قوّة نفسه به.

فوقف قليلاً، ثم قال له شرف الدولة:

- «تمضى وتغيّر ثيابك وتتودّع من تعبك.»

فخرج من حضرته وحمل إلى خيمة وخركاه قد ضُربتا له بغير سرادق وفى صدر الخركاه ثلاث مخادّ. فدخل وجلس على المخدّتين وأطرق إطراق الواجم وأبصر أمر غلطه، فبان عليه أسف النادم.

وأخرج أبو الحسن نحرير وأبوبكر البازيار إلى بغداد للأحتياط على ما فى دار المملكة والخزائن والإصطبلات.

ذكر ما جرى عليه أمر زيار وفولاذ

لمّا انحدر صمصام الدولة ولم يبق لهما ملجأ أعيتهما الحيل وضاقت بهما السبل فحدّثا نفوسهما بالإنحدار ووقع فى قلوبهما حسن [193] الظنّ لتبيّن مواقع الأقدار، فغابت عنهما الآراء وظلّت عليهما تلك الأنحاء.

وقام الرشيد فانحدر بعد صمصام الدولة على الأثر وحملا أمرهما على

الغرر، فأمّا زيار، فإنّه قُبض عليه بعيد وصوله وقتل. وأمّا فولاذ، فاعتُقِل ثم حمل إلى قلعة نهر.

وسار أبو علي التميمي من دير العاقول إلى مدينة السلام بعد انحدار صمصام الدولة فدخلها وسكّن البلد. وورد شرف الدولة ونزل الشفيعي في شهر رمضان واجتمع في عسكره من الديلم الواردين والمقيمين تسعة عشر ألف رجل ومن الأتراك ثلاثة آلاف غلام فاستطال الديلم على الأتراك فوقعت بينهم مناوشة.

ذكر الفتنة التي جرت بين الديلم والأتراك

كان الديلم قد أعجبهم كثرتهم وغرّتهم قوّتهم فجرت منازعة بين نفر من الطائفتين في دار واصطبل جرّت خطباً عظيماً:

فإنَّ النارَ بالعُودَين تُذْكَى وإنَّ الحربَ أوّلُها كَلامُ[١]

فاجتمع الديلم بالحلبة وركب الغلمان وجرت بينهم حرب كانت [194] اليد فيها للديلم. وقيل: إنّهم ذكروا صمصام الدولة وهمّوا بانتزاعه.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ذكر اتّفاق سلم به صمصام الدولة من القتل بعد إشرافه عليه

قال أبو منصور أحمد بن الليث: حدّثني صمصام الدولة قال:

كنت في خركاه بالشفيعي وليس بيني وبين شرف الدولة إلّا لِبدُها وثوب

---

١. الأغاني ٦: ١٢٨ (مد).

خيمة تجاورها، وقد ثارت الفتنة وذُكرت في الديلم، فسمعت نحرير الخادم يشير على شرف الدولة بقتلي ويقول:

ـ «نحن على شرف أمر عظيم فما يؤمننا أن يهجم الديلم علينا وينتزعونه من أيدينا فيصير إلى الملك ونصير إلى الأسر.»

وشرف الدولة يمتنع عليه وعلى من كانَ يشدّ رأيه فلمّا زاد الأمر أقيمَ على باب الخركاه التي كنت فيها غلام بسيف وأظنّه وُصِّي بقتلي إن هجم الديلم فارتعت وأقبلت على القراءة في مصحف كان في يدي، واستخلصت في الدعاء إلى الله تعالى بالخلاص، فتفضّل الله بالسلامة وتفرّق جمع الديلم.

ذكر تفريط جرى من [195] الديلم في هذه الحرب حتى آل أمرهم إلى التشرّد والهلاك

كان الإستظهار للديلم على الأتراك في أول الأمر، لأنّهم أفلتوا من أيديهم مولّين. فحملهم الحنق والطمع فيهم حين قلّوا في أعينهم على تتبع آثارهم وتشوّشت مصافّهم والديلم إذا اضطربت تعبيتهم بانت عورتهم. فوجد الأتراك مجالاً من ورائهم وأمامهم فحملوا عليهم من وجوههم وظهورهم. وكانت الدائرة على الديلم ولم يمض إلا ساعة حتى قتل منهم زُهاء ثلاثة آلاف رجل وكرّ الغلمان إلى البلد فنهبوا دُورهم واحتووا على أموالهم وقتلوا كل من أدركوه منهم، وتشرّد الديلم فبعض أصعد إلى عُكبَرا وبعض مضى إلى جسر النهروان، ولاذ الأكثر منهم بخيم شرف الدولة.

وبان سداد الرأى الذى كان رآه زيار لصمصام الدولة في الإصعاد إلى عكبرا. فلو أنّه قبل منه لكان مع هذه الفتنة قد ثاب أمره إلى الصلاح لكن القدر غالب والتسليم للقضاء واجب.

ودخل شرف الدولة [196] في ثاني هذا اليوم والديلم اللائذون به قد

أحدقوا بركابه ونزل فى المضارب تحت الدار الملكية.

وركب الطائع لله فى غد فى الحديدى مهنئاً له بالسلامة، وتلقّاه شرف الدولة إلى آخر دار الفيل، فقبّل الأرض بين يديه وعاد الطائع لله إلى الدار.

ووقع الشروع فى إصلاح ما بين الديلم والأتراك فيسَّر الله إتمامه وأخذت العهود على الطائفتين فتصالحوا وتواهبوا وتهذّبت الأمور وجرت على الإرادة وكان ذلك من أقوى دلائل الإقبال والسعادة.

ذكر جلوس شرف الدولة للتهنئة وما جرى أمر صمصام الدولة عليه في الإعتقال

لمّا حضر عيد الفطر جلس شرف الدولة جلوساً عامّاً، ودخل الناس على طبقاتهم. وجاء صمصام الدولة فقبّل الأرض بين يديه ووقف من جانب السرير الأيمن وجاء بعده الأمير أبو نصر ابن عضد الدولة وفعل مثل ذلك ووقف. وحضر الشعراء فأنشدوا، وعرّض بعضهم [197] بذكر صمصام الدولة بما فيه غميزة عليه، فأنكر شرف الدولة ذلك ونهض من المجلس.

ولم يُعرف لصمصام الدولة خبر بعد ذلك الموقف حتى قيل: إنّه حمل إلى فارس فاعتقل في القلعة وسيأتي ذكر ما جرى عليه الأمر فى كحله، ثم عود الملك إليه بفارس فى موضعه، بإذن الله.

ولمّا حصل شرف الدولة بمدينة السلام سأل عن أبي الريّان وطُلب فوجد ميتاً مدفوناً بقيوده فى دار أبي الهيجاء عقبة بن عتّاب الحاجب، وكان سلم إليه بعد القبض عليه وأمر بقتله فقتله. فأُخرج من مدفنه وسُلّم إلى أهله.

وفى هذه السنة ورد الخبر بوفاة أبي القاسم المظفَّر بن على الملقّب بالموفّق أمير البطيحة واستقرار الأمر بعده لأبي الحسن على بن نصر بالعهد الذى عهده إليه حسب ما تقدّم ذكره، وكتب إلى شرف الدولة ببذل الطاعة

والخدمة ويسئل التقليد والتلقيب والخلع. فأجيب إلى ذلك جميعه ولقّب بالمهذّب، أولاً ثم بمهذب الدولة، من بعد.

ذكر استقرار الإمارة بالبطيحة على الملقّب بمهذّب الدولة [198]

لمّا توفّي المظفر انتصب أبو الحسن علي بن نصر في موضعه. وكان أبو الحسن علي بن جعفر يفوقه في كثير من الخلال سخاء وشجاعة وأبوّة ولكنّه قدّمه ووطئ عنقه تمسّكاً بالوصيّة التي أحكم المظفر عقدها وقلّدهما عهدها.

وكان مع تقديمه إيّاه ينزل نفسه منه منزلة المشارك في الأعمال والمشاطر في الأموال. فأبقاه علي بن نصر وقاربه وأفرد له النواحي الكثيرة والمعايش الجليلة، وخلّى بينه وبين ارتفاعها.

واستمرت الحال على ذلك [إلى] أن توفّي عليّ بن جعفر فارتجع عليّ بن نصر ما كان في يديه سوى أملاكه الصحيحة فإنّه أقرّها على ولديه.

وتدرّجت الأحوال لعليّ بن نصر الملقّب بمهذّب الدولة في أفعاله الرضيّة الى الرتبة العلية حتى عظم قدره وسار ذكره واستجار به الخائف فأجاره بأمانه ولاذ به الملهوف، فوطّأ له كنف إحسانه وسلك بالناس طريقة جميلة في العدل والإنصاف وصارت البطيحة معقلاً لكلّ من قصدها من الأطراف واتّخذها الأكابر وطناً فبنوا فيها الدور وشيّدوا فيها القصور، وقصدها المسترفد[1] [199] والشعراء من كلّ صوب وفجّ إلى بابه، فأوسعهم جوداً ونوالاً وإكراماً وإفضالاً.

وكاتب ملوك الأطراف وكاتبوه وقاربهم وقاربوه وزوّجه بهاء الدولة ابنته

---

١. قال في حواشي مد: «لعلّه سقط شيء.» ولم يسقط.

ونقلها إليه، واستعان به في عدّة أوقات فأعانه واستدان منه فأدانه، وخطب له بواسط والبصرة وأعمالها وصرفت إليه الدنيا أعنَّة إقبالها.

وتوَّجت الأيام مَفرِق مفاخره بمقام القادر بالله رضوان الله عليه في جواره فضاعفت له هذه المنقبة حسباً وصارت له إلى استحقاق المدح سبباً ولولا كرم نفسه وخيرها لما مدحت البطيحة ولا أميرها:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدتْ عِصَاماً وَعَوَّدَتْهُ الكَرَّ والإقدامَا

وهذه عقبى أفعال الخير، فإنّها تبلغ بصاحبها درجة تُوفي على آماله وتنتهي به إلى منزلة لا تخطر بباله. فالسعيد من قدّم عملاً صالحاً لأخراه وخلّف ذكراً جميلاً في دنياه.

وسيأتي ما تصرّفت به الأمور في مواضعه بعون الله تعالى وحسن توفيقه.

ذكر ما اعتمده شرف الدولة من الأفعال [200] الجميلة عند استقراره بمدينة السلام

رُدّ على الشريف أبي الحسن محمد بن عمر جميع ما كان له في سائر البقاع من الأملاك والضياع، وجدّد عنده آثار النعمة والاصطناع. فاستضاف ضياعاً إلى ضياعه وتضاعفت موارد ارتفاعه، فكان خراج أملاكه في كلّ سنة ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم يصححها في ديوان السلطان، وناهيك بذلك ثروة حال وكثرة استغلال.

وردّ على الشريف أبي أحمد الموسوي أملاكه وأقرّ ابن معروف على قضاء

القضاة وراعى لكلّ من الكتّاب والمتصرفين معه[١] وادرّ عليه معيشة ورزقة ورفع أمر المصادرات وقطع أسبابها وردم[٢] طرق السعايات وسدّ أبوابها.

ذكر اتّفاق عجيب دلّ على حسن نيّة وعاد بصرف أذيّة

ذكر أبو الفضل مهيار بن حاتم المجوسي أستاذ الدار أنّه سلّم إلى شرف الدولة [201] مدرجاً فيه سعاية، فوقف عليه وطواه وتركه على كرسيّ مخادّه ونهض من مجلسه وانسيهُ. فلمّا كان بعد أيام ذكره فقال لي:

ـ «يا باالفضل، امض الى ذلك المجلس واطلب مدرجاً تركتهُ هناك.»

فمضيت إلى المكان فلم أجده، وسألت عنه فلم أعرف خبره. فعدت إليه فأخبرته فشقّ عليه وشدّد عليَّ في الكشف عنه. فخرجت من بين يديه وأنا قلق لما رأيت من شغل قلبه، وأحضرت كلّ حاضر في الدار وغائب عنها من الحواشي والفرّاشين وبالغت في الوعيد والتهديد وكدت أوقع ببعضهم.

فبينما أنا في ذلك إذ حضر فرّاش ومعه قطعة من قرطاس وقال:

ـ «وجدت الغزلان عند المخادّ وقد أكل أكثره وبقيت منه بقيّة هي هذه.»

فدخلت إلى شرف الدولة وشرحت له ما قال الفراش وأريته القطعة الموجودة. فلمّا تأمّلها سُرّي عنه وقال:

ـ «هذه قطعة من المدرج وقد كنت عازماً على تعفية أثره لئلا يقف أحد على خبره. فإذا كان الغزال قد كفانا أمره فقد أراد الله تعالى بذلك صرف الأذى عن الناس، ولعن الله الشرّ وأهله.»

فانظر إلى آثار الخير ما أحسن موضوعها، وأصغ إلى أخبار العدل ما

١. لعلّه: حقّه.

٢. والمثبت في مد: وذمّ. والتصحيح من اقتراح مد.

أطيب مسموعها، وقسها بضدها من الشرّ والظلم[202] تجد لهما منظراً فظيعاً ومسمعاً شنيعاً. فطوبى لمن حكم في التمييز سمعه وبصره، ثم وُفّق في الإختيار للأحسن وتتبّع أثره.

ونظر أبو نصر سابور بن اردشير في الأعمال والمعاملات وغمس يده فيما انحلّ عن الديلم من الإقطاعات ونظر في الأمور ونفّذها إلى حين ورود أبي منصور محمد بن الحسن بن صالحان على ما يأتي ذكره.

ودخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمائة

فيها ورد الأمير أبو منصور وتلقّاه الناس كافّة من مدينة السلام إلى المدائن. ثمّ تلقّاه شرف الدولة إلى الشفيعي فدخل البلد على غاية الإكرام.

وانتظمت الأمور على يديه كلّ الانتظام وطالب العمّال بعمل المصالح وأخذهم بإقامة العمارات ووجد الأسعار متزايدة والأقوات متعذّرة فرتّب نقل الغلاّت من بلاد فارس في البحر وجدّ في حملها من كلّ بلد.

واستتر سابور ابن اردشير مدة، ثم توسّط أبو بكر الفرّاش حاله على أخذ الأمان له من أبي منصور فآمنه.

ذكر بعض أخلاقه وطرائقه [203]

كان الغالب عليه فعل الخير وإيثار العدل وحسن الطريقة في الدين. فإذا سمع الأذان بالصلاة ترك جميع شغله ونهض من مجلسه لأداء فرضه، ثم عاد بعد ذلك إلى أمره.

قال صاحب التاريخ:

ـ «ما رأينا وزيراً دبّر من الممالك ما دبّره، فإنّ مملكة شرف الدولة أحاطت بما بين الحدّ من كرمان طولاً إلى ديار ربيعة وبكر، وعرضاً إلى

الإحساء والرقّة والرحبة وحلوان.

وكانت له تجارات وحمولات بنيسابور تقبل توقيعاته عليها في المعاملات وإنّه عرضت عليه رحال باستحقاق بعض الجند والحواشي فوقّع بمالها على الموصل وعمان نصفين[١].»

ونحن نقول: كيف به لو أدرك زماننا ورأى هذه الدولة القاهرة التي تجول عساكرها وجُند ملكها في الأقطار[٢] بأمره، فتردّ مشارع الخليج كما تـردّ مشارع جيحون وسراياها الآن بالخفار قاربة لورد النيل، وكفى بما بين هذه الموارد الثلاث ممالك واسعة الطول والعرض، وأوامر وزيره نافذة فيها بالإبرام والنقض، والدهماء ساكنة في جميعها برأيه وتدبيره، والهيبة ضابطة لجميعها بسياسته وتقريره.

وأين من يوقِع على الموصل وعمان ممن يوقّع على أعمال الشام وأقاصي خراسان! إنّ الفرق بينهما بعيد:

تُـرِيني السُّهَـا [204] وَأُرِيـهِ القَمَـرْ

وأيّ فخر في أن يقبل في بلاد المخالفين خـطٌّ يكـتب عـلى معاملة تاجرية[٣] فإن يكن ذلك من جملة المناقب فأمرُ التجار إذاً أنفذ في المشارق والمغارب. لأنّهم يكتبون بالأموال الجمّة على معاملاتهم فيكون أسرع فـي الرواج من مال الجباية والخراج. وإنّما الفخر في نفاذ الأحكام على البـلاد التي مهّدتها السيوف للأقلام والملك ما قطر الدم من الصـفائح فـي افـتتاح أعماله ثم جرى المداد في الصحائف بـإطلاق أمواله.

---

١. روى هذا بعينه سبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان عن ابن الصابي (مد).

٢. وزاد في مد [نافذ] والعبارة مستقيمة بدونه.

٣. لعله : تجارية (مد).

وليس هذا موضع بسط المقال فى ذكر هذه الفضائل ولكنّا ننتهز الفرصة أوّلاً فأوّلاً فى إقامة الشواهد والدلائل على تفصيل والدليل على تفضيل زماننا حسب[1] ما قدّمنا ذكره فى صدر كتابنا هذا لتكون أقوالنا محقّقة بالبيان ودعاوينا مصدَّقة بالبرهان. فأحسن القول ما صاحبَهُ الصدق فزانه، وأسوأه ما مازجه الكذب فشانه. والله تعالى ولىّ حسن التوفيق بمنّه.

ونعود إلى سياقة التاريخ.

وفى هذه السنة ندب قراتكين الجهشيارى لقتال بدر بن حسنويه وخلع عليه الخلع الجليلة وفيها السيف والمنطقة الذهب وخرج شرف الدولة إلى معسكره لوداعه. [205]

ذكر ما جرى عليه أمر قراتكين فى هذا الوجه

كان شرف الدولة مغيظاً على بدر بن حسنويه لانحرافه عنه وتحيّزه إلى فخر الدولة فلمّا استقرّت قدمه وقرُب من طاعته كل جامح شرع فى تدبير أمر بدر. وكان قراتكين قد جاز الحدّ فى التبسّط، فرأى أن يخرجه فى هذا الوجه. فإمّا أن يظفر ببدر ويشفى منه صدره وإمّا أن يستريح من قراتكين فيلغى أمره. فجرد معه من العساكر وأصحبه من الخزائن ما استظهر فيه وعرف تداريجه فاستعدّ واحتشد وتلاقيا على الوادى بقرميسين.

ذكر خدعة تمّت لبدر على قراتكين وعسكره لتفريطهم وقلّة حزمهم

لمّا تواقعوا انهزم بدر حتى توارى عنه، وظنّ قراتكين وعسكره أنّه قد

١. بالأصل: خبر.

مضى على وجهه. فنزلوا عن خيولهم وتفرّقوا في خيمهم فلم يلبثوا ساعة [206] حتى كرّ بدر راجعاً وأكبّ عليهم إكباباً أعجلهم من الإستعداد والتجمّع وقتل منهم مقتلة عظيمة واحتوى على جميع ما في معسكرهم.

وأفلت قراتكين بحشاشة نفسه في شرذمة من غلمانه وعاد في يومين إلى جسر النهروان وتلاحق الفلّ به واحد بعد واحد، وحُمل إليه من بغداد ما لمّ به شعثه ودخل إلى داره. واستولى بدر بعد ذلك على أعمال الجبل وما والاها وقويت شوكته.

ذكر ما جرى عليه حال قراتكين بعد عوده في سوء تدبيره وما انتهى أمره إليه حتى آل إلى قتله

قد تقدّم القول فيما كان حصل في نفس شرف الدولة منه لإسرافه في استعمال الدالّة واستيلاء كتّابه وأصحابه والتجاء كلّ متعزز إلى بابه. وعاد من الهزيمة المذكورة وقد زاد تجنّيه وتغضّبه وتضاعفت تبسّطه وتسحّبه، وأغرى الغلمان بالتوثّب في دار المملكة على الوزير أبي منصور حتى لقوه بالصعب، وقالوا له:

- «أنت كنت السبب [207] في هزيمتنا بتأخيرك المال والسلاح والنجدة عنّا.»

فلوطفوا ودُفعوا عنه. ثمّ وقع الشروع في إصلاح الحال بين الوزير وبين قراتكين فتمّ.

وأسرّ شرف الدولة من ذلك غيظاً فكتمه في قلبه وأمسك مُرَوِّياً في تدبير خطبه. فلم تمض أيّام حتى قبض عليه وقُيِّد ثمّ قتل من يومه وأنفذ إلى داره من قبض على أصحابه وكتّابه واحتاط على معاملاتهم وأسبابهم. وخاض الغلمان في الشغب لأجله. فلمّا أيقنوا بقتله وأرضى أكابرهم تبعهم أصاغرهم

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

فأمسكوا.

وقُدِم طغان الحاجب بينهم وأقيم مقامه فيهم. فلزموا بعد ذلك الطريقة السويّة واستشعروا المراقبة والتقيَّة.

ومن أعظم الأغلاط دالّة الأتباع على السلاطين وإن سبقت خِدمهم وسلفت حُرَمهم. فإنّها موذنة بزوال نعمهم منذرة بورود مناهل الحمام.

ومثل المدال على السلطان بتمكّنه منه كمثل راكب الأسد: فبينما تراه عزيزاً رفيعاً إذ صار بين براثنه ذليلاً صريعاً ألا وأنّ ذلك لمن أخطر المراكب وأحقّها بسوء العواقب.

وكفاك بقصّة قراتكين تذكرة وتبصرة.

ولما تمهّدت الأمور عُقد مجلس حضره الأشراف والقضاة والشهود [208] وجُدّدت التوثقة فيه بين الطائع لله وبين شرف الدولة، واستقرّ ركوب شرف الدولة إلى دار الخلافة.

ذكر ما جرى عليه الأمر فى جلوس الطائع بحضور شرف الدولة

ركب شرف الدولة فى الطيّار بعد أن ضربت له القباب على شاطئ دجلة وزُيّنت الدُور التى عليها فى الجانبين بأحسن زينة، وجلس الطائع لله جلوساً عامّاً وخلع عليه الخلع السلطانية وتوّجهُ وسوَّرهُ وطوّقهُ وعقد له بيده لوائين أسود وأبيض وقُرئ عهده بين يديه.

وخرج من حضرته فدخل على أخته المتصلة بالطائع لله، وأقام عندها إلى وقت العصر، ثم انكفأ إلى داره والناس مقيمون على انتظاره.

ولما حمل اللواء تخرّق وانفصلت منه قطعة، فتطيّر من ذلك. فقال له الطائع لله :

ـ «إنّما حملت الريح منه قطعة. وتأويل ذلك أن تملك مهبَّ الريح.»

وكان أبو عبد الله محمد بن أحمد معروفاً في جملة من حضر مع شرف الدولة. فلمّا رآه الطائع لله قال له:

مَـــرْحَباً بِـــالأَحِبَّة القَــادِمِينَا أَوْ حَشُــونَا وَطَــالَ مَــا آنَسُــونَا.»

[209]

فقبّل الأرض وشكر ودعا.

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة سعد الحاجب بالموصل.

ذكر ما جرى عليه أمر سعد بعد انحدار زيار من الموصل إلى أن توفّى

لمّا أراد زيار الإنحدار أقرّ سعداً على الحرب وأبا عبد الله ابن أسد على الخراج. فلم يلتأم ما بينهما وحصلا على وحشة.

وورد شرف الدولة مدينة السلام فكاتب سعداً بإقراره على الأمر تأنيساً له وكان من عزمه أن يَضربه بأبي علي التميمي بوعد سبق من شرف الدولة إليه فمات أبو علي وبطل ذلك.

وعرف شرف الدولة ما يجرى بين سعد وأبي عبد الله ابن أسد من الخلف في الأمور، فأمر باستدعاء ابن أسد وترتيب ابن أخيه في مكانه نائباً عنه وكتب سعد يذكر تضاعف ما تأخّر للأولياء من أرزاقهم وفرط مطالبتهم بما اجتمع في استحقاقهم، فعوّل به في الجواب على بقايا للموصل وأعمالهم[1] بحسب ما ذكره ابن أسد بالحضرة.

وأخرج إليه أبو سعد الحسن بن عبد الله الفيروزاباذي وأمر بمناظرة الديلم

---

١. لعله: أعمالها (مد).

على النزول عن الفائت جميعه أو معظمه. فلمّا وصل أبو سعد إلى[210] الحصباء خيَّم بها فحمل إليه سعد أنزالاً فلم يقبلها.

ذكر رأى سَيّئ لأبي سعد من رَدّ ما حمله ومكيدة لسعد تمّت عليه

كان من غلط الرأى ما اعتمده أبو سعد من ردّ ما حمله إليه سعد من الأنزال. فإنّ ذلك عاد بسوء ظنّه فيه وأوجس في نفسه أنّه لم يفعل ذلك إلّا عن قاعدة أحكمت في طلب مكروهه.

وكان الديلم يميلون إلى سعد ويطيعونه، فأوحشهم من أبى سعد ووضعهم باطناً على الإيقاع به فشغبوا وراسلوا سعداً: بأنّك لم تزل تعدنا وتمطلنا بورود من يرد من حضرة السلطان للنظر في أمورنا وقد ورد هذا الرجل وما رأينا وجهاً لما كنّا نتوقعه وبلغنا أنّه معوّل على المسير إلينا لاستنزالنا عن أموالنا وإرضائنا من البقايا وهذا ممّا لا نقنع به.

فأجابهم جواباً ظاهراً أسكتهم به وراسل أبا سعد بأنّ: الصواب أن ترفق بهم إذا راسلوك رفقاً لا تلين لهم فيه وتستوفى عليهم استيفاء لا تنفّرهم به.

فلمّا حضرهُ رُسلهم[211] غلّظ في جوابهم فوثبوا به وهمّوا بقتله فهرب وألقى نفسه إلى دجلة فاستنقذ منها إلى بعض السفن وهو مجروح وعبر إلى الجانب الشرقى إلى أن سكنت النائرة. ثم ردَّه سعد الحاجب وأنزله دارهُ وأمر بمداواته مما به.

ومضت أيام فاعتلّ سعد الحاجب وقضى نحبه ـ وقيل إنّ أبا سعد الفيروزاباذى واطأ بعض خواصهِ على سمّه ـ فلمّا توفّى ظهر أبو سعد وجلس في داره واحتاط على ماله وتولّى الأمور إلى أن وصل إليه من الحضرة من اجتمع معه على تحصيل التركة وحملها.

وأخرج أبو نصر خواشاذه إلى الموصل لحفظ أكنافها وزمّ أطرافها.

وتجدّد لباد بن دوشنك مع وفاة سعد الحاجب طمع فى التغلّب على البلاد فصار إلى طور عبدين وهو جبل مطلّ على نصيبين.

ذكر ما جرى عليه أمر أبي نصر خواشاذه مع باد عند إصعاده من الموصل

لمّا عرف أبو نصر الخبر دعتهُ الضرورة لقصد نصيبين لدفع باد[212] فكتب إلى الحضرة يستمدّ ويستنجد. فأمدّ وأنجد بما هو غير كاف، وخاف أن يجرى حاله مع باد على ما جرت عليه حال أبى سعد بهرام وأبى القاسم سعد فاستدعى بنى عقيل واستدناهم وعوّل فى حرب باد عليهم، لأنّهم أخفّ خيولاً وأسرع خروجاً وقفولاً والأكراد خيولهم بطاء وعُددهم للحرب ثقال.

ذكر رأى رآه أبو نصر فى إقطاع البلاد حين تعذّرت عليه وجوه الإطلاق

كان الوزير أبو منصور يقصده لشغب بينهما، فأخّر أمره وعلّله بالمواعيد ثم كان قدّر ما حمله له بعد تلك المواعيد المكررة ثلاثمائة ألف درهم، وأين يقع ذلك القدر من مثل هذا الخطب!

وكان أبو نصر يعلّل من معه بوصول الحمل. فلمّا عرف مبلغه رأى أن يكتم أمره خوفاً أن يظهر فتنقطع الآمال وتتفرّق الرجال،[١] ويهجم عليه باد فينهزم بأسوأ حال.

فعدل إلى تفرقة البلاد على العرب وتسليمها إليهم وقال:

---

١. والمثبت في مد: «الآجال» وفقا للأصل. والتصحيح أيضاً من اقتراح مد.

ـ «هذه بلاد بإزاء عدوّ وقد استفحل أمره وإذا حصلت لهؤلاء العرب دفعوا عنها في عاجل الحال لنفوسهم دفع القوم عن حريمهم. فإن قوى أمر السلطان [213] كان انتزاعها من أيديهم أسهل من انتزاعها من يد باد.

فكان الواحد منهم يكتب قصّة ويسأل فيها إقطاعهُ الخرِبَة الفلانية ـ وتكون ضيعة جليلة ـ فيوقّع له بها من غير إخراج حال ولا تعرُّف ارتفاع. وارتفق كاتبه على ذلك أموالاً جمّة.

ذكر حيلة سحر بها باد عين من بإزائه واسترهبهم

كان يقيم البقر على رؤس الجبال ويجعل بينها رجّالة يبرقون بالسيوف والحراب فإذا شوهدوا من بعد ظنّوا رجالاً فلا يقدم العسكر على الصعود إليهم.

فاتّفق أنّه نزل أخ لباد وقاتل قوماً من العرب فقُتل وبلغ قتله من باد كلّ مبلغ وضعف أمره. فبينما هو في ذلك إذ ورد الخبر على أبى نصر بوفاة شرف الدولة فكتمه وعاد إلى الموصل فأظهر فيها العزاء به.

وانفسح باد وأصحابه وتمكّن من طور عبدين واستضافها إلى ديار بكر ولم يقدم على الإصحار خوفاً من العرب. فصار الجبل له والسهل لبنى عقيل ونمير.

وكان أبو نصر على إصلاح أمره ومعاودة حرب باد إذ أصعد إبراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة [214] إلى الموصل.

وسيأتى ذكر ما جرى عليه أمرهم من بعد بإذن الله تعالى.

ودخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة

فيها قبض على شكر الخادم من الموضع الذي كان مستتراً فيه وحمل إلى

حضرة شرف الدولة وعلى أبى منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازى لأجله.

شرح الحال فى ذلك

كان شكر قد أسلف إلى شرف الدولة ما أوحشه وتولّى إبعاده عن بغداد إلى كرمان فى حياة عضد الدولة وقام بأمر صمصام الدولة، فحقد عليه شرف الدولة. فلمّا انحلّ أمر صمصام الدولة ووقع اليأس منه خاف شكر.

وكان أبو منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازى صديقاً خصيصاً له فقال له:

ـ «شرف الدولة قد أقبل وأرى الإستظهار لنفسى بالإستتار ثمّ أعمل الحيلة فى الخروج عن البلد فأعدّ لى موضعاً عندك لأصير إليك.»

فقال له أبو منصور:

ـ «أمّا حصولك فى دارى فلا يخفى لكثرة من يطرقها ولكن أختار لك مكاناً منه.»

فلمّا كان فى [215] الليلة التى انحدر فيها صمصام الدولة إلى شرف الدولة استدعى من قبل أبى منصور من يصير به ليلاً إلى الموضع الذى أعدّه. فأنفذ إليه زوجته بنت أبى الحسين ابن مقلة ونزل شكر فى سمارية وأصعد إلى الجسر كأنّه ماض إلى عُكبرا. ثم انتقل إلى سمارية أخرى مع المرأة ولبس خفّاً وإزاراً كان قد استصحبهما وصارت به إلى دار أبى بكر محمد بن موسى الخوارزمى الفقيه، فأقام عنده مديدة.

ففطن به فانتقل إلى دار رجل بزّاز فى رحبة خاقان يعرف بابن هارون كان أبو منصور الشيرازى يثق به.

ذكر رأى سديد رآه البزّاز وقبله شكر
ثم خالفه فيه من بعده

قال له:

ـ «أيّها الأستاذ، ملاك أمرك وأمرى فى سترك أن أتولّى خدمتك ولا يدخل إلى بينى وبينك وبين هذه المرأة ـ أشار إلى زوجته ـ رابع.»

فقال: «افعلْ.»

فقام الرجل بخدمته. فلمّا مضت مدة راسل شكر أبا منصور وقال له:

ـ «لى جارية حبشيّة، وأنا أثق بها وأريد أن تتولّى خدمتي.»

فأجابه: بأننى لا آمن عليك.

فراجعه حتى استقرّ الأمر على [216] إحضارها فأُحضرت وأقامت معه. وكان قد علق قلبها بهوى. فكانت تأخذ من الدار المأكول وغيره وتخرج إلى حيث يدعوها هواها وربّما احتبست فى أكثر الأوقات فلحق شكراً ضجرٌ من فعلها ومنعها من الخروج فلم تمتنع.

ذكر فساد رأى شكر فيما دبّر به أمره

لم يقنع بما غلط فيه من الخروج بسرّه إلى غير أهله وقد قيل فى المثل «لا تفش سرّك إلى أمَةٍ» حتى غلط ثانياً بالضجر فى غير وقته. فإنّه لمّا كثر ضجره منها رماها فى بعض الأيام بحميدي أصاب به وجهها فخرجت من الدار غضبى ومضت إلى باب شرف الدولة وصاحت «النصيحة النصيحة» فسئلت عنها فقالت:

ـ «لا أقولها إلّا له.»

فأدخلت الدار وأخرج إليها بعض خواصّ الحاشية، فأخبرته بحال شكر.

فرتّب مع صاحب المعونة من الخواص من يمضى للقبض عليه فقالت:

ـ «قد جرى بينى وبينه نفرة، وربّما استوحش وانتقل، فابدءوا بدار أبى منصور الشيرازى.»

ففعلوا ذلك فما شعر أبو منصور وهو قاعد فى داره عند حرمه [217] إلّا بهجوم القوم عليه بغتة، فقبض عليه وفتشت الدور والحُجر فلم يوجد شكر. فمضوا إلى دار البزّاز وكبسوها وأخذوا شكراً منها وحملا جميعاً إلى حضرة شرف الدولة. فأمّا شكر فإنّ نحريراً استوهبه قبل وصوله فوهبه له وعدل به إلى داره وأحسن إليه.

ومضت مديدة وحضر وقت الحج فسأله الإستئذان له فى الحج فأذِن له وخرج ثم عدل عن مكة إلى مصر وحصل عند صاحبها. وأمّا أبو منصور فإنّه اعتقل فتلطّف الوزير أبو منصور ابن صالحان فى أمره.

ذكر تدبير لطيف عمله الوزير أبو منصور فى خلاص أبى منصور الشيرازى

قال لشرف الدولة:

ـ «هذا رجل إليه ديوان الضياع وعليه علقٌ وحسبانات وأنا آخذه إلى الديوان وأتولّى محاسبته ومطالبته بما عليه.»

فسلم إليه ونقله إلى حجرة تجاور داره، وأولاه الجميل. ثم توصّل إلى إطلاقه بعد شهور.

ولم يوجد فى بقية أحداث هذه السنة ما فيه ذكر تدبير وسياسة. [218]

ودخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة

فيها أنفذ الطائع أبا الحسن علىّ بن عبد العزيز [بن] حاجب النعمان كاتبه

إلى دار القادر بالله رضوان الله عليه، وهو أمير للقبض عليه فخبّاه الله تعالى منه.

ذكر السبب في ذلك وما جرى عليه الأمر فيه

لمّا توفّى اسحق بن المقتدر بالله والد القادر بالله رحمة الله عليهم، جرى بينه وبين أخته آمنة بنت معجبة منازعة في ضيعة وطال الأمر بينهما وعرضت للطائع لله علّة[١] أشفى منها ثم ابلّ.

فسعت آمنة بأخيها القادر بالله إلى الطائع لله وقالت له:

ـ «إنّه شرع فى تقلّد الخلافة عند علّتك.»

فظنّ ذلك حقّاً وتغيّر رأيه فيه. وأنفذ أبا الحسن ابن حاجب النعمان وأبا القاسم ابن أبي تمام الزينبيّ[٢] العباسى الحاجب للقبض عليه فأصعدوا فى الماء إلى داره بالحريم الطاهرى.

فحكى القاضى أبو القاسم التنوخى عن صفية بنت عبد الصمد ابن القاهر [219] بالله قالت:

ـ «كنت فى دار الأمير أبى العباس ـ تعنى القادر بالله ـ يوم كبست بمن أنفذه الطائع لله وقد جمع حرمه فى غداة هذا اليوم وكنت معهنّ. فقال لنا: رأيت البارحة فى منامى كأنّ رجلاً يقرأ عليّ «الذين قالَ لهمُ الناس أنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشَوْهُم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم

١. وفى الأصل: علي.

٢. أبو تمام الزينبي هو الحسين بن محمد بن عبد الوهّاب بن سليمان بن محمد الشريف قاضي القضاة قدم بغداد مع معزّ الدولة واشترى دارا بأربعة وعشرين ألف دينار وولي نقابة بغداد وتفقّه على أبي الحسن الكرخي توفى سنة ٣٧٢. كذا فى تاريخ الاسلام (مد).

الوكيل»[١] وقد خفت أن يطلبني طالب. وهو في حديثه إذ شاهد زيزب ابن حاجب النعمان قد قدم إلى درجة داره فقال:

ـ «إنّا لله، هذا حضور مريب بعقب هذا المنام.»

وصعد القوم من الزيزب إليه وتبادرنا إلى وراء الأبواب، فقالوا له:

ـ «أمير المؤمنين يستدعيك.»

فقال: «السمع والطاعة».

وقام فقال له أبو الحسن:

ـ «إلى أين؟»

فقال: «ألبس ثياباً تصلح للقاء الخليفة.»

فعلق بكمّه ومنعه. فبرزنا إليه وأخذناه من يده ونزل إلى سرداب في الدار ووقفنا في صدره حتى تخلّص، وعاد القوم إلى الطائع لله وعرّفوه الحال[٢].»

وانحدر القادر بالله بعد ذلك مستخفياً إلى البطيحة، فأقام عند مهذّب الدولة إلى أن عقدت له الخلافة. وجعل علامته حين تقلّد الأمر «حسبنا الله ونعم الوكيل» تبرّكاً بالرؤيا التي رآها.

ومن بعد هذه[220] الحكاية نقول: إنّ الله تعالى إذا اصطفى عبداً أظهر عليه آثار الكرامات ودلّ على اصطفائه بالآيات والعلامات، وإذا اختاره لأمر هيّأ له أسبابهُ وفتح عليه أبوابه ونجّاه من كلّ سوء يخشاه وجعل إلى الخير مآله وعقباه.

قال سبحانه في محكم التنزيل «وينجّي اللهُ الذين اتّقوا بمفازتِهم لا يمسُّهم السوء ولا هم يحزنون».[٣]

---

١. س ٣ آل عمران: ١٧٣.

٢. وردت هذه الحكاية في الدول المنقطعة رواية عن ثابت بن سنان (مد).

٣. س ٣٩ الزمر: ٦١.

كحل صمصام الدولة

وفى هذا الوقت أخرج محمد الشيرازى الفرّاش لكحل صمصام الدولة.

ذكر ما جرى عليه الأمر فى ذلك

كان نحرير الخادم يحضّ شرف الدولة على قتل صمصام الدولة ويـقول له:

ـ «إنّه ملك قد قعد على السرير ولا يؤمن الدهر وحوادثـه ودولتُك مـع بقائه على خطر.»

فيُعرض شرف الدولة عن هذا القول. فلمّا اعتلّ وأشفى ألحّ عليه فى ذلك وقال له:

ـ «إن لم تر القتل فالكحل إذاً.»

فأخرج محمد الفرّاش لسمل صمصام الدولة، وسلّم إليه شيئاً أمر بـأن يكحله به ثلاثة أيام كحلاً ويشدّ عليه عينيه. فمضى الفرّاش. فقبل أن يصل توفّى شرف الدولة.

فحصل الفرّاش بسيراف والقلعة التى فيها[221] صمصام الدولة كانت من أعمالها وعاملها رجل يهودى يسمّى روزبه. فذكر الفراش للعامل ما ورد فيه فقال:

ـ «هذا أمر قد بطل حكمه مع وفاة شرف الدولة، ولا يجوز تمكينك منه إلّا بعد إعلام أبى القاسم العلاء بن الحسن الناظر.»

فكتب إليه يستأذنه فعاد جوابه بتمكينه مما ورد فيه. فقصد القلعة وكحل صمصام الدولة بما صحبه فذهب ناظره.

ذكر قلّة حزم فى استرسال عاد على صاحبه بوبال

كان في جملة الموكّلين بصمصام الدولة فرّاش يسمّى بنداراً وقد أنس به لتطاول المدة. فقال له قول المترثّى:

ـ «كيف الملك؟»

فقال له بالإسترسال:

ـ «قد بقيت من نظرى بقيّة أبصرُ بها من تلك الكوّة.»

فأعاد بندار قوله على محمد. فاجتمعا على أن يحصّا[١] عينيه بمبضع.

فلمّا عاد صمصام الدولة إلى الملك بفارس، رام بندار أن يخدمه على رسمه فأمر صمصام الدولة بأن يكون مع الستريين[٢] بالبعد منه. فقال بندار:

ـ «هكذا استحقّ من الملك بعد خدمتي له وصحبتى معه؟»

فأعيد قوله عليه. فقال:

ـ «أما يرضى بالإبقاء[222] عليه حتى يُدلَّ بهذه الدالّة.»

واتصل الحديث بالأمير أبى طاهر واطّلع على قصّته، فأمر بأخذه وصلبه فصلب. وكان صمصام الدولة يقول:

ـ «ما سملنى[٣] إلّا العلاء بن الحسن فإنّه أمضى فىّ أمر ملك قد مات.»

ولمّا قبض عليه واقفه على ذلك ثم عفا عنه.

وحصل محمد الفرّاش ببغداد. فلمّا ورد عميد الجيوش أبو على الحسن بن أستاذ هرمز من العراق قال:

ـ «أريد أن أشفى صدرى بقتله جزاء له على سوء فعله.»

---

١. حصّ الشيء: قطعه وأخذ منه حصّة.

٢. قال ابن بطوطا أن الستاريين الذين يمسكون دواب الخدام على باب المشور.

٣. والمثبت فى مد: سلمنى. وهو تصحيف.

فهرب منه إلى مصر وأقام بها إلى أن مات عميد الجيوش.
وفى هذه السنة توفّى شرف الدولة وقام الأمير أبو نصر مقامه فى الملك.

ذكر ما جرى عليه الأمر فى علّة شرف الدولة واستقرار الأمر للأمير أبى نصر بعده

اعتلّ شرف الدولة العلّة التى توفّى فيها وكانت من استسقاء. فلمّا اشتدّت به ندب أبا على ولده إلى الخروج إلى فارس للنيابة عنه بها وأخرج معه والدته وجماعة من حُرمه وأصحبَهُ جلّ عدده [223] من مال وسلاح وضمّ إليه عدداً كثيراً من وجوه الأتراك.

وعلى أثر انحدار ولده غلب عليه المرض حتى غلب اليأس منه على الرجاء فيه. فاجتمع وجوه الأولياء وراسلوه باستخلاف الأمير أبى نصر فيهم إلى أن يُبلّ من مرضه فأجابهم إلى سؤالهم وروسل الأمير أبو نصر بالحضور، فامتنع وأظهر القلق والجزع.

واستقرّت الحال على إظهار استخلافه فى غد ذلك اليوم. وغدا الناس إلى دار المملكة لذلك. فجرى من بعض القوّاد والخواصّ مطالبة باستحقاقهم خرجوا فيها إلى التشديد، فتقوّض الجمع من غير تقرير أمر.

وعاجلت شرف الدولة منيّتهُ. فقضى نحبه وكُتِم أمره ليلة واحدة وأصبح الناس وعند أكثرهم خبره. واجتمع العسكر فطلبوا الأمير أبا نصر برسم البيعة وتردّد الخوض معهم فى أمر العطاء ومبلغ ما أطلق لكلّ واحد منهم.

فتولّى خطابهم بنفسه وأعلمهم خلو الخزائن من المال الذى يعمّهم ووعدهم بكسر ما فيها من الأوانى والصياغات وضربها عيناً وورقاً وصرفها إليهم. وأظلّ المساء وراحوا إلى منازلهم من غير استقرار وباكروا الغدو إلى الدار فوجدوا الأمير أبا نصر قد أظهر المصيبة وجلس للتعزية [224] فأمسكوا

عن الخطاب. وخرج تابوت شرف الدولة وتقدّم للصلاة عليه أبو الحسن محمد بن عمر العلوى وحمل إلى المشهد بالكوفة.

فكان مقام شرف الدولة ببغداد سنتين وثمانية أشهر وأيّاماً وعاش ثمانى وعشرين سنة وخمسة أشهر، ثم بلغ الكتاب أجله ودعاه الداعى فاستعجله، وبزّته المنية ثوبَى ملكه وشبابه واختطفته من بين حشمه وأصحابه، فمضى غضّاً طريّاً إمّا سعيداً وإمّا شقيّاً فى سبيلٍ لابدّ للخلائق من سلوكها، ولا فرق فيها بين سوقتها وملوكها. ولربّما كانت السوقة أخفّ ظهوراً وأسرع فى تلك الغمرات عبوراً.

فأفٍّ لدارٍ هذه صورة سكّانها ولشجرة هذه ثمرة أغصانها! لقد ضلّ من اتخذ هذه الدار قراراً واستطاب من هذه الشجرة ثماراً. فطوبى لمن قصّر فى الدنيا أمله وأصلح للآخرة عمله. قال الله تعالى: «إنّما هذه الحياةُ الدنيا متاع وإنّ الآخرةَ هي دارُ القرارِ.»[١]

وتردّدت بين الأمير أبى نصر وبين الطائع لله مراسلات انتهت إلى أن حلف كل واحد منهما لصاحبه على الصفاء والوفاء وركب الطائع لله من غد للعزاء. [225]

ذكر ما جرى عليه الأمر فى ركوب الطائع لله للتعزية

قدم الطيّار على باب الدرجة، وفرش سطحه بدبيقى وعليه مقرمة ديباج حمراء منقوشة ووسطه بديباج أصفر وعليه مقرمة دبيقية، ووقف الغلمان الأتراك الأصاغر بالسيوف والمناطق فى دائر المجلس الأوسط ووافى

١. س ٤٠ غافر: ٣٩.

حجّاب شرف الدولة الأتراك والمولَّدون فى الزبازب بالثياب السود والسيوف والمناطق وكلّ منهم قائم فى زبزبه واجتمع من السفن التى فيها العامة عدة كثيرة.

وخرج الطائع لله من داره وتحته فرس صِنابىّ بمركب خفيف وسرج مغرىّ[1] أحمر، وعليه قباء ملحم أسود وعمامة خزّ سوداء على رُصافية وهو متقلّد بسيف، وبين يديه خمسة أرؤس فوق سروجها جلال الديباج ونزل إلى الطيّارِ فجلس فى المجلس الأوسط على المقرمة فى الدست على خلاف عادة الخلفاء فإنّهم كانوا يجلسون على سطح حرّاقة وبين يديه مجلس طيّار وقيل: إنّه فعل ذلك لأنّه كان فى عقيب علّة، وأراد أن يخفي ما بوجهه من آثارها.

فوقف بين يديه أبو الحسن على بن عبد العزيز كاتبه ودُجى خادمه [226] والعباس حاجبه. وسار الطيّار إلى دار المملكة بالمخرِم فنزل الأمير أبو نصر متّشحاً بكساء طبرى والديلم والأتراك بين يديه وحواليه الى المشرعة التى قُدِّم إليها الطيّار وقبّل الأرض وصعد أبو الحسن ابن عبد العزيز إلى الأمير أبى نصر فأدّى إليه رسالة عنه بالتعزية، فقبّل الأرض ثانياً ودعا وشكر.

وعاد أبو الحسن إلى حضرة الطائع لله وأعلمه شكره ودعاءه، وعاود الصعود إلى الأمير أبى نصر لوداعه عن الطائع لله، فأعلمه شكره ودُعاءه، فقبّل الأرض ثالثاً وانحدر الطيّار على مثل ما أصعد وعاد الأمير أبو نصر الى داره.

ثم ركب الأمير أبو نصر بعد خمسة أيّام إلى حضرة الطائع لله، فخلع عليه الخلع السلطانية ولقّبه بهاء الدولة وضياء الملّة، وقرئ عهدهُ بين يديه بالتقليد

---

١. مَغْرة: موضع بالشام، من ديار كلب.

وقُدّم إليه فرس بمركب ذهب وقيّد بين يديه آخر بمثل مركبه وسار العسكر حواليه إلى باب الشماسية فى القباب المنصوبة ونزل إلى الطيّار وانحدر إلى دار المملكة.

ذكر ما دبّره بهاء الدولة عند قيامه بالملك [227]

أقرّ الوزير أبا منصور ابن صالحان على الوزارة وأصحاب الدواوين وغيرهم على ما كان إليهم. ثم صرف أبا سعد ابن الخيّاط عن ديوان الإنشاء مع مدّ يده وعوّل فيه على أبي الحسن على بن محمد الكوكبى المعلم، وخلع عليه الطائع لله وكنّاه ولقّبه بالكافي، وكانت الخلعة دُرَّاعة دبيقية(١) وعمامة قصب وحمله على فرس بمركب. وقبض على نحرير الخادم وأبى نصر ابن كعب فاعتقلا ثم قُتلا.

فأمّا نحرير فكان هلاكه على يد الحسين الفرّاش، فأمّا أبو نصر ابن كعب فعلى يد أبي الحسن الكوكبي.

شرح الحال في ذلك

كان بهاء الدولة شديد الميل إلى نحرير كثير الثناء عليه. فلمّا توفّى شرف الدولة أراد منه أن يجري في خدمته على ما كان عليه فى خدمة شرف الدولة. فامتنع نحرير وتظاهر بلبس الصوف، واجتهد معه كل الإجتهاد مراسلة بالشريف أبي الحسن محمد بن عمر والوزير أبى منصور محمد بن صالحان ومشافهة بنفسه، فما أجدى معه نفعاً. [228]

١. دَبيق: بليدة كانت بين الفرما والتّنيس من أعمال مصر، تُنسب إليها الثياب الدبيقيّة (مراصد الإطلاع).

ذكر ما ارتكبه نحرير من اللجاج حتى آل به شرّ مآل

لم تزل الحكماء وأولو العقول الراجحة يحذّرون ركوب مطيّة[1] اللجاج، فإنّها كثيرة الكبوة والنفور، تلقى صاحبها إلى الورطة والثبور.

قال أبو نصر الحسين بن الحسن المعروف بالأستاذ الفاضل:

كنت قائماً بين يدى بهاء الدولة وهو يخاطب نحريراً ويقول له:

ـ «لا تزهد فيَّ مع رغبتى فيك، فأنا أولى بك على ما كنت عليه من قبل.»

ونحرير يقبّل الأرض ويستعفي. إلى أن انتهى بهاء الدولة إلى أن قال له باللغة الفارسية وقد دمعت عيناه:

ـ «افعل لله.»

فأقام نحرير على أمر واحد فى اللجاج الذى لا يقابل الملوك بمثله وانصرف من بين يديه ودخل الحسين الفرّاش بعد ساعة وقال:

ـ «قد طلب نحرير عشرين ألف درهم من الخزانة.»

فقال: «احملوها إليه.»

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ذكر حيلة عملها الحسين الفرّاش نفّر بها قلب بهاء الدولة من نحرير حتى أمر بالقبض عليه [229]

لمّا حملت الدراهم إلى نحرير عاد الحسين الفرّاش وقال:

---

١. والمثبت فى مد: مطيه.

ـ «عرفت أنّه معوّل على الهرب في هذه الليلة وأنّه أخذ الدراهم وجعلها في أكياس نفقة الطريق.»

فانزعج بهاء الدولة لذلك وسهر ليلته يراعيه وينفّذ فرّاشاً بعد فرّاش إلى داره ليعرف ما هو فيه. إلى أن أسفر الصبح ولم يكن لما ذكره الحسين الفرّاش أصل وإنّما أراد الإغراء به.

وعطفت الجماعة بعد ذلك على بهاء الدولة باللوم له ولاسيّما أبو الحسن ابن عمرو فإنّه كان عدوّاً لنحرير وقال:

ـ «أيّها الملك قد أسرفت في مداراة هذا الخادم إسرافاً يشيع ذكره وأصرّ على مخالفتك إصراراً يصغر عنه قدره.»

وما زالوا بهذا القول وأمثاله حتى غيّروا رأيه في نحرير وزادوا غيظه منه.

فحضر نحرير بعد أيّام ومعه أبو نصر ابن كعب وكان خصيصاً به، وأبو الحسن محمد بن عمر وأبو منصور الوزير وأبو سعد ابن الخيّاط في الحجرة مجتمعون، فأذن بهاء الدولة في القبض عليه.

ورأى أبو نصر أمارات التغيّر والتنكّر، فأشار إليّ بيده وقال:

ـ «ما الخبر؟»

فأومأتُ إليه بالقيام فقام وتبعه أبو سعد ابن الخيّاط، وأخذ أبو نصر ابن كعب إلى الخزانة فاعتقل فيها. وبقي أبو الحسن محمد بن عمر ونحرير. فقال له محمد بن عمر: [230]

ـ «يا هذا قد أسرفت في الدولة ومن أنت وما قدرك حتى تمتنع من خدمة هذا الملك العظيم؟»

فأغلظ له في القول ونحرير مطرق. فلمّا زاد الأمر عليه رفع رأسه وقال له:

ـ «أيّها الشريف، أين كان هذا القول منك في أيّام مولاي وأنت ترى

أفضل آمالك إذا تبسّمت فى وجهك ؟ فأمّا الآن وأنا على هذه الحال فاستعمال ما أنت مستعمِلهُ لؤم قدرة وسوء ملَكة، وكيف ألامُ على ترك الدنيا بعد ملك ابتاعنى بألف درهم، ثم رفعنى إلى أن كنت تخدمنى ولا أخدمك، وتحتاج إلىّ ولا أحتاج إليك ؟»

فاغتاظ أبو الحسن ابن عمر وانصرف.

وأخذت بيد نحرير فأقعدتهُ على الفراش من الأرض فقال لى:

ـ «أريد أن تحمل إلىّ مصحفاً وأن تقول لمولانا الملك: ما كان امتناعى عليك إلّا ما جرت به الأقدار من إدبارى وقد خدمتك وخدمت أخاك وأوجبت عليك حقّاً بذلك وأسألك أن لا تسلمنى إلى عدوّ يشتفى منّى وأن تكون أنت الآمر بما تفعل بى.»

وأعدتُ قوله على بهاء الدولة فقال:

ـ «ارجع إليه واحمل إليه مصحفاً كما طلب وقل له: هذه ثمرة لجاجك، فإلى من تريد أن أسلمك؟»

وحملت إليه المصحف وأعدت عليه القول، فقال: «إلى أبى جعفر الحجاج.» وعدتُ إلى بهاء الدولة فأعلمته، فاعترض [231] الحاضرون على ذلك، فلم يصغ بهاء الدولة إلى أقوالهم وتقدّم بحمله إلى أبى جعفر فحُمل.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ذكر مكيدة أخرى عملها الحسين الفراش ليتمكّن بها من قتل نحرير

جاء الحسين الفرّاش بعد أيام، فقال لبهاء الدولة:

ـ «أيّها الملك قد بلغنى عن ثقة صادق أنّ أبا جعفر الحجّاج معوّل على الركوب في غد و [على] مسئلتك فى أمر نحرير. فإن أجبته إلى ذلك أفرجت عن عدوّ لا تأمنه فيما عاملته به، وقد علمت طاعة الأتراك له، وإن منعته

أضفت إلى استيحاش نحرير استيحاش أبي جعفر.»

قال: «فما الرأى؟»

قال: «أن تسبقه إلى أخذه من داره.»

قال: «فإلى أين يُحمل؟»

قال: «إلى دارى التى نأمن فيها على مثله.»

فأمر عند ذلك بإنفاذ من يأخذه، فنُقل واعتُقل فى غرفة.

ومضت أيّام واتّفق أنّ بهاء الدولة خرج يوماً فى آخر النهار من الحجرة والحسين الفرّاش يسارّ أخاه وظهرُهُ إلى الموضع الذى خرج منه بهاء الدولة فلم يشعر به، حتى رآه أخوه فأنذره. فأقبل إليه فقال له بهاء الدولة وقد رأى فى وجهه وجوماً وتغيّراً:

ـ «في أىّ شيء أنت؟»

قال: «يا مولانا ذكر أخى أنّ جماعة من الغلمان الشرقيّة [232] اجتازوا على دارى ورآهم نحرير من الغرفة فصاح إليهم وقال لهم: أنا نحرير، فاهجموا على الدار واستخلصونى. فخاف الموكّلون به أن يؤخذ من أيديهم فقتلوه.»

فقال: «ويلك ما تقول؟»

قال: «ما يسمعه مولانا.»

فورد على بهاء الدولة من ذلك ما أزعجه وعرف بعد ذلك أنّ ما حكاه الحسين الفرّاش باطل، وأنّه هو الذى أمر الموكّلين بقتله، فأسرّها فى نفسه ولم يبدِها له.

ذكر ما جرى عليه أمر أبى نصر ابن كعب فى قتله

كان أبو الحسن الكوكبى نقله إلى داره وأخذ منه مالاً. فلمّا قُتل نحرير خاف أن يظهر ما وصل إليه منه.

قال أبو نصر المعروف بالأستاذ الفاضل:

كنت فى بعض الأيّام جالساً مع الكوكبى، فوافاه بعض غلمان الخزانة وأسرَّ إليه شيئاً لم أسمعه وعاد فقال لي الكوكبى:

ـ «أتدري ما نحن فيه.»

قلت: «لا.»

قال: «قد أُسقِي ابن كعب السمّ دفعتين وما عمل فيه، وسقى ثالثاً وكان غاية فعله أن أظهر نفخاً فى وجهه.»

فوجمتُ من قوله. فلمّا كان فى غد قال لى:

ـ «أعندك خبر ابن كعب؟»

قلت: «لا.»

قال: «لم ينفع ذلك السمّ حتى [233] أعنّاه بالسيف» وهو يضحك.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ذكر مقابلة عجيبة فيها عبرة وتذكرة

لمّا تجرّأ الفرّاش والكوكبي على ما تجرّءا عليه عجّل الله الانتقام منهما جميعاً. فأمّا الفرّاش فإنّه اعتقل فى دار نحرير وقتل بعد قليل، وأمّا الكوكبى فإنّه سُقِي السمّ عند قتله مراراً فلم يعمل فيه حتى خنق بحبل الستارة، وحضر بعض الأتراك فوجأه بسكين كانت معه.

فانظر إلى هذه المقابلة الوجيعة الشريفة كيل الصاع بالصاع:

كَنْ(١) كيفَ شِئْتَ كمَا(٢) تَدينُ تُدانُ

وإذا كانت هذه حال الدنيا التى عود الله فيها للمقابلة إمهالاً، فما ظنّك فى الآخرة التى جعل الله فيها لكل ذرّة مثقالاً؟ فتعساً للظالم ما أشقاه وتبّاً له ما أجهله وأعناه. أتظن أنّه ظلم غيره؟ كلاً، إنّه ما ظلم إلّا نفسه. أما تعلم أنّ الحاكم عدلُ وأنّ القضاء فصل؟ فهلاً أعد لموقف سؤاله جواباً فى اليوم الذى قال الله تعالى: «يومَ يَنظُرُ المرءُ ما قدَّمتْ يَداهُ ويقولُ الكافرُ يا ليتَنى كنتُ تراباً.»(٣)

قتال بين الديلم والأتراك

وفى هذا الوقت جرت منافرة بين الديلم والأتراك أثارت من الصدور [234] اضغاناً ولقحت بينهم حرباً عواناً. وتحصّن الديلم بالدروب وعظمت القصة واستمرّ القتال بينهم حرباً عواناً. وتحصّن الديلم بالدروب وعظمت القصّة واستمر القتال أيّاماً حتى برز بهاء الدولة إلى معسكر الأتراك وخيَّم عندهم لأنّهم كانوا أخشن فى القوة جانباً وألين فى الطاعة عريكة. فتلافى الأمر وراسل الديلم ورفق بالأتراك حتى ألقت الحرب أوزارها ووقع الصلح وعاد الأتراك إلى البلد وتواهبوا وتصافحوا وحلفت كل طائفة للأخرى.

---

١. فى الأصل ومد: وكن، بزيادة الواو.

٢. فى الأصل ومد: فكما، بزيادة الفاء. هذا إذا اعتبرناه مصراعا من بيت، كما اعتبر فى مد.

٣. س ٧٨ النبأ: ٤٠.

وقويت شوكة الأتراك وعلت كلمتهم وضعف أمر الديلم بعد هذه الوقعة وتفرّق جمعهم وتسللوا في كلّ طريق، ومضى فريق بعد فريق.

ذكر ما جرى عليه أمر أبي علي بعد انحداره

انحدر الأمير أبو علي ومن في صحبته على ما تقدّم ذكره. فلمّا حصلوا بواسط استعجمت عليه أخبار شرف الدولة وانقطعت النوبة المترددة بالكتب، فساءت الظنون. ثم ورد عليهم ما دلّ على اليأس منه، فسار الأمير أبو علي والأتراك على الظهر وانحدرت الخزائن والحُرم والأُثقال إلى البصرة ووقع الاجتماع بمطارا.

ووردت الكتب بوفاة شرف الدولة وانحدر [235] أبو شجاع بكران بن أبي الفوارس والحاجب أبو علي ابن أبي الريّان لِيرد الجماعة فأشير على الأمير أبي علي بالتعجيل إلى أرجان،[1] ففعل وصحبه خواص الحرم في عمّاريات واستصحب ما خفّ محمله وعوّل على طاهر بن زيد صاحب عبادان في توجيه بقية الحشم والأثقال التي معهم في البحر إلى أرجان فقدِّم بتنفيذ شيء منها.

ووصل بكران وابن أبي الريان فاستوقفا كلّ من كان تأخّر مع بقية الأثقال وقالا لهم:

ـ «إنّما وردنا لتطييب قلوبكم.»

[ثم] ورد الأمير أبو علي إلى حضرة بهاء الدولة عمّه ليقضي فيه حقّ شرف الدولة عليه وأعاد الجماعة من عبادان إلى البصرة.

ثم شغب الديلم بالبصرة وطلبوا رسم البيعة ولم يكن للمال وجه، فأخذ

---

١. أرّجان، وعامّة العجم يسمّونها أرّغان، وقد خفّف المتنبّي الراء في شعره، وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير، وهي بريّة بحريّة، سهليّة جبليّة، وهي من كورة فارس (مراصد الإطلاع).

بكران على سبيل القرض من تلك الثياب والصياغات شيئاً كثيراً وصرفه اليهم ثم وقع اليأس من عود الأمير أبي على فتسلّم البقية.

وحصل الأمير أبو على بالرجال وكان أبو القاسم الرضيع بها على ما رتّبه شرف الدولة من النيابة عنه وحصل معهما عدد الأتراك وفيهم مثل خمارتكين الحمصي[١] وأبو الغارات والبكّى ومن يجرى مجراهم وكانوا جمهور العسكر فعملوا على المسير إلى فارس.

ذكر رأى رآه أبو القاسم [236] العلاء بن الحسن بالبادرة وندم عليه بعد الرويّة

لمّا انتهى إليه تميُّز القوم خاف أن يستقيم الدولة للأمير أبى على ولا يكون له فيها قدم. فاستعجل بمكاتبة الأمير أبي علي وأبى القاسم الرضيع وعرّفهما ما اعتمده من جمع كلمة الديلم على الطاعة.

وكان المرتّب فى القلعة التى فيها صمصام الدولة والأمير أبو طاهر قد أطلقهما وكذلك المرتبة التى فيها فولاذ بن ماناذر أيضاً وحصل الثلاثة...[٢] كلمة الديلم على تمليك صمصام الدولة وأبى طاهر ونادوا بشعارهما وقام فولاذ بتقرير ذلك.

وندم أبو القاسم العلاء بن الحسن على مكاتبة الأمير أبي علي، وعلم أنّ أبا القاسم الرضيع باسيتلائه سيستعلى عليه ويستبد بالأمر دونه، فكاتب صمصام الدولة وأبا طاهر [و] فولاذ واستدعاهم ووعدهم ومنّاهم. وسار الأمير أبو على حتى نزل على ثلاثة منازل من شيراز.

---

١. وفى الأصل «بن الحفصى» والصواب فيما بعد.

٢. بياض فى الأصل. لعله سقط «واجتمعت».

ذكر ما دبّره أبو القاسم العلاء بن الحسن فى أمر الرضيع حتى قبض عليه [237]

اختار ستّين رجلاً من وجوه الديلم وواقفهم على أن يلتقوا الأمير أبا على ويخدموه، ويعرّفوه عن الأولياء طاعتهم له، ويطالبوه بالقبض على أبى القاسم الرضيع قبل الدخول إلى البلد، وترتيب من يقوم مقامه بعد الإستقرار فيه.

وضمن العلاء بن الحسن لهؤلاء الوجوه إقطاعات الرضيع بفارس وكانت كثيرة فطمعوا فيها وبالغوا فى خطابهم حتى أجيبوا إلى القبض على الرضيع وحمل إلى العلاء بن الحسن فأنفذه إلى القلعة. وتمم الأمير أبو على والأتراك إلى شيراز فخيّموا بظاهرها.

ذكر حيلة رتّبها العلاء بن الحسن أفسد بها الحال بين الديلم والأتراك حتى بلغ غرضه

أحضر غلاماً من الأتراك يعرف بانوشتكين وخدعه وقال له:

ـ «هل فيك لاستخدامك فى أمر يكون فيه رفع لقدرك وتقديم لمنزلتك؟»

قال: «نعم.»

قال: «تعرّض للديلم فتقتل منهم رجلين أو ثلاثة على سبيل الغيلة وتهرب لأظهرك من بعد وأوفى لك بما وعدتك به.»

فانخدع الغلام لجهله وخرج [238] وصعد إلى حائط بستان ورمى رجلين من الديلم جازا تحته بفردات أصابت مقاتلهما وثارت الفتنة بين الديلم والأتراك ثم وقع الشروع فى إصلاح ما بين الفريقين وتمّ على ذحل.

وعدل العلاء بن الحسن إلى مراسلة الأمير أبي علي ووالدته ويحذّرهما من الديلم وبوادرهم لما ظهر من ميلهم إلى صمصام الدولة وأبى طاهر.

فخرج الأمير أبو على من دار الإمارة مستخفياً بالليل إلى مخيّم الأتراك وتبعته والدته.

وأصبح الديلم قد أجمعوا رأيهم على الإبتداء بالأمير أبى على والاحتياط عليه فوجدوهم قد برزوا إلى المعسكر فكشفوا القناع ونابذوا الأتراك وجرت بينهم مناوشات فى عدّة أيام.

ثم ارتحل الأتراك بالأمير أبى على وساروا إلى فسا، فوجدوا بها أبا الفضل ابن أبى مكتوم عاملاً وتحت يده مال معدٌّ يريد حمله إلى شيراز وعنده نحو أربعمائة من الديلم. فراسلوه واستمالوه فمال إليهم واستوزره الأمير أبو على وفرّق المال المجتمع عليهم وحاصروا الديلم المقيمين بها فى دار لجؤا إليها. فلمّا فتحوها قتلوهم بأسرهم وقوى أمر الأتراك بما حصل فى أيديهم من أسلابهم.

وعاد الأمير أبو على مع علافهم إلى أرّجان ومضى البكى ومعه جمرة العسكر إلى باب شيراز وقد حصل فيها صمصام الدولة [239] فأقاموا بظاهرها مدّة يقاتلون الديلم وينهبون السواد. ثم ضجروا من المقام فانصرفوا إلى أرجان.

ذكر سوء تدبير ابن أبى مكتوم فى عداوة البكّى حتى هلك

كان قد جرى بين [ابن] أبى مكتوم وبين البكى تنافر أصرّ البكى على عداوته فيه. فلمّا قرب من البلد تلقّاه الأمير أبو على [و] ابن أبى مكتوم معه يسير على جانبه. فحين وقف للقاء الواردين سبقوا إليه وخدموه والبكى بمعزل عنهم.

ثم تقدّم أحد الأتراك إلى ابن أبى مكتوم فجذبه بكمّ دراعته وساعده

الباقون على سحبه إلى البكي فضرب عنقه.

وسار البكي لوقته إلى الأمير أبي علي وقد ماج الناس وتواري أكثر الحواشي. فحين بصر به قبّل الأرض بين يديه واعتذر إليه وقال:

ـ «إنّ عبيدك ما أقدموا على قتل هذا الرجل إلّا لما عرفوه من سوء نيته فيك وفيهم واطلعوا عليه من مكاتبة صمصام الدولة وتسليمك وتسليمهم ونحن خدمك ومماليكك ورؤوسنا ونفوسنا دونك.»

فأجابه بما أظهر به الرضاء[1] عنه.

ومضت مديدة ووافي أبو علي [240] الحسن بن محمد بن نصر رسولاً من حضرة بهاء الدولة بالمواعيد الجميلة فكاثر الأتراك وكاثروه واستمالهم في السر حتى اتفقت كلمتهم على الإنكفاء إلى حضرة بهاء الدولة بواسط.

فلمّا قرب منها تُلقي وأكرِم ووصل إلى حضرة بهاء الدولة وهو في مجلس أنسٍ فقرَّبه وأدناه وباسطه وسقاه ثم قُبض عليه بعد أيام وحدر إلى البصرة واعتقل بها. وسار بهاء الدولة إلى فارس. فلمّا عاد إلى العراق استدعاه وتولّى أبو الحسن الكوكبي المعلّم قتله خنقاً بيده.

ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة في خلاصه وعوده إلى الملك بفارس بعد شرف الدولة

قد تقدّم ذكر خلاصه وخلاص أبي طاهر وحصولهما بسيراف. فلمّا ارتحل الأمير أبو علي والأتراك من باب شيراز كتب أبو القاسم العلاء بن الحسن إليهما بما فعله من تمهيد الأمور وأشار عليهما بتقديم السير فساروا ونزلوا بدولتاباذ، ثم دخلا البلد.

---

١. كذا في الأصل: الرضاء، بالمد.

فاستولى الأمير أبو طاهر على الأمر بقوّة نفسه وشدّة بأسه، وتقلّد فولاذ بن ماناذر أمور الديلم[241] ومايله العلاء بن الحسن فتعاضدوا، وصارت كلمتهما واحدة.

ثم مات الأمير أبو طاهر وقيل: إنّه سُمَّ، فغلب فولاذ على الأمور واستبدّ بالتدبير وعرض من فساد الحال بينه وبين العلاء ما صار سبباً لانفصاله عن فارس وحصوله بالريّ. وسَيرد ذلك في موضعه إن شاء الله.

وفي هذا الوقت ورد الخبر بمسير فخر الدولة من همذان طالباً أعمال خوزستان ومحدِّثاً نفسه بقصد العراق.

ذكر السبب في حركة فخر الدولة لطلب العراق

كان الصاحب ابن عبّاد على قديم الأيام وحديثها يحبّ بغداد والرياسة فيها ويراصد أوقات الفرصة لها. فلمّا توفّى شرف الدولة سمت نفسه لهذا المراد وظنّ أنّ الغرض قد أمكن. فوضع على فخر الدولة من يعظّم في عينيه ممالك العراق ويسهل عليه فتحها وأحجم الصاحب عن تجريد رأى ومشورة بذلك نظراً للعاقبة وتبرّياً[1] من العهدة إلى أن قال له فخر الدولة:

ـ «ما الذي عندك أيها الصاحب فيما نحن فيه.»

فقال: «الأمر لشاهانشاه وما يذكر[242] من جلالة تلك الممالك مشهور لا خفاء به وسعادته غالبة، فإذا همَّ بأمر خدمتُه فيه وبلّغتهُ أقصى مراميه.»

فعزم حينئذ على قصد العراق وسار إلى همذان ووافاه بدر بن حسنويه وأقام بها مدّة يجيل الرأى ويقلّبه ويدبّر الأمر ويرتّبه، حتى استقرّ العزم على أن يسير الصاحب وبدر بن حسنويه على طريق الجادّة، ويسير فخر الدولة

---

١. ما في مد: تبرّئاً.

وبقية العسكر على طريق الأهواز، ورحل الصاحب مرحلة.

ذكر رأي أشير به على فخر الدولة اقتضى ردّ الصاحب من الطريق

قيل لفخر الدولة:

ـ «من الغلط مفارقة الصاحب لك، لأنّك لا تأمن أن يستميله أولاد عضد الدولة فيميل إليهم.»

فاستعاده وسارت الجماعة إلى الأهواز وكان أبو منصور ابن عليكا والياً للحرب بالأهواز، وأبو عبد الله ابن أسد ناظراً فى الخراج على ما رتّبهما شرف الدولة. فلمّا توفّى شرف الدولة عمل أبو الحسن الكوكبى المعلّم فى تغيير أمر أبى منصور ابن عليكا والقبض عليه، وندب لذلك أخاً للحسين الفرّاش، وانتهى [243] الخبر إلى أبى منصور من أصحابه بالحضرة فترك داره ورحله وأكثر كراعه، ومضى مع بعض العرب قاصداً حضرة فخر الدولة ونهب الديلم بعد انصرافه رحله، وكان شيئاً كثيراً.

ذكر رأي سديد لأبى عبد الله ابن أسد استرجع به المأخوذ وحفظ فيه السياسة

جمع قوّاد الديلم وقال لهم:

ـ «إنّ هذا الرجل والكُراع المأخوذ هو اليوم لبهاء الدولة، واذا أُخذ ونُهب كان ذلك خروجاً عن الطاعة. فإمّا أن تردّوا المأخوذ وإمّا أن تخلوا عنّى لأفارق موضعى وأنتم بشأنكم أبصر.»

فقالوا: «إنّما فعل ذلك أصاغرنا الذين لا قدرة لنا على انتزاع ما فى أيديهم.»

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فراجعهم وراجعوه حتي التزموا ردَّ المنهوب وتحالفوا علـى اسـتخلاصه. ففعلوا ذلك فأعادوه.

ثم عدلوا إلى المطالبة بمال البيعة فجمع أبـو عـبد الله صـدراً مـن مـال الإرتفاع وقوّم بقية الرحل والكراع على القوم وأرضاهم به.

وشاع خبر مسير فخر الدولة فوقع بين الديلم والأتراك [244] تنافر أدّى إلى حرب بينهما أيّاماً. ثم سار الأتراك ومن مال إلى بهاء الدولة من الأهواز على سمْتِ العراق.

ذكر ما جرى عليه أمر فخر الدولة عند حصوله بالأهواز وما اعتمده من سوء التدبير والسياسة حتى عاد بالخيبة

كان الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد سبق إلى الأهـواز ومـلكها ولحقه فخر الدولة بعد عشرين يوماً وخيَّم ببستان البريدى.

وتشوّف الجند إلى ما يكون من عطائه واحسانه. فلم يكن منه في ذلك ما اقتضته الحال ولا بعض ما كانت عليه الآمال.

وحضر المهرجان فقاد القوّاد الخوزستانية خيلاً برسم خـدمته عـلى مـا جرت به العادة في مثل هـذا الفـصل، فـردَّها عـليهم وسـامهم أن يـمكنوا المخيَّرين من اختيار ما يرتضونه لمراكبه، وأخذ من خيلهم جيادها فنفرت قلوبهم لذلك.

ثم حظر على إقطاعاتهم ومنعهم التصرف في ارتفاعها وإن لم يـظاهرهم بحلها وارتجاعها ومدَّ العمّال في أثناء الخطر أيديهم في تـناول مـوجودها. فضاقوا صدوراً وازدادوا نفوراً.

فأمّا وجوه الديلم الذين وصلوا مـع فـخر الدولة، فـإنّ نـيّاتهم سـاءت

أيضاً [245] لأنّ إقطاع كل واحد منهم بالريّ وأعمال الجبل كان من عشرين ألف درهــم إلى ثـلاثين ألف درهــم. ورأى كـل واحـد مـن قـوّاد الديـلم الخوزستانية وإقطاعه ما بين مائتي ألف درهم إلى ثلاثمائة ألف درهم فكثر تحاسدهم وظهر تحاقدهم.

وكان من عجيب الإتفاق (ليـقضي الله أمـراً كـان مـفعولاً)[١] أنّ دجـلة الأهواز زادت في تلك الأيام زيادة لم تجر بها العادة ودخل الماء إلى الخيم فأخذ بعضها. فرحل فخر الدولة وعسكره وعظم في أعينهم ما رأوه لأنّـهم ألِفوا المدود[٢] وقال بعضهم لبعض: إنّما حملنا الصاحب إلى هذه البلاد طلباً لهلاكنا.

فاشمأزّت قلوبهم وساءت ظنونهم وتقلقل الأمر ولاح من كلّ وجه وهي أسبابه. واتصلت الأخبار إلى بغداد بحصول فخر الدولة بالأهواز.

ذكر ما دبّره بهاء الدولة في تجهيز العسكر للقاء فخر الدولة

لمّا عرف وصول فخر الدولة إلى الأهواز انزعج انزعاجاً شـديداً ونـدب الحسين بن علي الفرّاش للخروج في هذا الوجـه والقـيام بـتدبير الحـرب، وقدّمه وعظّمه ولقّبه: الصاحب، مغايظة لابن عباد وخلع عليه [246] خـلعاً توفي على قدر من هو أوفى منه، وأصحبه من المال والسلاح والآلات كل خطير كثير وجرد معه أبا جعفر الحجاج بن هرمز وألفتكين الخدام ومـعهما عسكر جرّار.

وسار بعد أن خرج بهاء الدولة لتوديعه فرتّب نفسه فـي طـريقه تـرتيب

---

١. س ٨ الأنفال: ٤٢.

٢. الصواب: ما كانوا ألفوا، كما سيأتي.

الملوك فى مجالسه ومواكبه وانخرق فى العطاء وأسرف فى التدبير.

وكان السبب في بلوغه هذه المرتبة مع عناية بهاء الدولة تجرّد أبى الحسن الكوكبى المعلّم لتشييد أمره لا عن صفاء له، وإنّما قصد بمساعدته على ذلك إبعادهُ عن الحضرة والاستراحة منه. فإنّه كان شديد الاستيلاء على بهاء الدولة.

فلمّا حصل بواسط وبعد، حُكيت عنه حكايات وأقوال، ووجد فى تغيُّر رأى بهاء الدولة متسع ومجال.

ذكر السبب فى تغيّر رأى بهاء الدولة فى الحسين الفرّاش وما جرى عليه الأمر فى القبض عليه وردّه من الطريق إلى بغداد وقتله فى دار نحرير [247]

قال أبو نصر المعروف بالأستاذ الفاضل: لمّا أراد الحسين الفرّاش التوجّه، قال لى بهاء الدولة:

ـ «أريد أن أشاهده إذا ركب فى موكبه وبرز إلى مضاربه.»

فقلت: «الأمر لك.»

فخرج ووقف من باب الحطّابين ينظر إلى الطريق، فاجتاز للحسين عدّة غلمان أتراك بالسيوف والمناطق وتحتهم الخيل بالمراكب الجميلة فقال لى:

ـ «يا بانصر هذه المراكب من الخزانة؟»

قلت: «نعم، لمّا بيعت ابتاعها وطرّاها.»

واجتازت بعد ذلك جنائبه بمراكب ذهب وغير ذهب، وفيها بغلة عليها مركب كان يحبّه بهاء الدولة، فأخرج فيما بيع وحصل له فقال:

ـ «يا بانصر هذا مركبى الفلانى؟»

قلت : «نعم.»

ولم يزل يسأل عن شيء شيء ويقول :

ـ «متى جمع هذا وحصّلهُ !»

فلمّا مضى الحسين عاد بهاء الدولة إلى مجلسه. ورأيت وجهه قد تغيّر ونشاطه قد فتر، ودخل الحجرة فنام إلى العصر ولم يطعم طعاماً إلى آخر النهار، ثم راسله الحسين الفرّاش على لساني يسأله الأذن في ضرب طبول القطاع.

فامتنع عليه من ذلك وقال :

ـ «هذا لا يجوز.»

وعُدت إليه بهذا الجواب فاشتطّ وقال :

ـ «بمثل هذه المعاملة يُراد مني أن أدفع فخر الدولة وقد استولى على المملكة مما ذهب فيه مذهب الجهل ؟»

واتّفق أنّ أحمد الفرّاش كان حاضراً معي[248] وسامعاً لما يجرى. وقمنا وسبقني أحمد الفرّاش فحدَّث بهاء الدولة بما جرى. ثم جئت من بعد فسألني عمّا كان من الجواب، فقلت :

ـ «قد كان أحمد الفرّاش حاضراً وتقدّمني إلى حضرتك ولعلّه قد شرحهُ.»

فقال : «أعِدهُ.»

فحسَّنتُ ما أوردهُ، فقال :

ـ «ما كان هكذا.»

قلت : «إذا كان مولانا قد عرف الأمر على صحّته فما الفائدة في تكرير إعادته ؟»

ثم تتابعت الأخبار بما يفعله الحسين في طريقه من الأفعال التي تجاوز

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الحدّ فوجد أبو الحسن الكوكبي سبيلاً إلى تقبيح آثاره، وحكى عنه الحكايات التي أدّت إلى بوازه.

فقال له بهاء الدولة في بعض الأيّام وقد جاراه ذكره:

ـ «أنفذ من يقبض عليه.»

فانتهز أبو الحسن الكوكبي الفرصة وبادر بإنفاذ أبي الفتح أخي أبي عبد الله بن عليان وأبي الحسن علي بن أبي علي لذلك.

ذكر اتّفاق عجيب انكتم به الأمر عن الحسين الفرّاش حتى قبض عليه

ذكر الثلاثة المنحدرون أنّهم لمّا وصلوا إلى مطارا والحسين بها ساء ظنّه بورودهم فأنفذ إلى زبازبهم من فتّشها وأخذ ما وجده من الكتب فيها. [249] فلحسن الإتفاق لهم وسوء الإتفاق عليه كانوا قد استظهروا بترك الملطّفات المَكتوبة بالقبض عليه في سمارية كانت في صحبتهم، إلّا أنّها مفردة من جملة ما يخصّهم. فلم يجدوا إلّا الكتب الظاهرة التي كانت إليه فأنس وسكن.

ثم اجتمعوا مع أبي جعفر وألفتكين فأوصلوا إليهما الملطفات ووقفوهما على ما رسم فيها. وصاروا إلى الحسين واجتمعوا في خركاه له وحادثوه ساعة ونهضوا من عنده وأطبقوا عليه بابها ووكّلوا به وبخزانته. ثم حملوه مقيّداً إلى البصرة وسلّموه إلى بكران بن أبي الفوارس وأبي علي ابن [أبي] الريان فحمل منها إلى بغداد. وقد أوغر عليه صدر بهاء الدولة، فحبس في دار نحرير وأمر بإخراج لسانه من قفاه، فمات ورُمي من بعد إلى دجلة. فكان بين استخدامه في الكنس والفرش وبين الخلع عليه مدة يسيرة وبين الخلع عليه وبين قتله مدة أيسر من الأولى.

وإنّ من صعد من الحضيض الأوهد إلى محلّ الفرقد، ولم يكن ليديه بأسباب الخير تعلُّق، ولا لقدميه في أبواب البر تطرُّق، يوشك أن يهوى سريعاً ويخرّ صريعاً فتنبتّ حباله[1] وتنقطع أوصاله فتحوّل حاله إلى الفساد. وتحور نارهُ الى الرماد. فالنار في الحلفاء أعجل وقوداً[250] وصعوداً ولكنها أسرع خموداً وهموداً، وهي في جزل الغضا أبطأ عملاً، لكنها أبقي جمراً وأفسح مهلاً. والمعوَّل في كل حال على العاقبة فعندها تبين الناجية من العاطبة.

وعوّل بهاء الدولة بعد أخذ الحسين الفرّاش على أبي العلاء عبيد الله بن الفضل في هذا الوجه وأنجح فيه ما يأتي شرحه بأذن الله تعالى.

ذكر ما رتّبه فخر الدولة في تجهيز الجيش إلى الأهواز

لمّا عرف فخر الدولة دنوَّ عسكر بهاء الدولة من أعمال خوزستان جرَّد العساكر للقائهم فسار ابن الحسن خاله وشهفيروز بن الحسن وغيرهما في ثلاثة آلاف من الديلم وبدر بن حسنويه في أربعة آلاف من الأكراد ودبيس بن عفيف الأسدى وكان قد انحاز إليه في عدة كثيرة من العرب. فلمّا تلاقى العسكران أجلت الحرب عن هزيمة أصحاب فخر الدولة.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ذكر اتفاقات كانت سبباً لهزيمة عسكر فخر الدولة [251]

لم يكن في التقدير وظنّ النفس ورأى العين أن يثبت لهم عسكر بهاء الدولة لو لا النصر فإنّه من عند الله.

١. والمثبت في مد: حباله، واقترح أن يكون «حباله» والحقّ معه.

فاتفق أنّ المعركة كانت بقرب أنهار وجاءت زيادة مدّ أخذ الصحارى وظنّ عسكر فخر الدولة أنّها مكيدة عملت بفتح بثق عليهم يغرقون فيه، ولم يكن لهم علم بحال المدود ولا هى عندهم من المألوف والمعهود. فولّوا أدبارهم ونكصوا على أعقابهم[1] إلى الأهواز واستأسر أناسٌ من أكابرهم واستأمن كثير من أصاغرهم.

وقيل: إنّ بدر ابن حسنويه وقف بنجوة من الأرض واعتزل الحرب وإنّ دُبيس بن عفيف انصرف قبل اللقاء. وربّما كان سبب هذا الفعل من الصاحب ما اعتمده فخر الدولة معه من الإرتياب به وردّه حين سار من همذان على جادّة العراق خوفاً من ميله إلى أولاد عضد الدولة ومثل ذلك ما أثّر فى القلوب وأقام البرىء مقام المريب، ثم ما استمر من مخالفته إيّاه فى آرائه.

فلمّا عاد الفلّ إلى الأهواز قلق فخر الدولة وتقلقل رأيه وتململ.

ذكر رأى سديد رآه الصاحب لم يساعده عليه فخر الدولة [252]

قاله له: أمثال هذه الأمور تحتاج إلى توسع فى العطاء وضايقت الناس مضايقة وأضعفت فينا آمالهم وقطعت منا حبالهم. فإن استدركتَ الأمر بإطلاق المال واستمالة الرجال ضمنت لك ردَّ أضعاف ما تطلقه بعد سنة من ارتفاع هذه البلاد.

فلم يكن منه اهتزاز لهذا القول وكان قصارى ما فعل تلافى القوّاد الأهوازية بإزالة الحظر عن إقطاعاتهم فلم يقع هذا الفعل موقعاً منهم مع ذهاب ارتفاعها فى تلك السنة.

---

١. والمثبت فى مد: أعناقهم، وهو تصحيف.

ولم تسمح نفس فخر الدولة بعطاء، للشحّ[١] الغالب عليه. وأخذ الناس في التسلل لاحقين بإصحاب بهاء الدولة حتى كان النقباء يطوفون في صبيحة كل يوم على الخيم فيجدون كثيراً منها قد خلا من أصحابها. واتسع الخرق على الراقع وأعضل الداء على الطبيب:

كَمَا أنَّ الأديمَ إذا تَفَرَّى بَلَى وتعفّنَا غلب الصَّبَاحَا[٢]

فضاق فخر الدولة ذرعاً بالمقام مع انتشار الحبل في يديه وتفرُّق الناس عنه وانصرف عائداً إلى الريّ وقبض في طريقه على جماعة من القوّاد الرازيّة وقتلهم. ووافى أبو العلاء عبيد الله بن الفضل فدخل الأهواز وملك الأعمال.

وأما أبو عبد الله بن أسد فإنّ الديلم قبضوا عليه قبل وصول [253] الصاحب إلى الأهواز وتوفّي في الاعتقال من علّة عرضت له. ومرض الصاحب بالأهواز مرضاً أشفى منه ثم أقبل فتصدّق بجميع ما كان في داره من المال والثياب والأثاث، ثم استأنف عوض كل شيء من بعد.

ذكر ما حفظ على الصاحب في مقامه بالأهواز

قيل: إنّ قوماً تظلّموا إليه من حيف لحقهم فوقّع على ظهر قصّتهم: يظلمون شهراً وينصفون دهراً. وهذا توقيع طريف. فهل يجوز الغفول عن الظلم ساعة فكيف شهراً وما يدريه لعل الله يُحدث قبل الشهر أمراً.

وقيل: إنّه رسم لكتّاب البلد عمل حساب بإرتفاع كل كورة، فعملوه

---

١. وفي الأصل: للشيخ.

٢. لعله الدباغا: والمثل المشهور: كدابغة وقد حلم الأديم (مد).

وحملوه إليه. فأمر بجمع العمّال والمتصرفين وأن يخرج ارتفاع كل ناحية ويعرض عليهم ويزايد بينهم. فكان ينادى على النواحي بين العمّال كما ينادى على الأمتعة بين التجّار. وهذا الحديث مستطرف في حكم النظر.

وقيل: إنّه غير مستنكر عند كتّاب الريّ وتلك البلاد، لأنّ معاملاتهم جارية على عقود وقوانين. فأمّا العراق وما والاها فلم نسمع بمثل ذلك فيها [254] إلّا ما كان من قديم الناس من المزايدة بين التجّار في غلّات السلطان.

ذكر خبر مستحسن في ذلك

قيل: إنّ أحد الوزراء ـ وأظنّه على بن عيسى والله أعلم ـ جمع التجّار إلى مجلس نظره في بعض السنين ليبيع الغلّات عليهم فتقاعدوا بالأسعار على اتّفاق بينهم فبرز أحدهم فزاد زيادة توقّف عنها الباقون ظنّاً منهم أنّه لن يقنع بذمّة رجل واحد دون الجماعة. لأنّه مال عظيم فأمضى الوزير البيع له.

فلمّا خافوا فوت الأمر زادوه عشرة آلاف دينار فقال الوزير:

ـ «قد نفذ السهم وسبق القول والغلّات للرجل والثمن لنا وله الإختيار في قبول الزيادة منكم أو ردّها عليكم فهي له خالصة دوننا.»

فسألوا الرجل قبول الزيادة أو المشاركة فقبل الزيادة وولّاهم البيع وبرئت ذمّته من الثمن وعاد إلى منزله بعشرة آلاف دينار.

فما أحسن هذا الفعل الكريم والمذهب المستقيم وكم في أثناء الوفاء بالعقود والثبات على الشروط والصدق في الوعود، من مصلحة خالصة وسياسة شاملة! وإن لاح في أولاها بعض الغرم ففي عواقبها كل النعم وإذا لم يوثق بأقوال الصدور فعلام [255] تُبنى قواعد الأمور؟ والسياسة بنيان والصدق قاعدة، والبنيان يشدّ بعضه ببعضه. فإذا اضطربت القاعدة آل البنيان

إلى النقض. ونعود إلى سياقة التاريخ.

وفي هذه السنة أفرج عن أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وعاد إلى بغداد ناجياً من الهلاك بعد أن كان أشرف عليه.

ذكر أناءة اعتمدها العلاء بن الحسن في بابه أدّت إلى خلاصه

كان قد حصل في القلعة معتقلاً على ما تقدّم ذكره والعلاء بن الحسن يراعيه مراعاة مستورة.

فورد عليه في آخر أيام شرف الدولة [من] يأمره بقتله فانزعج لهذه الحال، لما كان بينهما من حرمة الإتصال وثبت في إمضاء ما ورد. وتجدد من وفاة شرف الدولة ما تجدَّد، فأنفذ في تلك الفترة من أخرجه من الحبس وأشار عليه بقصد العراق فسار إلى البصرة واستأذن في الإصعاد فأذِن له.

ذكر القبض على ابن عمر العلوي وعلى كاتبه

وفيها قُبِض على أبي الحسن محمد بن عمر العلوي وعلى كاتبه أبي الحسن علي بن الحسن.

ذكر ما جرى عليه الأمر في ذلك [256]

كانت حال أبي الحسن محمد بن عمر قد تضاعفت في أيام شرف الدولة، وقد تضاعف ارتفاع أملاكه حتى إنّ أبا الحسن علي بن طاهر لمّا خرج إلى نواحي سقي الفرات لتأمل أحوالها في أيام شرف الدولة، عمل في عرض ما راعاه عملاً بإرتفاع ضياعه اشتمل على عشرين ألف ألف درهم. وعرف

الشريف أبو الحسن ذلك فضاق صدره وساء ظنّه.

ذكر رأى سديد رآه ابن عمر فى تلك الحال استمال به قلب شرف الدولة

استدعى على بن الحسين الفرّاش الملقّب بالخطير. فلمّا أحضر عنده قال له:

ـ «احمل عنّى رسالة إلى الملك وقل له: يا مولانا ما لأحد علىّ نعمة كنعمتك ولا منّة كمنتك. أطلقتني من حبسى ومننت علىّ بنفسى ورددت أموالى وضياعى إلىّ وزدت فى الاحسان الىّ. وبلغنى أنّ ابن طاهر عمل بضياعى عملاً بعشرين ألف [ألف] درهم وهذه الضياع هى لك ومنك. وقد أحببت أن أجعل نصفها للأمير أبى على هدىً ونحلة طيّبة عن طيب نفس وانشراح صدر.»

فأعاد[١] على بن الحسين الفرّاش الرسالة على شرف الدولة.

ذكر جواب لشرف الدولة عن [257] رسالة أبى عمر تدلّ على شرف نفس وعلوّ همّة

قال شرف الدولة فى الجواب:

ـ «قل له: قد سمعت رسالتك وكلّ جميل اعتددت به فاعتقادى يوجب لك أوفى منه. والله لو أنّ ارتفاعك أضعاف ما ذكرته لكان قليلاً لك عندى. وقد وفّر الله عليك مالك وأملاكك وأغنى أبا على عن مداخلتك فى ضياعك، فكن فى السكون والطمأنينة على جملتك. فانظر إلى هذه الهمّة ما أشرفها

---

١. لعلّه: فعرض (مد).

وأعلاها، وأنصت إلى هذه الأحدوثة ما أطيبها وأحلاها. وتلك مواهب من الله يخصّ بها من يشاء من عباده والمرء يصيب بحسن التوفيق لا بحوله واجتهاده.»

فلمّا توفّى شرف الدولة وانتقل الملك إلى بهاء الدولة استولى أبو الحسن المعلّم على الأمور وامتدّت عينه إلى حاله، وأشار على بهاء الدولة بأخذ نعمته وقبض أملاكه، فقبض عليه وعلى وكلائه وكتّابه وبقى فى الاعتقال الذي يَرد ذكره فيما بعد.

وفى هذه السنة خرج أمر بهاء الدولة بإسقاط ما يؤخذ من المراعى من سائر السواد.

وفيها عاد أبو نصر خواشاذه من الموصل بعد إصعاد ابنى حمدان إليها.

ذكر خروج ابنى حمدان من [258] بغداد وذكر ما جرى عليه أمرهما فى حرب أبى نصر خواشاذه

لمّا توفّى شرف الدولة شرع أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا حمدان فى الخروج إلى الموصل واستأذنا فى ذلك فوجدا رخصة انتهزا بها الفرصة. فأصعدا بأهلهما أجمعين وعلم من بالحضرة وقوع الغلط فى إصعادهما فكوتب أبو نصر خواشاذه بدفعهما وردّهما.

فلمّا وصلا إلى الحديثة راسلهما أبو نصر بالرجوع من حيث جاءا. فهما إن خالفاه ودخلا البلد قبض عليهما فأجاباه جواباً جميلاً ببذل الطاعة وقبول ما يُؤمران به. وعاد الرسول وسار[ا] على أثره حتى نزلا بالدير الأعلى.

وثار أهل الموصل على الديلم والأتراك فنهبوا أرحالهم وأخذوا أموالهم وخرجوا إلى ابنى حمدان وأظهروا المباينة والعصيان.

فأنفذ أبو نصر من كان معه من العسكر لقتالهم فقامت الحرب بينهم إلى

العصر ثم انهزم أصحاب السلطان وهلك منهم عدد كثير قتلاً وغرقاً ولحق الباقون بأبي نصر فاعتصموا بدار الإمارة التي هو نازل فيها وتبعهم ابنا حمدان والعامة، فغُلقت الأبواب دونهم واستوعب القتال بقية النهار. ثم حجز الليل بينهم وعاد ابنا حمدان إلى مخيّمهما.

ذكر رأي سديد رآه ابنا حمدان [259] فأحسنا فيه الظنّ علماً للعاقبة

لمّا جرى ما جرى [و] علما أنّ العامة لا تقنع إلّا بقتل الديلم وأنّ السلطان لا يغمض على مثل هذه الجناية خافا عواقب الأمر وراسلا أبا نصر في ليلتهما وقالا له:

ـ «نحن خدم السلطان وقد جرت الأقدار بغير الأختيار ولا قدرة لنا الآن علي ضبط العامة لما في نفوسهم من الديلم وهم في غد يحرقون الدار ويسفكون الدماء فإمّا أن تصير إلينا وإمّا أن تعلم أنّك مُهلك نفسك.»

فعرف أبو نصر خواشاذه أنّهما قد نصحاه وخرج إليهما ليلاً فأكرماه ثم عدلا إلى تدبير أمر العامة فأحضرا شيوخهم ووجوههم وقالا لهم:

ـ «إنّ كنتم تؤثرون مقامنا بين ظهرانيّكم فولّونا أموركم ولا تشفوا بقتل أصحاب السلطان صدوركم، فإنّه شفاء يعقب داء عضالاً، ولا تجدون من السلطان في ذلك إغضاء وإجمالاً. والذي نراه أن تكفّوا أحداثكم عن القتل وانصراف هؤلاء القوم عنكم صرفاً جميلاً ويتلطف السلطان اقدامنا عندكم.»

فأجابوه بالسمع والطاعة وبذل المكنة والاستطاعة وبكر العوام إلى الدار فلم يزل ابنا حمدان والمشيخة بهم رفقاً ولطفاً حتى استقر الأمر بعد هناة على أن يهبوا الدم وينهبوا الأموال وأن يصعد الجند إلى [260] السطوح ويقف على الدرج من الشيوخ من يمنع العامة من الصعود.

ودخلوا الدار وخرجوا بنهب الموجود. ثم غُلقت الأبواب وصار جند السلطان محبوسين أيّاماً إلى أن انحدروا بأسوأ حال في الزواريق إلى بغداد وأفرج عن أبي نصر وأحسن إليه وعاد إلى الحضرة.

وتشاغل ابنا حمدان بالنظر في أمورهما وانثال عليهما من بني عقيل العدد ولم يكن لهما من الجند إلّا العامة والثلاثون ألف من الحمدانية.

ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة

فيها كانت الوقعة بين باد وبين أبي طاهر[1] وأبي عبد الله ابني ناصر الدولة بن حمدان وبين بني عقيل بظاهر الموصل.

ذكر ما جرى عليه الحال في هذه الوقعة من قتل باد وهزيمة أصحابه

لمّا حصل أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا ناصر الدولة بظاهر الموصل استضعفهما باد وطمع في قصدهما وأخذ البلد منهما. وعلم أن لا جند لهما سوى العامّة فكاتب أهل الموصل واستمالهم. فأجابه بعضهم وسار في ستة آلاف رجل من أصناف الأكراد ونزل في الجانب الشرقي.

فخافه [161] ابنا حمدان وعلماً أن لا طاقة لهما به فلجأ إلى بني عقيل وراسلا أبا الدواد محمد بن المسيب وسألاه النصرة وبذلا له النزول على حكمه فالتمس منهما الجزيرة ونصيبين وبلد وعدّة مواضع فأجاباه إلى ملتمسه.

فلمّا استقرت بينهم هذه القاعدة سار إليه أبو عبد الله ابن حمدان ووافى به

---

١. وفي الأصل: أبي نصر.

فى ألفى فارس إلى بلد وهى فى أعلا الموصل فى الجانب الغربى[١] وعبرا دجلة وحصلا مع باد على أرض واحدة وباد عنهما غافل وبحرب أبى طاهر وأهل الموصل متشاغل.

فجاءته طليعة من طلائعه تخبر بعبورهما فخاف أن يعبر إليه من بازائه ويكبسه أبو عبد الله وبنو عقيل من ورائه. فتقدّم إلى أصحابه بالإنتقال واللوْذ بأكناف الجبال، واضطربوا واخلطوا ما بين سابق مستعجل ولاحق مرتحل وثابت فى المعركة مستقبل.

ذكر اتفاق عجيب آل إلى هلاك باد بعد انقضاء مدّته

بينما الحال على ما ذكر من اختلاط أصحاب باد إذ قُتل عبد الله حاجبه المعروف بعروس الخيل، ففُجع به وانزعج لفقده وأراد الإنتقال من فرس [262] إلى فرس، فحوّل رجله من ركاب إلى ركاب ووثب فسقط إلى الأرض بثقل بدنه، فاندقّت ترقوته والحرب قائمة بين الفريقين حتى عرف أبو[٢] على الحسن بن مروان ابن أخته خبره. فصاروا إليه فقالوا له:

ـ «احمل نفسك كي تلحق الخيل.»

فقال لهم:

ـ «لا حراك بى فخذوا لنفوسكم.»

فانصرفوا فى خمسمائة فارس طالبين الجبل عرضاً حتى خلصوا إليه من السهل. وجدّل بنو عقيل منهم فرساناً وسلم بنو مروان وأكثر من معهم وساروا فى لحف الجبل إلى ديار بكر.

وحصل باد فى جملة القتلى وبه رمق فعرفه أحد بنى عقيل، فأخذ رأسه

---

١. بَلَد: اسم لمواضع كثيرة. انظر مراصد الإطلاع.

٢. وفى الأصل: أبا.

فحمله إلى ابنى حمدان وأخذ عليه منهما جائزة سنيّة ودل على جثّته فحُمل إلى الموصل وقطعت يده ورجله وحُملت إلى بغداد وصُلب شِلوهُ على باب دار الإمارة بالموصل.

فثار العامّة وقالوا:

ـ «هذا رجل غاز فلا تحلّ المثلة به.»

فحطّ وكفّن وصلّى عليه ودفن. وظهر من محبة العامّة له بعد هلاكه ما كان طريفاً. بل لا يستطرف من الغوغاء تناقض الأهواء ولا يستنكر للرعاع اختلاف الطباع، وهم أجرأ الخلق إذا طمعوا وأخبثهم إذا قُمعوا.

ومضى أبو على ابن مروان من فوره إلى قلعة كيفا، وهى قلعة على دجلة حصينة جدّاً وبها زوجة باد الديلمية.[263]

ذكر حيلة لابن مروان ملك بها القلعة

لمّا وصل إلى باب القلعة قال لزوجة باد:

ـ «قد أنفذنى خالى إليك فى مهمّات.»

فظنّته حقاً. فلمّا صعد وحصل عندها أعلمها بهلاكه، ثم تزوّج بها ورتّب أصحابه فيها ونزل فقصد حصناً حصناً حتى رتّب أمر جميع الحصون، وأقام ثقاته فيها وصار إلى ميافارقين.[1]

ونهض أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا حمدان إلى ديار بكر طمعاً فى فتح القلاع وحملا معهما رأس باد، فوجدا الأمر ممتنعاً وقد أحكم ابن مروان بناه وحمى حماه. فعدلا إلى قتاله ووقعت بينهما وقعة كان الظفر فيها لابن مروان، وحصل أبو عبد الله ابن حمدان أسيراً فى يده.

---

١. ميّافارقين: أشهر مدينة بديار بكر. قيل: ما بُنى منها بالحجارة فهو بناء أنوشروان، وما بُنى منها بالآجرّ فهو بناء أبرويز (مراصد الإطلاع).

ذكر جميل لابن مروان إلى أبي عبد الله عند أسره لم يشكر عليه فساءت عاقبة أمره

لمّا أسر ابن مروان أبا عبد الله أحسن إليه وأكرمه وأفرج عنه. فصار إلى أخيه أبي طاهر وقد نزل على آمد. فأشار عليه بمصالحة ابن مروان [264] وموادعته والإنكفاء عن ديار بكر فأبى أبو طاهر إلّا معاودة حربه مع جمع كثير من بني عقيل ونمير، واضطرّ أبو عبد الله إلى مساعدته كما ينصر الأخ أخاه ظالماً ومظلوماً.

وسارا إلى ابن مروان فواقعاه وكان النصر له قهرهما وأسر أبو عبد الله أسراً ثانياً، فأساء إليه وضيّق عليه واعتقله زماناً طويلاً إلى أن كاتبه صاحب مصر في بابه فأطلقه بشفاعته وخطابه ومضى إلى مصر وتقلّد منها ولاية حلب[1] وأقام بتلك الديار حتى توفّي وله بها عقب.

وأمّا أبو طاهر فإنّه انهزم ودخل نصيبين وقصده أبو الذوّاد محمد بن المسيّب، فأسره وعليّاً ابنه والزغفير أمير بني نمير فقتلهم صبراً.

وملك محمد بن المسيّب الموصل وأعمالها وكاتب السلطان وسأل إنفاذ من يقيم عنده من الحضرة. فأخرج المظفّر أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وذلك عند غيبة بهاء الدولة عن بغداد ومقام أبي نصر خواشاذه بها في النيابة عنه.

فلم تدخل يد المظفّر إلّا في أبواب المال وفيما كان له ولأبي نصر خواشاذه من الأموال والإقطاع في النواحي، فاستولى بنو عقيل على سوى ذلك.

---

١. وفي تاريخ ابن القلانسي ص ٥١ أنّه في سنة ٣٨٧ ولي صور من قبل الحاكم صاحب مصر (مد).

القبض على صاحب المعونة
ببغداد وقتله

وفى هذه السنة قبض على أبى الفرج محمد بن أحمد بن الزُّطّى صاحب المعونة ببغداد. [265]

ذكر ما جرى عليه أمره فى القبضِ
عليه إلى أن قتل

كان هذا الرجل قد تجاوز حد الناظرين فى المعونة وأسرف فى الإساءة إلى الناس حتى وترهم، وبالغ فى أيام صمصام الدولة بعد فتنة أسفار فى منع أسباب أبى القاسم عبد العزيز بن يوسف وتطلُّب حُرمه واستيصال أمواله ونعمه، وأغرق فى الفعل القبيح معهم ومع غيرهم.

وكثرت الطوائل لديه واجتمعت الكلمة عليه وأطمع بهاء الدولة وأبو الحسن الكوكبى المعلّم فى ماله وكثر عندهما مبلغ حاله فقُبض عليه واعتقل فى الخزانة وكرّر الضرب عليه أيّاماً.

ووقع الشروع فى تقرير أمره فاجتمع أبو القاسم عبد العزيز وأبو محمد ابن مكرم على نصب الحبائل لهلاكه، ووضعا أبا القاسم الشيرازى على أن يضمّنه بمال كثير.

ذكر مكيدة تمّت لعبد العزيز بن يوسف
فى أمر الزُّطّى حتى هلك [266]

قال أبو نصر الحسين بن الحسن المعروف بالأستاذ الفاضل: إنّ أبا القاسم عبد العزيز هو الذى سعى واجتهد فى أمر ابن الزطى وذكره عند المعلّم بكل

ما خوّفه منه وقال :

ـ «نحن بصدد حرب والمسير للقاء عدوٍ، والحوادث لا تؤمن ومتى استبقيت هذا الرجل لم نأمنه جميعاً على من نخلّفه وراءنا من حرمنا وأولادنا وفى الراحة منه قُربة إلى الله تعالى وأمن فى العاقبة.»

قال المعلّم :

ـ «إنّ الملك قد أطمع فى مال كثير من جهته.»

فقال عبد العزيز :

ـ «لعمرى إنّه ذو مال ولكنّه لا يذعن به طوعاً ولا يعطيه عفواً. وهذا أبو القاسم الشيرازى يبذل فيه ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ويقول: إنّ المال لا يصحّ وهو حىٌّ تخافه أصحاب الودائع.»

وحضر الشيرازى وبذل مثل ذلك بلسانه.

قال الأستاذ الفاضل : فقلت له :

ـ «هل أنت على ثقة مما بذلته ؟»

فقال لى سرّاً :

ـ «علىّ الإجتهاد. فإن بلغتُ المراد وإلّا حملتُ إلى زوجة هذا ـ وأشار إلى المعلّم ـ عشرة آلاف درهم وقد خلّصتنى من يده.»

...کز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وضحك وضحكت.

ولم يزل عبد العزيز بالمعلم حتى تقرّر الأمر على قتله. واستؤذن بهاء الدولة وتحقق عنده المال المبذول عنه. فأذن فى ذلك وعُبر بالرجل إلى الجانب الغربى وحمل رأسه إلى المعلّم، فأنفذه إلى محمد بن مكرم فوضعه فى غد فى دهليزه ليشاهده الناس.

وهذه حكاية عجيبة [267] وليس العجب من قتل ابن الزطي. فإنّه كان من الأشرار وما آل إليه الأشرار من البوار، وإنّما العجب من استيلاء المعلّم

على بهاء الدولة واستيلاء المرأة على المعلّم حتى يلعبا بالرجال ويتحكّما بالدماء والأموال. وإنّ أمثال هذه الأحوال لتكسو الدول من العار بروداً وتنظم لها من المساوى عقوداً. فإذا أحبّ الله صلاح دولة طهّرها من مثل هذه الأدناس وقيّض لتدبيرها أخيار الناس، فتكون ما بقيت منصورة مؤيّدة، ثم تبقي محاسنها في الصحف محفوظة مؤبّدة.

وعوّل بعد قتل ابن الزطّي على أبي محمد الحسن بن مكرم الحاجب وخلع عليه، فأبان فيها أثراً جميلاً وأخذ العيّارين والدُّعّار أخذاً شديداً بعد أن كان قد استشرى أهل الفساد.

فقامت الهيبة واستقامت الأمور على السداد، وأمن البلد وهرب كل ذي ريبة. ثم استعفى منها وخرج في الصحبة إلى واسط.

ذكر السبب في ذلك

كان رأي أبي الحسن المعلّم فاسداً في الوزير أبي منصور، وإنّما أقرّه على الوزارة تأنيساً لأبي القاسم العلاء بن الحسن وتقريراً لحيلة تتمّ عليه.

فلمّا فعل بفارس ما فعله ووقع اليأس من خداعه بعد كشف قناعه، قدّم على[١] القبض [268] على الوزير أبي منصور ما كان أخّر، وعوّل على أبي نصر[٢] سابور بن أردشير في النظر وخلعت عليه خلع الوزارة ونُقل الوزير أبو منصور إلى الخزانة ونزل أبو نصر سابور داره.

وعلى ذا مضى الناس! منصور ومخذول ومولّى ومعزول ومختار ومردود ومشتهى ومملول، وأعمال السلطان عوارى لابدّ من استرجاعها، وملابس لابد من انتزاعها. والسعيد من حسنت من تلك العوارى حاله، وكرمت في

١. قال في مد: «لعله: من.» ولا داعي لذلك.

٢. في الأصل: منصور.

خلال تلك الملابس خلالهُ. فإذا ارتجعت منه بقى له من المجد حظٌّ موفور، وإذا انتزعت منه صفا عليه من الحمد بُرد محبَّرٌ، فختمت بالصالحات أعماله وذكرت بعده بالخيرات أفعاله.

مسير بهاء الدولة إلى شيراز

وفيها سار بهاء الدولة متوجهّاً إلى شيراز بعد استتباب أبى نصر خواشاذه فى خلافته ببغداد وخلع عليه وطرح له دستاً كاملاً في دار المملكة الأولى وثلاث مخادّ فى الدار الداخلة وما رُئى[1] أحد من الوزراء والأكابر جلس فى هذه الدار على مثل ذلك، وكتب له عهد ذُكر فيه بـ «شيخنا»، وهو أوّل من خوطب بهذا الاسم من الحواشى.

وعوّل على أبى عبد الله ابن طاهر فى النيابة عن الوزير أبى نصر سابور ببغداد فلم يستقم ما بينه وبين أبى نصر [269] خواشاذه واستمرّ الفساد بينهما إلى أن عاد بهاء الدولة، فقبض عليهما على ما يأتى ذكره فى موضعه.

ذكر ما جرى عليه أمر بهاء الدولة فى هذه السفرة

انحدر ومعه أبو الحسن المعلّم والوزير أبو نصر سابور، والأمر لأبى الحسن فى الكبير والصغير وهو الغالب على الرأى فى التدبير.

وأقام بواسط أيّاماً وسار ونزل بمعسكر أبي جعفر ابن الحجاج ودخل البصرة فشاهدها وعاد إلى مخيّمه.

وورد عليه خبر وفاة أبى طاهر أخيه، فجلس لعزائه. ثم توجّه إلى الأهواز وسيَّر أبا العلاء عبيدالله بن الفضل على مقدّمته ومعه جمهور عسكره

---

١. فى الأصل: رؤى.

فصار إلى أرجان ودخلها، وفتح القلعة بالجند وملكها. وكان فيها من أصناف الأموال شيء كثير.

فلمّا وصل الخبر إلى بهاء الدولة سار إلى أرجان ونزلها وأمر بحطّ جميع ما كان في القلعة من المال وغيره وتسليمه إلى الخُزَّان وكان من العين ألف[١] ألف دينار ومن الورق ثمانية آلاف ألف ألف درهم[٢] ومن الجوهر والثياب والآلات والأسلحة ما يذّخر الملوك مثله. [270]

ذكر ما جرى في أمر هذا المال حتى تفرّق أكثره

لمّا حصل المال في الخزائن أحبّ بهاء الدولة تنضيده بأجناسه في مجلس الشرب. فنضّد جميعه على أحسن تنضيد ووكّل الحفظة والخزان به في موضعه أيّاماً. فكان منظراً أنيقاً إلّا أنّه شاع من ذلك ما صار إلى التفرقة طريقاً.

فعند ذلك شغب الأتراك والديلم شغباً متتابعاً. فأطلقت تلك الأموال حتى لم يبق منها بعد مديدة غير أربعمائة ألف دينار وأربعمائة ألف[٣] ألف درهم حملت إلى الأهواز.

وتوجّه أبو العلاء ابن الفضل من أرجان إلى النوبندجان، وهزم من كان بها من عساكر صمصام الدولة وأثبت أصحابه في نواحي فارس. وبرز أبو منصور فولاذ بن ماناذر من شيراز، وسار على مقدمة صمصام الدولة وواقع أبا العلاء بخواباذان[٤] فهزمه.

---

١. لعله زائد.

٢. كذا: ثمانية آلاف ألف ألف درهم.

٣. لعله زائد (مد).

٤. كذا في الأصل: خواباذان. وما في المراصد: خوبَذان: وهو موضع بين أرّجان والنوبندجان من أرض فارس وهناك قنطرة عجيبة الصفة عظيمة القدر (مراصد الإطلاع).

ذكر هذه الوقعة والمكيدة التي كانت سبباً لهزيمة عسكر بهاء الدولة

لمّا حصل أبو العلاء والأتراك بإزاء فولاذ والديلم في وادي خواباذان وقنطرة [271] حجاز بين الفريقين تطرّق قوم من الغلمان إلى جمال الديلم فساقوها وعادوا بها إلى معسكرهم ورآهم بقية الغلمان الأتراك فطمعوا في مثل ذلك، وركب من الغد منهم سبعون غلاماً من الوجوه وعبروا القنطرة.

وكان الديلم قد أرسلوا جمالاً مهملة لا حماة معها على سبيل المكر والخديعة فاستاقهم الغلمان وكرّوا راجعين.

ووقعت الصيحة فركب في أثرهم فرسان من الديلم والأكراد كانوا معدّين ووصل الغلمان إلى القنطرة فوجدوا من دونها خمسمائة رجل من الديلم كان فولاذ قد رتّبهم وراء جبل بالقرب. فلمّا عبر الغلمان بأموالهم رأوهم على القنطرة بالرصد فلم يكن للغلمان سبيل إلى العبور ولحقهم الفرسان فأوقعوا بهم وقتلوهم عن بكرة أبيهم، وأخذوا رؤوس أكابرهم فأنفذوها إلى شيراز. وكان ذلك وهناً عظيماً وثلماً كبيراً في عسكر بهاء الدولة.

وراسل فولاذ أبا العلاء فأطمعه وخدعه ثم سار إليه وكبسه. فانهزم من بين يديه وعاد إلى أرجان مفلولاً. ولمّا وصل الخبر بذلك إلى صمصام الدولة سار من شيراز.

وغلت الأسعار بأرّجان ونواحيها وضاقت المير والعلوفة. ثم وقع الشروع في الصلح وتردّدت فيه كتب ورُسُل فتمّ على أن يكون لصمصام [272] الدولة فارس وأرّجان، ولبهاء الدولة خوزستان والعراق، وأن يكون لكل واحد منهما إقطاع في بلاد صاحبه.

وعقدت العقود وأحكمت العهود وحلف كل واحد منهما للآخر على

التخالص والتصافي بيمين بالغة، وشُرطت وحُرّرت على النسختين وعاد بهاء الدولة إلى الأهواز.

وورد أبو عبد الله الحسين بن علي بن عبدان نائباً عن صمصام الدولة بالحضرة وناظراً فيما أفرد له من الإقطاع بالعراق، وعوّل على أبي سعد بندار ابن الفيروزان في النيابة عن بهاء الدولة بفارس.

وفاة صاحب مصر الملقب بالعزيز

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة أبي الفرج يعقوب بن يوسف وزير صاحب مصر الملقّب بالعزيز(١).

ذكر حاله وما جرى عليه أمر الوزارة بمصر من بعده

كان أبو الفرج كبير الهمّة عظيم الهيبة فاستولى على الأمر ونصح صاحبه فيه فقرُب من قلبه وتمكّن من قربه، ففوّضت الأمور إليه واستقامت على يديه.

فلمّا اعتلّ علّة الوفاة ركب إليه صاحب مصر عائداً ووجده على شرف اليأس فحزن له وقال:

ـ «يا يعقوب، وددت أن تُباع فأبتاعك بملكي أو تُفدى فافتديك. فهل من حاجة توصي بها؟»

فبكى [273] يعقوب وقبّل يده ووضعها على عينه وقال:

ـ «أمّا فيما يخصّني فلا، فإنّك أرعى لحقّي من أن أسترعيك، وأرأف

١. والوزير هو ابن كلس. وردت هذه القصة في تاريخ أبي يعلى ابن القلانسي ص ٣٢ وهي مأخوذة من تاريخ هلال الصابي. وفي إرشاد الأريب ٢ : ٤١١ وردت قصة ابن كلس هذا مع ولد للوزير أبي الفضل ابن حنزابة (مد).

بمخلّفي من أن أوصيك، ولكنّي أقول لك فيما يتعلق بدولتك: سالِم الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكّة، ولا تُبق على المفرَّج بن دغفل ابن الجراح متى أمكنت فيه الفرصة.»

ولم يشغله ما كان فيه من فراق دنياه عن نصح صاحبه ومحبّته وهواه، وكذلك حال كل ناصح صدوق.

ثم توفّي فأمر صاحب مصر بأن يدفن في قصره في قبّة كان بناها لنفسه وحضر جنازته فصلّى عليه وألحده بيده في قبره، وانصرف من مدفنه حزيناً لفقده وأغلق الدواوين أيّاماً من بعده.

واستخدم أبا عبد الله الموصلي مدّة ثم صرفه وقلّد عيسى بن نسطورس وكان نصرانياً. فضبط الأمور وجمع الأموال ومال إلى النصارى وولّاهم الأعمال وعدل عن الكتّاب والمتصرّفين من المسلمين، واستناب بالشام يهودياً يعرف بمنشا بن ابراهيم بن الفرار، فسلك منشا مع اليهود سبيل عيسى مع النصارى، واستولى أهل هاتين الملّتين على جميع الأعمال.

ذكر حيلة لطيفة عادت بكشف هذه الغمّة [274]

كتب رجل من المسلمين قصّة وسلّمها إلى امرأة وبذل لها بذلاً على اعتراض صاحب مصر بالظلامة وتسليمها إلى يده وكان مضمونها:

«يا مولانا، بالذي أعزّ النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشا بن الفرار وأذلّ المسلمين بك إلّا نظرت في أمري.»

وكانت لصاحب مصر بغلة معروفة إذا ركبها مرّت في سيرها كالريح ولم تلحق. فوقفت له المرأة في مضيق، فلمّا قاربها رمت بالقصة إليه ودخلت في الناس. فلمّا وقف عليها أمر بطلبها فلم توجد وعاد إلى قصره متقسم الفكر في أمره واستدعى قاضيه أبا عبد الله محمد بن النعمان وكان من خاصّته

وأهل أنسهِ فشاوره فى ذلك فقال ابن النعمان:

ـ «أنت أعرف بوجه الرأى.»

فقال: «لقد صدقت المرأة فى القصّة ونبّهت من الغفلة.»

وتقدّم فى الحال بالقبض على عيسى بن نسطورس وسائر الكتّاب من النصارى وكتب إلى[1] الشام بالقبض على منشأ بن الفرار وجماعة المتصرفين من اليهود، وأمر بردّ الدواوين والأعمال إلى الكتّاب المسلمين والتعويل فى الإشراف عليهم فى البلاد[2].

ذكر تدبير توصّل به عيسى بن نسطورس إلى الخلاص والعود إلى النظر [275]

كانت بنت المتلقّب بالعزيز المعروفة بستّ الملْك كريمة عليه حبيبة إليه لا يردّ لها قولاً. فاستشفع عيسى بها فى الصفح عنه وحمل إلى الخزانة ثلاثمائة ألف دينار. وكتب إليه يذكره بخدمته وحرمته فرضى عنه وأعاده إلى ما كان ناظراً فيه وشرط عليه استخدام المسلمين فى دواوينه وأعماله.

فتنة العيّارين

وفى هذه السنة كثرت فتن العيّارين بعد انحدار بهاء الدولة ورفعت الحشمة وجرى من الحرب بين أهل الدروب والمحالّ نوبة بعد نوبة ما أعيا فيه الخطب وتكرّر الحريق والنهب تارة على أيدى العيّارين وتارة على أيدى الولاة. وولى المعونة عدّة فما أغنوا شيئاً واستمرّ الفساد إلى حين عود بهاء الدولة.

---

١. وفى الأصل: من.

٢. وفى تاريخ ابن القلانسى ص٣٣: على القضاة فى البلاد (مد).

ودخلت سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة

ذكر القبض على

سابور الوزير

فيها قبض على أبى [نصر] سابور الوزير بالأهواز ونظر أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف فى الأمور.

ذكر السبب فى ذلك

لمّا عاد بهاء الدولة بعد الصلح إلي الأهواز شغب الديلم والأتراك وطالبوا [276] بإطلاق المال وذكروا أبا الحسن المعلّم وأبا نصر سابور وأبا الفضل محمد بن أحمد عارض الديلم وعلى بن أحمد عارض الأتراك وجاهروا بالشكوى منهم وظاهروا بالكراهية لهم.

وتردّدت بينهم وبين بهاء الدولة مراسلات انتهت إلى أن استوهب منهم أبا الحسن المعلم وأبا القاسم على بن أحمد وأرضاهم بالقبض على أبى نصر سابور وأبى الفضل محمد بن أحمد، وقلّد أبا القاسم عبد العزيز الوزارة وخلع عليه.

ومن حسن سياسة الملوك أن يجعلوا خاصّتهم كلّ مهذّب الأفعال محمود الخصال موصوفاً بالخير والعقل معروفاً بالصلاح والعدل فإنّ الملك لا تخالطه العامّة ولا أكثر الجند، وإنّما يرون خواصّهُ. فإن كانت طرائقهم سديدة وأفعالهم رشيدة عظمت هيبة الملك فى نفس من يبعد عنه لإستقامة طريقة من يقرّب منه.

فقد ورد عن الاسكندر أنّه قال:

ـ «أنّا إذا فتحنا مدينة عرفنا خيارها من شرارها قبل تجربتهم.»

قيل له:

ـ «كيف؟»

قال: «لأنّا نرى خيارهم يتصافون إلى خيارنا وشرارهم إلى شرارنا.»

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنّه قال:

ـ «ما شيءٌ أدلّ على شيء ولا الدخان على الدخان[١] من الصاحب على الصاحب.»

قال عدىّ بن زيد: [277]

عَنِ المَرءِ لا تَسْأَلْ وأَبصِرْ[٢] قَرِينَهُ فَإِنَّ القَرينَ بِالمُقارِنِ يَقْتَدِى

وإذا كان خواصّ الملك ممن يُقدح فيهم وتذكر مساويهم، قلّت الهيبة فى النفوس فأظهر الجند استقلالاً لامره، ثم صار الإضمار نجوى بينهم، ثم زادت الحيرة فصارت النجوى إعلاناً. فعند ذلك تقع المجاهرة وترتفع المراتبة ويتحكمون عليه تحكُّم الآمر لا المأمور، والقاهر لا المقهور.

وفى هذه السنة أنفذ خلف بن أحمد عمراً ابنه إلى كرمان ودفع تمرتاش عنها.

شرح [ما][٣] عليه أمر خلف بن أحمد صاحب سجستان فى إنفاذ عمرو ابنه إلى كرمان ويتّصل هذا الحديث بما جرى بعد هذه السنة من أحوال تلك البلاد

كان أبو أحمد خلف بن أحمد المعروف بابن بنت عمرو[٤] بن الليث

١. لعله: النار.
٢. ويُروى: وسَلْ عَنْ» بدل «وأبصِرْ».
٣. سقط: «ما» فى الأصل.
٤. وفى الأصل: عمر. والصواب فيما بعد.

الصفّار قد ورد العراق فى أيام معزّ الدولة، وخلع عليه بالحضرة الخلع السلطانية لولاية سجستان.

وكان ردىء الدخيلة فى الباطن جيّد الناموس فى الظاهر، شديد الطمع فى الأموال، متوصلاً إلى أخذها باللطف والإحتيال، ويقول: [278]

ـ «ليس يجب أن يكون للرجال من الرعيّة أكثر من عشرة آلاف درهم. لأنّها ذخيرة لذى الحاجة وبضاعة لذى التجارة».

ذكر الحيلة التى استمرّ عليها خلف بن أحمد فى أخذ أموال رعيته

كان يتبع أمور أهل البلاد فى مكاسبهم ومتاجرهم وبضائعهم وذخائرهم. فإذا عرف استظهار قوم منهم عمل ثبتاً بأسمائهم.

وخرج على وجه التنزّه والتصيُّد ونصب رجلاً من أصحابه فى النيابة عنه ووافقه على أخذهم ومطالبتهم بالفضل الذى يقدّر أنّه فى أيديهم. فإذا علم أنّ المال معظمه قد صحّ من جهتهم، رجع فيشكونَ إليه ما عُوملوا به. فيظهر لهم التوجّع ويتقدّم بالإفراج عن من بقى منهم فى الإعتقال ومسامحتهم بما تأخّر عليهم من المال، ويحضر صاحبه الذى استنابه فيجلله بالإنكار، وربّما ضربه بمشهدهم ليزول ما خامر قلوبهم من الإستشعار.

وكان يمشى إلى المسجد الجامع فى كل جمعة بالطيلسان. وربّما خطب وصلّى بالناس وأملى الحديث وله إسناد عالٍ ورواية عن شيوخ العراقيّين ومحدّثى الحرمين.

وكان عضد الدولة عند حصوله بكرمان[1] قرّر معه هُدنة على أن لا

---

١. وذلك فى سنة ٣٥٧.

يتعرّض [279] كلّ واحد منهما ببلاد صاحبه، وكتبا بينهما كتاباً بذلك شاع ذكره عند أمراء سامان[١] وكبراء أهل خراسان وجرى الأمر على المسالمة مدّة أيام عضد الدولة.

فلمّا توفّى وملك شرف الدولة وانصرف أبو على الحسين بن محمد الحاجب عن كرمان وتقلّدها تمرتاش وسار شرف الدولة إلى العراق، تحدّثت نفس خلف بالغدر، ثم أحجم عن الأمر.

فلمّا توفّى شرف الدولة وملك صمصام الدولة فارس ووقع الخلف بينه وبين بهاء الدولة قوى طمعه وجهّز جيشاً مع عمرو ابنه، فلم يشعر تمرتاش بهم حتى نزلوا بعيص أردشير ليلاً، وكان هو وعسكره فى موضع يعرف بتركياباد من أبنية أبى عبد الله بن إلياس[٢] ومعهم أموالهم وعلاهم. فكان قصاراهم أن تركوا الدور وما فيها من الأموال ودخلوا بردشير[٣] بما أمكنهم حمله وحصلوا فى الحصار وملك عمرو بن خلف جميع أعمال كرمان سوى بردشير وجبى الأموال وصار تمرتاش[٤] إلى فارس.

وكانت بينه وبين العلاء بن الحسن عداوة من أيّام شرف الدولة فوجد العلاء فى هذا الوقت الفرصة التى كان يتوقّعها فى أمره.

ذكر الحيلة التى رتّبها العلاء بن الحسن فى القبض على تمرتاش وقتله من بعد [280]

قال العلاء ابن الحسن لصمصام الدولة:

---

١. فى الأصل: ساسان.
٢. أظنّه اليسع ابن محمد بن الياس (مد).
٣. وفى المراصد بالسين المهملة: أعظم مدينة بكرمان وبينها وبين السيرجان مرحلتان.
٤. وفى الأصل: وصادر الناس.

ـ «إنّ تمرتاش فى جنبه بهاء الدولة ولا يؤمن أن يميل إليه ويقيم الخطبة له.»

وقرّر معه تجهيز عسكر كثير من الديلم لمعونته وموافقة وجوههم على القبض عليه عند الحصول ببردشير، فأخرج أبا جعفر نقيب نقباء الديلم وتقدّم إليه بذلك.

وسار أبو جعفر إلى كرمان وعرف عمرو بن خلف حصوله بالشيرجان(١) فعاد إلى بَمّ ونرماشير. وتمّم أبو جعفر إلى بردشير. فاستقبله تمرتاش مبعداً فى استقباله وسارا جميعاً إلى الخيم التى ضربت لأبى جعفر. فلمّا وصلا إليها قال أبو جعفر لتمرتاش:

ـ «بينى وبينكم ما يجب أن نتواقف عليه فى هذا العدوّ والصواب أن نقدّمه.»

فعاد إلى مضاربه. وكان أبو جعفر قد رتّب فيها قوماً من الديلم لما يريده فحين نزلا قبض عليه وقيّده فأنفذ إلى داره من احتاط على خزائنه وإصطبلاته وكان مموّلاً، فوجد له ما عظم قدره. وحمل تمرتاش إلى شيراز فحبسه العلاء، ثم قتله.

ولمّا فرغ أبو جعفر من أمر تمرتاش سار بالعسكر الذى صحبه وبمن كان مقيماً ببردشير يطلب مواقعة عمرو بن خلف.

ذكر ما جرى عليه أمر [281] أبى جعفر فى هزيمته

لمّا التقى الفريقان بدارزين وهى فى سهل من الأرض يتّسع فيها اطّراد الفرسان استظهر ابن خلف عليه بكثرة من الفرسان وضاقت المِيَر على أبى

---

١. قال فى المراصد ذيل «شيرجان»: وما أظنّها إلّا سيرجان قصبة كرمان.

جعفر ومن معه. فهرب ليلاً وعاد على طريق جيرفت.

وبلغ الخبر صمصام الدولة ومدبّرى أمره فانزعجوا منه، ثم أجمعوا أمرهم وأخرجوا العباس بن أحمد الحاجب إلى هذا الوجه في عدد كثير من طوائف العسكر وسار متوجّهاً للحرب.

ذكر ما جرى عليه أمر عمرو بن خلف فى هذه الوقعة وهزيمته وما آل حاله إليه من القتل

لمّا حصل العبّاس بن أحمد الحاجب بقرب الشيرجان، برز إليه عمرو بن خلف ووقعت الوقعة على باب البلد. فكانت الدائرة على عمرو وأسر ألفتكين وكان وجيهاً فى عسكره والمعروف بابن أمير الخيل صهر خلف وعدد كثير من السجزيّة وذلك في محرّم سنة اثنتين وثمانين.

وعاد عمرو إلى سجستان مفلولاً مع نفر من أصحابه. ولمّا دخل إلى أبيه قيّده وأزرى به وعجزه[282] فى هزيمته. وحبسه أيّاماً ثم قتله بين يديه، وتولّى غسله والصلاة عليه ودفنه فى القلعة.

فليت شعرى ما كان مراده من قتل ولده! ما[1] كان عذره فى قطع يده بيده؟ أتراه ظنّ أنّه يشفى غلّته أو يجبر وهنه بفَتّ عضده؟ كلا بل خاب ظنّه وزاد وهنه وطال حزنه لقد فعل فى الدنيا نكراً وحمل للآخرة وزراً. فويل للقاسية قلوبهم ما أبعدهم من الصواب وأقربهم من العذاب!

ووصل أبو على ابن أستاذ هرمز إلى فارس وقرب من خدمة صمصام الدولة فشرع فى إنفاذ أستاذ هرمز أبيه[2] إلى كرمان وقرّر الأمر معه واستعيد العباس وتوجّه أستاذ هرمز.

---

١. والمثبت فى مد: أما.

٢. وفى الأصل: ابنه.

فقال أبو بكر ابن عمرو بن يعقوب كاتبه: لمّا انتهى الخبر إلى خلف بن أحمد وجمَ لذلك الجند، ورأى أنّه قد رُمي[١] بحجره حين لا قدرة له على الذبّ عن حريمه لتمزّق رجاله واضطراب حاله. وعلم أنّه متى قصده في عقر داره وهو على هذه الصورة انتهز فيه الفرصة. فعمد إلى إعمال الحيلة.

ذكر حيلة عملها خلف بن أحمد في تعليل أستاذ هرمز عن قصده [283]

كتب كتاباً غير معنون أقام فيه العذر لنفسه وجعل حجّته في نقض الهدنة العضدية اختلاف صمصام الدولة وبهاء الدولة. إذ كان من شروط الهدنة أنّها ماضية بينهما مدة حياتهما ومنتقلة إلى أولادهما بعدهما ما لم يختلفوا وأنّ نقضهُ لها كان لهذا العذر، وأنّه متى استونف معه الصلح أجاب إليه.

وأنفذ الكتاب على يد أحد الصوفية. قال أبو بكر: فلمّا وصل الكتاب قرأته على أستاذ هرمز وعرّفته ما في الصلح من الصلاح. فتقدّم إليّ بكتب جوابه على نحو ما وقع الإبتداء، ففعلت.

واستمرّ خلف على هذه الطريقة في مواصلة المكاتبة وتقرير أمر الهدنة حتى استقرّت. وكتب بها كتاباً أخذ فيه خطوط الشهود وتوثّق بالأيمان والعهود. واتصلت المهاداة والملاطفة بين الجهتين وخلف في أثناء هذه الأحوال يجمع المال ويثبت الرجال ويتجدد العهد، حتى إذا قويت شوكته نقض عهده.

وأظهر كتاباً من المعتضد بالله رحمة الله عليه، ببلاد كرمان إقطاعاً لجدّه عمرو [ابن] الليث الصفّار وجعل ذلك عذراً عند ملوك الأطراف العارفين بما

---

١. وفي الأصل: وفي.

استقرّ من تلك المعاهدة.

ذكر مكيدة لخلف أراد بها [284] إساءة سمعة أستاذ هرمز

كان بسجستان قاض يعرف بأبي يوسف البزّاز مقبول القول بين الرعيّة يعظمونه غاية الإعظام ويجرونه عندهم مجرى الإمام. فاستدعاه خلف وأخرجه رسولاً إلى أستاذ هرمز وضمّ إليه رجلاً من الصوفية يعرف بالحلبي كالمؤانس له، وسلّم إلى المتصوّف سمّاً وواقفه على أن يقتله في طعام يحمل إليه من دار أستاذ هرمز وفي عقب حضوره على طبقه، لينسب الناس قتله إليه. ورتّب للصوفي جمّازات بين سجستان وبَمّ وقال له:

ـ «إذا قضيت الأرب فأهرب.»

فتوجّه أبو يوسف غافلاً عمّا يُراد به، ووصل إلى أستاذ هرمز وهو ببمّ، فأكرمه وسمع منه ما أورده عليه ووعده بالجواب عنه.

ودخل الصوفى بينهما فى السفارة وحصلت له بها قدم عند أستاذ هرمز فآنس به. فأشار عليه باستدعاء أبي يوسف إلى طعامه ليشاهد فضل مروءته فيتحدّث به في بلده.

فقبل منه واستدعى أبا يوسف لذلك، فاستعفاه وامتنع. فصار الصوفى إلى أبي يوسف وقال له:

ـ «إنّ في امتناعك عليه إيحاشاً له.»

ولم يزل به حتى لبّى دعوته وحضر عنده فى بعض ليالى شهر رمضان. واتّخذ الصوفى شيئاً كثيراً من القطائف. فمنه ما عمله بالفانيد السجزى على عادة تلك البلاد ومنه ما عمله بالسكّر [285] الطبرزد واللوز على رسم أهل بغداد، وجعل السمّ فى البغدادى.

فلمّا انصرف أبو يوسف من دار أستاذ هرمز بعد إفطاره معه، سأله الصوفى عن حاله وما شاهده من مروءته. فما زال أبو يوسف يذكر شيئاً شيئاً حتى أفضى الحديث إلى ذكر القطائف. فوصف أبو يوسف جودة ما أحضر منه على الطبق. فقال الصوفى:

ـ «ما أظنّ القاضي أكل ممّا يصلح عندنا في العراق، وقد عملت منه شيئاً ليأكله ويعلم أنّ لبغداد الزيادة على كلّ بلد.»

وقام وأحضر ما أودعه السمّ. فاستدعى أبو يوسف جماعة من أصحابه ليأكلوا معه. فقال له الصوفى:

ـ «هذا شيء نحبّ أن يتوفّر عليك، وقد عملت لإصحابنا ما يصلح لهم.»

وأحضر ما كان عمله على رسم تلك البلاد، ودعا القوم إليه، وأكل أبو يوسف من المسموم[١] وأمعن فيه.

وخرج الصوفى من الدار وقصد باب البلد وركب جمّازة معدّة ودخل المفازة متوجّهاً إلى سجستان ونام أبو يوسف. فما مضت ساعة حتى عمل السمّ فيه وطلب الصوفى، فلم يلحق ولا عرف له خبر، فأحسّ بالحيلة.

قال أبو بكر الكاتب:

ـ «فجاءني رسوله في جنح الليل يستدعيني. فجئته وهو كما به يتقلّب على فراشه ويحتسب الله على خلف. فوصّاني بحفظ ما يخلفه ومعاونة أصحابه على حمله إلى بلده وتسليمه إلى ورثته. وبقى ساعة وقضى [نحبه][286] وعرف أستاذ هرمز الخبر فقلق لأجله. ثم رأى كتمان الأمر وأحسن إلى أصحاب أبي يوسف وأعادهم موفورين.»

ووصل الصوفىّ إلى خلف وحدّثه الحديث، فقرر معه أن يقول في المحفل

---

١. وفي الأصل: المصوم.

الذي يجتمع الناس فيه: أنّ أستاذ هرمز غدر بأبي يوسف وسمّه وقتله، وأراد أن يفعل بي مثل ذلك فخرجتُ على وجهي هارباً منه، وأنّه قد نقض العهد وعزم على المسير إلى هذه البلاد.

ثم عقد مجلساً فيه القضاة والشهود ووجوه الخاصّة والعامّة وأحضر الصوفي حتى أورد ما توافقا عليه. فما استتمّ الصوفي كلامه حتى أجهش بالبكاء والنحيب وقال:

ـ «وا أسفاه على القاضي الشهيد.»

ونادي: «النفير لغزو كرمان.»

فكتب محاضر بذلك، وأنفذها إلى أصحاب الأطراف، وشنّع على أستاذ هرمز بالغدر والنكث. وندب ولده طاهراً المعروف بشير بابك[1] مع أربعة آلاف غلام وخمسة آلاف رجل من السجزيّة إلى كرمان.

فسبحان من خلق أطواراً وجعل منهم أخياراً وأشراراً! ما كان أجرأ[2] هذا الرجل على فعل المحظور وقول الزور! أتراه ما سمع قول الله تعالى: «ومن يقتُل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها وغَضِبَ الله عَليهِ ولَعَنَهُ وأعدَّ له عَذاباً عَظيماً»[3]. وقوله سبحانه: «ومن يكسِبْ خطيئةً أو إثماً ثم يَرْمِ بِهِ بَريئاً فَقَدْ احتَمل [287] بُهتاناً وإثماً مُبيناً.»[4]. «إنّ الإنسان لظلومٌ كفّار»[5] ولقد أقدم على ظلم عظيم.

١. وفي تاريخ هلال الصابي هو «شير باريك» (مد).

٢. والمثبت في مد: أجرى.

٣. س ٤ النساء: ٩٣.

٤. س ٤ النساء: ١١٢.

٥. س ١٤ إبراهيم: ٣٤.

ذكر ما جرى عليه أمر طاهر بن خلف بكرمان

سار طالع مع عسكره إلى نرماسير وبها شهفيروز ابن بنت ملكا بن وندا خرشيد في عدّة من وجوه الديلم والجيل[١] وفيهم سراهنك بن سياهجيك الجيلي قريب زيار بن شهراكويه. وكان فارساً شجاعاً. فوصلوا إلى باب البلد سحراً. فما شعر الناس إلّا بنعرة الأتراك.

وبادر الديلم عند ذلك إلى ميدان في البلد، فاجتمعوا فيه وتشاوروا فيما بينهم فيما يدبّرون به أمرهم مع قصورهم عن مقاومة من نزل بساحتهم.

فبينما هم في تراجع القول إذ أحرق السجزية أحد أبواب البلد وصعدوا السور. واستقرّ رأى الديلم على الخروج من باب يفضى إلى البساتين والحيطان وسلوك طريق بينهما تضيق عن مجال الفرسان وتوجّهوا على هذه النيّة.

فلمّا وصلوا إلى الباب صادفوا السجزيّة داخلين منه. فتلاقوا وكان يقدم الديلم سراهنك بن سياهجيك. فرمى مليلين[٢] الدواتى أحد قوّاد خلف بزوبين سقط منه صريعاً ورمى آخر فقتله وثلّث. فانهزم السجزية ناكصين على أعقابهم [288] إلى الصحراء.

وخرج الديلم بأهلهم وأموالهم ولزموا حيطان البساتين وقصدوا جبلاً كان قريباً منهم وصعدوا فيه حتى خلصوا ومضوا إلى جيرفت.

ولم يقدم فرسان ابن خلف على اتّباعهم في تلك الطريق ودخل طاهر بن خلف نرماسير[٣] بعد انصرافهم منه.

---

١. وفى الأصل: والخيل.

٢. كذا فى الأصل.

٣. ورد هذا الإسم فى هذا الكتاب بضبطين: بالسين المهملة والشين المعجمة.

وبلغ أستاذ هرمز الخبر وهو ببمّ، وكان فى القلعة التى هو بها سلاح كثير له خطر كبير.

ذكر ما دبّر به أستاذ هرمز أمره
عند وصول الخبر إليه

جمع إليه من كان معه من الديلم وشاورهم فى الأمر فقالوا:
ـ «لا طاقة لنا اليوم بهذا الرجل مع قوة شوكته، لاسيّما وقد انقطع عنّا العسكر الذين كانوا بنرماسير، والصواب أن نحمل من هذه الأسلحة ما نقدر على حمله ونحرق الباقى، لئلا يستظهر العدوّ به علينا ونمضى إلى جيرفت ونقرّر رأينا هناك».

فاستصوب رأيهم وعمل به وبادر إلى جيرفت وأقام بها يستكثر من الرجال ويستعدّ للقتال.

وسار ابن خلف إلى بردسير[1] لأنّها قطب كرمان ومن ملكها وقلعتها تمكّنت قدمهُ واستقام ملكه. [289]

ذكر ما جرى عليه أمر ابن خلف فى قصد
بردسير وما آل أمره إليه من الهزيمة

كان الحامى ببردسير فى ذلك الوقت أبو بكر محمد بن الحسن قريب أبى الوفاء طاهر بن محمد، فجاهد فى الذبّ عن البلد ثلاثة أشهر ثم ضاقت الميرة، فكتب إلى أستاذ هرمز يعلمه اشتداد الحصار به وأنّه متى لم يدركه سلّم البلد.

---

١. ورد هذا الاسم فى هذا الكتاب حيناً بالسين المهملة وحيناً بالشين المعجمة.

فبلغ ذلك من أستاذ هرمز كلّ مبلغ وخاف أن تتمّ الحيلة فيه. فسار من جيرفت في سنة أربع وثمانين والزمان شاتٍ، ولاقى عسفاً في طرق سلكها وأخطار ركبها. فلمّا قرب من بردسير أخذ في لحف الجبل حتى صار بينه وبين القلعة ثلاثة فراسخ ثم رتّب مصافّه وسار.

وعرف من في القلعة وروده، فضربوا البوقات والطبول وبرزوا. وتلاقى السجزية عسكر أستاذ هرمز واقتتلوا عامّة النهار وأستاذ هرمز زحف بعسكره إلى باب البلد حتى إذا شارفه قلع السجزية مضاربهم من موضعها وتأخّروا واختلطوا محاصرين[1] لعسكر أستاذ هرمز.

وقوى بعضهم ببعض وهابهم السجزية وأحجموا عن الإقدام عليهم وأقاموا يوماً واحداً. [290] ثم أوقدوا النيران ليلاً يوهمون بها أنّهم مقيمون، ورحلوا.

وعرف أستاذ هرمز خبر انصرافهم سحراً فأنفذ أبا غالب ابنه في جماعة من الفرسان لاقتصاص آثارهم فسار مجدّاً في طلبهم وقتل جماعة ظفر بهم منهم.

ورحل أستاذ هرمز يطوى المنازل إلى نرماسير، فوصلها وقد دخل طاهر بن خلف المفازة عائداً إلى سجستان.

ونعود إلى سياقة التاريخ.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عود بهاء الدولة من الأهواز إلى مدينة السلام

وفى هذه السنة عاد بهاء الدولة من الأهواز إلى مدينة السلام وقبض على أبى نصر خواشاذه وأبى عبد الله ابن طاهر.

---

١. يريد : واختلط عسكر المحاصرين بعسكر أستاذ هرمز (مد).

ذكر السبب في ذلك

كان أبو الحسن المعلّم يتوقّع في كل ناظر خدمة وهديّة وكان أبو نصر فيه شحٌّ يمنعه عن ذلك، فإذا أشير عليه قال:

ـ «إنّما يفعل هذا الفعل من يرتزق أو يرتفق.»

ففسد رأى أبي الحسن فيه فساداً عرفه كلّ أحد، وبلغ أبا نصر فخافه وهمّ بالهرب عن قرب بهاء الدولة، واستدعى من العرب من يخرج معه.

ثم توقّف وأشار عليه أهل أنسه بتلافي أبي الحسن بما يحمله إليه، فنازلهم إلى ألف دينار. فقالوا له:

ـ «تكون وزناً يُلقي بها بواسط.»

فلم يفعل وأخذ خطّ بعض الباعة به وأنفذه إليه فلم يقع موقعه، إلّا أنّه قبله تأنيساً له. وورد مدينة [291] السلام فقبض عليه وأخذ له عند القبض عليه من عدّة مواضع ما بلغ قيمته ألفي ألف دينار وأفرج عنه بعد ذلك بمدّة.

فانظر إلى هذا الشحّ المطاع كيف ألقى صاحبه في المهالك، وأخرجه إلى ضيق المسالك. فإنّه ضيّع الكثير من حيث حفظ القليل.

والجوّاد أملك لماله من الشحيح. لأنّ ذلك يبذّله: إمّا لنفع عاجل وإمّا لذخر آجل. وهذا يخزنه: إمّا لحادث وإمّا لوارث. فذاك محظوظ وهذا محروم. وذاك مشكور وهذا مذموم.

وقد قيل: أنفق في حالتي الإقبال والإدبار والإنفاق في زمن الإقبال لا ينقص حالاً والإمساك في زمن الادبار لا يحفظ مالاً. قال الله تعالى: «ومَن يُوقَ شُحَّ نفسِه فأولئكَ هُمُ المُفلحون»[1].

---

١. س ٥٩ الحشر: ٩؛ س ٦٤ التغابن: ١٦.

القبض على ابن طاهر

فأمّا أبو عبد الله ابن طاهر فإنّه كان نائباً عن أبي نصر سابور، إلّا أنّه أقرّ على أمره عند القبض على سابور بالأهواز، لأنّه أعطى أبا الحسن المعلّم ما أرضاه، ثم [لم][١] يدفع عنه كراهة منه لايحاش أبي القاسم عبد العزيز، فقبض عليه وقرّر أمره على مال صحّحه وخلّى عنه.

سكون فتنة العيّارين

وفيها سكنت الفتنة وتتبع العيارون وأخذوا وقُتلوا واطمأن الناس وقامت الهيبة. وكان في جملة العيّارين المأخوذين إنسان يعرف بابن جوامرد[٢] من وجوههم، وكان قد أبقى في أيام [صمصام الدولة][292] وحرس الأسواق. فسئل بهاء الدولة في أمره فآمنه،[٣] ومن أبقى أبقى عليه، ومن أساء أساء[٤] إليه، ومن أحسن أحسن إليه.

وفيها هرب أبو منصور فولاذ بن ماناذر من شيراز.

ذكر السبب في هرب فولاذ

لمّا استفحل أمره بفارس وزاد على حدّ أصحاب الجيوش حصل صمصام الدولة تحت حكمه وجعل اسمه مقترناً باسمه في المناشير وكتب فيها:

«هذا كتاب من صمصام الدولة وشمس الملّة أبي كاليجار بن عضد الدولة

---

١. وفي الأصل: يدفع، بدون «لم».

٢. أصله الفارسي: جوانْمَرْد: ذو الفتوة: العيّار.

٣. الضبط في مد: فأمنه.

٤. لعله: أسيء. هذا إذا اعتبرنا الكلام تعقيباً من صاحب الكتاب.

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

يمين أمير المؤمنين، ومن عبده وصاحب جيشه نجم الدولة أبى منصور مولى أمير المؤمنين.»

كانت بينه وبين العلاء بن الحسن المودّة التى تقدّم ذكرها. ثم استحالت عداوة ثبتت على الأيام أصولها وبسقت فروعها. فعمل فولاذ على القبض عليه وخاطب صمصام الدولة على ذلك، فأجابه إلى مراده منه.

ذكر الحيلة التى رتّبها فولاذ على العلاء بن الحسن وانعكاسها حتى صارت الدائرة على فولاذ [293]

صار فولاذ إلى دار الإمارة وفيها أبو القاسم العلاء بن الحسن على عادته. فقدم إليه واستقبله وقضى حقّه وأخذ بيده وماشاه وحادثه. ثم وقف على باب بيت ودفع فى صدره حتى حصل بالبيت وأغلق بابه عليه ووكّل به قوماً.

فاشتغل فولاذ بلقاء الديلم وسلامهم وخطابهم على أمورهم. وكان البيت الذى حصل فيه له باب آخر قد سمّر فعالجه حتى فتحه وخرج منه ودخل على صمصام الدولة فى حجرة خلوته. فقال له:

ـ «قد قبض هذا الرجل علىّ، وغرضه فى ذلك أن لا يترك بين يديك من يخدمك، وفى نفسه أن يعلو على الملك.»

قال: «فما الرأى.»

قال: «أن تقبض عليه إذا دخل إليك الساعة وعلىّ أن لا يجرى من العسكر قول فى معناه.»

ففعل وتقدّم إلى بعض الحواشى بالقبض عليه إذا أقبل إلى حضرة صمصام الدولة والعدول به إلى بعض البيوت.

وسمع عليٌّ الأرزنانى[١] النديم الحديث، وكان يتجسّس على صمصام الدولة لفولاذ. فلمّا وافى فولاذ أومى عليٌّ[٢] إليه بيده أن:

ـ «ارجع فإنّك مأخوذ.»

فرجع فولاذ نافراً وانصرف إلى داره.

وخرج العلاء بن الحسن إلى وسط العسكر على أثره وأظهر لهم عصيانه ونادى للمركوب إليه والقبض عليه. فعرف فولاذ ما عوّل عليه العلاء، فأخذ ما خفّ من ماله على الجمّازات وسار.

وتبعه العلاء مغذّاً فى طلبه[٣] قانعاً بما تمّ عليه [294] من هربه. ومضى فولاذ إلى الأكراد الخسروية فنزل عليهم. وعاد العلاء وأقطع الديلم إقطاعات فولاذ واستقام الأمر له.

وكاتب الأكراد وطالبهم بفولاذ وسبق إليهم بالوعيد إن لم يسلموه وكانوا قد طمعوا في مال فولاذ. وانضاف إلى الطمع فيه الخوف من العلاء، فنهبوه وأفلت بنفسه منهم وحصل بالريّ وأقام عند فخر الدولة، إلى أن توفّى. فأمّا عليّ الارزنانى، فإنّ صمصام الدولة أمر بقتله فقُتل.

ذكر القبض على عبدالعزيز بن يوسف وأصحابه

وفيها قبض على أبى القاسم عبد العزيز بن يوسف وعلى أصحابه وأسبابه. وكانت مدة نظره ببغداد شهرين ونصفاً. وقلّد أبو القاسم على بن أحمد الأبرقوهى الوزارة وخلع عليه.

---

١. وفي الأصل: الارزبانى.

٢. والضبط في مد: عليٌ.

٣. لعله سقط: ثم انصرف (مد).

وفى هذا الوقت قبض على الطائع لله وقد جلس لبهاء الدولة.

ذكر السبب فى القبض على الطائع لله رضوان الله عليه

كان أبو الحسن المعلم ـ وبئس القرين هو ـ قد كثّر عند بهاء الدولة مال الطائع لله وذخائره وأطمعه فيها وهوّن عليه أمراً عظيماً وجرّأه على خطّة شنعاء، فقبل منه وقبض عليه. ثم لم يحظَ من ذلك إلّا بسوء الذكر إلى آخر الدهر. ولولا أنّ حسنات أيام القادر بالله رضوان الله عليه، أسبلت [295] على مساوئ هذا الفعل ستراً، لما وجد عند الله تعالى ولا عند المخلوقين عذراً. لكن محاسن ذلك الإمام التقىّ الرضىّ أعادت وجه الدين مشرقاً وعود الإسلام مورقاً.

فأمّا شرح ما جرت عليه الحال يوم القبض فلم نذكره إذ لا سياسة فيه فتحكى، ولا فضيلة فتروى. إلّا أبياتاً للرضىّ أبى الحسن الموسوى رحمه الله. فإنّه كان فى جملة من حضر. فلمّا أحسّ بالفتنة أخذ بالحزم وبادر الخروج من الدار، وتلوّم من تلوّم من الأماثل، فامتهنوا وسلبت ثيابهم وسلم هو فقال:

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أعجِبْ لِمُسكةِ نَفسى بعدَ ما رُمِيتْ ... مِنَ النوائبِ بِالأبكارِ والعُونِ

وَمِن نَجاتِىَ يومَ الدارِ حينَ هَوَى ... غيرى ولمْ أخلُ من حَزمٍ يُنَجّينى

مَرَقتُ منها مُروقَ النجمِ مُنكدراً ... وقدْ تَلاقتْ مصاريعُ الرَّدَى دُونى

وكنتُ أولَ طلّاعٍ ثَنِيَّتَها ... ومِن وَراءىَ شَرٌّ غيرُ مأمونِ

من بعدِ ما كانَ ربُّ الملكِ مبتسماً ... إلىَّ أُدنيهِ فى النَّجْوَى ويُدنينى

أمسيتُ أرحمُ مَن أصبحتُ أغبِطُهُ ... لقدْ تقاربَ بينَ العِزِّ والهُونِ

ومنظرٍ كانَ بالسَّرّاءِ يُضحِكُنى ... يا قُرْبَ ما عادَ بالضَّرّاءِ يُبكينى

هيهات أغترُّ بالسلطان ثانيةً قَدْ ضَلَّ ولاَّجُ أبوابِ السلاطين[1][296]

وبالله تعالى نستعين من شرّ الفتن وانقلاب الزمن، وإيّاه نسأل سلامة شاملة وعاقبة حميدة بمنّه.



١. من قصيدة طويلة له، أولها:

لواعجُ الشّوق تُخطيهم وتُصْميني واللّومُ في الحبّ يَنهاهُم ويُغريني

أنظر: ديوان الشريف الرضيّ، طبعة وزارة الإرشاد بالأفست، طهران ١٤٠٦ هـ. ق. ج ٢، صص ٤٤٤ ـ ٤٤٨.

خلافة القادر بالله

ولمّا انصرف بهاء الدولة إلى داره ـ وقد حُمل الطائع لله قبله اليها واعتقل فيها ـ أظهر أمر الخليفة القادر بالله أبي العبّاس أحمد بن اسحق بن المقتدر بالله رضوان الله عليهم، ونادى بشعاره في البلد.

وكتب على الطائع كتاباً بالخلع وتسليم الأمر إلى القادر بالله رضى الله عنه، وشهد الشهود فيه عليه، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام.

وانحدر إلى حضرة القادر بالله من خواصّ بهاء الدولة من يهنّيه بالخلافة ويصعد في خدمته إلى مدينة السلام.

وشغب الديلم والأتراك مطالبين برسم البيعة ومنعوا من الخطبة باسم الخليفة في يوم الجمعة، فقيل:

ـ «اللهم أصلح عبدك وخليفتك القادر بالله.[1]»

فقيل: «اللهم أصلح عبدك وخليفتك»[2] ولم يُسمّ.

وتردّدت الرسل بين بهاء الدولة وبين العسكر، فأرضى الوجوه والأكابر ثمّ

---

١. وزاد في مد: «الخليفة في يوم الجمعة» اعتبرناه زائداً وخلطاً.

٢. وزاد في مد: القادر بالله. حذفناه بدليل قوله: «ولم يسمّ».

قرّر لكلّ واحد ثمانمائة درهم وأخذت البيعة على الجماعة واتفقت الكلمة على الرضا[1] والطاعة.

وأقيمت الخطبة باسم أمير المؤمنين القادر بالله أبي العبّاس أحمد رضوان الله عليه، في يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان. وقيل: إنّ القادر بالله [297] رضوان الله عليه، رأى رؤيا قبل ورود الخبر إليه بمصير الأمر إليه.

ذكر الرؤيا التي رآها القادر بالله رضوان الله عليه

قال هبة [الله] بن عيسى كاتب مهذّب الدولة:

كنت أغشى مجلس القادر بالله في مقامه بالبطيحة في كل أسبوع يومين. فإذا حضرت رفعني وإذا رُمت تقبيل يده منعني. فدخلت إليه يوماً فوجدته قد تأهّب، لم تجر عادته بمثله ولم أر منه ما عوّدنيه من الإكرام، وجلست دون موضعي فما أنكر ذلك منّي، ورمت تقبيل يده فمدها إليّ. فاختلفت بي الظنون لزلّة منّي، فإن تكن فأسأل إعلامي بها، فإمّا أن أطلب مخرجاً منها بالعذر، أو ألوذ فيها بالعفو. فأجابني بوقار أن اسمع:

ـ «رأيت البارحة في منامي كأنّ نهركم هذا ـ وأومى إلى نهر الصليق ـ قد اتسع حتى صار عرض دجلة دفعات، وكأنّي متعجب من ذلك وسرت على حافته [مستعظماً] لأمره ومستطرفاً لعظمه. فرأيت دستاهيج قنطرة عظيمة[2] فقلت: ترى من قد حدّث نفسه بعمل قنطرة في هذا الموضع على مثل هذا البحر الكبير؟ وصعدته فكان [298] بثقا محكماً ومددت عيني وإذا بازائه مثله، وزال الشكّ عنّي في انهماد دستاهيج قنطرة وأقبلت أصعد وأصوّب في التعجب. فبينما أنا واقف عليه إذ رأيت شخصاً قد تأمّلني من ذلك الجانب

---

١. كذا في مد: الرضاء.

٢. وفي مرآة الزمان: وإذا بقواعد قنطرة عظيمة. وكلمة دستاهيج، لعلّ معناها درابزين (مد).

وناداني: يا أحمد أتريد أن تعبر؟ قلت: نعم. فمدّ يده حتى وصلت إليَّ وأخذني وعبر بي. فهالني فعله فقلت له وقد تعاظمني أمره: من أنت؟ قال: عليّ بن أبي طالب. هذا الأمر صائر إليك ويطول عمرك فيه، فأحسن إلى ولدي وشيعتي.»

فما أنهى الخليفة هذا المقال من قوله حتى سمعنا صياح ملّاحين وضجيج ناس. فسألنا عن ذلك فقيل:

ـ «ورد أبو عليّ ابن محمد بن نصر وجماعة معه.»

فإذا هم الواردون للإصعاد به فقد تقرّرت الخلافة له. فعاودت تقبيل يده ورجله وخاطبته بإمرة المؤمنين وبايعته.

ثم قام مهذّب الدولة بخدمة الخليفة في إصعاده وانحداره أحسن قيام، وحمل إليه من المال والثياب والآلات ما يحمل مثله إلى الخلفاء، وأعطاه الطيّار الذي كان صنعه لنفسه، وشيّعه إلى بعض الطريق وأنفذ هبة [الله] بن عيسى في خدمته.

فلمّا وصل إلى واسط اجتمع الخدم بها وطالبوا برسم البيعة وجرت لهم خطوب انتهت إلى أن وعدوا بإجرائهم مجرى البغداديّين.

فلمّا تقررت أمورهم عليه ورضوا، سار. فلمّا بلغ الجبل انحدر بهاء الدولة ووجوه الأولياء وأماثل الناس لتلقّيه [299] وخدمته ودخل دار الخلافة ليلة الأحد ثاني عشر رمضان.

ذكر جلوس القادر بالله أمير المؤمنين رضوان الله عليه على سرير الخلافة

جلس ثاني يوم حصوله في الدار جلوساً عامّاً وهُنّئ بالأمر وأنشد المديح

بالشعر. وكان من ذلك قصيدة للرضيّ أبي الحسن الموسوي[١] أولها :

شَرَفُ الخِلافةِ يا بَنِي العبّاس ... اليومَ جَدَّدَهُ أبو العبّاسِ
هذا الذي رَفعتْ يداهُ بِناءَها الـ ... ـعالي وذاكَ موطِّد الآساسِ[٢]
ذَا الطَّوْدُ بقَّاه الزمانُ ذخيرةً ... مِن ذلكَ الجَبلِ الأشمِّ الرّاسي

وتمامها مثبت في ديوان شعره[٣] ولقد صدق الموسوي في قوله .[٤]

إنّ القادر بالله جدّد معاهد الخلافة وأنار أعلامها، وكشف غمم الفتنة وجلّى ظلامها، ويقولون: لئن كان لكلّ من الائمة رضوان الله عليهم مناقب مروية وطرائق مرضية، فإنّ لإربعة منهم فضائل أفردوا بمزاياها وحظوا بمرباعها وصفاياها : قام أمير المؤمنين السفّاح سفح دماء الأعداء وتأخّى كشف الغمّاء[٥] وتفرّد وتفضّل بفضيلة الإبتداء؛ والمنصور بالله، أيّد بالنصر في توطيد [300] قواعد الأمر، فذلل كلّ صعب وأزال كلّ شعب وثقّف كلّ منآد[٦] ومهّد لمن بعده أحسن مهاد؛ ثم المعتضد بالله عضد الدولة بحسن تدبيره وسياسته وتلافاها بشرف نفسه وعلوّ همّته وأعادها بعد الضعف إلى

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١. وفي كتاب عمدة الطالب (طبع بمبئ ١٣١٨ ص ١٨٤) أنّه كان الرضي يرشح إلى الخلافة وكان أبو اسحق الصابي يطمعه فيها ويزعم أنّ طالعه يدلّ على ذلك.
٢. والمثبت في مد: الأساس.
٣. انظر: ديوان الشريف الرضيّ، طبعة وزارة الإرشاد بالأفست، طهران ١٤٠٦هـ.ق. ج ١، صص ٥٤٦ـ ٥٤٩.
٤. قوله: شعره. والكلام الآتي لصاحب الكتاب.
٥. في الأصل: كسف ناجي الغماء (مد).
٦. كذا في مد.

القوّة وبعد اللين إلى الشدّة وبعد الأود إلى الإستقامة وبعد الفتنة إلى السلامة؛ ثم القادر بالله قدَرَ من صلاحها على ما لم يقدر عليه سواه وسلك من طريق الزهد والورع ما تقدّمت فيه خطاه، فكان راهب بني العباس حقّاً وزاهدهم صدقاً. ساس الدنيا والدين وأغاث الإسلام والمسلمين واستأنف في سياسة الأمر طرائق قويمة ومسالك مأمونة سليمة هي إلى الآن مستمرة والقاعدة عليها مستقرّة لم تعرف منه زلّة ولا ذمّت له خلّة. فطالت أيّامه وطابت أخباره وأقفيت آثاره وبقيت على ذرّيّته الشريفة أنواره رضى الله عنه رضاه عن الائمة المتقين، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين.»

حمل ما كان أُخذ من دارَ الخلافة

وحمل إلى القادر بالله بعض ما كان أخذ من دار الخلافة من الأثاث والأواني والآلات وجعل كُتّابه وحجّابه وحواشيه جميعهم من أصحاب بهاء الدولة، ثم أعاد القادر بالله بعد ذلك حاشية الدار القدماء إلى مواضعهم. وكان مدة مقامه [301] بالبطيحة من يوم وصلها إلى يوم خرج منها سنتين وأحد عشر شهراً.

توقير أخت بهاء الدولة

فأمّا أخت بهاء الدولة التي كانت في حبال الطائع لله فإنّ دارها حرست يوم القبض من النهب. ثم نقلت إلى دار بمشرعة الصحراء أقامت فيها موقّرة إلى أن توفّيت.

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة سعد الدولة أبي المعالي ابن سيف الدولة

بعد قتله بكجور غلامه[١].

شرح الحال في عصيان بكجور وما آل إليه أمره من القتل ونُبذ من أخبار المصريين تتصل بها في هذه السنة وما بعدها

كان لسعد الدولة غلام يعرف ببكجور فاصطنعه وقلّده الرقّة والرحبة واستكتب له أبا الحسن على بن الحسين المغربى.

فلمّا طالت مدّته في ولايته جحد الإحسان وحدّث نفسه بالعصيان واستغوى طائفة من رفقائه فصاروا إليه وخرج إلى أبى الحسن المغربى بسرّه، فأشار إليه بمكاتبة صاحب مصر الملقّب بالعزيز والتحيّز إليه فقبل منه وكاتبه واستأذنه في قصد بابه فأذن له. وسار عن الرقّة بعد أن خلّف عليها سلامة الرشيقي غلامه وأخذ رهائن أهلها على الطاعة. فلقيتهُ كُتب صاحب مصر وخِلعه [302] وعهده على دمشق، فنزل بها وتسلّمها ممن كان والياً عليها. ووجد أحداثها وشبّانها مستولين، ففتك بهم وقتل منهم، وقامت هيبته بذلك.[٢] وترددت بينه وبين عيسى بن نسطورس الوزير مكاتبات خاطبه فيها بكجور بخطاب توقّع عيسى أوفي منه. ففسد ما بينهما وأسرَّ عيسى العداوة له وأساء غيبهُ وقطع بكجور مكاتبة عيسى وشكاه إلى صاحب مصر، فأمر عيسى باستئناف الجميل معه فقبل ظاهراً وخالف باطناً.

وخاف بكجور عيسى ومكيدته فاستمال طوائف من العرب وصاهرهم فمالوا إليه رغبة وعاد إلى الرقّة وكتب إليه صاحب مصر يعاتبه على فعله فأجابه جواب المعتذر الملاطف.

---

١. وأما ابتداء أمر بكجور هذا فليراجع تاريخ ابن القلانسى ص ٢٧ (مد).

٢. وهذا فى سنة ٣٧٧: ابن القلانسى ص ٣٠ (مد).

ذكر السبب في مسير بكجور
إلى حلب لقتال مولاه[١]

كان لبكجور رفقاء بحلب يوادّونه. فكاتبوه وأطمعوه في الأمر وأعلموه تشاغل سعد الدولة باللذة، فاغترّ بأقوالهم وكتب إلى صاحب مصر يبذل له فتح حلب ويطلب منه الإنجاد والمعونة فأجابه إلى كل ملتمس. وكتب إلى نزّال الغورى وإلى طرابلس بالمسير إليه متى[٢] استدعاه من غير معاودة. وكان نزّال هذا [203] من قوّاد المغاربة وصناديدهم ومن صنائع عيسى وخواصّه.

ذكر الحيلة التي رتّبها عيسى مع نزّال
في التقاعد ببكجور حتى ورّطه

كتب عيسى إلى نزّال سرّاً بأن يُظهر لبكجور المسارعة ويبطن له المدافعة. فإذا تورّط مع مولاه وصادمه تأخّر عنه وأسلمه.

فرحل بكجور عن الرقّة وكتب إلى نزّال بأن يسير من طرابلس ليكون وصولهما إلى حلب في وقت واحد وسار إليها.

ورحل نزّال وأبطأ في سيره وواصل مكاتبة بكجور بنزوله في منزل بعد منزل وقرب عليه الأمر في وصوله. وقد كان سعد الدولة كتب إلى بسيل عظيم الروم وأعلمه عصيان بكجور عليه وسأله مكاتبة البرجي صاحبه بأنطاكية بالمسير إليه متى استنجده بالمسير إليه فسار.

وبرز سعد الدولة في غلمانه وطوائف عسكره ـ ولُؤلؤ الجراحي الكبير

---

١. ليراجع ابن القلانسي ص ٣٤(مد).

٢. وفي الأصل : من.

يحجبه ـ ولم يكن معه من العرب إلّا عمرو بن كلاب وعدّتهم خمسمائة فارس إلّا أنّهم أولو بأس ومن سواهم من[١] عِدَّته وعُدّته. فنزل إلى الأرض وصلّى وعفّر خدّيه وسأل الله تعالى النصر.

ثم استدعى كاتبه وأمره بأن يكتب إلى [304] بكجور عنه ويستعطفه ويذكّره الله ويبذل له أن يقطعه من الرقّة إلى باب حمص ويدعوه إلى الموادعة ورعاية حقّ الرقّ والعبودية.

ومضى بالكتاب رسول فأوصله إليه. فلمّا وقف عليه قال: الجواب ما يراه عياناً. فعاد الرسول وأعاد على سعد الدولة قوله وأخبره أنّه سائر على أثره. فتقدّم سعد الدولة وتقارب العسكران ورتّب المصافّ ووقع الطراد.

ذكر جود عاد على سعد الدولة بحفظ دولته وشحّ آل ببكجور إلى ذهاب مهجته

كان الفارس من أصحاب سعد الدولة إذا عاد إليه وقد طُعِنَ أو جُرِح خلع عليه وأحسن إليه. وكان بكجور شحيحاً فإذا عاد إليه رجل من رجاله على هذه الحال أمر بأن يكتب اسمه لينظر مستأنفاً في أمره.

وقد كان سعد الدولة كاتب العرب الذين مع بكجور وآمنهم ووعدهم ورغّبهم. فلمّا حصلت كتبه بالأمان معهم عطفوا على[٢] سواده ونهبوه واستأمنوا إلى سعد الدولة.

ورأى بكجور ما تمّ عليه من تقاعد نزّال به وانصراف العرب عنه وتأخّر رفقائه الذين كانوا كاتبوه ووعدوه بالإنحياز إليه إذا شاهدوه. فاستدعى أبا

---

١. زاد هاهنا ابن القلانسي ص ٣٤: ومن سواهم من بطون العرب بني كلاب مع بكجور .... وأعجبه ـ يعني سعد الدولة ـ ما رأى من عدته وعدته الخ (مد).

٢. وفي الأصل: عن.

الحسن المغربي كاتبه وقال له:

ـ «لقد غررتني فما الرأي الآن؟»

قال له:

ـ «أيها الأمير لم أكذبك في شيء قلته ولا أردت [305] إلّا نصحك. والصواب مع هذه الأسباب أن ترجع إلى الرقّة وتكاتب صاحب مصر بما اعتمده نزّال معك وتعاود استنجاده.»

وكان في العسكر قائد من القوّاد يجري مجراه في التقدّم فسمع ما جرى بينهما فقال لبكجور:

ـ «هذا كاتبك إذا جلس في دسته قال: الأقلام تنكّس الأعلام. فإذا تحققت الحقائق أشار علينا بالهرب والله لاهربنا.»

وحلف بالطلاق على ذلك وسمع أبو الحسن المغربي قوله فخاف وكان قد واقف بدويّاً من بني كلاب على أن يحمله إلى الرقّة متى كانت هزيمة وبذل له ألف دينار على ذلك.

فلمّا استشعر ما استشعر قدّم ما كان أخّره وسأل البدوي تسييره إلى الرقّة فسيّره.

ذكر ما دبّره بكجور بفضل شجاعته فحالت المقادير دون إرادته

لمّا رأى الأمر معضلاً عمل على أن يعمد إلى الموضع الذي فيه سعد الدولة من المصاف ويحمل عليه بنفسه ومن ينتخبه من صناديد عسكره موقعاً به فأختار وجوه غلمانه وقال لهم:

ـ «قد حصلنا من هذه الحرب على شرف أمرين صعبين من هزيمة وهلاك وقد عوّلت على كيت وكيت فإن ساعدتموني رجوت لكم الفتح.»

فقالوا: «نحن طوعك وما نرغب بنفوسنا عن نفسك.»

فغدر واحد من الغلمان واستأمن إلى لؤلؤ [306] الجراحى وأعلمه بما عوّل عليه.

ذكر ما فعله لؤلؤ من افتداء مولاه بنفسه فنجّاهما الله بحسن النيّة

أسرع لؤلؤ إلى سعد الدولة وأخبره الحال وقال:

ـ «قد أيس بكجور من نفسه وهو لاشكّ فاعل ما قد عزم عليه، فانتقل من مكانك إلى مكانى لأقف أنا في موضعك وأكون وقاية لك ولدولتك.»

فقبل سعد الدولة رأيه ووقف لؤلؤ تحت الراية وجال بكجور فى أربعمائة غلام شاكّين فى السلاح ثم حمل في عقيب جولته حملة أفرجت له العساكر ولم يزل يخبط من تلقّاه بالسيف إلى أن وصل إلى لؤلؤ وهو يظنّه سعد الدولة فضربه على الخوذة ضربة قدَّها ووصلت إلى رأسه ووقع لؤلؤ إلى الأرض.

وحمل العسكر على بكجور وبادر سعد الدولة عائداً إلى مكانه مظهراً نفسه لغلمانه. فلمّا رأوه قويت شوكتهم وثبتت أقدامهم واشتدّوا فى القتال حتى استفرغ بكجور وسعه، ثم انهزم فى سبعة نفر.

ذكر ما جرى عليه أمر بكجور بعد الهزيمة إلى أن قُتل

كان تحته فرس ثمنه ألف دينار فانتهى إلى ساقية تحمل الماء إلى رحا الطريق سعتها [307] قدر ذراعين فجهد الفرس على أن يعبرها خوضاً أو وثباً

فلم يكن[١] فيه ووقف ولحقته عشرة فوارس من العرب فرجَلتهُ وأصحابه وجرَّدوهم من ثيابهم وآبوا عنهم بأسلابهم.

ونجا بكجور ومن معه إلى الرحا فاستكنوا فيه.

بكجور ورجل من بني قطن

ثم خرجوا من بعد إلى قراح فيه زرع فمرّ بهم قوم من العرب وكان فيهم رجل من بنى قطن كان بكجور يستخدمه كثيراً فى مهمّاته فناداه: أن ارجع، فرجع وهو لا يعرفه فأخذ ذمامه، ثم عرَّفه نفسه وبذل له على إيصاله الرقّة حمل بعيره ذهباً. فأردفه وحمله إلى بيته وكساه.

وكان سعد الدولة قد بثّ الخيل فى طلبه وجعل لمن أحضره حكمه. فساء ظنّ البدوى وطمع فيما كان سعد الدولة بذله واستشار ابن عمه فى أمره فقال:

ـ «هو رجل بخيل وربما غدر فى وعده واذا قصدت سعد الدولة به حظيت برفده.»

فأسرع البدوى إلى معسكر سعد الدولة وأشعره بحال بكجور واحتكم عليه مائتى فدان زراعة ومائة ألف درهم ومائة راحلة محمّلة برّاً وخمسين قطعة ثياباً فبذل له سعد الدولة ذلك جميعه.

وعرف لؤلؤ الجراحي الخبر وتقرّر أن يمضى البدوى ويحضره. فتحامل وهو مثخن بالضربة التى أصابته ومشى يتهادى على أيدى غلمانه حتى حضر عند سعد الدولة.

---

١. كذا فى مد. ولعلّه «لم يتمكّن».

ذكر حزم أخذ به لؤلؤ دلّ منه [308]
على أصالة رأى

لمّا حضر سأل عمّا يقوله البدوى فأخبر به فقبض لؤلؤ على يده وقال له:

ـ «أين أهلك.»

فقال:

ـ «فى المرج على فرسخ.»

فاستدعى جماعة من غلمانه وأمرهم أن يسرعوا إلى الحلّة ويقبضوا على بكجور ويحملوه فتوجّهوا وهو قابض على يد البدوي، والبدوى يستغيث. فقدم لؤلؤ إلى سعد الدولة وقال:

ـ «يا مولانا لا تنكر علىّ فعلى، فإنّه منى عن استظهار فى خدمتك فلو عاد هذا البدوى إلى بيته لم نأمن أن يبذل له بكجور مالاً جمّاً فيقبل منه وتطلب منه بعد ذلك أثراً بعد عين والذى طلبه البدوى مبذول وما ضرّ الاحتياط.»

فقال له سعد الدولة:

ـ «أحسنت يا أبا محمد، لله درك.»

ولم يمض ساعات حتى أحضر بكجور فشاور سعد الدولة لؤلؤاً فى أمره، فأشار عليه بقتله خوفاً من أن تسأل أخت سعد الدولة فيه فيفرج عنه، فأمر عند ذلك بضرب عنقه.

فسار سعد الدولة إلى الرقّة فنزل عليها وفيها سلامة الرشيقى وأبو الحسن المغربى وأولاد بكجور وحرمه وأمواله ونعمه. فأرسل إلى سلامة يلتمس منه تسليم البلد فأجابه:

ـ «بأنّى عبدك وعبد عبدك إلّا أنّ لبكجور علىّ عهوداً ومواثيق لا مخلص

لى عند الله منها إلّا بأحد أمرين: إمّا أنّك تذم لأولاده على نفوسهم وحرمهم [309] وتقتصر فيما تأخذه منهم على آلات الحرب ـ وعددها ـ وتحلف لهم على الوفاء به، وإمّا بأن أبلى[١] عذراً عند الله تعالى فيما أخذ عليَّ من عهد وعقد معي من عقد.»

فأجابه سعد الدولة إلى ما اشترطه من الذمام وحلف له بيمين مستوفاة الأقسام ودخل فيها الأمان لأبي الحسن المغربى بعد أن كان قد هدر دمه. إلّا أنّه أمّنه على أن يقيم في بلاده. فهرب إلى الكوفة وأقام بمشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

ذكر ما جرى عليه أمر سلامة الرشيقي وأولاد بكجور فى خروجهم من الرقّة وغدر سعد الدولة

لمّا توثّق سلامة لنفسه ولأولاد بكجور سلّم حصن الرافقة وخرجوا منها ومعهم من الأموال والزينة ما كثر فى عين سعد الدولة. فإنّه كان يشاهدهم من وراء سرادقه وبين يديه ابن أبى الحصين القاضي وقال له:

ـ «ما ظننت أنّ حال بكجور انتهت إلى ما أراه من هذه الأثقال والأموال.»

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فقال له ابن أبى الحصين:

ـ «إنّ بكجور وأولاده مماليكك وكلّما ملكه وملكوه هو لك لا حرج عليك فيما تأخذه منهم ولا حنث فى الأيمان التى حلفت بها، ومهما كان فيها من وزر وإثم فعليّ دونك.» [310]

---

١. في الأصل أبي: والصواب عند ابن القلانسي (مد).

فلمّا سمع هذا القول أصغى إليه وغدر بهم وقبض على جميع ما كان معهم.

فما كان أسوأ محضر هذا القاضى الذى حسّن لسعد الدولة تسويل الشيطان وأفتاه بنقض الأيمان، ثم لم يقنع بما زيّن له من غدره ولبّس عليه من أمره حتى تكفّل له بحمل وزره. وهل أحد حامل وزر غيره؟ أما سمع قول الله تعالى فى أهل الضلالة: «وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتَّبِعوا سَبيلَنا ولْنحمِلِ خطاياكم وما هُم بحاملينَ من خطاياهُم من شيءٍ إنّهم لكاذبون»[١].

وكان أولاد بكجور كتبوا إلى العزيز بما جرى على والدهم وسألوه مكاتبة سعد الدولة بالإبقاء عليهم.

ذكر ما جرى بين صاحب مصر وسعد الدولة من المراسلات وما اتّفق من وفاة سعد الدولة بعقب ذلك

كتب صاحب مصر إليه كتاباً يتوعّده فيه ويأمره بالابقاء عليهم وتسييرهم إلى مصر موفورين ويقول فى آخره:

ـ «فإن خالفت كنت خصمك ووجّهت العساكر نحوك.»

وأنفذ الكتاب مع فائق الصقلبى[٢] أحد خواصه وسيّره على نجيب إسراعاً به. فوصل فائق إلى سعد الدولة وقد وصل من الرقّة إلى ظاهر حلب وأوصل إليه الكتاب. فلمّا وقف عليه جمع وجوه عسكره وقرأه عليهم ثم قال لهم:

ـ «ما [311] الرأى عندكم.»

قالوا له:

ـ «نحن عبيد طاعتك ومهما أمرتنا به كنّا عند طاعتك منه.»

---

١. س ٢٩ العنكبوت: ١٢.

٢. وفى الأصل: الصقلى. والصواب عند ابن القلانسى ص ٣٨ (مد).

فأمر بإحضار فائق فأهانه وقال له[١]:

ـ «عُد إلي صاحبك وقل له: لستُ ممن يستفزّه وعيدك وما بك حاجة إلى تجهيز عسكر إليّ، فإنني سائر إليك وخبري يأتيك من الرملة.»

وقدّم قطعة من عسكره إلى حمص أمامه وعاد فائق إلى صاحبه فعرّفه ما سمعه ورآه فأزعجه وأقلقه. وأقام سعد الدولة بظاهر حلب أيّاماً ليرتّب أموره ويتبع العسكر الذى تقدّمه، فعرض له القولنج أشفي منه وعاد إلى البلد متداوياً وأبلّ وهنّئ بالسلامة.

وعوّل على العود إلى المعسكر، فحضرت فراشه فى الليلة التى عزم على الركوب في صبيحتها إحدى حظاياه، وتبعتها النفس الشهوانية المهلكة فواقعها وسقط عنها وقد جفّ نصفه. وعرفت أُخته الصورة فدخلت إليه وهو يجود بنفسه واستدعي الطبيب فأشار بسجر الندّ[٢] والعنبر حوله فأفاق قليلاً فقال له الطبيب:

ـ «أعطني يدك أيها الأمير لِآخُذَ مجسّك.»

فاعطاه اليسرى فقال:

ـ «يا مولانا اليمين.»

فقال: «أيّها الطبيب ما تركت لي اليمين يميناً.»

فكأنّه تذكّر ما فرط من خيانته وندم على نقض العهد ونكثه.

ومضت عليه ثلاث ليال وقضى نحبه بعد أن قلّد عهده لولده أبي الفضائل ووصّى إلى لؤلؤ الجراحي به [312] وبيقيّة ولده.

١. وزاد ابن القلانسي أنّه أمر بإعطائه الكتاب ولطمه حتى يأكله (مد).

٢. وفي الاصل: النار. والصواب ما قاله ابن القلانسي (مد).

ذكر قيام أبى الفضائل ابن سعد الدولة بعد أبيه وما جرى له مع العساكر المصرية

جدَّ لؤلؤ فى نصب أبى الفضائل فى الأمر وأخذ له البيعة على الجند، وتراجعت العساكر إلى حلب واستأمن منها إلى صاحب [مصر] وفاء الصقلى[١] وبشارة الاخشيدى ورباح وقوم آخرون فقبلهم وأحسن إليهم وولّى كلًّا[٢] منهم بلداً.

وقد كان أبو الحسن المغربى بعد حصوله فى المشهد بالكوفة كاتب صاحب مصر وصار بعد المكاتبة إلى بابه. فلمّا توفّى سعد الدولة عظّم أمر حلب عنده وكثّر له أموالها وهوّن عليه حصولها وأشار باصطناع أحد الغلمان وإنفاذه إليها.

فقبل منه إشارته وقدّم غلاماً يسمّى منجوتكين فخوّله وموّله ورفع قدره ونوّه بذكره وأمر القوّاد والأكابر بالترجّل له وولّاه الشام واستكتب له أحمد بن محمد القشورى وسيّره إلى حلب وضمّ إليه أبا الحسن المغربى ليقوم بالأمر والتدبير.

ذكر مسير منجوتكين من مصر إلى حلب ونزوله عليها [313]

لمّا وصل إلى دمشق تلقّاه قوّادها وأهلها وعساكر الشام كلّها فأقام بها مدّة. ثم رحل إلى حلب وقد استعدّ واحتشد ونزلها فى ثلاثين ألف رجل وتحصّن أبو الفضائل ابن سعد الدولة ولؤلؤ بالبلد.

---

١. وفى تاريخ ابن القلانسى ص ٣٩: رقى الصقلبى.

٢. والمثبت فى مد: كل.

وقد كان لؤلؤ عند معرفته بورود العساكر المصرية كتب إلى بسيل عظيم الروم وذكَّره ما كان بينه وبين سعد الدولة من المعاهدة والمعاقدة، وبذل له عن أبي الفضائل ولده الجرى على تلك العادة، وحمل إليه ألطافاً كثيرة واستنجده وأنفذ إليه ملكوثا[1] السرياني رسولاً.

فوصل إليه ملكوثا وهو بإزاء عساكر ملك البلغر مقاتلاً. فقبل ما ورد فيه وكتب إلى البرجى صاحبه بأنطاكية بجمع عساكر الروم وقصْد حلب ودفْع المغاربة عنها.

فسار البرجى فى خمسة آلاف رجل ونزل بجسر الحديد بين أنطاكية وحلب وعرف منجوتكين وأبو الحسن ذلك فجمعا وجوه العسكر وشاوراهم فى تدبير الأمر.

ذكر مشورة أنتجت رأياً سديداً كان فى أثنائه الظفر بالروم

أشار ذو الرأى والحصافة منهم بالإنصراف عن حلب وقصد الروم [314] والإبتداء بهم ومناجزتهم لئلا يحصلوا بين عدوّين. فأجمعوا على ذلك وساروا حتى صار بينهم وبين الروم النهر المعروف بالمقلوب.

فلمّا تراءى الجمعان تراموا بالنشّاب وبينهم النهر، وليس للفريقين طريق إلى العبور. فبرز من الديلم الذين فى جملة منجوتكين شيخ فى يديه ترس وثلاث زوبينات ورمى بنفسه إلى الماء والمسلمون ينظرون إليه والروم يرمونه بالنبل والحجارة وهو يسبح قدماً والترس فى يده والماء إلى صدره. وشاهد المسلمون ذلك وطرحوا نفوسهم فى أثره، وطرحت العرب خيولهم

١. فى الأصل : ملكونا . والصواب عند ابن القلانسى ص ٤١ ص ١٤ (مد).

في النهر وهجم العسكر عن المخاض، وحصلوا مع الروم على أرض واحدة ومنجوتكين يمنعهم فلا يمتنعون. وأنزل الله تعالى النصر عليهم وولّى الروم أدبارهم[١] بين مقتول ومأسور ومفلول.

وأفلت البرجي في عدد قليل وغنمت منهم الغنيمة الكثيرة وجمع من رؤس قتلاهم نحو عشرة آلاف رأس وحملت إلى مصر. وتمّم منجوتكين إلى أنطاكية ونهب رساتيقها وأحرقها وكان وقت إدراك الغلّة. فأنفذ لؤلؤ وأحرق ما يقارب حلب منها، إضراراً بالعسكر المصري وقاطعاً الميرة عليهم. وكرّ منجوتكين راجعاً إلى حلب.

ذكر تدبير لطيف دبّره لؤلؤ في صرف العساكر المصريّة عن حلب [315]

لمّا رأى لؤلؤ هزيمة الروم وقوّة العساكر المصرية وضعفه عن مقاومتهم كاتب أبا الحسن المغربي والقشوري ورغّبهما في المال وبذل لهما منه ما استمالهما به، وسألهما المشورة على منجوتكين بالإنصراف عن حلب في هذا العام والمعاودة في القابل[٢] لعلّة تعذُّر الأقوات والعلوفات.

فأجاباه إلى ذلك وخاطبا منجوتكين به فصادف قولهما منه شوقاً إلى دمشق وخفض العيش وضجر من الأسفار والحروب وكتبت الجماعة إلى صاحب مصر بهذه الصورة واستأذناه في الإنكفاء. فقبل أن يصل الكتاب ويعود الجواب رحلوا عائدين وعرف صاحب مصر ذلك. فاستشاط غضباً ووجد أعداء أبي الحسن المغربي طريقاً إلى الطعن عليه فصرفه بصالح بن

---

١. وفي ابن القلانسي ص٤٢: وولت الروم وأعطوا ظهورهم وركبهم المسلمون ونكوا فيهم النكاية الوافية قتلاً وأسراً وقهراً وأفلت البرجي الخ.

٢. أي العام القابل.

على الروذبارى.

ذكر ما دبّره المتلقب بالعزيز فى إمداد العسكر بالميرة وإعادتهم إلى حلب

آلى على نفسه أن يمدّ العسكر بالميرة من غلاّت مصر. فحمل مائة ألف تِلّيس ـ والتلّيس قفيزان بالمعدَّل ـ فى البحر إلى طرابلس ومنها على الظهور إلى حصن أفامية[١].

ورجع منجوتكين فى السنة الثانية إلى حلب ونزل عليها وصالح بن على الروذبارى المدبّر. فكان يوقّع للغلمان بجراياتهم وقضيم دوابّهم إلى أفامية على [316] خمسة وعشرين فرسخاً فيمضون ويقبضونها ويعودون بها. وأقاموا ثلاثة عشر شهراً وبنوا الحمّامات والخانات والأسواق وأبو الفضائل ولؤلؤ ومن معهما متحصّنون بالبلد. وتعذّرت الأقوات عندهم فكان لؤلؤ يبتاع القفيز من الحنطة بثلاثة دنانير ويبيعها على الناس بدينار رفقاً بهم ويفتح الأبواب فى الأيّام ويخرج من البلد من تمنعه المضرتانِ عن المقام[٢] وأشير على منجوتكين بتتبّع من يخرج وقتله، ليمتنع الناس من الخروج ليضيق الأقوات عندهم فلم يفعل.

وأنفذ لؤلؤ فى أثناء هذه الأحوال ملكوثا إلى بسيل عظيم الروم معاوداً لاستنجاده. وكان بسيل قد توسّط بلاد البلغر فقصده ملكوثا إلى موضعه وأوصل إليه الكتاب وقال له:

ـ «متى أخذت حلب فُتِحت أنطاكية بعدها وأتعبك التلافى وإذا سرت

---

١. أفامية (= فامية): مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص (مراصد الإطلاع).

٢. كذا فى الأصل وعند ابن القلانسى ص ٤٣: ويخرج من الناس من أراد من الفقراء من الجوع وطول المقام وقد كان أشير الخ. والمضرتان هما الجوع والوبا (مد).

بنفسك حفظت البلدين جميعاً وسائر الأعمال.»

ذكر مسير بسيل إلى الشام لقتال العساكر المصرية وما جرى عليه أمره فى ذلك

لمّا سمع بسيل قول ملكوثا سار نحو حلب وبينه وبينها ثلاثمائة فرسخ. فقطعها فى ستة وعشرين يوماً، وقاد الجنائب بأيدى الفرسان، وحمل الرجالة [317] على البغال.

وكان الزمان ربيعاً وقد أنفذ منجوتكين وعسكره كراعهم إلى المروج لترعى فيها وقرب هجوم بسيل عليهم من حيث لا يشعرون.

ذكر ما دبّره واعتمده لؤلؤ من رعاية حرمة الإسلام وإنذار منجوتكين بخبر هجوم الروم

أرسل إلى منجوتكين يقول له:

«إنّ عصمة الإسلام الجامعة لنا تدعونى إلى إنذاركم والنصح لكم وقد أظلّكم بسيل فى جيوش الروم، فخذوا الحذر لإنفسكم.»

وجاءت طلائع منجوتكين بمثل الخبر فأحرق الخزائن والأسواق والأبنية التي كان استحدثها ورحل فى الحال منهزماً.

ووافي بسيل فنزل على باب حلب وخرج إليه أبو الفضائل ولؤلؤ ولقياه، ثم عاد ورحل فى اليوم الثالث إلى الشام. وفتح حمص ونهب وسبى ونزل على طرابلس فمنعت جانبها منه فأقام نيّفاً وأربعين يوماً. فلمّا أيس منها عاد إلى بلاد الروم.

وانتهى الخبر إلى صاحب مصر فعظم ذلك عليه وأمر فنودى بالنفير فنفر الناس.

ذكر مسير المتلقّب بالعزيز من [318] مصر لغزو الروم وما اتفق من موته وجلوس ولده المتلقّب بالحاكم فى موضعه

خرج من داره مستصحباً جميع عساكره وعدده وأمواله وسار منها مسافة عشرة فراسخ حتى نزل بلبيس[١] وأقام بظاهرها.

وعارضته علل كثيرة أيس منها من نفسه فأوصى إلى أرجوان[٢] الخادم الذى كان خصيصاً به ومتولّياً لأمر داره، بولده المتلقّب بالحاكم من بعده، ثم قضي نحبه.

وقام أرجوان بأمر الحاكم ودعا الناس إلى البيعة وحالفهم على الطاعة وأطلق لهم العطاء وذلك فى شهر رمضان سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة. وانكفأ الحاكم إلى قصر أبيه وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة.

وتقدّم أبو محمد الحسن بن عمّار وكان شيخ كُتامة وسيّدها، ويلقّب بأمين الدولة، وهو أول من لقِّب فى دولة المغاربة ونفذّ أوامره فى الخزائن والأموال إطلاقاً وعطاءاً حتى على جوارى القصر هبة وعتقاً. واستولى أصحابه وقلّت مبالاتهم وأشاروا عليه بقتل الحاكم فلم يعبأ به استصغاراً لسنّه واستهانة بأمره. وأرجوان فى أثناء ذلك يحرس الحاكم ويلازمه ويمنعه الركوب والظهور من قصره.

واتّفق شكر العضدى معه فتعاضدا وصارت كلمتهما واحدة [319] حتى تمّ لهما ما أراداه.

---

١. وفى الأصل : بتليس. والصواب عند ابن القلانسي ص ٤٤ (مد).

٢. أو : برجوان (مد).

ذكر ما دبّره أرجوان في أمر ابن عمّار ومكاتبة منجوتكين والإستنصار به عليه

لمّا زاد أمر ابن عمار في تمكُّنه كتب أرجوان إلى منجوتكين وشكا إليه ما هم فيه، ودعاه إلى قصد مصر ومقابلة نعمة العزيز عنده وكشف هذه الغمّة عن ولده.

فتقبّل منجوتكين كتابه وركب إلى المسجد الجامع بثياب المصيبة وجمع الناس وذكرهم جميل العزيز إليهم. ثم خرج إلى ذكر ما له عليه خاصّة من الإصطناع وما يلزمه من خدمة ولده بعده. ثم ذكر تغلُّب ابن عمّار على الملك وسوء سيرته وما يلقاه أئمّتنا المقيمون بمصر من الّذلة والهوان، وبكى بكاء شديداً رقّت له القلوب وخرّق ثيابه واقتدى الناس به في البكاء وتخريق الثياب وأجابوه إلى الطاعة وبذل المهج من غير التماس عطاء ولا مؤونة. فشكرهم وعاد إلى داره وأجمع أمره للمسير فسار إلى الرملة.

ذكر ما دبّره ابن عمّار في تجهيز [320] الجيش وما آل إليه أمر منجوتكين من الهزيمة

لمّا وصل الخبر إلى ابن عمّار بما فعله منجوتكين عظم عليه وجمع وجوه كتامة[١] وأخبرهم بما تجدّد، وأظهر أنّ منجوتكين قد عصى على الحاكم فبذلوا الطاعة والانتهاء إلى ما يأمرهم به.

وأحضر أرجوان وشكر العضدى واستمالهما واستحلفهما على المساعدة والمعاضدة، فحلفا له اضطراراً.

---

١. وفى الأصل: كتابه.

وندب العساكر لقتال منجوتكين وقدَّم أبا تميم سالم[١] بن جعفر عليها وأمدَّه من الأموال والعدد ما أسرف فيه. وكان عيسى بن نسطورس على حاله في الوزارة، فبلغه عنه ما أنكره فضرب عنقه.

إلتقاء أبى تميم ومنجوتكين

وسار أبو تميم من مصر ورحل منجوتكين من الرملة بعد أن ملكها والتقيا بعسقلان وتواقعا. فأجلت الوقعة عن هزيمة منجوتكين وأصحابه وتتبّعوا.

وجعل أبو تميم لمن يأتيه بمنجوتكين عشرة آلاف دينار ومائة ثوب. فانبثّت العرب في طلبه وأدركه على بن الجرّاح فأسرّه وجاء به إلى أبى تميم فسلّمه إليه وقبض المال منه. فحُمل إلى مصر وأبقى ابن عمّار عليه واصطنعه وأحسن إليه استمالة للمشارقة بذلك.

وسار أبو تميم فنزل طبرية وأنفذ أخاه عليّاً إلى دمشق فاعتصم أهلها عليه ومنعوه الدخول، وكاتب أخاه بعصيانهم واستأذنه [321] في قتالهم. فكتب أبو تميم إلى متقدّميهم من الأشراف والشيوخ وحذّرهم عواقب فعل سفهائهم. فلمّا وصل الكتاب إليهم خافوا وخرجوا إلى عليّ مذعنين بالطاعة ومنكرين لما فعله أهل الجهالة فلم يعبأ بقولهم وزحف إلى باب البلد، فملكه وأحرق وقتل وعاد إلى معسكره.

ووافى أبو تميم في غد، فأنكر على أخيه ما فعله، وتلقّاه وجوه الناس فشكوا إليه ما أظلّهم. فأحسن لقاءهم وأمّن[٢] جناتهم، فسكنوا وعادوا إلى معايشهم.

---

١. وعند ابن القلانسي ص ٤٦ سليمان. وهو ابن فلاح.

٢. والمثبت في مد: وأمن، دون تشديد.

ذكر ما اعتمده أبو تميم الكتامى[١]
من حسن سيرة ملك بها قلوب الرعيّة

ركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة بزيّ أهل الوقار، واجتاز فى البلد بسكينة وبين يديه القُرّاء وقوم يفرّقون الدراهم على أهل المسكنة، وصلّى الجمعة وعاد إلى القصر الذى نزله بظاهر دمشق، وقد استمال قلوب العامة بما فعله. ثمّ نظر فى الظلامات وأطلق من الحبوس جماعة من أهل الجنايات، فازدادوا له حبّاً واستقرّت قدمه واستقام أمره.

وعدل من بعد إلى النظر فى أمور السواحل فهذّبها، وولّى أخاه طرابلس وصرف عنها جيش[٢] بن الصمصامة. وكان جيش هذا من شيوخ [322] كُتامة أيضاً إلّا أنّه كانت بينه وبين أبي تميم عداوة.

فلمّا عزله عن طرابلس مضى إلى مصر وجهاً واحداً واجتمع مع أرجوان سرّاً ورمى نفسه عليه فقبّله وبذل له المعاونة.

ورأى أرجوان الفرصة قد أمكنت ببعد كتامة عن مصر، إلّا العدد القليل منهم. فقرّر مع الأتراك المشارقة الفتك بهم وأحكم الأمر فى الإستيثاق.

وأحسّ ابن عمّار بذلك فعمل على الفتك بأرجوان وسبقه إلى ما يحاوله منه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ذكر ما همّ به ابن عمّار من الفتك بأرجوان وشكر
وما دبّراه فى التحرّز منه حتى
سلما منه وتورّط هو

رتّب ابن عمّار جماعة فى دهليزه وواقفهم على الإيقاع بأرجوان وشكر

١. وفى الأصل: الكناني.
٢. وفى الأصل: حبش.

إذا دخلا داره. وكان لأرجوان عيون على ابن عمّار فصاروا إليه وأخبروه بما قد رتّبه. فاجتمع أرجوان وشكر وتفاوضا الرأى في التحرّز مما بلغهما وقرّرا بينهما أن يركبا عند ركوبهما جماعة من الغلمان يتبعوهما. فإن أحسّا على باب ابن عمّار بما يريبهما رجعا القهقرى وفي ظهورهما من يمنع عنهما.

فرتّبا ذلك وتوجّها إلى دار ابن عمّار. فلمّا [323] قربا من الباب بانت لهما شواهد الشرّ وما كانا أُخبرا به. فكرّ راكضاً ومنع عنهما الغلمان الذين كانوا وراءهما ودخلا قصر الحاكم باكيين صارخين وثارت الفتنة.

واجتمع المشارقة وعبيد الشرى على باب القصر، وركب الحسن بن عمّار في كُتَامة ومن انضاف إليهم من القبائل إلى الصحراء، وفتح أرجوان الخزائن ففرّق الأموال وحثّ الرجال.

وبرز ثلاثة من وجوه الأتراك في خمسمائة فارس لقتالهم فواقعوهم وكسروهم وهرب ابن عمّار واستتر عند بعض العامة.

ذكر ما دبّر به أرجوان أمر الملك

لمّا تمّ له الظفر فتح باب القصر وأخرج الحاكم وأجلسه وأخذ له بيعة مجدّدة على الجند وأمن وجوه كُتامة وقوّادها فحضروا وأعطوا أيديهم بالطاعة ومهّد الأمور في يومه وليلته.

وكتب الملطّفات إلى الأشراف وإلى وجوه العامّة بدمشق بالإيقاع بأبى تميم ونهبه والى المشارقة بمعاونتهم عليه.

ذكر ما تمّ على أبى تميم من أهل دمشق [324]
بقلّة حزمه وضعف رأيه

كان أبو تميم مع سياسته مستهتراً باللذات ووصلت الملطّفات وأبو تميم

مشغول بلهوه. فلم يشعر إلّا بهجوم المشارقة والعامّة على قصره. فخرج هارباً على ظهر فرسه، ونهبوا خزائنه وأوقعوا بمن كان فيه من كتامة وعادت الفتنة بدمشق واستولى الأحداث.

وكان فهد بن ابراهيم النصراني المكنّى بأبي العلاء يكتب لأرجوان من قبل. فلمّا صار الأمر إليه استوزره. ولم يزل أرجوان[1] يتلطّف للحسن بن عمّار حتى أخرجه من استتاره وأعاده إلى داره وأجراه على رسمه في إقطاعاته واشترط عليه إغلاق بابه واستحلفه على لزوم الطّريقة المستقيمة.

وكان أهل صور قد عصوا وأمّروا عليهم رجلاً ملاّحاً يعرف بالعلّاقة، وكان المفرّج[2] بن دغفل بن الجرّاح قد نزل على الرملة وعاث في البلاد وانضاف إلى هذين الحادثين نزول الدوقس صاحب الروم في عسكر كثير على حصن أفامية.

فاصطنع أرجوان جيش بن محمد بن الصمصامة وقدّمه وجهّز معه عسكراً وسيّره إلى دمشق وبسط يده في الأموال ونفذ أمره في الأعمال.

ذكر ما جرى عليه أمر جيش [325] بن الصمصامة في هذا الوجه إلى أن توفّي

سار جيش ونزل على الرملة وعليها وحيد الهلالي والياً فتلقّاه طائعاً. وصادف أبا تميم بها فقبض عليه قبضاً جميلاً.

وندب أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكر إلى صور، بعد أن كان أنفذ إليها مراكب في البحر مشحونة بالرجال. فأحاطت العساكر بها برّاً وبحراً. وضعف أهل صور عن القتال وأُخِذ العلاقة فحمل إلى

١. الأصل محرّف والصواب عند ابن القلانسي ص ٥ (مد).
٢. وفي الأصل: الفرج.

مصر فسلخ وصُلِب بها وأقام ابن حمدان بصور والياً عليها.

وسار جيش لقصد المفرَّج بن دغفل بن الجرّاح، فهرب من بين يديه واتبعه حتي كاد يدركه. فضاقت الأرض على ابن الجرّاح وعاذ بالصفح وأنفذ إليه عجائز نسائه يطلب الأمان. فكفّ جيش عنه وأمّنه واستحلفه على ما قرّره معه وعاد سائراً إلي عسكر الروم النازل على حصن أفامية.

فلمّا وصل إلي دمشق تلقّاه أهلها في أشرافها ووجوه أحداثها مذعنين له بالإنقياد راغبين إليه في استصحابهم للجهاد فجزاهم خيراً.

ذكر مكيدة بدأ جيش بها في هذه النوبة مع أحداث دمشق إلي أن أمكنته [326] الفرصة منهم في الكرّة الثانية

أقبل على رؤساء الأحداث وبذل لهم الجميل ونادى في البلد برفع المؤن وإباحة دم كل مغربيّ يتعرض لفساد. فاجتمعت الرعيّة وشكروه وسألوه دخول البلد والنزول بينهم، فلم يفعل وأقام ثلاثة أيام وسار بعد أن خلع على رؤساء الأحداث ووصلهم، ونزل بحمص واجتمعت عساكر الشام وتوجّه إلي حصن أفامية. فوجد أهلها وقد اشتدّ بهم الحصار فنزل بإزاء عسكر الروم وبينه وبينهم النهر المعروف بالمقلوب، ويعرف بالعاصي.

التقاء المسلمين والروم عند نهر العاصي

ثم التقى الفريقان من بعد وتنازعا الحرب وكان المسلمون يومئذ في عشرة آلاف من الطوائف وألف فارس من بني كلاب. فحملت الروم على المسلمين فزحزحوهم عن مصافّهم وانهزمت الميمنة والميسرة واستولي الروم على كراعهم وعطفت بنو كلاب على أكثر ذلك فنهبوه، وثبت بشارة

الاخشيدى فى خمسمائة فارس.

ورأى من فى حصن أفامية من المسلمين ما أصاب إخوانهم، فأيسوا من نفوسهم وابتهلوا إلى الله تعالى يسألونه الرحمة، فاستجاب لهم.

ذكر ما أنزل الله تعالى على المسلمين [327] من النصر فقُتِل زعيم الروم على يد أحدهم

كان الدوقس[١] قد وقف على رابية وبين يديه ولد له وعشرة غلمة وهو يشاهد ظفر أصحابه وأخذهم للغنائم. فقصده كردي يعرف بأحمد بن الضحّاك السليل على فرس جواد وبيده اليمنى خشت[٢] فظنّه الدوقس مستأمناً إليه أو مستجيراً فلم يحفل به. فلمّا دنا منه حمل عليه فرفع الدوقس يده متّقياً وضربه الكردي بالخشت فأصاب خللا فى الدرع فخرقه ونفذ فى أضلاعه وسقط إلى الأرض ميتاً.

وصاح المسلمون:

ـ «إنّ عدوّ الله قد قتل!»

ونزل النصر فانهزمت الروم وتراجع المسلمون، ونزل من كان في الحصن وقتل من الروم مقتلة عظيمة. وباتوا غانمين مستبشرين بنعمة من الله وفضل و «إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين»[٣].

ثم سار جيش بن الصمصامة إلى باب أنطاكية فسبى وأحرق، وانصرف عائداً إلى دمشق وقد عظمت هيبته فى النفوس.

---

١. هو داميانوس ويعرف بالدلاسينوس : كذا فى تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى (مد).

٢. ولعلّه تصحيف «خشب»، أو هو «خِشْت» : الآجرّ غير المطبوخ (فارسى).

٣. س ٩ التوبة : ٢٢.

ذكر تمام هيبته في المكيدة التي كان بدأ بها جيش في تسكين أحداث دمشق [328] حتى ظفر بهم

لمّا عاد إلى دمشق استقبله أهلها مهنّئين داعين. فتلقّاهم بالبشاشة والبشر وزادهم من الكرامة والبرّ وخلع على وجوه الأحداث وحملهم على الخيل والبغال ووهب لهم الجوارى والغلمان. وعسكر بظاهر البلد وسألوه الدخول والجواز في الأسواق وقد كانوا زيّنوها إظهاراً للسرور فلم يفعل وقال: هذه عساكر وإذا دخلت لم آمن أن تثقل وطأتهم.

والتمس منهم أن يخلوا قرية على باب دمشق[1] ليكون مقامه فيها، فأجابوه إلى ذلك وتوفّر على استعمال العدل وتخفيف الثقل، فاستخصّ رؤساء الأحداث واستحجب جماعة منهم. وكان يعمل لهم سماطاً يحضرونه في كل يوم للأكل عنده ويبالغ فى تأنيسهم.

فلمّا اطمأنّوا ومضت مدّة على ذلك أحضر قوّاده وتقدّم بأن يكونوا على أهبة لما يريد استخدامهم فيه وتوقّع ما يأمرهم به فى رقاع مختومة والعمل بما فيها.

ثم كتب رقاعاً بقسمة البلد وعيّن لكل من قوّاده الموضع الذى يدخل منه ويفتك فيها وختمها وأعدّها. ثم رتّب فى حمام داره قوماً من المغاربة وتقدّم إلى أحد خواصّه بأن يراعى حضور رؤساء الأحداث طعامه. فإذا أكلوا [329] وقاموا إلى المجلس الذى جرت عادتهم بغسل أيديهم فيه، أغلق بابه عليهم وأمر المتكّمنين فى الحمام بالخروج على أصحابهم والإيقاع بهم.

---

١. وعند ابن القلانسى ص ٥٢: يعرف ببيت لهيا (مد).

وحضر القوم على رسمهم وبادر جيش بإنفاذ الرقاع إلى قوّاده وجلس معهم للأكل. فلمّا فرغ وفرغوا نهض إلى حجرته ونهضوا إلى المجلس فأغلق الفرّاش عليهم بابه وخرج من في الحمام فأوقعوا بأصحابهم وقتلوهم بأسرهم.

وركب القوّاد ودخلوا البلد فقتلوا قتلاً ذريعاً وثلموا السور من كل جانب ونزلت المغاربة دُور دمشق وركب جيش، فدخل دمشق وطافها واستغاث الناس به ولاذوا بعفوه، فكفّ عنهم واستدعى الأشراف استدعاءاً حسن ظنّهم فيه. فلمّا حضروا أخرج رؤساء الأحداث وأمر بضرب رقابهم بين أيديهم، ثم صلب كل واحد منهم في محلّته، حتى إذا فرغ من ذلك قبض على الأشراف وحملهم إلى مصر واستأصل أموالهم ونعمهم ووظّف على البلد خمسمائة ألف[1] دينار.

ثم جاءه أمر الله الذى لا يُغلب وقضاؤه الذي لا يوارب ولاقته المنية التي تجعل العزيز ذليلاً والكثير قليلاً[2] فما أغنت عنه عندها قدرة ولا حيلة ولا نفعته معها فدية ولا وسيلة.

وكان سبب منيّته علّة باطنة حدثت به [330]:

ومَنْ لم يَمُتْ بالسَّيفِ ماتَ بِغَيرِهِ ... تَنَوَّعَتِ الأَسبابُ وَالدَّاءُ واحِدُ

وورد الخبر إلى مصر بموته فقلّد محمد ولده مكانه.

واستقامت الأمور على يد أرجوان وجرت بينه وبين بسيل عظيم الروم

١. زدنا كلمة «ألف» من ابن القلانسي (مد).

٢. وأما موت جيش وقصّته مع أبي بكر الحرمي الزاهد فليراجع فيه ابن القلانسي ص ٥٤: وأبو بكر هو محمد بن عبد الله بن حسن بن هارون الوضّاحي توفي سنة ٤٣٦ كذا في تاريخ الإسلام (مد).

مراسلات وملاطفات انتهت إلى تقرير الهدنة مدّة عشر سنين وصلحت الحال مع العرب.

وكان يواصل النظر فى قصر الحاكم نهاره أجمع، إلّا ساعة فى وقت الظهر، ثم يعود إلى منتصف الليل ويوفى السياسة حقّها وفهد بن ابراهيم بين يديه ينفّذ الأمور أحسن تنفيذ. فلم يزل على هذه الوتيرة إلى أن قتل.

ذكر السبب في قتل أرجوان
وشرح الحال فى ذلك

كان أرجوان يأخذ الحاكم بتهذيب الأخلاق وينصحه ـ والنصح مرّ المذاق ـ ويمنعه كثرة الركوب لفرط الإشفاق ويصدّه عن التبذير فى غير موضع الاستحقاق. فصارت له هذه الأحوال ذنوباً، ثم لأنّ لكل امرئ أجلاً مكتوباً.

وكان مع الحاكم خادم يعرف بريدان[1] الصقلبى قد خصّ به. فأنس فى شكوى أرجوان إليه فزاده ريدان إغراء به وقال: إنّه يريد[331] أن يجعل نفسه فى موضع كافور الاخشيدى ويجريك مجرى ابن الاخشيد فى الحجر عليك.

ولم يزل بالحاكم حتى حمله على قتل أرجوان واستقرّ بينهما أن يستدعى أرجوان فى وقت الظهر بعد انصرافه إلى داره وأن يؤمر الناس بالركوب إلى الصيد ليتفرّقوا، فإذا حضر أمر بقتله. ففعل ذلك وقال الحاكم لريدان:

ـ «إذا حضر أرجوان وتبعني إلى البستان فاتّبعهُ. فإذا التفتُّ إليك فاغتله بالسكّين.»

فبينما هما فى الحديث إذ دخل أرجوان فقال:

---

١. وفى الأصل: زيدان. وهذا غلط. وليراجع ابن القلانسى ص ٥٥ (مد).

- «يا مولاى الحرّ شديد، والبزاة لا تصيد فى مثله.»

فقال: «صدقت، ولكنّا ندخل البستان ونطوف ساعة ونخرج.»

فقام ومشى أرجوان خلفه وريدان بعده فأهوى ريدان عند التفات الحاكم إليه بالسكين إلى ظهر أرجوان فأطلعها من صدره. فقال أرجوان:

- «يا مولاى غدرت.»

وصاح الحاكم بالخدم وتكاثروا وأجهزوا عليه، وخرج الخدم الكبار، فردّوا الجنائب وبغال الموكب والجوارح. فسألهم شكر العضدى عن الحال فلم يجيبوه، فجاء الناس أمر لم يفهموه. وعاد شكر والموكب وشهر الجند سيوفهم وظنّوا حيلة تمّت لابن عمّار على الحاكم وأحاطوا بالقصر وعظم الأمر واجتمع القوّاد والوجوه.

فلمّا رأى الحاكم زيادة الإحتياط ظهر من منظرة على أعلى الباب وسلّم على الناس، فترجّلوا له [332] وخدموه، وأمر بفتح الباب وأنفذ على أيدى أصحاب الرسائل رقاعاً بخطّ يده إلى شكر وأكابر الأتراك والقوّاد مضمونها:

- «إنّى أنكرت من أرجوان أموراً أوجبت قتله وقتلته. فالزموا الطاعة وحافظوا على ما فى أعناقكم من الأيمان.»

فلمّا وقفوا عليها أذعنوا وسلّموا، واستدعى الحسين بن جوهر، وكان من شيوخ القوّاد، فأمره بصرف الناس. فصرفهم وعادوا إلى دورهم والنفوس خائفة وجلة من فتنة تثور بين المشارقة والمغاربة.

ثم جلس الحاكم بعد عشاء الآخِرة واستدعى الحسين بن جوهر وفهد بن ابراهيم، وتقدّم بإحضار الكتّاب فحضروا وأوصلهم إليه وقال لهم:

- «إنّ فهداً كان كاتب أرجوان وهذا اليوم وزيرى، فاسمعوا له وأطيعوا.»

وقال لفهد:

- «هؤلاء الكتّاب خدمى، فاعرف حقوقهم وأحسن إليهم.»

وأمر بأن يكتب إلى سائر وُلاة البلاد بقتل أرجوان وتسكينهم في أعمالهم ونفِّذت الكتب وسكن الناس وأمن ما خيف من الفتنة. وكان ذلك في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة.

ومضى أرجوان كأنّه لم يكن ولو علم أنّ هلاكه على يد الحاكم لأقصر عن ذلك الإجتهاد في حفظه.

وربّ حافظ دواء داؤهُ فيه، وحامل سلاح حتفه به، وضنين بذُخرٍ وبالهُ منه. ومع الأحوال كلّها فالإفراط [333] في منع الملوك عن شهواتهم جناية، والإقصار عمّا يلزم من نصحهم خيانة، لكن بشرط الإقتصاد. وقد قيل: كثرة المراقبة نفاق، وكثرة المخالفة شقاق. وكم من شفيق على الملوك قد هلك بفرط شفقته وحبيب صار بغيضاً بكثرة نصحه.

ولم يبعد العهد بما شوهد من فعل الملك أبي كاليجار بخادمه المتلقّب بالمؤيد وقصته مناسبة لقصة أرجوان.

وما أحسن الرواية التي تُروى عن المأمون رضوان الله عليه، حين سأل جلساءه عن أرفه الناس. فقال كل واحد منهم قولاً لم يعجبه فقال المأمون:

ـ «أرفه الناس عيشاً رجل أتاه الله كفاية لا يعرفنا ولا نعرفه.»

وقال بعض العقلاء:

ـ «مثل السلطان كمثل النار. فلا تقرب منها قرباً تباشر فيه لهباً، ولا تبعد عنها بعداً تفقد معه ضوءها.»

وجملة القول، أنّ القرب من الملوك عزّ مع تعب، والبعد منهم ذلٌّ مع راحة، والعيش في الخمول، وتختلف الطباع في هذا الاختيار، وكلّ امرئ ميسّر لما خلق له.

ذكر ما جرت عليه الأمور بعد
قتل أرجوان [334]

استوزر فهد بن ابراهيم وقدم الحسين بن جوهر ولقّبه بقائد القوّاد. ثم استمرّ الفتك منه بالناس، فقتل في المدة اليسيرة العدد الكثير.

واستحضر بعد أربعة أشهر الحسن بن عمّار من داره. فلقيه بالإحسان وأعطاه يده بالأمان وانصرف مسروراً إلى داره وركب الناس إليه يهنّئونه بالعفو عنه، ثم قتله بعد أسبوع.

ثم قتل فهد بن ابراهيم بسعاية كاتبين من كتّاب الدواوين به، وولّاهما الأعمال ثم قتلهما. ثم قتل الحسين بن جوهر ولم يكن في شرح أحوال قتلهما ما يستفاد منه تجربة، لأنّه اختباط واختلاط.

ثم قتل عليّاً ومحمداً ابني المغربي وأمر بإحضار أبي القاسم الحسين بن علي صاحب الشعر والرسائل الذي وزر ببغداد وأخويه. فظفر بأخويه فقتلا واستتر الوزير أبو القاسم وما زال يعمل الحيلة حتى هرب مع بعض [أهل][1] البادية وحصل عند الحسّان بن المفرّج بن الجرّاح واستجار به وأجاره.

وقد كان في نفس الحاكم ما جرى على عساكر مصر بباب حلب. فعوّل على يارختكين[2] العزيزي للخروج إلى الشام وقدمه وكثّر أمواله ونعمه وأمر وجوه القوّاد بتبجيله والترجّل في موكبه.

وكان في جملة من أمر بخدمته والترجّل له عليّ ومحمود ابنا المفرّج [وجاءا] إلى أبيهما وعرّفاه ما أمرا به من الترجل ليارختكين والمشي بين [335] يديه وما لقياه من ذلك من المشقّة وانّ نفوسهما تأبى الصبر على

---

١. الكلمة زدناها.

٢. وعند ابن القلانسي هو «ختكين» والصواب «باروغتكين» في تاريخ الاسلام (مد).

هذه المذلّة ثم حذّراه يارختكين وتوجهه وقالا:

ـ «إنك لا تأمن أن ينتهز فيك فرصة ويستفحل أمره فينبو[١] بك وبنا المقام في هذه الديار فدبّر أمرك في فسحة من رأيك وعاجله في الجفار قبل وصوله إلى الرملة واعتضاده بعساكرها.»

وكان يارختكين سار في عدّة قليلة على أن يجمع عساكر الشام ويسير بها إلى حلب، وصحبه أهله وماله وعدد كثير من التجّار. فلمّا توسط الجفار أشار أبو القاسم المغربى على حسّان بن المفرّج بلقائه وانتهاز الفرصة فيه. فسار حسان إلى أبيه وسهّل عليهما الأمر، فاجتمع رأيهما على ذلك.

وجمعا العرب ورصدا وصول يارختكين إلى غزّة وعرف يارختكين الخبر فجمع ذوى الرأى من أصحابه وشاورهم.

ذكر رأيين كلّ منهما سديد
لو ساعد القدر فيه

قال أحدهم له:

ـ «إنك من الرملة على عشرة فراسخ وبها خمسة آلاف رجل، وعندك خيول مضمّرة ولو أسريت ليلاً لصبحت الرملة وحصلت في قصرك آمناً، وعرفت العرب خبرك فهابوك وراقبوك، وسرنا بعدك على طمأنينة.» [336]

فاعترض آخر وقال:

ـ «هذا المرء اليوم في ابتداء أمره فإذ[٢] شاع بين الناس أنّه أشفق وهرب لم تبق له هيبة في النفوس ولكن الرأى أن يستدعى قائداً من قوّاد الرملة في ألف فارس ليلقانا بعسقلان.»

---

١. في الأصل ومد: ينبوا.

٢. كذا في مد: فإذ.

فاستقرّ الأمر على ذلك وكتب يارختكين إلى قائد يعرف بابن سرحان يستدعيه وأنفذ الكتاب مع رسول قدّر لوصوله وخروج ابن سرحان ثلاثة أيام.

فاتّفق أنّ الرسول أخذ فى الطريق قبل وصوله إلى ابن سرحان.

ذكر عجلة ضاع الحزم بها

لمّا مضى يومان من الثلاثة التى قدّرها يارختكين سار على طريق الساحل وهو لا يشكّ فى تعجيل ابن سرحان إليه.

وكان حسّان بن المفرّج قد عرف خبره. فبثّ الخيل من كلّ جانب، فوقعت على يارختكين وجرت بين الفريقين حرب شديدة كانت الغلبة فيها للعرب وأسر يارختكين وأخذ ولده وحرمه وأموال التجّار وجعل أكثر ذلك فى يد حسان.

وعادت العرب إلى الرملة وشنّوا الغارة على رساتيقها وخرج العسكر الذى بها فقاتلوهم قتالاً همّت العرب معه بالإنصراف.

ذكر رأى أشار به ابن [337] المغربى فى تلك الحال

قال لهم الوزير أبو القاسم ابن المغربى:

- «إن رحلتم على هذه الصورة وقع الطمع فيكم، وإن صبرتم حتى تفتحوا البلد خافكم الحاكم وملكتم الشام. والرأى أن تبادروا وتنادوا فى السواد وتسمعوا الشراة فى الجبال بإباحة النهب والغنيمة.»

فقبلوا منه وحشروا فنادوا، فوافى خلق كثير وزحفوا إلى البلد وملكوه وأساؤا الملكة بالفتك والهتك.

وتأدى الخبر إلى الحاكم فانزعج وكتب إلى المفرج بن دغفل كتاباً عاتبه فيه وحذّره سوء العاقبة وطالبه بانتزاع يارختكين من يد حسان وحمله إلى مصر ووعده على ذلك بخمسين ألف دينار.

ذكر رأي لابن المغربي قصد به تأكيد الوحشة بين حسان وصاحب مصر

قال لحسّان:

ـ «إنّ والدك سيركب إليك ولا يبرح من عندك إلّا بيارختكين ومتى أفرجتم عنه وعاد إلى الحاكم ردّه إليكم في العساكر التي لا قِبلَ لكم بها.»

فلمّا سمع حسّان ذلك ـ وكان في رأسه نشوة ـ أحضر يارختكين بقيوده، فضرب عنقه صبراً. وأنفذ رأسه إلى المفرج. فشقّ عليه ما جرى وعلم فوت الأمر فأمسك. [338]

ثم اجتمع الوزير أبو القاسم مع المفرج وأولاده وقال لهم:

ـ «قد كشفتم القناع في مباينة الحاكم ولم يبق من بعد للصلح موضع.»

وأشار عليهم بمراسلة أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوى واستجذابه به إليهم ومبايعته على الإمامة، فإنّه لا مغمز في نسبه، وسهل الخطب عليهم في ذلك.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ذكر ما جرى عليه أمر أبي الفتوح العلوى المتلقّب بالراشد بالله

كان أبو الفتوح بمكّة أميراً. فمضى إليه ابن المغربي. وأطمعه في الأمر فطمع فيه. وجمع بني حسن وشاورهم. فصبوا إلى العزّ وأعطوه أيديهم

بالبيعة. ثم عاد[١] الناس إليه وتلقّب بالراشد بالله، وصعد المنبر وخطب لنفسه.

واتفق أنّ إنساناً موسراً توفّي تلك السنة بجدّة، ووصّى لأبي الفتوح من تِركته بمال لكي يسلم الباقي لورثته. فمدّ يده إلى التركة فاستوعبها بمشورة ابن المغربي عليه بذلك وسار لاحقاً بآل الجراح. فلمّا قرب من الرملة تلقّوه وقبّلوا الأرض بين يديه وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين ونزل الرملة.

ونادى في الناس بأمان الخائفين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونسي نفسه في أخذ تركة التاجر بجدّة، إلّا أنّ الناس تراجعوا إلى معايشهم[339] وظهروا من استتارهم. وركب في يوم الجمعة والمفرج وأولاده وسائر أمراء طيّ مشاة بين يديه حتى دخل المسجد ودعا ابن نباتة الخطيب[٢] وأمره بصعود المنبر وأسرّ إليه بما لا يبدأ به[٣] فصعد وقد طالت الأعناق. فحمد الله وأثنى عليه وقرأ:

ـ «بسم الله الرحمن الرحيم. طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفِرْعونَ بالحقّ لقومٍ يؤمنونَ إنَّ فرعونَ عَلا في الأَرضِ وجعلَ أهلَها شِيَعاً يستضعفُ طائفةً منهم يُذَبِّحُ أبناءهم ويستحيي نساءهم إنّه كان من المفسدين ونُرِيدُ أَنْ نمنَّ على الذين استضعِفُوا في الأرض ونجعلَهم أئمةً ونجعلَهم الوارثين ونُمكِّنَ لهم في الأَرض ونُرِيَ فرعونَ وهامانَ وجنودَهما منهم ما كانوا يَحذَرون»[٤].

ولمّا فرغ أبو الفتوح من الصلاة عاد إلى دار الإمارة.

---

١. لعله : دعا.

٢. قد كان توفي سنة ٣٧٢ الخطيب المشهور (مد).

٣. يريد بما يبدأ به.

٤. س ٢٨ القصص : ١ ـ ٦.

ونرى أنّ أبا الفتوح اتّبع في هذا الاستشهاد بهذه الآيات محمد بن عبد الله بن حسن فيما جرى بين المنصور بالله وبينه من المكاتبات فإنّه استشهد بها.

ويتضمن كتاب الكامل الذى صنفه أبو العباس المبرّد ذكرها[١] وقد نظر[٢] المنصور فيها ولولا شرط الإختصار لذكرناها فإنّها عجيبة جداً. وقد قارعا على الأحساب «والنبع يقرع بعضه بعضاً».

وما أحسن أدب القائل حين دخل إلى المنصور بالله بعد قتل إبراهيم بن عبد الله بن [340] حسن بن حسن أخي محمد، والناس ينالون من ابراهيم والمنصور يكره كثيراً من ذلك فقال:

ـ «أجرَك الله يا أمير المؤمنين في ابن عمّك وغفر له ما استحلّه من قطيعتك.»

أو ما هذا معناه.

فتهلّل وجه المنصور سروراً بصوابه، وقرّبه إليه من دون أصحابه. والله تعالى يقول: «وأُولُوا الأَرحامِ بعضُهُمْ أولَى ببعضٍ فى كتابِ اللهِ إنَّ اللهَ بِكُلِّ شيءٍ عليم»[٣].

ذكر ما دبّره صاحب مصر عند وصول الخبر إليه

لمّا تأدّى إلى الحاكم شرح ما جرى، عظم عليه وكبر لديه. وكتب إلى حسان ملطّفات وبذل له بذولاً كثيرة، وإلى المفرج بمثل ذلك، واستمال آل الجرّاح جميعهم، وحمل إلى على ومحمود ابني المفرّج أموالاً جزيلة حتى فلّهما عن ذلك الجمع وجعلهما فى حيّزه مع جماعة من العرب.

١. طبع مصر ١٣٠٨، ٢: ٢٢٠.

٢. لعله: ناظر (مد).

٣. س ٨ الأنفال: ٨٥.

وبدأ أمر الحاكم يقوى وأمر أبي الفتوح يضعف، وبان له تغيُّر آل الجرّاح عليه، وانضاف إلى ذلك ورود الخبر بنزول ابن عمّه على ملكه طالباً موضعه.

ذكر تحاسد بين الأهل عاد بوبال [341]

كان لأبي الفتوح ضدّ من بني عمّه يعرف بابن أبي الطيب يخاطب بالإمرة وبينهما تحاسد وتنازع. فكتب إليه الحاكم في هذا الوقت وقلّده الحرمين وأنفذ له ولشيوخ بني حسن مالاً وثياباً.

فسار مع من انضوى إليه من بني عمّه إلى مكّة وبها صاحب أبي الفتوح، فنازله وأسرعت النجُب إلى أبي الفتوح بالخبر، فازداد قلقاً وخاف خروج الحرمين من يده.

وكان حسّان قد أنفذ والدته في أثناء هذه الخطوب إلى مصر بتذكرة تتضمن أغراضه وسأل في جملتها أن تُهدى له جارية من إماء القصر. فأجابه الحاكم إلى جميع ما سأل من إقطاع وتقرير وأمضاه، وكتب له أماناً بخطّ يده وأهدى له جارية جهّزها بما بلغ قيمته مالاً عظيماً. فعادت والدة حسّان إليه بالرغائب له ولأبيه. فسرّ بذلك وأظهر طاعة الحاكم ولبس خلعه.

وعرف أبو الفتوح الحال فأيس معها من نفسه، فركب إلى المفرج مستجيراً به وقال:

ـ «إنّما فارقت نعمتي وأبديت للحاكم صفحتي سكوناً إلى ذمامك، وأنا الآن خائف من غدر حسّان، فأبلغني مأمني وسيّرني إلى وطني.»

فحفظ المفرج ذمامه وضمّ إليه من أجازه وأدّى القرى. فتلقّاه بنو حسن وأصحابه ومضوا إلى مكة واستقامت أموره بها وكاتب الحاكم واعتذر إليه فقبل عذره. وأمّا الوزير أبو [342] القاسم فإنّه استجار بالمفرج حتى سيّره إلى العراق.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وصبر الحاكم مدة يسيرة ثم جرّد العساكر مع علي بن جعفر بن فلاح أخي أبي تميم ولقّبه قطب الدولة وسار في عشرين ألف وتلقّاه علي ومحمود ابنا المفرج طائعين.

وكان الحاكم قد خدع كاتباً للمفرج يعرف بابن المدبّر، وبذل له بذولاً على قتل المفرج بالسمّ. فتوصّل الكاتب إلى أن سقاه سمّاً فمات وهرب ابن المدبّر إلى مصر ووفى له الحاكم بما وعده ثم قتله من بعد.

وكذلك عاقبة من خان مولاه وباع دينه بدنياه، فهو يخسرهما جميعاً ويحتقب إثماً عظيماً.

واضمحلّ أمر حسّان وأخذت معاقله وصار طريداً شريداً مدّة حتى ضاقت عليه أرضه. فأنفذ والدته والجارية إلى مصر لائذاً بالأمان واستشفع إلى الحاكم بأخته فشفعها فيه وأعطى والدته خاتمهُ وثياب صوف كانت على بدنه وعمامة على رأسه والحمار الذي يركبه. فعادت الجارية بجميع ذلك إليه وأقامت والدته.

فبادر حسّان إلى الورود ودخل البلد على ذلك الحمار بتلك الثياب فعفا عنه وأعطاه أرضه واصطنعه وأقطعه وأعاده إلى الشام ولم يتعرّض حسّان بعدها بفساد إلى أن قتل الحاكم.

ونعود إلى سياقة التاريخ.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مسير خمارتكين إلى الرحبة والرقّة

وفي هذه السنة المقدّم ذكرها[343] وردت كتب أهل الرحبة والرقّة إلى الحضرة باستدعاء من يسلمون إليه البلاد، فندب خمارتكين الحمصي للمسير.

ذكر ما جرى عليه أمره في ذلك

سار إلى الرحبة وملكها وأقام بها أياماً ثم سار إلى الرقّة وبها سعد السعديّ، فاعتصم بالرافقة وجرت بينه وبين خمارتكين وقعات ولم يتمّ فتحها وعاد إلى الرحبة.

وقد بلغه اضطراب الأمور ببغداد فرجع واعترضه قوم من العرب في رجوعه فأخذوه أسيراً في أيديهم حتى افتدى منهم بمال.

وفيها خرج أبو جعفر الحجاج بن هرمز إلى أعمال الموصل مع عدد كثير من العسكر وحصل بها.

واجتمعت بنو عقيل وزعيمهم يومئذ أبو الدواد محمد بن المسيّب على حربه فجرت بينهما وقائع ظهر من أبي جعفر فيها شجاعة سار ذكره بها حتى إنّه كان يضع كرسيّاً في وسط المصافّ ويجلس عليه والحرب قائمة بين يديه وتمكّنت له في قلوب العرب هيبة بذلك.

واستنجد من الحضرة، فأُنجد بالوزير أبي القاسم عليّ بن أحمد[1] واستقرّ الصلح مع العرب على المناصفة فيما قرُب من أعمال الموصل وبقي أبو جعفر هناك إلى أن توفّي محمد بن المسيّب وعاد بنو [344] عقيل فأخذوا منه البلد.

وفيها وصل الأشراف والقضاة والشهود إلى حضرة القادر بالله رضوان عليه، وسمعوا يمينه لبهاء الدولة بالوفاء وخلوص النيّة وتقليده ما وراء بابه ممّا تقام فيه الدعوة، وذلك بعد أن حلف له بهاء الدولة على صدق الطاعة والقيام بشروط البيعة.

---

١. هو أبو القاسم الأبرقوهي (مد).

ودخلت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة

خروج الوزير أبى القاسم لقتال بنى عقيل

وفيها خلع على الوزير أبى القاسم علىّ بن أحمد وندب إلى الخروج إلى الموصل وقتال بنى عقيل.

ذكر السبب في ذلك وما انتهى إليه الأمر فيه

كانت الحال بين أبى القاسم وبين أبى الحسن المعلّم قد بدأت فى الفساد ودخلت بينهما بلاغات حلّت عُرى الوداد. وكان أبو القاسم يجرى نفسه معه مجرى الكاتب حتى إنّه نزل يوماً معه فى زبزبه، فجلس على الكهوار بين يديه والناس يشاهدونه ويتعجّبون منه.

ووردت كتب أبى جعفر الحجاج باجتماع بنى عقيل عليه، فأشار أبو الحسن على بهاء الدولة بإخراج أبى القاسم [345] فتقدّم إليه بذلك وجرّد معه عدداً كثيراً من طوائف العسكر وسار بعد أن ركب إليه بهاء الدولة وودّعه.

فوصل إلى الموصل وخيّم بظاهرها واجتمع مع أبى جعفر وانصرف بنو عقيل وبدأ بإحكام قواعد الأمور، فلم يمهله أبو الحسن المعلّم حتى كاتب أبا جعفر بالقبض عليه.

ذكر رأى سديد لأبى جعفر نظر فيه للعاقبة

علم أبو جعفر أنّه إن فعل ذلك اضطرب الأمور وطمعت العرب ولم يمكنه الثبات، فتوقف وراجع أبا الحسن وأعلمه وجه الغلط فيما رآه.

واتصل الخبر بأبي القاسم بما يجرى من الخوض[١] في بابه من عيون له على بهاء الدولة وأبي الحسن وخواصّهما[٢] وعوّل على مهادنة بني عقيل وأخذ رهائنهم وعمل على الإنكفاء إلى بغداد. ولمّا رأى أبو الحسن أنّ أبا جعفر قد توقّف عمّا كاتبه فيه، فأخرج أبا الفتح محمد بن الحسن الحاجب إليه ليلزمه إمضاء العزيمة فيما أمره به.

فحكى أبو نصر محمد بن على بن سياجيك وكان كاتب أبي القاسم يومئذ، قال:

لمّا وصل الخبر إلينا بما تقرّر من خروج أبي الفتح محمد بن الحسن [346] على القاعدة المذكورة، ثم تلاه كتاب من تكريت بوصوله إليها، خاف أبو القاسم وأشار عليه من يثق به بالهرب. ففرقت نفسه عنه، وعزم على الإنكفاء إلى بغداد ولم يأمن أن يظهر فيمنعه أبو جعفر.

ذكر ما رتّبه أبو القاسم من الحيلة حتى تمّ له الإنحدار

راسل أبا جعفر وقال له:

ـ «قد توقف محمد بن المسيّب عن تفرقة العرب من حوله وتسليم ما وقف على تسليمه من النواحي وقال: لست فاعلاً ذلك إلّا بعد أن تنحدر أنت ومن معك من العسكر وآمن انتقاض ما تقرر، وقد عزمت على أن أنتقل بمعسكرى من موضعه وأظهرَ الإنحدار، فليكن أدعى إلى سكونه.»

فاستصاب أبو جعفر رأيه وأمر أبا القاسم بالرحيل ليلاً وأصبح على عشرة فراسخ من الموصل.

---

١. في الأصل: الخواص.

٢. وفي الأصل: من خواصهما.

فراسله أبو جعفر وعاتبه على فعله. فردّ عليه جواباً معللاً بالإعتذار وقال:

ـ «إنّ الأولياء طالبوني بالإنحدار ولم يمكن مخالفتهم.»

ووصل إلى الحديثة وقد نزلها أبو الفتح الحاجب فخرج وتلقّى الوزير وخدمه وأعطاه كتاباً من بهاء الدولة مضمونه:

ـ «إنّ الأمور قد [347] وقفت ببعدك وخيّل لنا أنّ أبا جعفر منعك من العود ولم يقف عند ما تدبّره به. فأنفذنا أبا الفتح ليواقف أبا جعفر على طاعتك والرضاء[1] بما تقرره ليتعجّل عودك.»

فوقف أبو القاسم على الكتاب. فلمّا نزل مخيّمهُ استدعى أبا الفتح وراوضه على أن يصدقه عن باطن الأمر وبذل له ثلاثة آلاف دينار. فحلف له أبو الفتح على تقابل الظاهر والباطن فيما أوصله إليه. فقال أبو نصر: فاستدعاني الوزير بعد خروج أبي الفتح من عنده وقال لي:

ـ «قد ورد هذا الكتاب بما قد علمته وقد كتب أصدقاؤنا ونصحاؤنا بما عرفته فما الرأى؟»

قلت له:

ـ «ليس إلّا مراسلة أبي الدواد فإنّه نازل بإزائنا، وأخذ الذمام منه والعبور إليه والمقام عنده ثم تدبير الأمر مع الأمن.»

فقال:

ـ «لعمري إنّ هذا هو الرأى الذي توجيه الخبرة في حراسة النفس ولكنّي أستقبح ذلك وسأدخل بغداد متوكّلاً على الله تعالى.»

ثم ورد الخبر في أعقاب ذلك بالقبض على أبي الحسن المعلّم وقتله.

---

١. كذا في الأصل ومد، بالمدّ.

فدخلت إلى الوزير فأقرأني الكتاب الوارد بذكر ذلك وعنده من يحتشمه فاظهرتُ وجوماً. فلمّا خلا عدت إليه وفي وجهي آثار الإستبشار، ووجدته مفكراً مطرقاً فلما رآني قال:

ـ «أظنّك قد سررت بما ورد.»

قلت: «نعم.»

قال: «وما ذاك مما يسرّ، لأنّ ملكاً قرب رجلاً[348] كما قرب بهاء الدولة أبا الحسن وفوّض إليه التفويض الذى رأيته ثم أسلمه للقتل بمرأى عينه لَحقيق بأن تخاف ملابسته.»

وفيها ورد أبو العلاء عبيد الله بن الفضل قادماً من الأهواز وكان أبو الحسن المعلّم قد مدّ عينه إلى حاله وماله واستدعاه للقبض عليه.

ذكر تدبير جيّد سلم به أبو العلاء عبيد الله بن الفضل

لمّا أحسّ أبو العلاء بما همّ به أبو الحسن ملأ عينه بالتحف والملاطفات وعمل الدعوات المترادفات وسلك معه سبيل التذلل والمخادعة حتي اندفعت عنه النكبة وتجدّد من قتل المعلّم ما كفى به أمره.

وفيها أفرج عن أبي الحسن محمد بن عمر العلوى.

وفيها قبض على أبي الحسن المعلّم وقتل.

شرح حال أبي الحسن المعلم فى القبض عليه وقتله

كان قد استولى على الأمور الاستيلاء الذى تقدّم ذكره ووتر القريب والبعيد وخنق أبا على ابن شرف الدولة بيده وأفسد نيّات وجوه العسكر

والرعيّة [349] وفعل الأفاعيل المنكرة وأملى له حتى امتلأت صحيفته.

فشغب الجند في هذا الوقت وبرزوا إلى ظاهر البلد وراسلوا بهاء الدولة بالشكوى منه وطالبوه بتسليمه إليهم فأخذهم باللطف ووعدهم بإزالة شكواهم وأن يتولّى بنفسه أمورهم ويقتصر أبو الحسن المعلّم على خدمته فيما يخصّه.

فلم يقنعوا، فبذل لهم أن يبعده عن مملكته إلى حيث يأمن على مهجته ويبلغ الجند مرادهم ببعده ولا يتقبّح هو بتسليمه وقتله. فكان جوابهم أخشن من القول الأول.

فقال بكران لبهاء الدولة وكان السفير بينه وبين العسكر:

ـ «أيّها الملك إنّ الأمر على خلاف ما تقدّره وأنت مخيَّر بين بقاء أبي الحسن وبين بقاء دولتك، فاختر أيّهما شئت.»

فقبض عند ذلك على أبي الحسن وعلى جميع أصحابه وأسبابه وظنّ أنّهم يرضون ويعودون. فلم يفعلوا وأقاموا على المطالبة بتسليمه إليهم فتذمّم من ذلك وركب بنفسه ليسألهم العود والإقتصار على ما جرى من القبض على المعلّم فلم يقم أحد منهم إليه ولا خدمه وأبوا أن يرجعوا إلّا بعد تسليمه.

فسُلّم حينئذ إلى أبي حرب شيرزيل[1] وسُقي السمّ دفعتين فلم يعمل فيه، فخُنق بحبال الستارة ودهمه أحد الغلمان بسكين فقضى نحبه وأخرج ودفن. ثم عاد [350] الجند إلى منازلهم وسكنت الفتنة.

ولو أنّ بهاء الدولة اقتصد في أمر هذا المعلّم لكان ذلك أحسن بداية وأجمل توسّطاً وأحمد عاقبة وآمن مغبّة وأطيب أحدوثة. ولكنّه أخطأ باختيار من لا خير فيه، ثم أفرط في تقريبه ثم أسرف في تمكينه، لاجرم

---

۱. في الأصل (سريريل) والصواب في تاريخ هلال الصابي (مد).

أنّ السمعة ساءت والرقية رفعت والحشمة ذهبت والوصمة بقيت ولم يسلم المعلّم مع ذلك كلّه.

فياقرب ما بين العزّ وهذا الهوان وذلك الإكرام وهذا الإسلام! «فما بَكَتْ عَليهِمُ السماءُ والأرضُ ومَا كانوا مُنظَرين»[١].

تسليم الطائع إلى القادر وإنزاله في حجرة

وفيها سُلم الطائع إلى الخليفة القادر بالله رضوان الله عليه وأنزله في حجرة من حجر خاصّته ووكّل به من يحفظه من ثقات خدمه.

وأحسن ضيافته ومراعاة أموره حتي إنّه كان يطالب من الخدمة بمثل ما كان يطالب به أيّام خلافته وكان القادر بالله رضوان الله عليه، يتفقّد ما يقام له ويقدّم بين يديه أكثر تفقُّد مما يخصّ به نفسه. وأقام على ذلك إلى أن توفّى رضوان الله عليه.

وفيها ورد الوزير أبو القاسم على بن أحمد والعسكر في صحبته.[351]

ذكر ما جرى عليه أمر الوزير أبي القاسم وما استقرّ في أمر النظر بعد القبض عليه

ورد وعنده أنّه قد كُفِي ما يحاذره بهلاك المعلّم وكان بهاء الدولة قد نقم عليه لأسباب أكّدها المعلّم في نفسه، أحدها ما كان منه بمقاربة بني عقيل ثم صحّ في نفسه أنّ الشغب الواقع من العسكر كان بكتبه ورسائله إليهم.

فقبض عليه وخلع على أبي عبد الله[٢] الحسين بن أحمد وردّ إليه العرض

---

١. س ٤٤ الدخان: ٢٩.

٢. وفي الأصل «أبي عبد الله بن الحسين» وهو غلط (مد).

وأقرّ أبا الحسن على[1] بن سهل الدورقى على رسمه فى نيابة الوزارة.

وخوطب أبو منصور ابن صالحان على تقلُّد الأمر، فاستعفى فاستقرّ الأمر على استدعاء أبى نصر سابور، وكان قد صار إلى البطيحة مستوحشاً من المعلّم فكوتب بالحضور فحضر.

وأشير على بهاء الدولة بالجمع بينه وبين أبى منصور ابن صالحان فى الوزارة. فأمر بذلك بعد أن قرّره معهما وخلع عليهما جميعاً وطرح لهما دستاً كاملاً وكانا يتناوبان في تقديم اسم أحدهما على الآخر فى المكاتبات.

ذكر القبض على أبى القاسم بشيراز

وفيها قبض صمصام الدولة على أبى القاسم العلاء بن الحسن بشيراز. [352]

ذكر ما جرت عليه الحال فى ذلك

كان العلاء بن الحسن غالباً على أمر صمصام الدولة ووالدته كثير الإفضال على أصحابه وحاشيته. ولم يكن مع ذلك مغضياً لهم على أمر يحلّ عُرى السياسة.

وكان قد اصطنع أبا القاسم الدلجى واستصحبه من الأهواز لما أعاده شرف الدولة إلى شيراز وقدّمه وقرّبه. ثم ولاّه ديوان الإنشاء حين حصل صمصام الدولة بشيراز وخلع عليه ورتّبه في ذلك ترتيب الوزراء ومضى الأمر على هذا زماناً.

وتبسّط الرضيع وسعادة وكُتّاب السيدة والدة صمصام الدولة واستولوا

---

١. فى الأصل: بن على.

وطالبوا العلاء بما تقصر المادّة عنه وتضطرب الأمور معه.

فضاق مجال قدرته عن اقتراحاتهم ففسدت الحال بينه وبينهم لأجل ذلك، وشرعوا فى فساد أمره. فوجدوا عند أبى القاسم الدلجي مساعدة لهم عليه عند صمصام الدولة طمعاً فى حاله وحال [من] دونهُ فقبض عليه وعلى كتّابه وحواشيه وعلى ابنته وزوجة العلوى الرازى، وطولبوا أشدَّ مطالبة وعوقبوا أشدّ معاقبة حتى تلفت ابنته وجماعة من أصحابه تحت الضرب.

وبقى العلاء معتقلاً فى بعض المطامير[353] لا يعرف له خبر. إلى أن فسد أمر أبى القاسم الدلجى فتغيّر رأى السيدة والدة صمصام الدولة وقُبض عليه فى سنة ثلاث وثمانين وأفرج عن العلاء بن الحسن ورُدَّ إليه النظر.

ذكر ما جرى عليه أمر العلاء بن الحسن فى عوده إلى الوزارة

أخرج من محبسه وقد ضعف بصره وحصل فى دار السيدة وعولج حتى برئ وخلع عليه ورُدَّ إلى الوزارة وصحب صمصام الدولة إلى الأهواز. ثم رجع إلى أرّجان فأقام بها على النظر فى أمور فارس.

فلمّا جرى ما جرى بتلّ طاوُوس وعاد الديلم منهزمين وانهزم صمصام الدولة إلى شيراز، فسار العلاء إلى الأهواز وقاتل عسكر بهاء الدولة ثم مات بعسكر مكرم.

ولم تخلص نيّته لصمصام الدولة بعد ما لحقهُ وابنته وأهله، بل أهلك دولته بإقطاع الإقطاعات وإيجاب الزيادات وتمزيق الأموال وتسليم الأعمال، وتأدَّت أمور صمصام الدولة إلى الاضطراب وأحواله إلى الإختلال. وهكذا

يعيس[١] في فساد الأمور كلّ حنق موتور.

ورود الخبر بنزول ملك الروم
على خلاط وأرجيش

وفيها ورد الخبر بنزول ملك الروم على خلاط وأرجيش وأخذهما وانزعج الناس لذلك، ثم ذكر من بعد [354] استقرار الهدنة بين أبي علي الحسن ابن مروان وبينه مدة عشر سنين وانصرف عن الأعمال.[٢]

ودخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة
استيلاء أولاد بختيار
على القلعة

وفيها ورد الخبر باستيلاء أولاد بختيار على القلعة التي كانوا معتقلين فيها ومسير أبي [علي] الحسن بن أستاذ هرمز من شيراز إليهم والقبض عليهم وقتل نفسين منهم.

ذكر الحال في ذلك وما انتهى إليه أمرهم

قد تقدّم ذكر حال هؤلاء القوم وإحسان شرف الدولة إليهم بالإفراج عنهم ولمّا همَّ بقصد العراق أخرجهم إلى بعض دُور شيراز وجعل معايشهم وإقطاعاتهم منها.

فلمّا تُوفي قُبض عليهم وحبسوا في قلعة خرْشَنة فكانوا فيها إلى أن مضى صدر كبير من أيّام صمصام الدولة.

---

١. في مد : سعيسى (كذا).

٢. يبدو في العبارة اضطراب.

ذكر حيلة عملها أولاد بختيار ملكوا بها القلعة [355]

استمالوا حافظ القلعة ومن كان معه من الديلم فطاوعوهم فأفرجوا عنهم. ثم أنفذوا إلى أهل تلك النواحى المطيفة بالقلعة وأكثرهم رجّالة أصحاب سلاح ونجدة، فاجتذبوا منهم عدّة كثيرة واجتمعوا تحت القلعة.

وعرف صمصام الدولة الخبر فأخرج إليهم أبا على ابن أستاذ هرمز فى عسكر وسار. فلمّا قرب من القلعة تفرّق من كان اجتمع تحتها من الرجال وتحصّن بنو بختيار والديلم فيها ونزل أبو على عليها محاصراً ومحارباً.

ذكر ما دبّره أبو علي ابن أستاذ هرمز فى فتح القلعة

راسل أحد وجوه الديلم الذين فى القلعة وأطمعه فى الإحسان والزيادة فى المنزلة. فاستجاب له ووافقه على أن ينزل إليه حبلاً من أعلى القلعة ليرتقى به الرجال إلى بابها وكان على سنّ من الجبل.

فلمّا دنا الحبل خاطب أبو على ابن أستاذ هرمز جماعة من الذين معه على الصعود، فتوقّفوا حتى ابتدر[1] أحد أصحابه فصعد. فلمّا دنا يقرب من الباب اضطربت يده على الحبل فخرّ متردّياً وأحجم الباقون. فصبّ بين أيديهم أموالاً وبسط [356] منهم آمالاً وابتدر[2] قوم من أصحابه فيهم لَوثة وجُرْأة، فصعدوا إلى القلعة واحد بعد واحد حتى حصل عدد منهم على الباب. ففتح لهم ودخلوا القلعة وملكوها، فقبض على أولاد بختيار وكانوا

---

١. لعله: انتدب.

٢. لعله: وانتدب.

ستّة.

وكتب كتاباً بالفتح إلى صمصام الدولة فأنفذ فرّاشاً تولّى قتل نفسين من أولاد بختيار وأنفذ الباقون إلى قلعة الجنيد فاعتقلوا فيها.

وفيها نُدب أبو العلاء عبيد الله بن الفضل للخروج إلى الأهواز وخلع عليه.

ذكر السبب فى ذلك

كانت بين الشريف أبي الحسن محمد بن عمر وبين [أبي] العلاء عبيد الله عداوة ومباينة وتقدّم أبو العلاء عند بهاء الدولة وقرب منه بخدمته له.

فاجتمع أبو الحسن محمد بن عمر وأبو نصر سابور الوزير واتفقا على الشروع فى إبعاده. فأرسل الوزير أبو نصر سابور الأستاذ الفاضل أبا نصر الحسين بن الحسن إلى بهاء الدولة وقال له:

ـ «قل للملك: أنا أعلم ما فى نفسك من أمر فارس وقد انحلّ أمر صمصام الدولة ومضى أكثر أعوانه ولك عشرون ألف ألف درهم معدّة: منها ما آخذه من أبي محمد ابن مكرم والمتصرفين بالأهواز، ومنها ما وجوهه لائحة. والتدبير فى هذا الأمر أن يخرج أبو العلاء إلى الأهواز كأنّه عائد [357] إليها للمقام بها ويجرّد معه قطعة من العسكر ثم تتبعه بعد مدة بطائفة أخرى. فإذا تكاملت العساكر هناك أظهرنا حينئذ ما نظهره.»

وسار أبو العلاء من الأهواز فأعجل القوم عن أهبة واستعداد. فأعاد الاستاذ الفاضل أبو نصر على بهاء الدولة ما ذكره سابور، فتشوّفت نفسه إليه وتعلّق طمعه به، وأمر فى الجواب بما يجب ترتيبه، وكتب بالقبض على أبى محمد ابن مكرم وأصحابه، وتقدّم إلى أبى العلاء بالمسير بعد أن أعلم بباطن التدبير واستكتمه.

ذكر تفريط من أبى العلاء فى إذاعة سرّ عجّل به

قال الأستاذ الفاضل:

فوالله لقد خلع علىّ وسرت فى موكبه إلى داره. فما استقرّ فى مجلسه حتى دخل أبو الحسين شهرستان بن اللشكرى لتهنئته. فقال:

ـ «يا باالحسن أىّ دار تريدها بشيراز.»

فغمزته فتنبّه واستدرك وقال لشهرستان:

ـ «إنّما أردت بالأهواز.»

ولم يخف الخبر وشاع. فإنّ القول كالسهم، إذا نفذ على كبد القوس فات.

وأقام أبو العلاء فى معسكره أيّاماً كثيرة ولم يخرج معه أحد، وبطل ما كان سابور بذله فى أمر المال [358] وحصوله.

وخرج أبو العلاء بعد ذلك فى شرذمة قليلين. فسار إلى الأهواز فما وصلها إلّا وقد عرف الخبر بفارس ووقع الشروع من هناك فى المسير إلى العراق.

وفيها جلس القادر بالله رضوان الله عليه، لأهل خراسان عند عودهم من الحجّ وخوطبوا على أمر الخطبة وإقامتها، وحملوا رسالة وكتبا إلى صاحب خراسان فى المعنى.

شغب الديلم

وفيها شغب الديلم لأجل النقد وفساد السعر وغلائه[1] وتأخّر العطاء، ونهبوا دار الوزير أبى نصر سابور وأفلت منهم ناجياً بنفسه، وراسلوا بهاء

١. وفى الأصل: وغلاته.

الدولة بتسليمه وتسليم أبي الفرج محمد بن عليّ الخازن[١] ـ وكان ناظراً في خزانة المال ودار الضرب ـ وتردّد القول بينهم إلى أن وُعدوا بالإطلاق وتجويد النقد، وسكنت الفتنة.

واستمرّ سابور على استتاره وروسل وهو مستتر بتسليم أبي القاسم علي بن أحمد وكان سُلِّم إليه ليعتقله عنده فسلّمه. وحمل في هذا الوقت إلى الخزانة في دار المملكة.

ولمّا جرى على سابور ما جرى استعفى أبو منصور ابن صالحان من التفرّد بالنظر وأظهر العجز عنه.

وكانت الإقامات قد زادت على قدر المادّة وأحوجت النظّار إلى التسكع فيها. وصارت الهمّة جميعها مصروفة إلى ما يحصل لأبي العبّاس أحمد بن عليّ وهو الوكيل في هذا الوقت.

فبدأ عند ذلك أبو القاسم عليّ بن أحمد [359] في طلب العود إلى الوزارة وراسل بهاء الدولة وبذل له أن يكفيه الإهتمام بأمر الإقامة متى مكّنه وبسط يده. فاشرأبّت نفس بهاء الدولة لذلك فأحاله إليه واستوزره وخلع عليه.

ذكر ما جرى عليه أمر أبي القاسم عليّ ابن أحمد في هذه الوزارة

قبض على جماعة من الكتّاب والمتصرّفين وأخذ منهم مالاً مبلغه ستّة آلاف[٢] درهم وأحضر أبا العبّاس الوكيل وقرّر عليه تقريراً صالحاً عن نفسه وأعطاه وأقام له وجوهاً بالإقامة لمدّة أربعة أشهر وأخذ خطّه باستيفاء ذلك وأنفذه إلى بهاء الدولة فحسن موقعه عنده وملك به رأيه وقلبه. لكنه أفسد

١. تقلد البصرة في أواخر سنة ٤٠٢؛ ارشاد الأريب ٢: ١٢٠ (مد).

٢. لعله سقط: ألف.

قلوب الحواشي وأبعد بعضهم ومضت على ذلك مدّة وحالة تزداد عند بهاء الدولة تمكّناً واستقراراً وتزداد قلوب الحواشي منه استيحاشاً ونفاراً.

وكان قد قلّد أبا محمد الحسن بن مكرم البصرة حرباً وخراجاً في أعجاز نكبته بالأهواز وأمره بالقبض على أبي عبدالله ابن طاهر وكان ناظراً بالبصرة فقبض عليه وحبسه.

ذكر سبب وجد به الحواشي طريقاً[360] إلى فساد حال الوزير أبي القاسم

ورد الخبر أنّ أبا عبد الله ابن طاهر قُتل في محبسه، وأنّه وضع عليه قوماً دخلوا إليه وفتكوا به. فوجد الحواشي سبيلاً إلى الوقيعة في الوزير وعرّفوا بهاء الدولة من قتل[1] أبي عبدالله على الوجه القبيح ما غيّر رأيه فقال:

ـ «قد قتل في تلك الكرّة المعلم وفي هذه الكرّة ابن طاهر أفتراه بمن يثلّث؟»

وانتهى هذا القول إلى أبي القاسم من عيون كانت له في الدار بحضرة بهاء الدولة. فخاف وهرب في ليلة يومه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ذكر ما جرت عليه الأمور بعد هرب الوزير أبي القاسم عليّ بن أحمد وعود أبي نصر سابور[2]

قصد أبو نصر سابور دار بكران واستعاذ به حتى أصلح له قلوب الديلم

---

١. وفي الأصل: قبل.

٢. قال صاحب تاريخ الاسلام: وفي هذه السنة ابتاع الوزير أبو نصر سابور داراً بالكرخ وعمرها وسمّاها دار العلم ووقفها على العلماء ونقل إليها كتباً كثيرة (مد).

وأمن جانبهم وظهر من داره.

وأفرج عن الجماعة الذين اعتقلهم الوزير أبو القاسم ورتّب في كلّ من الدواوين كاتباً يتولّى أمره ونظر هو في الخبر والبريد والحماية ظاهراً، وفي تدبير الأمور وتقريرها وتنفيذها باطناً. فكانت الجماعة يصدرون عنه ويوردون إليه وجرت الحال على هذا الترتيب [361] أشهراً ثمّ تظاهر بالعمل.

وفيها وردت كتب أبي العلاء عبيد الله بن الفضل ويذكر فيها مسير عساكر فارس مقبلة إلى الأهواز ويحثّ على إمداده بالعساكر.

ذكر ما دبّره بهاء الدولة في ذلك

ندب أبا طاهر دريده شيرى.[١] للخروج إلى الأهواز في جماعة من الديلم وجرّد أبا حرب شيرزيل إلى البصرة.

وورد الخبر بانفصال عسكر فارس من أرّجان فأمر بهاء الدولة بإخراج مضاربه ثمّ ورد الخبر بحصولها برامهرمز.

فندب طغان الحاجب في عدد كثير من الغلمان وخلع عليه وأخرج معه عيسى بن ماسرجس[٢] ناظراً في خلافة الوزارة وأخرج ما في الخزائن من الأواني الذهب والفضة فكسرت وضربت دنانير ودراهم وفرّقت عليهم.

ثم ورد الخبر بدخول عساكر فارس وعليهم أبو الفرج محمد ابن عليّ بن زيار إلى الأهواز، وهزيمة أبي العلاء عبيد الله بن الفضل وحصوله أسيراً في أيديهم.

---

١. وفي الأصل دربرشيرى.

٢. وفي الأصل: ماسرجيس. هو أبو العباس وله قصّة مع أحمد النهرجوري الشاعر ومع ابن حاجب النعمان: إرشاد الأريب ٢: ١٢٠ و٥: ٢٦٠ (مد).

ذكر ما جرى عليه أمر أبي العلاء بعد الأسر والاتّفاق الذي سكن به [362]

لمّا أسره أبو الفرج ابن زيار حمله إلى شيراز وصمصام الدولة بدولتاباد[١] للتوجّه على سمت العراق فأدخل المعسكر على جمل وقد ألبس ثياباً مصبّغة وطيف به وكلّ أحد لا يشكّ أنّه مقتول.

فاتفق أنّه أجيز على خيم السيدة والدة صمصام الدولة فأومئ بيده كالمستغيث المسترحم. فبدرتهُ قهرمانة من الديلميات بالسبّ فسمعتها السيدة فأنكرت قولها عليها. وتقدّمت بحطه عن الجمل ونزع الثياب المصبوغة عنه وإلباسه غيرها وحمله إلى القلعة واعتقاله بها وإحسان مراعاته فيها. فكان فعل هذه المرأة سبب حياته والإبقاء عليه.

ولمّا ورد على بهاء الدولة خبر كسر عسكره بالأهواز وأسر أبي العلاء انزعج انزعاجاً شديداً وتقدّم إلى طغان بالمسير. ورأى خلو خزائنه من المال وحاجته إليه. فأمر الوزير أبا نصر بالإنحدار إلى واسط واجتذاب ما يلوح له وجه منه ومراسلة مهذّب الدولة والإستدانة منه على رهن يجعل له عنده وسلّم إليه من الجوهر والآلات كل خطير.

عقد القادر بالله على ابنة بهاء الدولة

وفيها عقد القادر بالله رضوان الله عليه على ابنة بهاء الدولة[٢] بصداق

١. قال ياقوت في معجم البلدان: دولتاباذ موضع ظاهر شيراز تسير إليه العساكر اذا أرادوا الأهواز.

٢. وفي تاريخ الأسلام أنّ اسمها «سكينة» وفيه أيضاً أنّ هذه السنة بلغ كرّ القمح ستة آلاف وستمائة درهم غياثية والكارة الدقيق مائتين وستين درهماً.

مائة ألف دينار بحضرته والوليّ الشريف أبو أحمد ابن موسى الموسوى وتوفّيت قبله النقلة. [363]

ودخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

مصاهرة بين المهذّب والبهاء

وفيها وقع العقد لمهذّب الدولة أبي الحسن على ابنة بهاء الدولة وللأمير أبي منصور ابن بهاء الدولة على ابنة مهذّب الدولة. وكل عقد منهما كان على صداق مائة ألف دينار وحمل المهذّب بالمبلغ مالاً وغلّة. وخطب له بواسط وأعمالها واحتسب له من مال ضماناته بأسفل واسط بألف ألف وثلاثمائة ألف درهم غياثية منسوبة إلى الإقطاع. وكان عيار الدرهم الغياثي ثمانية ونصف حرفاً[١] في كل عشرة.

مراسلة بين البهاء والفخر

وفيها أشار أبو نصر خواشاذه على بهاء الدولة بمراسلة فخر الدولة باستصلاحه واستكفافه عن مساعدة صمصام الدولة فاستصوب ذلك ورسم له السفارة فيه.

فاختار أبا الحسن الأقسيسي[٢] العلوى للخروج في الرسالة نيابة عن أبي نصر خواشاذه وخرج الأقسيسي فقبل أن يصل إلى مقصده قُبض عليه.

ذكر السبب في ذلك

كان بين أبي نصر خواشاذه وبين أبي نصر سابور صداقة ومخالطة. [364]

١. كذا في مد.

٢. قال ياقوت معجم البلدان: الاقساس قرية بالكوفة ينسب إليها جماعة من العلويين.

فلمّا انحدر أبو نصر سابور إلى واسط هرب إلى البطيحة فوجد أعداء أبي نصر خواشاذه طريقاً إلى السعي فحسّنوا لبهاء الدولة القبض عليه.

فتأمّل هذه الآراء الطريفة والأهواء العجيبة في تقارب ما بين القبض والإطلاق والعزل والتولية حتى صار الأمر عجباً والجد لعباً. على أنّ الحياة الدنيا لعب ولهو ولكن في اللعب مستقيم ومختلّ.

وهذا من المختل الذى تخالفت أعجازه وبواديه، وتناقضت أواخره ومباديه. فهل ترى في جميع ما شرد من أخبار الدولة البهائية نظاماً مستقيماً تحمد سلوك مذاهبه وتدبيراً جيّداً ينتفع بمعرفة تجاربه ؟

كلاً فجميعه واهي الأسباب وما يجرى فيه من صواب فإنّما هو بالإتّفاق. ونعود إلى سياقة التاريخ.

وفيها سار طغان والغلمان من واسط إلى خوزستان.

شرح ما جرى عليه أمره في هذا الوجه وظفرهم بعساكر صمصام الدولة وانهزامه من بين أيديهم

لمّا شارفوا السوس انهزم أصحاب صمصام الدولة عنها ودخلوها [365] وتقدّم ارسلان تكين الكركيري في سريّة من الغلمان إلى جندى سابور ودفعوا من كان بها وانتشرت الأتراك في أعمال خوزستان وعلت كلمتهم وظهرت على الديلم بسطتهم.

ووصل صمصام الدولة إلى الأهواز وقد اجتمعت معه جيوش الديلم وبنو تميم وبنو أسد. فلمّا حصل بدستر[1] رحل ليلاً على أن يسرى فيكبس معسكر الأتراك.

---

١. كذا في مد. لعله : بتستر.

ذكر اتفاق سيئ عاد بضدّ التقدير

ضلّ الادلّاء الطريق وساروا طول ليلتهم على حيرة وأسفر الصبح عنهم وبينهم وبين معسكر الأتراك مدى بعيد.

وشاهد[١] بعض طلائع طغان بسواد العسكر فكرّ إليه راجعاً وأخبره وقال:

ـ «تأهب لأمرك فإنّ الديلم قد صبّحوك موكباً.»

فركب وتلاحق به الغلمان واستعاد كلّ من كان قد ذهب ممتاراً فاجتمعوا حوله فكانوا نحو سبعمائة غلام والديلم ومن معهم في ألوف كثيرة.

فصعد أرسلان تكين الكركيرى تلّ طاؤوس فوقف عليه وقسم طغان الغلمان كراديس وأنفذ كردوساً مع يارغ[٢] وقال له:

ـ «سر عرضاً وأخرج على الديلم من ورائهم وبلبلهم في سوادهم لنشاغلهم نحن عن أمامهم. فإذا حملت [366] حملنا عليهم.»

فسار على ذلك ووقف طغان والغلمان بين يديه يطاردون الفرسان، وزحف الديلم فملكوا التلّ ونزل أرسلان تكين الكركيرى عنه ووقف صمصام الدولة عليه ووقع يارغ وكردوسه على السواد وحمل على المصافّ وحمل طغان والغلمان وكانت الهزيمة.

ووقف سعادة وعنان صمصام الدولة في يده متحيّراً ما يدرى ما يصنع. فقال له يارغ بالفارسية:

ـ «ما وقوفك يا حجّام خذ صاحبك وانصرف.»

فولّى عند ذلك صمصام الدولة ومضى ولم يتمكّن رجّالة [صمصام] الدولة

---

١. لعله: وشعر.

٢. وفي الأصل: يارخ (مد).

من الهرب مع إرهاق الأمر واشتداد الطلب وكدّ السير. فاستأمن منهم أكثر من ألفى رجل وتقطّع الباقون وغنم الأتراك غُنماً عظيماً.

ذكر ما دبّره الغلمان فى قتل المستأمنة إليهم من الديلم

لمّا اجتمع الديلم المستأمنون إلى خيم ضربها طغان لهم تشاور الغلمان فيهم فقالوا:

- «هؤلاء قوم موتورون وعدّتهم أكثر من عدّتنا. وإن استبقيناهم معنا خفنا ثورتهم، وإن خلّينا عنهم لم نأمن عودتهم.»

فاستقرّ رأيهم على القتل وطرحوا الخيم عليهم ودقّوهم بالأعمدة حتى أتوا عليهم.

فكانت هذه [367] الوقعة أخت وقعة الحلبة فى كثرة من قُتل من الديلم[١] ووردت الأخبار فى أمثالها وسار طغان إلى الأهواز فدخلها واستولى على جميع أعمالها وعادت طائفة من الغلمان إلى مدينة السلام.

ذكر ما فعله بهاء الدولة عند حصوله بواسط

استقرض من مهذّب الدولة مالاً بعد القرض الأول واستقرّ بينهما فى أمر البصرة أن يحدر بهاء الدولة عسكراً ويضمّ مهذّب الدولة إليهم عدداً من رجاله. فجرّد أبا كاليجار المرزبان لذلك فى طائفة من الجند ورتّب مهذّب الدولة أصحابه معهم وانحدر الجماعة.

وكان أبو الطيب الفرّخان قد وصل من سيراف فى البحر وملك البصرة

---

١. ووقعة الحلبة انهزم فيها قوم خرجوا من بغداد لقتال البساسيرى فى سنة ٤٥٠ وقتل منهم جماعة. ليراجع الكامل لابن الأثير ٩: ٤٤١ (مد).

فواقعوه بنهر الدير وكان الظفر لهم ودخل المرزبان بن شهفيروز البصرة وخطب لمهذّب الدولة بها تالياً لبهاء الدولة.

ولمّا ورد الخبر على بهاء الدولة بهزيمة صمصام الدولة رحل سائراً إلى الأهواز وآثر أن يبتدئ بالبصرة فقصدها ونزل بها.[368]

ذكر ما جرى عليه أمر الوزارة في البصرة في هذه السنة

استوزر بهاء الدولة عند حصوله بها أبا الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه ونظر فى السابع من شعبان واعتزل فى الثالث والعشرين منه.

وبان من ركاكة أفعاله فى هذه الأيام القريبة كلّ أمر سخيف منها: أنّه كان في مجلس نظره يوماً وهو حفل بالناس وأبو العبّاس الوكيل حاضر فقال:

ـ «ادعوا لى أبا العبّاس الوكيل.»

فقال له أبو العبّاس:

ـ «ها أنا يا مولانا.»

فقال: «نعم.»

والحاضرون يتغامزون عليه. ومنها: أنّه ركب إلى دار الفضل يعوده فوقف على مزمّلة العامة فاستسقى منها ماء. ثمّ لمّا وصل إلى باب الفاضل حجب وانكفأ وعرف الفاضل حضوره فأنفذ أصحابه إليه حتى لحقوه فى بعض الطريق فأعادوه ودخل إليه فشكا فى أثناء الحديث حاله إليه وأراه قميصاً رثّاً تحت ثيابه يلتمس بذلك مراعاة من بهاء الدولة ومعونة.

ثم استعفى بعد أيام من النظر وشرع أبو العباس عيسى بن ماسرجس فى خطبة الوزارة وراسل الفاضل أبا نصر فى السفارة فيها بعد أن كان قد[369] بذل أبو على الحسن الأنماطى لبهاء الدولة عنه بذولاً ووعده بملاطفات

يحملها[١] وعشرة آلاف دينار يخدمه بها.

ذكر رأى سديد أشار به الفاضل على ماسرجس فلم يعمل به

أشار عليه فى جواب رسالته بأن يلاطف أبا على الحسن بن محمد بن نصر صاحب البريد وأبا عبد الله الحسين بن أحمد العارض ومكاتبتهما ويسألهما النيابة عنه ويخاطب أبا عبد الله العارض بسيّدنا، ليكون عوناً له على تقرير أمره فلم يقبل.

قال الفاضل: فما راعنى إلّا حضور من أخبر بوروده ونزوله فى بعض البساتين. ثم جاءنى رسوله يستقرض منى مائة دينار فحملتها إليه فى الحال، وعجبت من التماسه هذا القدر النزر مع ما بذل عنه [أبو على] لبهاء الدولة.

ثم حضر عند بهاء الدولة وترك بين يديه ديناراً ودرهماً وخدمه وانكفأ. فأنكر بهاء الدولة ذلك من فعله فقال للانماطى:

ـ «أين ما وعدتنا به؟»

فعنوان خدمته يدل على ما وراءه. فقال الأنماطي:

ـ «يُحمل ما أعده من بعد.»

فمضى ذلك اليوم وغيره ولم يحمل شيئاً، وكاتب أبا عبد الله العارض بمولاى ورئيسى. فاجتمع هو وأبو على الحسن بن محمد بن نصر على إفساد أمره. [370]

---

١. فى الاصل: فحملها.

ذكر ما رتّباه من الحيلة في أمره حتى انحلّ

وضعا منصور بن سهل وكان هو العامل فى الوقت[1] على أن أشاع فى البلد أنّ ابن ماسرجس قد بذل بذولاً كثيرة فى مصادرات التجّار وفتح المخازن وأخذ أمتعة المجهزين والبحرانين[2] فماج الناس وكادت الفتنة تثور ورفع أبو على ذلك الخبر إلى بهاء الدولة وعظم الأمر فى نفسه.

واتّفق أنّ الفاضل أبا نصر غاب أيّاماً فى بعض الأشغال. فخلا أبو عبد الله وأبو عليّ ببهاء الدولة وقالا له:

ـ «قد ورد هذا الرجل بيد فارغة وما وفى بشيء مما بذله والبلد على ساق خوفاً منه ولا يؤمن حدوث فتنة يبعد تلافيها وأبو الحسين ابن قاطرميز يبذل أن يأخذ منه مالاً يخفّف به عنك أثقالاً.»

وسهّلا عليه الأمر فى ذلك، فأحالهما على الفاضل أبى نصر فى الجواب وقال:

ـ «اجتمعا به إذا عاد وقرّرا الأمر.»

فلمّا عاد الفاضل اجتمعا معه وقالا:

ـ «إنّ الملك قد أمرنا بالقبض على أبى العباس.»

فقال: «لأيّة حال.»

قالا: «لما ظهر من نفور الرعيّة منه ولنكوله عمّا كان بذل عنه.»

فقال لهما: «هذا مما لا يسوغ فعله وكيف يصرف اليوم رجل مستدعى بالأمس بغير سبب يقوم به الغدر وهل يجلب ذلك إلّا سوء المقالة من الناس فينا [371] ونسبتهم إيّانا إلى سخافة الرأى وضعف النحيزة وأنّ خدمة هذا

١. هو عامل البصرة فى حدود سنة ٤٠٠؛ ارشاد الأريب ٢: ١٢٢ (مد).

٢. كأنّه يريد: البحريّين.

الملك لا تستقيم على أيدينا؟ وأنا أحضر عند الملك وأعرّفه ما في ذلك.»

فقالا له: «تعرّفه ماذا؟ وقد أنفذنا أبا الحسن الكراعي كاتبك وأصحابك إلى الرجل ووكّلنا به.»

فوجم أبو نصر وأطرق ونفذ السهم وسلِم الرجل إلى الحسن بن قاطرميز فطالبه واستقصى عليه.

ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة بعد انصرافه من الوقعة

لمّا انصرف به سعادة من المعركة سار عائداً إلى الأهواز. فلمّا عبر به وادي دستر كاد يغرق. فاستنقده أحد بني تميم ووصل إلى الأهواز في عدد قليل من الديلم وترحّل عنها طالباً أرّجان.

فتلقّاه أبو القاسم العلاء بن الحسن وحمل إليه من الثياب والرحل ما رمّ[1] به شعثه وسيّره إلى شيراز ومعه الصاحب أبو علي ابن أستاذ هرمز وتلقّتهُ والدته بما يجب تلقّيه به من المراكب والثياب والتجمل.

وكان بينها وبينه نفرة. فلمّا رأته بكت بكاء شديداً وكان صمصام الدولة في عمارية وعليه ثياب سود حزناً وكآبة لا يطعم في الأيّام إلّا اليسير من الطعام فسكنت [372] والدته منه وقالت له:

- «ما زالت الملوك تُغلب وتَغلب وإذا سلمت المهجة رجوت الأوبة.»

فغيّرت ثيابه وأصلحت حاله وحصل بشيراز ثم تلاحق الناس به وتكامل الديلم عنده من بعد.

ولم نجد في بقيّة شهور هذه السنة ما يستفاد منه تجربة.

---

١. كذا في مد: رمّ. ولعلّه: لمّ.

ودخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

وفاة الصاحب بن عبّاد وما جرى في علّته وبعد موته

فيها توفّى الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عبّاد بالريّ ونظر فى الأمور بعده أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبيّ ويلقّب بالكافى الأوحد.

شرح ما جرت عليه الحال في ذلك

لما اعتلّ ابن عبّاد كان أمراء الديلم وكبراء الناس يروحون إلى بابه ويغدون ويخدمون بالدعاء وينصرفون.

وعاده فخر الدولة عدّة مرات. فيقال: إنّه قال لفخر الدولة أوّل مرّة وهو على يأس من نفسه:

ـ «قد خدمتك أيّها الأمير خدمة استفرغت قدر الوسع وسرتُ فى دولتك سيرة جلبتُ لك حسن الذكر بها. فإن أجريتَ الأمور بعدى على نظامها وقرّرت القواعد على أحكامها نسب[1] ذلك الجميل السابق إليك ونسيت أنا في أثناء ما يثنى به عليك ودامت [373] الأحدوثة الطيّبة لك. وإن غيّرت ذلك وعدلت عنه كنت أنا المشكور على السيرة السالفة وكنت أنت المذكور بالطريقة الآنفة وقُدح فى دولتك ما يشيع فى المستقبل عنك.»

فأظهر فخر الدولة قبول رأيه.

وقضى ابن عبّاد نحبه فى يومه. وكان أبو محمد خازن الكتب ملازماً داره على سبيل الخدمة له وهو عين لفخر الدولة عليه، فبادر بإعلامه الخبر. فأنفذ فخر الدولة ثقاته وخواصّه حتى احتاطوا على الدار والخزائن. ووجدوا

---

١. وفى الأصل: نسبت. والصواب في إرشاد الأريب ١: ٧٠ فى ترجمة أبى العبّاس الضبّى رواية عن هلال الصابى (مد).

كيساً فيه رقاع أقوام بمائة وخمسين ألف دينار مودوعة له عندهم. فاستدعاهم وطالبهم بالمال فأحضروه وكان فيه ما هو بختم مؤيّد الدولة.

فرُجّمت الظنون في ذلك: فمن مقبّح لآثاره ينسبه إلى الخيانة فيه، ومحسن لذكره يقول: إنّما أودعه مؤيد الدولة لأولاده. ونقل جميع ما كان في الدار والخزائن إلى دار فخر الدولة.

وجهّز ابن عباد وأخرج تابوته وقد جلس أبو العباس الضبّى للصلاة عليه والعزاء به. فلمّا بدا على أيدى الحمّالين قامت الجماعة إعظاماً له وقبّلوا الأرض ثمّ صلّوا عليه وعُلّق بالسلاسل فى بيت إلى أن نقل إلى تربة له بإصفهان.

وقال القاضى أبو الحسن عبد الجبّار بن أحمد:

ـ «إنّنى لا أرى الترحّم عليه. لأنّه مات [374] عن غير توبة ظهر عليه.»

فنسب عبد الجبّار في هذا القول إلى قلّة الرعاية.

ثم قبض فخر الدولة عليه وعلى المتعلّقين به وقرّر أمرهم على ثلاثة آلاف ألف درهم فباع فى جملة ما باع ألف طيلسان وألف ثوب من الصوف المصرى.

فهلّا نظر هذا القاضى فى شأن نفسه ثم أفتى فى شأن غيره مثل ابن عبّاد الذى قدم قدمهُ وأثّل نعمته وراش جناحه ومهّد أحواله! صدق المثل «تبصر القذى فى عين غيرك وتدع الجزع المعترض فى حلقك»[1] فرحم الله من أبصر عيب نفسه فشغل بستره عن عيب غيره.

وبلغنا أنّ رجلاً من الصالحين لقى أخاً له فقال له:

ـ «إنّى أحبّك فى الله.»

---

١. عبارة المؤلف أقرب إلى الموجود فى التلمود منها إلى الموجود فى الإنجيل (مد).

فقال الآخر:
ـ «لو تظهر لك عيوبى لأبغضتنى فى الله.»
فقال له: «عيبي يشغلنى عن تأمّل عيب غيرى.»
نسأل الله توفيقنا بما يعصم جوارحنا وقلوبنا وصنعاً جميلاً يستر مساوينا وعيوبنا.

بين فخر الدولة وأبى العبّاس الضبّى

وقلّد فخر الدولة أبا الحسن ابن عبد العزيز قضاء القضاة وطالب أبا العبّاس الضبّى بتحصيل ثلاثين ألف ألف درهم من الأعمال ومن المتصرّفين فيها وقال له:
ـ «إنّ الصاحب أضاع الأموال وأهمل الحقوق وقد ينبغى أن يُستدرك ما فات منها.»
فامتنع أبو العباس من ذلك مع تردّد القول فيه. وكتب أبو على ابن حمولة يخطب الوزارة وضمن عنها ثمانية آلاف ألف درهم وأجيب إلى [375] الحضور. فلمّا قرب قال فخر الدولة لأبى العبّاس:
ـ «قد ورد أبو على وقد عزمت على الخروج فى غد لتلقّيه وأمرت الجماعة بالترجّل له. فلابدّ أن تخرج إليه وتعتمد مثل ذلك معه.»
فثقل ذلك على أبى العبّاس وقال له خواصّه ونصحاؤه:
ـ «هذا ثمرة امتناعك عليه وقعودك عمّا دعاك إليه وسيكون لهذه الحال ما بعدها.»
فراسل فخر الدولة وبذل ستّة آلاف ألف درهم عن إقراره على الوزارة وإعفائه من أن يلقى أبا علي. وخرج فخر الدولة وتلقّاه ولم يخرج أبو العباس.

ورأى فخر الدولة أنّ من الصلاح الإشراك بينهما فى النظر. فسامح أبا على ابن حمولة بألفي ألف درهم من جملة الثمانية التى بذلها وسامح أبا العباس بمثلها من الستّة، وقرّر عليهما جميعاً عشرة آلاف ألف درهم وجمع بينهما فى النظر وخلع عليهما خلعتين متساويتين ورتّب أمرهما على أن يجلسا فى دست واحد ويوقّعا جميعاً: فيوماً يوقّع هذا ويعلم[1] ذاك ويوماً يوقع ذلك ويعلم هذا. ووقع التراضى بذلك ونظرا فى الأعمال.

وقبضا على أصحاب ابن عباد وتتبّعا كلّ من جرت مسامحة باسمه فى أيّامه وقرّرا المصادرات فى البلاد، وأنفذا أبا بكر ابن رافع إلى استراباذ ونواحيها بمثل ذلك.

ما فعله ابن رافع في إستراباذ

فقيل: إنّه جمع الوجوه وأرباب الأحوال وأخّر الإذن لهم [376] حتى تعالى النهار واشتدّ الحرّ ثم أطعمهم طعاماً أكثر ملحَهُ ومنعهم الماء عليه وبعدَهُ، وطالبهم بكتب خطوطهم بما يصحّحونه. فلم يزل يستام عليهم وهم يتلهّفون عطشاً إلى أن التزموا عشرة آلاف ألف درهم.

واجتمع لفخر الدولة فى الخزائن والقلاع ما كثّره المقلّلون. ثم تمزّق بعد وفاته فى أقرب مدّة فلم يبق منه بقيّة.

وكذاك مال كلّ ثروة ذميمة المكاسب، ومصير كلّ زهرة خبيثة المنابت. فلئن عمر خزائنهُ لقد خرب محاسنه. ولئن جمع المال الجزيل لقد ضيّع الذكر الجميل. ثم لم يحظ من ذلك إلّا بالأوزار التى احتقبها والآثام التى اكتسبها. وقبّح الأحدوثة التى علقت بأخباره سماتها، وبقيت على الأيّام

١. وفى مد: يعلّم (بالضبط).

عظاتها، إذ لم يبق من عظامه رُفاتها. «وَما يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إذا تَرَدَّى»[1] فياندم النادم إذا ترك ما اكتسبه وراء ظهره، وانقلب بثقل الوزر وسوء الذكر إلى قبره. وأصعب من ذلك ما بعده «يومَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ إلّا مَنْ أتَى اللهَ بِقَلبٍ سَليمٍ»[2].

صمصام الدولة يقتل أتراك فارس

وفيها أمر صمصام الدولة بقتل من بفارس من الأتراك. فقتل قوم منهم بشيراز وأجفلت طائفة منهم، فعاثوا فى بلاد فارس. فجرّد صمصام الدولة إليهم من دفعهم عنها وانصرفوا إلى كرمان وبها أبو جعفر أستاذ هرمز، فدفعهم أيضاً فدعتهم الضرورة [377] إلى قصد بلاد السند واستأذنوا ملكها فى دخول بلده.

ذكر الحيلة التى عملها صاحب السند على الأتراك حتى قتلهم

أظهر لهم القبول وخرج لاستقبالهم ورتّب أصحابه صفّين وهم رجّالة، وواقفهم على الإيقاع بهم إذا دخلوا بينهم. ففعلوا ذلك ولم يفلت منهم إلّا نفر حصلوا بين القتلى وهربوا تحت الليل.

وفاة أبى نصر خواشاذه

وفيها توفّى أبو نصر خواشاذه بالبطيحة وسبب حصوله بها أنّه لمّا قبض عليه خرج فى الصحبة إلى واسط واعتقل بها فتوصّل إلى الهرب.

١. س ٩٢ الليل: ١١.

٢. س ٢٦ الشعراء: ٨٩.

قال صاحب الخبر[١]:

فأذكر وقد انحدرت إلى مهذّب الدولة واجتمعت مع أبي نصر. فرأيت كتب فخر الدولة وصمصامها وبهائها وبدر بن حسنويه إليه يستدعيه كلّ واحد منهم، ويبذل له من المعيشة والإحسان ما يرغب في مثله. لكن فخر الدولة قال له في كتابه:

ـ «لعلّك تسيء الظنّ بمعتقدنا للقبيح الذى قدّمته فى خدمة عضد الدولة عندنا وما كنّا لنؤاخذك بطاعة من قدّمك واصطنعك ومناصحة من كان [378] يصنعك ويرفعك، وأن نعتدّ لك من وسائلك لم نجعله ذنوبك[٢] وقد علمت ما عاملنا[٣] به أبو القاسم اسماعيل ابن عبّاد وأنّنا طوينا جميع ما كان بيننا وبينه واستأنفنا معه من الإكرام والتفويض ما لم يقدّره ويظنّه. ولك علينا عهد الله وميثاقه في أيماننا من كلّ ما تخافه وتحذره وإنّا لك بحيث تحبّه وتؤثره. فإن أردت الخدمة قدّمناك إلى أعلى رتبها وأرفع درجها، وإن رأيت الأعتزال والدعة أوجبنا لك مائة ألف درهم معيشة من أصفهان ووفّرناك على المقام فى دارك بها.»

فقلت له: «فإلى أيّ جهة ميلك.»

فقال: «ما كنت أنفر إلّا من جهة فخر الدولة وقد وثقت به ولم يعلق قلبى إلّا به وأنا عازم على قصد الريّ عند ورود من أستدعيه من أصحاب بدر بن حسنويه.»

فعاجلته المنيّة المريحة من الحلّ والترحال القاطعة للحاجات والأشغال.

وفيها ورد الخبر بمسير العلاء بن الحسن والديلم من أرّجان ووفاة طغان

---

١. وهو هلال الصابى (مد).

٢. الجملة محرّفة (مد).

٣. والمثبت فى مد «علمنا» وفقاً للأصل. واقتراح التصحيح من تعاليق مد أيضاً.

بالأهواز، فسار بهاء الدولة على سمت الأهواز.

ذكر ما جرى عليه الأمر مع العلاء بن الحسن واستيلائه على الأهواز

لمّا توفّي طغان الحاجب كوتب بهاء الدولة بخبره وبما عوّل عليه الغلمان [379] وما حدّثوا به أنفسهم من العود إلى بغداد. فانزعج لذلك وعلم ما في أثنائه من ذهاب الدولة مع استعداد العلاء للمقارعة، وقدّم تسيير أبي كاليجار المرزبان بن شهفيروز إلى الأهواز للنيابة عنه، ورمّ العسكر بها وكان بينهما تذمّماً[١] في جميع الأمور مستقلاً للتوقيع والتدبير.

وأنفذ أبا محمد الحسن بن مكرم إلى ألفتكين الخادم للمقام بموضعه، وكان حصل برامهرمز منصرفاً مرّتين إلى عساكر فارس. فلم يستقرّ بألفتكين قدم وانكفأ إلى الأهواز، وكوتب أبو محمد ابن مكرم بالنظر في الأعمال والجدّ في استخراج الأموال وإرضاء الجند.

وقرب العلاء بن الحسن فعرّج على عسكر مكرم ونزل بهاء الدولة بطلا[٢] وترددت بينه وبين العلاء مراسلات ومكاتبات سلك فيها العلاء سبيل اللينة والإطماع والمكر والخداع. ثمّ سار على نهر المسرقان لازماً له إلى أن حصل بخان طوق.

ووقع الحرب بينه وبين أبي محمد ابن مكرم وألفتكين ومن في جملتهما من الغلمان، وصدق الفريقان وزحف الديلم بين البساتين والنخيل حتى دخلوا البلد ودفعوا أبا محمد وألفتكين منه.

---

١. لعله: وكان بينهما قديماً (مد).

٢. طَلّا: قلعة بآذربيجان، أصلها: تَلا، حولها بحيرة كان فيها ذخائر التتر، وفيها قبر هولاكو خان الذى فتح البلاد (مراصد الإطّلاع).

وأرسل أبو محمد وألفتكين إلى بهاء الدولة وأشاروا عليه بالعبور والبدار فتوقّف عن ذلك ووعد وسوّف ثمّ أمدّهما بثمانين غلاماً من غلمان داره مع خدم للخيل. فعبروا وحملوا على الديلم من ورائهم بغرّة الصَّبوة[1] وقلة التجربة. فأفرج الديلم لهم حتى توسّطوهم، ثمّ انطبقوا عليهم [380] فقتلوهم.

وعرف بهاء الدولة ما جرى على غلمانه فضعفت نفسه وهمّ بالهزيمة وخاف أن يظهرها فيطمع فيه بنو أسد. فتقدّم بأن تُسرج الخيل ويطرح عليها السلاح وتحمل الأثقال، وأظهر أنّه يقصد الأهواز.

فلمّا رتّب ذلك جميعه ركب وأخذ سمت الأهواز قليلاً، ثم عطف فتوجّه تلقاء الجزيرة وأمن ما خافه من اختلاط العسكر عند الهزيمة، وتعسّف في طريقه حتى عاد إلى عسكره بظاهر البصرة.

ذكر ما جرى عليه أمر أبي محمد ابن مكرم والغلمان

لمّا عرف أبو محمد والغلمان خبر بهاء الدولة في انصرافه ساروا إلى عسكر مكرم وتبعهم العلاء بن الحسن والديلم ورفعوهم عنها فارتفعوا ونزلوا براملان بين عسكر مكرم ودستر.

وتكرّرت الوقائع بين الفريقين مدّة، لأن الأتراك كانوا يركبون إلى باب البلد ويخرج الديلم إليهم ويقاتلونهم قتال المحاجزة لا المناجزة، ومع الأتراك دُستر وسوادها يمتارون منها.

ثم سار الأتراك إلى رامهرمز ومنها إلى أرجان واندفع من كان فيها من بين أيديهم واستولوا عليها واستخرج أبو محمد لهم الأموال منها وأقاموا بها

١. والمضبوط في مد: الصبوّة.

ستّة [381] أشهر ثم كرّوا راجعين إلى الأهواز.

وبلغ العلاء خبرهم حين قربوا فأنفذ إلى قنطرة أربق من قطعها ووصل أبو محمد والغلمان إليها. فطرحوا الأجذاع وأعمدة الخيم عليها وعبروها وحصلوا مع الديلم على أرض واحدة ونزلوا بالمصلّى وخيَّم العلاء نحو شهرين. ثمّ رحل الأتراك من معسكر مكرم وتبعهم العلاء فوجدهم قد امتدوا واسطاً وكان العلاء بن الحسن قد رتّب مناجزة أبي جعفر بالسوس عند مصير الأتراك إلى أرّجان وفرّق مقطعي كلّ كورة فيها.

فلمّا عاد بهاء الدولة إلي واسط على ما يأتي ذكره ولم يبق بينه وبين الديلم من يحول دونه جرّد قُلَّج في عدة من الغلمان وسيّره إلي السوس، وكتب إلى أبي محمد ابن مكرم ومن في جملته من الغلمان بالتوقّف عن الإتمام فلقيهم قُلّج والكتب في الطريق، فرجعوا وحصل المعسكر جميعه مع أبي محمد وأقاموا بِبَصِنَّى[1].

وفيها عاد أبو القاسم علي بن أحمد من البطيحة إلى حضرة بهاء الدولة للوزارة.

ذكر ما جرت عليه حاله في هذه النوبة

قال الأستاذ الفاضل أبو نصر:

لمّا عاد بهاء الدولة إلى معسكره بظاهر [382] البصرة وقفت أموره فتردّدت بينه وبين أبي القاسم مراسلة في العود إلى خدمته. فاستقرّ ذلك بوساطة مهذّب الدولة بعد أن اشترط على بهاء الدولة أنّه إن مشى الأمر على يديه وإلّا أعاده محروساً إلى البطيحة.

١. وفي مراصد الإطلاع: بَصِنّا، من نواحي الأهواز، صغيرة.

وكان السفير بينهما الشريف أبو أحمد الموسوى. ولم أعرف ذلك إلّا بعد استقراره وكنت فى بقايا علّة واستأذنت بهاء الدولة فى الإصعاد إلى بغداد للمداواة فلم يأذن. فلمّا ورد الرجل ومضى على وروده ثلاثة أيّام راسلنى الملك وقال:

ـ «كنت استأذنتنا فى الإصعاد إلي بغداد للمداواة وقد أذنّا لك.»

فعلمت أنّ هذا القول على أصل، وأنّ الغرض إبعادى فقبّلت الأرض وقلت:

ـ «السمع والطاعة.»

وانصرف الرسول.

ذكر رأى سديد رآه الفاضل فى استمالة قلب بهاء الدولة

قال الفاضل:

أخذت دواة ودَرجاً[1] وأثبتُّ ما كان لى بالبصرة من صامت وناطق حتى لم أترك إلّا ما كان على جسدى وحملت جميعه على التذكرة به إلى الخزانة وقلت:

ـ «هذا ما أملكه وأنا مع إصعادى مستغنٍ عنه والخزانة مع كثرة الخرج محتاجة إليه.»

واستأذنت فى الحضور للوداع، فوقع ذلك [383] موقعاً جميلاً وأذن لى فى الحضور. وجاءنى فى أثناء ذلك الشريف أبو أحمد الموسوى وكان يتّهمنى بالميل إلى الشريف أبى الحسن محمد بن عمر ويستوحش منّى لأجله فقال:

ـ «قد بلغنى أنّك تصعد الليلة إلى بغداد وما كنت أوثر البعد عن سلطانك

---

١. الدَّرْج: ما يكتب فيه.

ولو وقفت وتركتنى أتوسّط ما بينك وبين هذا الوزير الوارد وأتوثّق لكلّ واحد من صاحبه لكان أولى.»

فقلت: «قد كنت على العزم الذى بلغ الشريف وإذ قد رأى لى الصواب فى المقام أقمت يومين [أو] ثلاثة معوّلاً على تفضّله فيما يقرّره ـ وأردت بهذا القول كتمان حقيقة أمرى عنه إشفاقاً من أن يعرف الوزير خبرى ـ فراسل بهاء الدولة فيما تعرّفنى به[1] وربما بلغ غرضه فى تعاجل الحال.»

وانصرف الشريف أبو أحمد ولم تُقلّنى الأرض حتى مضيت إلى المضرب وودّعت بهاء الدولة وقبّلت الأرض وبكيت، فبكى لبكائى وقال:

ـ «لا تشغل قلبك فإنّنى لك على أجمل نيّة، وما أنفذتك إلّا إلى مملكتى وأين كنت فإنّك على بال من مراعاتى وملاحظتى.»

وخرجت فاتّبعنى بعض خواصّه وقال:

ـ «إنّ الملك يأمرك أن تتوقّف ليسلّم إليك رهونا تحملها إلى مهذّب الدولة وتستقرض عليها مهما أمكنك.»

فأشفقت من أن أتربّث فتتجدّد من الوزير فى أمرى مراسلة بهاء الدولة بما أتّقيه فقلت للرسول:

ـ «تقول لمولانا: إننى قد أحسست [384] بأول دور الحمّى وأنا أصعد وأتوقّف بنهر الدير إلى أن يلحقنى ما يرى إنفاذه.»

فدخل وخرج وقال:

ـ «امض فإنّا نحمل على أثرك ما يصحبك.»

فاغتنمت الفرصة وأسرعت ولم أتوقّف ووصلت إلى واسط. فما استقررت بها حتى ورد على الطائر كتاب من عبد العزيز بن يوسف يقول فيه:

---

١. لعله: فيراسل بهاء الدولة فيما يقرفني به (مد).

ـ إنّ الرجل ـ يعني الوزير أبا القاسم على بن أحمد ـ وقف أمره وعاد إلى البطيحة فبادرت فى الحال إلى الإصعاد علماً بأنّ الكتب سترد بالعود إليّ. فما بلغت فم الصلح[۱] حتي صاح بنا ركابيّان وردا من البصرة ومعهما كتاب بهاء الدولة إليّ بالإنحدار. فاعتذرت فى الجواب بقربى من مدينة السلام وأننى أدخلها وأحصل من المال والثياب ما أعلم أنّ الحاجة داعية إلى تحصيله وأعود.

فأمّا سبب فساد أمره فإنّه عامل أبا العبّاس الوكيل بما أوحشه به واستشعر أبو عبد الله العارض وأبو الفرج الخازن منه واجتمعت كلمة الحاشية عليه، وتطابقوا على فساد أمره خوفاً من بوادره.

وعوّل بهاء الدولة على القبض عليه فذكّره الشريف أبو أحمد العهد الذى استقرّ مع مهذّب الدولة بالقبيح وأخرج عن اليد. فعند ذلك فسح في عوده مع الشريف أبى أحمد إلى بغداد.

ودخلت سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة [385]
وفيها ملك لَشْكَرْستان بن ذكيّ البصرة وانصرف أصحاب بهاء الدولة عنها

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

شرح الحال فى ذلك

كان لَشْكَرْستان ذا نفس أبية وهمّة علية ولم يزل يلوح من شمائله فـى بدء أمره ما يدلّ على ارتفاع منزلته وقدره وهو من جملة من انحاز عن بهاء الدولة إلى صمصام الدولة وحصل مع العلاء بن الحسن بالأهواز.

فلمّا انصرف الأتراك إلى أرّجان على ما تقدّم ذكره، حدّثته نفسه بالخروج

---

۱. فم الصلح: نهر كبير فوق واسط، عليه عدة قرى، وعند فمه كانت دار الحسن بن سهل، وفيه بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل وهو الآن خراب (مراصد الإطّلاع).

إلى البصرة ودفع بهاء الدولة عنها. والتمس من العلاء بن الحسن مساعدة على ذلك فأحجم العلاء عن إفراد بعض العسكر عن نفسه، لحاجته إلى الاستظهار بكثرة العدد.

فبينا تردّد الخطاب بينهما إذ ورد اليهما نحو أربعمائة رجل من الديلم مستأمنين من ديلم بهاء الدولة. فضمّهم لشكرستان إليه وفرّق فيهم خمسة آلاف دينار من ماله وسار بهم إلى حصن مهدى.

وجرّد بهاء الدولة أبا مقاتل خُمارتَكين البهائى لقتاله، فجرت بينهما مناوشات واعتصم الديلم بالبلد ولم يقدر خمارتكين على مواقعتهم فيه.

فلمّا كان فى بعض الأيّام عاد منهم وخرج لشكرستان على أثره وحمل نفسه على الصعب وسار على التعسّف[386] حتى حصل هو ومن معه بلشكرابان.

وتسلّل إليه من بقى مع بهاء الدولة من الديلم ولم تكن لأصحاب بهاء الدولة قدرة عليهم لإعتصامهم بالبساتين والمياه التى يضيق مجال الفرسان فيها. ثم ضاقت عليهم الميرة وانقطعت عنهم المادّة فقطعوا النخل وأكلوا جمّارها وأكلوا الزرع.

وكان أبو العبّاس ابن عبد السلام وطائفة من أهل البصرة مائلين إلى بهاء الدولة ونزلوا بإزاء الديلم يصدقونهم القتال. وكان أبو الحسن ابن أبى جعفر العلوى مائلاً إلى لشكرستان بن ذكىّ مضادة لابن عبد السلام لما بين الفريقين من المباينة. فحمل العلوى إلى الديلم فى السماد دقيقاً أمارهم به ونفّس عنهم كربهم، وعرف بهاء الدولة ذلك وظفر ببعض السفن التى حملت فيها الميرة فأنفذ من يقبض عليه فهرب وكبست داره ونُهبت.

وطُلبت هذه الطائفة فاستوحشوا وصار منهم عدد كثير مع أبى جعفر إلى لشكرستان وقويت بهم شوكته وجمعوا له سفُناً وحملوا الديلم فيها على

ركوب أخطار وشدائد حتى جعلوهم على أرض البصرة ووافوا بهم إلى محالّهم وواقعوا أصحاب بهاء الدولة فهزموهم ونهبوا دور بني عبد السلام وطائفته وخرّبوها.

وجلا[١] ناس كثير من البصرة ونبا ببهاء الدولة مكانه [387] وخرج البلد عن يده وأصعد إلى واسط على الظهر فوصل إليها وقد تقطّع عسكره وتمزّق سواده.

ذكر ما جرى عليه أمر لَشْكَرْسَتان بالبصرة إلى أن استقرّ ما بينه وبين مهذّب الدولة من الصلح

لمّا حصل لشكرستان[٢] بالبصرة بطش بأهلها فقتل وسفك، وخرج الناس على وجوههم لفرط الهيبة الواقعة في نفوسهم ومدّ يده إلى أموال التجار فخرب البلد وتشرّد كل من فيه. وكتب بهاء الدولة إلى مهذّب الدولة يقول له:

ـ «إذا كان لشكرستان قد غلب على البصرة فأنت أحقّ بها منه.»

فاستعد مهذّب الدولة للقتال وجرّد أبا عبد الله ابن مرزوق إليه في عدّة كثيرة من الرجال وكاتب أبا العباس ابن واصل وكان بعبّادان وغيره من أصحاب الأنهار بالإحتشاد والإستظهار والإجتماع مع ابن مرزوق على حرب لشكرستان، وانحدر ابن مرزوق ودفعه عن البصرة.

فاختلفت الرواية في دفعه عنها، فقيل: إنّ أهل البصرة قويت نفوسهم فوثبوا على الديلم وانصرف لشكرستان من غير حرب إلى أسافل دجلة. وقيل: بل عقد جسرا [388] في الموضع المعروف بالجلّ وقال:

---

١. وفي الأصل: وخلا (مد). ولضبط الأصل أيضاً وجه من الصحّة. خلا، أي: مضى.

٢. كذا في مد: لشكرابان.

ـ «الديلم يرمون كل من يرد من نهر عمر.»

وجعل أمامه سلسلة حديد ممتدة من إحدى حافتي نهر ابن عمر إلى الأخرى ليدفع عن الجسر ما يرسل على الماء من شاشات القصب المضرمة بالنار تغوص بثقلها فتعبر الشاشات عليها فتغرقها.

في عسكر البطيحة من نهر ابن عمر وجمعوا قصباً كثيراً بعرض النهر وأرسلوه مضرماً بالنار وجعلوا سفنهم التي فيها مقاتلتهم من ورائه، فوقع على السلسلة وتقطّعت وعلى السفن الصغار فاحترقت ووصل إلى الجسر ودخل عسكر البطيحة البصرة يقدُمهم ابن مرزوق وعسكره إلى الجزيرة.

وحصل لشكرستان بسوق الطعام وهي فسيحة واستمرّ القتال بين الفريقين وكان للديلم الإستظهار في الحرب ولهؤلاء قطع الميرة.

فراسل لشكرستان مهذّب الدولة وسأله المصالحة والموادعة وبذل له الطاعة والمتابعة على أن يقيم له الخطبة ويسلّم ابنه إليه رهينة. فمال مهذّب الدولة إلى الصلح وسلّم لشكرستان ابنه أبا العز واتّصل الصفاء واستمرّ الوفاء زماناً طويلاً.

وأظهر لشكرستان طاعة صمصام الدولة وبهائها وأمّر نفسه واعتضد بما عقده بينه وبين مهذّب الدولة من المودة، وعسف أهل البصرة مدة، ثمّ عدل فيهم وأحسن السيرة بهم وخفّف[389] الوطأة عنهم بعد أن قرّر نصف العشر عليهم. وكان يؤخذ من سائر ما يتبايع حتى من المأكولات، وعاد البصريون إلى دورهم ومنازلهم.

والذي تكثر به العشرة وتطول فيه الفكرة ويستفاد منه التبصّر وتنتفع بمثله التجربة خامل حالتي بهاء الدولة ومهذّبها. كيف اختلّ أمر ذلك وهو عريق في الملك صاحب مملكة لسوء سيرته! وكيف استقام أمر هذا وهو دخيل في الإمارة صاحب بطيحة لحسن طريقته!

لقد ضلّ من ظنّ أنّ الملك يستقيم بالظلم والمال ويثمر بالجور، أو الإرتفاع يكثر بالحيف، أو الضرع يدُرّ بالعسف. لا ورافع السماء ومؤتى الملك من يشاء، ما يصلح الملك إلّا بإحسان السيرة وإحكام السياسة وترتيب الخاصة وتهذيب العامة والهيبة فى الجند والعدل فى الرعيّة.

وهيهات أن يصلح الملك تدبير مملكته إلّا بعد تدبير مدينته، أو تدبير مدينته إلّا بعد تدبير داره، أو تهذيب رعيته إلّا بعد تهذيب جنده، أو تهذيب جنده إلّا بعد تهذيب حاشيته، أو تهذيب حاشيته إلّا بعد تهذيب نفسه.

ولولا أننا لا نباهى أصحاب عصرنا أطال الله بقاءهم، من الملوك والوزراء الماضين إلّا كلَّ من كان عالي الرتبة فى العلاء والمجد، طيب الأحدوثة بالثناء والحمد، لأوردنا فى هذا الفصل ما تتبيّن به مقادير[390] التفاوت والفضل ويقوى معه الدليل على ما قدّمناه فى صدر كتابنا هذا من تفضيل زماننا بهم.

لكنّا لا نقيس الفاضل بالناقص ولا المخدج بالكامل ولا العاجز بالقادر ولا النابى بالباتر. لأن الشيء يقاس بما يناسبه ويشبَّه بما يقاربه.

ونعود إلى سياقة التاريخ.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

عود سابور بن أردشير إلى الوزارة

وفيها عاد أبو نصر سابور بن أردشير إلى الوزارة ونظر نحواً من شهرين ثم هرب.

ذكر ما جرى عليه أمر أبي نصر سابور
في هذه النوبة

كان بهاء الدولة أنفذ أبا عبد الله العارض وأبا نصر الفاضل إلى مهذّب

الدولة واستقرضا منه قرضاً وتطيّبا إلى سابور وقرّرا معه العود إلى الوزارة.

فلمّا حصلا بالبطيحة وقرّرا الأمر مع سابور، حضرا عند مهذّب الدولة ليعلماه بحال ما استقرّ. فقال مهذّب الدولة:

ـ «أنتما فى طرفٍ والملك فى آخر.»

وأخرج كتاباً بخطّ بهاء الدولة يسأله إنفاذ أبى القاسم علىّ بن أحمد. فلمّا شاهداه وجما وقالا:

ـ «قد يجوز أن يكون هذا قد بدا له بعدنا رأى آخر.»

وانصرفا فقال أبو عبد الله العارض للفاضل:

ـ «ما فعل الملك ما فعله إلّا على أصل، والصواب القعود هاهنا والأخذ بالحزم.»

فقال له الفاضل:

ـ «لا يضعف [391] قلبك، واصعد معي، ودعني ألقى الملك وأحلّ ما عقد بعدنا معه، فإنّى أعرف بأخلاقه منك، ومتى تأخّرنا بلغ أعداؤنا منّا مرداهم.»

وما زال به حتى أصعد معه. فلمّا وصلا إلى بهاء الدولة قال لهما:

ـ «ما وراءكما.»

قالوا[1]: «كنّا قررنا مع مهذّب الدولة أمر القرض ومع سابور أمر النظر. فوافى كتابك باستدعاء أبى القاسم على بن أحمد، فانتقض جميع ذلك وانصرفنا بعد النجاح بالخيبة.»

فلمّا سمع ذلك وجم ـ ولم يكن لأكثر ما قالاه من أمر القرض حقيقة لكنهما قصدا بذلك تقديمه ـ فقال لهما:

ـ «ما كتبت ما كتبته إلّا بما ألزمنيه أبو أحمد الموسوى، وإذا كنتما قد

١. كذا فى مد: قالوا.

قرّرتماه فالرأى العدول إليه.»

وأمر بكتب الكتب إلى مهذّب الدولة بالشكر على ما أورداه عنه، وبإخراج سابور إلى الحضرة[1] وتطيّب نفسه وحثّه على البدار.

وانصرف الفاضل إلى داره ليغيّر ثياب السفر، وواقف أبا عبد الله على المقام بحضرة بهاء الدولة إلى أن تنفذ الكتب لئلا يدخل إليه من يثنيه.

ونفذت الكتب وورد أبو نصر سابور وقد استوحش الشريف أبو أحمد الموسوى منه لما أسلفه إليه. فقال لبهاء الدولة :

ـ «بينى وبين العلاء بن الحسن مودّة، وأنا أخرج إليه وإلى صمصام الدولة وأستأنفُ أمر الصلح.»

فمال بهاء الدولة إلى قوله واستروحت [392] الجماعة إلى بعدِه وأذن له فى ذلك ونظر سابور إلى الأمور.

وبدأ أبو القاسم علىّ بن أحمد يكتب إلى بهاء الدولة ويشرع معه فى تقلّد الأمر وبلغ أبا[2] نصر من ذلك ما انزعج منه، وأراد الاختيار لما عند بهاء الدولة فيه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ذكر الحيلة التى عملها سابور فى اختبار بهاء الدولة

خلا به وقال له :

ـ «أيها الملك، قد علمت أنّنى قصير اللسان فى خطاب الجند، وقد استشعروا فىّ الطمع واستشعرت منهم الخوف. ولو استدعيت أبا القاسم علىّ بن أحمد وعوّلت عليه فى منابذتهم ومعاملتهم ووفّرتنى على جمع المال وإقامة وجوهه، لكان ذلك أدعى إلى الصواب.»

---

١. وفى الأصل : إلى سابور.

٢. فى الأصل : أبو.

فقال له بهاء الدولة:

ـ «هذا هو الرأى وقد أردت أن أبدأك به. فإذ قد سبقت إلى القول فيه فهذا كتاب أبى القاسم يخطب الخدمة، وقد تقرّر الأمر معه على هذه القاعدة.»

فسمع أبو نصر ذلك وانصرف من حضرته وأطلق يده للتوقيعات فى الجند ولم يُبق وجهاً إلّا أحال عليه أكثر مما فيه. فلمّا علم أنّه لم يبق بواسط ما تمتدّ إليه يد، فارق مكانه وهرب إلى الصليق، وكتب بهاء الدولة إلى أبى القاسم يستدعيه. [393]

وأنفذ إليه أبا الفضل الإسكافى رسولاً بما بذله له من بسط اليد والتمكين، وانحدر أبو الفضل واجتمع معه وأصعدا.

فلمّا حصلا فى بعض الطريق عدل أبو القاسم على بن أحمد عن السمت. فقال له أبو الفضل:

ـ «إلى أين أيّها الوزير.»

قال: «إلى حيث أبعد به عنكم. أما علم بهاء الدولة أنّ أبا نصر فرّق أمواله وأفسد أمره وأبطل مملكته؟ وأنا رغبت فيما رغبتُ فيه أولاً، لأنّه كان هناك ما يمكن تمشية الأمور به. فأمّا الآن فلم يبق إلّا شجى الحلوق وقذى العيون ولقاء المكروه. فما أنشط لذلك.»

وفارقه ومضى إلى الجبل وبقى مجلس النظر خالياً حتى ورد أبو العبّاس عيسى بن ماسرجس ونظر فى الأمور.

استكتاب القادر بالله أبا الحسن ابن حاجب النعمان

وفيها استكتب القادر بالله رضوان الله عليه، أبا الحسن علىّ بن عبد العزيز

حاجب النعمان[١].

ذكر السبب في ذلك

كان رجلان من التجّار خرجا للحجّ. فتبايعا عقاراً في الكرخ وهما بمكّة، وأشهدا إنساناً من الذين حضروا الموسم، وردّ[٢] المشترى إلى مدينة السلام فحاول ثبوت كتابه عند القضاة الأربعة وهم أبو عبد الله الضبّى وأبو محمد ابن الأكفانى وابو الحسين ابن معروف وأبو الحسين الجوزى [394] بشهادة من شهد من التجّار. وقد كان القادر بالله رضى الله عنه، أمرهم أن لا يقبلوا فى مثل ذلك إلّا شهادة الشهود المعدّلين.

فتنجّز المشترى كتباً من بهاء الدولة إلى القضاة باستماع قوله، وإلى الشريف أبى الحسن محمد بن عمر والوزير أبى منصور ابن صالحان ـ وكان نائباً عن بهاء الدولة ببغداد ـ بالزامهم ذلك. فخاطباهم فقالوا: السمع والطاعة، إلّا أبا عبد الله الضبّى. فإنّه امتنع واحتجّ بما رُسم له من دار الخلافة.

وغاظ الشريف أبا الحسن فعله فأطلق لسانه بالوقيعة فيه. وفارق الضبّى داره بالكرخ وعبر إلى الحريم معتصماً به. وسمع أبو محمد الأكفانى شهادة القوم، وعزم القاضيان الآخران على مثل ذلك. فاستدعوا إلى دار الخلافة وأغلظ القول عليهم واعتيقوا إلى آخر النهار، ثم اذن لهم فى الإنصراف والعود من غد.

وكان قوم من الشهود زكّوا التجار الذين شهدوا فى الكتاب، منهم ابن

١. ليراجع قصة صرف القادر بالله ابن حاجب النعمان عن كتابته بأبى الحسن أحمد بن على البتى الذى كان يكتب له عند مقامه بالبطيحة إرشاد الأريب ١: ٢٣٨ ـ ٢٣٧ (مد).

٢. لعله: ثم ورد (مد).

النشاط وأبو اسحق بن أحمد الطبرى. فطعن الضبّى عليهم عند الخليفة، فخرج التوقيع بإسقاطهم وأمر بقراءته على المنبر في المسجد الجامع.

وعرف الشهود ذلك ومضى أبو اسحق الطبرى إلى أبى الحسن محمد بن عمر مستصرخاً وكان خصيصاً. وبلغ أبا الحسن على بن عبد العزيز ما يجرى من الخوض في الأمر.

ذكر تدبير لطيف توصّل [395] به ابن حاجب النعمان إلى خدمة دار الخلافة

استدعى القاضى أبا محمد ابن الأكفانى وأبا اسحق الطبرى سرّاً، وقال لهما:

ـ «قد علمت ما أنتم عليه وإن طويتموه عنّى ومتى روسل الخليفة بى، توصّلت إلى مرادكم.»

فصار أبو اسحق إلى ابن عمر وأشار عليه بإنفاذ على بن عبد العزيز الى دار الخلافة فراسل أبا منصور ابن صالحان فى ذلك فكان جوابه:

ـ «إنّك عارف بما وردت به كتب بهاء الدولة من منع ابن حاجب النعمان عن دار الخلافة وإخراجه إلى حضرته. فكيف يجوز أن تنفذه فيما هذه سبيله؟»

فعاد مراسلة ثانية وسهّل الأمر، فأذن أبو منصور فى ذلك من غير اختيار. وانحدر أبو الحسن على بن عبد العزيز إلى دار الخلافة ووصل إلى حضرة القادر بالله رضى الله عنه، وأعاد ما حمله من الرسالة، وكانا قالا له:

ـ «تخدم الحضرة الشريفة عنا بالدعاء وتقول: إنّ الذى جرى فى هذه القصة مما يوحش بهاء الدولة ويشعره التغير له والعدول عنه فيما كان مستخدماً فيه.»

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وأتبعَ ما يورده عنهما من نفسه بأن قال:

ـ «يا أمير المؤمنين ما الذى فعل[396] هؤلاء القضاة مما خرجوا به عن حكم الشريعة أو حدث من الشهود حتى أسقطوا الإسقاط الذى يقرأ على المنابر؟ أوليس ابن النشاط أحد الشهود الذين شهدوا على المخلوع بخلع نفسه وتسليمه الأمر إلى أمير المؤمنين؟ ولو أردنا اليوم شهادة حاضرة بذلك لما وجدنا غيره فيها، فإنّ الشريف أبا أحمد الموسوى غائب بشيراز، وأبا القاسم ابن أبي تمام قد مضى لسبيله، وأبا محمد ابن المأمون من أهلك، وأبا الغنائم محمد بن عمر ممن لا تقوم به بينة. ونحن إلى الآن نزكّي هذا الشاهد ونعدّله أولى من أن نقدح فيه ونجرحه[1] وهذا أبو اسحق الطبرى واحد القرّاء المتقدمين وأهل العلم المشهورين ولم يبق من يحضر الحرمين ويصلّى فيها[2] بالناس مثله وهو إلى هذه الدولة منسوب وفي شعبها محسوب والباقون منهم أقلّ من أن يعرّفهم أمير المؤمنين ويسمّيهم، فضلاً عن أن يذكرهم على المنابر ويقع فيهم. وما الذى يؤمننا من أن ينفذ إلى الجامع من ينفذه، فيعترض بما يحول بينه وبين ما يحاوله ويلحقنا من ذلك ما لا خفاء به؟»

فلمّا سمع القادر بالله رضى الله عنه، ما قاله تبيّن الصواب فيه. فأضرب عمّا عزم عليه وهمَّ، وردّه بجواب جميل سكن إليه القضاة والشهود، وتوقيع فيه علامته بإجرائهم على رسومهم.

وعاد أبو الحسن إلى الشريف والوزير فأعلمهما بما فعل[397] وبزوال ما كان الخوض واقعاً فيه، وأشار بأن يعود برسالة ثانية محدودة تتضمّن الشكر والدعاء والإستئذان في حضور القضاة.

فتقدّما إليه بذلك ومضى وعاد بالإذن في حضور القضاة ورجع ثالثاً

---

١. وفي الأصل: ونخرجه.

٢. لعله: فيهما.

والقضاة معه فجمع بينهم وبين القاضي أبي عبد الله الضبّي، واستطال أبو عبد الله في القول عليهم، فمنهم من أجاب ومنهم من أمسك عنه.

وانصرف القوم وتأخّر أبو الحسن فأقام في الدار وقرّر أمر نفسه واستعطف الشريف أبا الحسن ابن عمر واستكفّ كلّ من كان يقصده واستصلح فتمّ له الأمر واستتبّ.

وفيها عاد أبو جعفر الحجّاج من الموصل
ذكر السبب في ذلك وما جرى الأمر عليه

لمّا توفّي أبو الدواد محمد بن المسيّب طمع المقلّد أخوه في الإمارة فلم تساعده العشيرة، لأنّ من عادتها تقديم الكبير من أهل البيت وكان عليّ[1] أسنّ منه فأجمعوا عليه وولّوه.

وأيس المقلّد من الإمارة فعدل إلى طلب الموضع وبدأ بـاستمالة الديـلم الذين كانوا مع أبي جعفر، واستفسادهم عليه وثنى برسالته بهاء الدولة خاطباً لضمان الموصل بألفي ألف درهم[398] في كلّ سنة. وبذل تقديم مال عنها واستصلح قلوب الحاشية.

ثم عدل إلى عليّ أخيه وأظهر له أنّ بهاء الدولة قد ولّاه الموصل وأنّ أبا جعفر يدافعه عنها، وسأله النزول معه بالحلل عليها، فإنّ أبا جعفر إذا علـم اجتماع الكلمة خاف واندفع عنها.

فلبّى علي دعوة أخيه وأجابه إلى سؤاله قاضياً حقّه فيه. فلمّا نزلت الحلل على باب الموصل استأمن عدد من الديلم الذين استفسدوا من قبل وعلم أبو جعفر أن لا طاقة له بالقوم، فاعتصم بقصر كان استحدثه ملاصقاً إلى دار

١. وفي الأصل: أبو علي.

الإمارة مع سبعين رجلاً من خاصّته وسألهم أن يفرجوا له عن الطريق ليسلم الديلم إليهم، فأجابوه إلى ذلك.

ذكر مكيدة عملها أبو جعفر سلم بها فى انحداره

واعدهم في خروجه يوماً معلوماً واستظهرهم عليه، وكانوا أجمعوا أمرهم على أن يأخذوه يوم مسيره. فاستذمّ أبو جعفر من عليّ بن المسيب وأنفذ إليه كراعه ليسير من عنده. ثمّ جمع سفناً حطّ فيها رحله وصناديقه وسلاحه وأصحابه، فجاءة وانحدر قبل اليوم الموعود وما عرفوا خبره إلّا بعد انحداره، فتبعوه ودافعهم عن نفسه حتى خلص ووصل إلى [399] مدينة السلام.

ذكر ما جرى عليه الأمر بالموصل بعد انحدار أبى جعفر

لمّا خرج أبو جعفر من البلد تقدّم المقلّد إلى أصحابه بالدخول، وعمل عليّ ابن المسيّب فى الرحيل. فحسّن له أبو الفضل طاهر بن منصور وكان كاتبه ووزيره وجماعة من أصحابه أن يلتمس من المقلّد مشاركته فى البلد، فتذمّم عليٌّ من ذلك حياء من أخيه فقالوا له :

ـ «إذا كان البلد لأخيك كان هو الأمير وكنت أنت الصعلوك.»

وما زالوا به حتى راسلوه واستقرّت الحال بينهما تذكرة من المقلّد على إقامة خطبة لهما جميعاً وتقديم عليّ بحكم الإمارة وإقامة عامل من قبلهما لجباية الأموال وجرى الأمر على ذلك مديدة.

زيادة التشاجر

ثم زاد التشاجر والتجاذب بين أصحابهما وانتهى إلى الإفراط واتصلت الشكاوى من الفريقين وسيأتي ذكر ما جرت عليه الحال من بعد إن شاء الله.

ذكر الحال في ذلك

كان أبو عليّ[١] خدم بهاء الدولة في أيام إمارته. فلما ولي الملك قدّمه وكاد[400] ينوّه به فنكبه أبو الحسن الكوكبي المعلم وبقي على العطلة ثم استخدم في الخواص بمدينة السلام.

فلمّا عاد بهاء الدولة إلى واسط على الصورة التي ذكرت من اختلال الحال، كاتب أبا منصور ابن صالحان والشريف أبا الحسن ابن عمر وأبا على هذا يذكر بما هو عليه من الإضاقة واستدعى منهم ملتمسات من ثياب وغيرها.

فأجاب أبو منصور وأبو الحسن جميعاً بالوعد والتعليل وحصل[٢] أبو على أكثر الملتمس بعد أن طلب من أبي على ابن فضلان اليهودى قرضاً يرُدّ عوضه عليه فلم يسعفه وانحدر إلى حضرة بهاء الدولة بما صحبه.

فوقع فعله موقعاً جميلاً ازداد به عنده قبولاً، وقرّر معه في أخذ اليهود ومصادرتهم تقريراً معلوماً، وفي أمر أبي الحسن محمد بن عمر وأبي منصور ابن صالحان ما كان مستوراً مكتوماً، وأصعد على هذه القاعدة. فلمّا حصل ببغداد قبض على جماعة من اليهود وعسفهم في المطالبة والمعاقبة.

وأمّا الشريف أبو الحسن ابن عمر وأبو منصور ابن صالحان فإنّه بدا لهما

١. هو الموفق الوزير.

٢. والمثبت في مد: حصّل.

خبر ما أبطن في أمرهما فخرج ابن عمر إلى القصر وصار منها إلى البطيحة. واستقرّ أمر ابن صالحان وكاتب بهاء الدولة واستصلحه وانحدر إليه.

ودبّر أبو علي الأمور ببغداد واستمال الجند وقرّر مع الأتراك[401] عن أثمان أقامتهم ورقاً يطلق لهم مسابعة. ثم نقله إلى المشاهرة ونسبه إلى القسط، وسلك أيضاً بالديلم هذه الطريقة. فصار ذلك سنّة مستمرّة من بعد في الأقساط وسقطت كلف الإقامات وكانت قد انتهت إلى الإفراط. ومشت أموره على السداد إلى أن جرى من المقلّد بن المسيب ما صار سبباً للقبض عليه.

ذكر ما جرى من المقلّد بن المسيّب في هذه السنة

كان المقلّد يتولّى حماية القصر وغربيّ الفرات متصرّفاً على أمر العبّاس بن المرزبان فاستناب المقلّد أبا الحسن ابن المعلم أحد أصاغر المتصرّفين ببغداد وكان فيه تهوّر وإقدام، فتبسّط وانتهى عنه إلى ابن المرزبان ما غاظه وعوّل على القبض عليه.

ولم يأت الحزم من أقطاره في أخذه فاستوحش ابن المعلّم واستظهر وجرت مناوشات أدت إلى كشف القناع واستنجد ابن المعلم صاحبه. فوافى من الموصل في عدّته وعديده وحصل مع ابن المرزبان على أرض واحدة وجرت بينهما حرب أجلت عن هزيمة ابن المرزبان وأخذه أسيراً وحبسه وأمر بقتله من بعد.

وملك المقلّد القصر وأعماله[402] وكتب إلى بهاء الدولة بأعذار مختلفة وأقوال متّفقة، وسأل إنفاذ من يعقد عليه البلاد بمبلغ من المال يؤدّيه عنها.

وكان بهاء الدولة مشغولاً بما هو بصدده والضرورة تدعوه إلى المغالطة والمداراة فأنفذ إليه أبا الحسن علي بن طاهر وجرت بينهما مناظرات

ومواقفات كُتب بها تذكرة عاد بها ابن طاهر استأمر في أبوابها.

ولمّا انفصل ابن طاهر عنه زاد في بسط يده في الأعمال واستضاف ما فيها من الأموال، فضجّ المقطعون بالشكوى إلى أبي عليّ ابن اسماعيل، فاستعدّ للخروج إليه واستدعى محمد بن عبّاد وخاطب أبا موسى خواجه بن ساكيل على البروز، فبرز وخيَّم بظاهر البلد.

ذكر الغيلة التي عملها المقلّد

لمّا انتهى الخبر إليه ببروز من برز من السندية أنفذ أصحابه ليلاً فكبسوا معسكر ابن ساكيل وضربوا الخيم. فبادر ابن سياهجنك[١] إلى زبزبه وعبر إلى داره واستنفر الديلم. فإلى أن اجتمعوا قطع أصحاب المقلّد الجسر لئلا يتكاثر عليه الجند.

وركب أبو علي ابن اسماعيل وابن عبّاد والأولياء. فإلى أن أُعيد سد الجسر مضى أصحاب المقلّد وتبعهم أبو عليّ فلم يلحقهم.[403] وهمّ بالإتمام إلى السندية[٢] لمواقعة المقلّد فأشاروا عليه بالعود. فعاد وقد تمَّم لما ثبت له.

وكان الشريف أبو الحسن ابن عمر قد حصل بالبطيحة على ما تقدَّم ذكره. فلمّا ورد أبو جعفر الحجّاج توسّط حاله مع بهاء الدولة وأصلحها وجدّا جميعاً في السعي على أبي علي وذلك قبل أن يحدث من أمر المقلّد ما حدث.

وشدّ منهما ابن ماسرجس وكان هو الوزير يومئذ، وبذل ابن عمر لبهاء الدولة عشرة آلاف دينار عن تسليمه إليه. وكان بهاء الدولة سريع القبول

---

١. والمثبت في ما سبق بالتكرار: سياهجيك.

٢. السُّنديّة: قرية ببغداد على نهر عيسى (مراصد الإطّلاع).

شديد الميل إلى هذه البذول وكلّ ما يُعقد معه محلول وكلّ ما يبنى لديه مهدوم.

ومن شرط السياسة أن يفي الملك بقوله وعهده وأن يصدق في وعيده ووعده وأنّه متى أخلف استولت على المحسن الخيبة وزالت عن المسيء الهيبة، ومن قارب بين التولية والعزل لا يعقل. فنعود إلى تمام الحديث.

فخاضوا في تدبير أمر أبي عليّ ولم يكن ببغداد من يكاتب بالقبض عليه ويوثق به في الخروج بالسرّ إليه. لأنّ ابن سياهجنك كان من خاصته والقهرمانة معه وفي كفّته، وكلّ من وجوه الجند مائلاً إلى جنبته ويخافون أن يخرجوا انساناً من [404] واسط فربّما شاع الخبر وظهر.

ذكر المكيدة التي رتّبت في القبض على أبي علي

أحضروا أبا الحسن محمد بن الحسن العروضي وكان بواسط، وواقفوه على أن يكاتب أبا علي ويشكو إليه حاله ويسأله استدعاءه إليه وضمّه إلى جملته، ودبّروا الأمر أنّه إذا عاد الجواب إليه بالإصعاد أصعد. وقرّروا معه القبض عليه.

وكتب أبو الحسن كتاباً بهذا الذكر فإلى أن عاد الجواب إليه حدث من أمر المقلّد وهجوم أصحابه على مدينة السلام ما حدث وورد الخبر بذلك على بهاء الدولة فانزعج واستدعى أبا جعفر الحجاج في الوقت ورسم له المبادرة إليها وتلافي الحادث بها ومصالحة المقلّد والقبض على أبي علي ابن اسماعيل.

ووجد أبو جعفر الفرصة فسار ووصل إلى مدينة السلام في آخر ذي الحجّة وسيأتي ذكر ما جرى الأمر عليه بمشيئة الله تعالى.

ذكر القبض على أبي نصر

وفيها قبض على الفاضل أبي نصر فاستُقصي عليه في المطالبة. وهرب أبو عبد الله العارض إلى البطيحة، وأقام إلى أن أصلح حاله.

ذكر السبب في ذلك [405] أوّلاً وما جرت عليه الحال ثانياً

كان جرى بين أبي عبد الله العارض وبين أبي طاهر سباشي المشطّب[١] المعروف بالسعيد كلام تنابزا فيه، وجنايات اللسان عظيمة وصراعاته أليمة. فأمر بهاء الدولة بالقبض على أبي طاهر لأجل ذلك واعتقاله.

فاجتمع عدد كثير من الغلمان وصاروا إلى باب الخيمة الخاص وجبهوا بهاء الدولة بما فيه بعض الغلظ وقالوا:

ـ «إن لم تفرج عنه أخذناه.»

فدعت الضرورة إلى إطلاقه فأطلق، ثمّ لم يرضوا بالإفراج عن المشطّب حتى اقترحوا إزالة أبي عبد الله عن ولاية العرض وإبعاد الفاضل أبي نصر،[٢] وخاف بهاء الدولة مخالفتهم. فاعتقل العارض والفاضل اعتقالاً جميلاً، ثم أذن لهما في الإصعاد إلى بغداد بعد أن قرّر أمر الفاضل على مبلغ من المال.

فأمّا الفاضل، فإنّه صحح المال المقرّر بعد إصعاده وأقام في داره إلى أن وافى أبو جعفر. ونظر أبو الحسن العروضي في نيابة الوزارة عن ابن ماسرجس فخافه الفاضل وكاتب بهاء الدولة يسأله حسن التعطف والحراسة.

---

١. وفي الأصل «سياسي المتطيب» وسباشي يعني صاحب الجيش، كذا في مفاتيح العلوم (مد). إذن هو معرّب «سپاهچی».

٢. وفي الأصل: إلى أبي نصر.

فعاد جوابه بالجميل ورُسم له الإنحدار فانحدر. ولمّا وصل إلى المعسكر قُبض عليه وسلّم إلى ابن ماسرجس فاستقصى[406] عليه فى المطالبة، لما أخذ عليه من نوبة البصرة ونسبها إليه، وكان بريئاً منها.

وأمّا أبو عبد الله العارض، فإنّه خاف بعد إصعاده، فاستشار نصحاءه فى أمره وقال:

ـ «لست أحبّ الحرب فأجعل لنفسى حديثاً ولا الاسترسال فأطرق غلبتها.»

ذكر رأى سديد أشير به على العارض
فكان سبباً لنجاته

قال له علىّ بن عيسى صاحب البريد:

ـ «إذا كان هذا اعتقادك، فكيف تسمح بذهاب ما فى دارك من الآلات ومن الغلمان؟»

قال: «نعم.»

قال: «فاعبر إلى الجانب الشرقى، كأنّك زائر والدتك ودع دارك وحاشيتك على ما هى وهم عليه، وأنا أحضر فى كلّ يوم وألقى الناس فيها عنك وأكتب كتب النوبة إلى بهاء الدولة وإذا حضر من يجوز الإعتذار إليه وأنا قاعد اعتذرت إليه بنومك أو صلاتك ومن وجب أن أقوم وأدخل الحجرة كأنّي أستأذنك وأخرج إليه بمثل العذر قمت وإذا رأى الناس ذلك ظنّوك حاضراً وأنت فى الباطن مستظهر.»

فاستصوب ذلك وعمل به واندرج الأمر على هذا أيّاماً ثم كبست الدار لطلبه والقبض عليه فلم يوجد.

ودبّر أمره فى[407] الخروج من البلد مستتراً وحصل بالبطيحة وأقام بها

مدة وأصلح حاله مع بهاء الدولة وأصعد إلى واسط ونظر فى دواوين الإنشاء والبريد والحماية.

وفيها حجّ بالناس أبو عبد الله ابن عبيد العلوى.

وحمل بدر بن حسنويه خمسة آلاف دينار مع وجوه القوافل الخراسانية لتنصرف في خفارة الطّريق عوضاً عمّا كان يجىء من الحاجّ فى كلّ سنة، وجعل ذلك رسماً زاد فيه من بعد حتى بلغ تسعة آلاف دينار.

وكان يحمل مع ذلك ما ينصرف في عمارة الطريق ويقسم فى أولاد المهاجرين والأنصار بالحرمين، ويفرّق على جماعة من الأشراف والفقراء والقراء وأهل البيوتات فى مدينة السلام بما تكمّل به المبلغ عشرين ألف دينار فى كلّ سنة. فلمّا توفى انقطع ذلك حتى اثّر فى أحوال أهله ووقف أمر الحجّ.

ذكر ما يُستدلّ به على حزم بدر

ونحن نذكر ههنا طرفاً من أفعال بدر وآدابه يستدل به على حزم الرجل ودهائه، فنقول:

إنّ من شرط الولاية المستقيمة أن يكون صاحبها عالماً بالسياسة قامعاً للجند عادلاً بين الرعية خبيراً بجمع المال من حقوقه بصيراً بصرفه فى وجوهه راغباً فى فعل الخير ملتذّاً بطيب الذكر ثابت الرأى فى الخطوب رابط[1] الجأش في الحروب. على أنّ انتفاع ذوى الولاية بالرأى [408] السديد أكثر من انتفاعهم بالبأس الشديد. فانّ ذا البأس يقاوم رجالاً وعشيرة، وذو الرأى يقاوم أمّة كثيرة.

---

١. فى الأصل: ثابت.

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشُّجعانِ هُوَ أولٌ وَهْيَ المَحَلُّ الثّانِي
فإذا هُما اجتَمَعا لِنَفسٍ مَرَّةً بَلَغَتْ مِنَ العلياءِ كلَّ مَكانِ[١]

وقد كان بدر جامعاً لهذه الخلال الحميدة والأفعال الرشيدة. فإنّه ساس قومه وهم البرزيكان[٢] شرّ طائفة في ظلمهم وعداوتهم وبغيهم وطغيانهم سعياً في الأرض بالفساد وقطعاً للسبل واستباحة للأموال وسفكاً للدماء[٣]، ولىَ عليهم وقد استولوا على تلك الأعمال يسومون أهلها سوء العذاب ويذيقونهم مرارات البلاء والعقاب، على طريقة من قال الله تعالى فيه: «وإذا تَوَلّى سَعَى فِي الأرضِ لِيُفْسِدَ فيها ويُهلِكَ الحَرْثَ والنَّسلَ واللهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ»[٤].

فداوى داءهم وكفّ بلاءهم واستدنى من الأكراد من كانوا ضدّاً لقومه، فاستعان بهم عليهم فطهّر الأرض من ظلمهم غير مبقٍ على آصرة ولا ملتفت إلى رحم متشاجرة، فبدّد شملهم وفرّق جمعهم.

ذكر مكيدة عملها بدر لقومه [409]

قيل: إنّه طالت أسباب الفساد وكاد الحرث يبطل في تلك البلاد. عمل سماطاً وأمر بأن يقدم عليه من جميع الألوان المطبوخة باللحمان ـ وكانوا أصحاب أغنام ـ وأن لا يترك على السماط خبز بتّة، ثم أحضرهم فجلسوا وأيديهم لا تصل إليه توقّعا للخبز. فلمّا طال الأمر بهم قال لهم:

---

١. ورد البيتان في ديوان المتنبي طبع برلن ١٨٦١ ص ٥٩٤ (مد). وشرح البرقوقي ٤: ٣٠٧.
٢. وفي الأصل: البريرمكان.
٣. والمثبت في مد: واستباحة الأموال وسفك الدماء.
٤. س ٢ البقرة: ٢٠٥.

ـ «ما لكم لا تأكلون.»

قالوا: «ننتظر الخبز.»

قال: «فإذا كنتم تعلمون أنّه قوت لابد منه، فما لكم قد أهلكتم الزرع؟ قبحاً لوجوهكم وتبّاً لأفعالكم! وأقسم لئن[١] تعرّض أحد منكم لصاحب زرع ليقابلنّهُ[٢] بسفك دمه.»

وأبرّ قسمه بقتل العدد الكثير منهم وأخذ الباقين بالهيبة وساسهم بالغلظة ولم يغض لهم عن الخيانة اليسيرة حتى تهذّبت الأمور.

ذكر سياسة بليغة من أفعاله

قيل إنّه اجتاز فى بعض مرتحلاته برجل متحطب قد حطّ حمله عن ظهره على طريق وإنّ بعض الفرسان أخذ منه رغيفين كانا معه فلمّا حصل بإزائه قال:

ـ «أيّها الأمير إنّى رجل متحطب وقد كانت معى رغيفان أعددتهما لأتغدى بهما فيقويانني على حمل الحطب إلى البلد [410] فأبيعه فأعود بثمنه إلى العيال وقد اجتاز بى أحد الفرسان وغصبنى إياهما.»

فقال له:

ـ «هل تعرف الرجل؟»

قال: «نعم بوجهه.»

فجاء به إلى مضيق جبل وأقام عنده حتى اجتاز عليه العسكر جميعه وجاء صاحبه فعرفه فأمر بدر بحطّه عن فرسه وإلزامه حمل الحطب على ظهره إلى البلد والدخول به إلى السوق وبيعه وتسليم ثمنه إلى صاحبه جزاء

١. والمثبت فى مد: لان.
٢. كذا فى مد: ليقابلنّه.

على فعله.

وكان الرجل موسراً فرام أن يفتدى نفسه بمال وزاد حتى بذل بوزن الحطب دراهم فلم يقبل منه وألزمه فعل ما عزم به عليه فقامت الهيبة فى النفوس فلم يقدم بعدها أحد من أصحابه على أذيّة.

وأمّا بصره بوجوه المال فإنّه عمّ وعدل فدرّت عليه ضروع الأعمال وجمع من الذخائر والأموال من بلاد محدودة محصورة مالاً يكاد يجمع مثله من ممالك واسعة. ولو لم يكن إلّا ما أخذه فخر الملك أبو غالب ابن خلف من قلعته[1] لكان عظيماً.

ذكر رأى سديد فى تدبير الأعمال

كان من حسن تدبيره أنّه يحفظ الإرتفاع من كل ثلمٍ ثم يفرد العشر منه ويجعله موقوفاً على المصالح والصدقات.

وأخذ عمّاله بتوفية أمواله [411] أشد أخذ ويخلدهم الحبس على الخيانة فإن علم أنّ عجز المال كان عن آفة وأنّ العامل نقىّ الجيب من خيانة أعطاه من مال الصدقة ما تبرأ به ذمّته من الضمان ويستعين ببعضه على الزمان فلا يقدم أحد على تجاوز الطريقة المرضية فى أداء الامانة وتجنُّب الخيانة.

وأما بصيرته بصرف الأموال فى وجوهها فقد تقدّم ذكر ما كان يحمله فى كل سنة بطريق مكة وكانت له صدقات كثيرة فى بلده وأنفق أموالاً جمّة فى اتخاذ المصانع وعمل القناطر واستخراج الطرق فى الجبال لوارد وصادر فتذللت بعد أن كانت مانعة ودنت المسافات بعد أن كانت شاسعة مع حزم كامل فى الإنفاق.

---

١. يعنى دزبز فى معجم البلدان ٢ : ٥٧٢ : دزبز اسم قلعة مدينة سابور خواست دزبز ومنها أخذ فخر الملك أبو غالب أموال بدر بن حسنويه المشهورة (مد).

ذكر ما دبّره في أمر النفقات على القناطر والطرقات

كان إذا بدأ بعمل من هذه الأعمال أقام من قبله عنده سوقاً جامعة لسائر ما يبتاع فى البلدان وجلب إليها جميع ما يحتاج إليه من الأصناف بأرخص الأثمان فإذا قبضت الرجال سلفاً من الورق صرفوه فى تلك السوق على اختلاف أجناس ما يبتاعونه بالثمن الوافي فيجمع جميعه. [412]

فكان ما يخرج فى أول الأسبوع من الخزانة يعود إليها فى آخر الوقت اليسير الذى يتصل مع بعض الرجال ممن يقدر على نفسه فى النفقة.

فبقيت له الآثار الحميدة والاحاديث الجميلة. قال الله تعالى: «وما عند الله خيرٌ وأبقى»(١) وقال تعالى: «وللآخرةُ خيرٌ لك من الأولَى»(٢).

وأمّا حسن تدبير الخطوب فله في ذلك أخبار مشهورة منها ما دبّره عند وصول رسول يمين الدولة أبى القاسم محمود بن سبكتكين رحمه الله إلى الريّ.

ذكر رأى سديد فى إقامة هيبة

قيل: إنّ رسولاً لمحمود وصل إلى الريّ عند استيلاء السيدة على الأمر مهدّداً بالمسير إليها وكانت لا تحل ولا تعقد إلّا بمشاورة بدر فكتبت إليه بما تجدد فأشار عليها بإنفاذ الرسول إليه ليتولّى هو جوابه.

ثم رتّب طوائف الأكراد وأصناف العساكر وأمرهم أن ينزلوا بحललهم بطول الطريق من باب الرى إلى سابور خواست(٣) ويظهروا عند اجتياز الرسول بهم

---

١. س ٢٨ القصص: ٦٠.

٢. س ٩٣ الضحى: ٤.

٣. فى الأصل: سابرحاست.

عددهم وأسلحتهم ويأخذوا زينتهم ويسيروا به من حلة إلى حلة ومن عسكر إلى عسكر حتى يوصلونه إليه ففعلوا ذلك.

ورأى الرسول فى طريقه من[413] العساكر ما هاله فلمّا وصل إليه رأى من حزمه ودهائه وحسن تدبيره ورأيه ما ازدادت به هيبته فى صدره.

وأجاب عن الرسالة بما أشار به إلى الاستمرار على طريق المسالمة واجراء الأمر على ما كان عليه من قبل مع أصحاب خراسان فعاد الرسول إلى الريّ وكتب الأجوبة حسب ذلك وانصرف إلى خراسان وأخبر بما شاهده فكان ذلك طريقاً إلى الكفّ والموادعة.

وأمّا مكايده فى الحروب وبصيرته بأمورها، فقد تقدّم من ذكر الوقعة التى جرت بينه وبين قراتكين الجهشيارى على أخذ شرف الدولة ما يدل على صرامته وله بعد ذلك مقامات مشهورة.

فلمّا انقضت مدته وتناهت سعادته لم ينفعه ماله ولا رجاله ولم تدفع عنه حزامته ولا احتياله، قتله أقلّ الجند وأذلّهم ومضى رخيصاً.

الحُوّل القُلَّب الأريبُ ولا يدفعُ رَيبَ المنيّةِ الحِيلُ

وإذ قضينا من ذكر أخباره الشاذّة[١] وطراً مع التبرّأ من عهدة صحتها فقد عدنا إلى سياقة التاريخ.

ودخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

وفيها تغيّر أمر أبى على ابن اسماعيل ووكّل به فى دار المملكة ثم

١. والمثبت فى مد: الشاذّة.

أفرج [414] عنه واستتر.

ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك

لمّا ورد أبو جعفر الحجاج ساء ظنّ أبى على ابن اسماعيل ثم اتصل به من واسط ما حقق ظنّه فأقام في دار المملكة ملتجئاً إلى القهرمانة وتلطّف أبو جعفر له طمعاً في أن يصير إليه فلم يفعل فأنفذ من وكّل به في موضعه.

وتردد بينه وبين القهرمانة قول كثير انتهى آخره إلى أن كتبت خطاً بتسليمه وإنّها تمتثل ما يرد إليها في معناه فصرف التوكيل حينئذ عنه.

وأنفذ ابن اسماعيل إلى بارْسطغان وبدرك ووضعهما على أن جمعا جمعاً كثيراً من الغلمان وصاروا إلى تحت دار أبي جعفر وراسلوه وقالوا له:

ـ «قد كانت أحوالنا مختلّة وأموالنا متأخرة إلى أن جاء هذا الرجل فتلافى أمورنا بحسن التدبير وقد حاولتَ الآن بورودك القبض عليه وإزالة هذا الترتيب ونحن لا نمكّن منه ونكاتب الملك بشرح الأحوال وإن دعتنا حاجة إلى الإنحدار إليه انحدرنا.»

وتردد في ذلك ما طال وأفضى آخره إلى خط القهرمانة إليها والاتفاق على خروجه ونظره ومكاتبة الملك بما عليه الأولياء من إيثاره.

فلمّا كان من غد خرج أبو [415] على من الدار وقصد أحد وجوه الأتراك واستتر عنده.

ونظر أبو الحسن العروضى في النيابة عن أبى العباس ابن ماسرجس وتشاغل أبو جعفر بتقرير ما بينه وبين أبى حسان المقلّد بن المسيّب.

ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك

أنفذ المقلّد إلى أبى جعفر في أمر الصلح وبذل له البذول على حكمه فيه.

فاستقرّ بعد مراجعات ومنازعات على أن يصحّح المقلّد عشرة آلاف دينار وتحمَل إلى الخزانة بواسط ويقود معها خيلاً ويرفع يده عن الاقطاعات ويقنع بما يقرَّر له من رسوم الحماية عنها ويمكن العمّال من المحلول ويشدّ منهم فى استيفاء الحقوق السلطانية ويفرج عن الديلم المأسورين ويخطب لأبى جعفر بالموصل بعد بهاء الدولة ويحمل فى كل سنة ألف ألف درهم غياثية عنها وعلى أن يخلع على المقلّد الخلع السلطانية من دار الخلافة ويكنَّى ويلقَّب بحسام الدولة، ويحمل له اللواء ويعقد له بهاء الدولة على الموصل والكوفة والقصر والجامعين ويقلَّد زعيم العرب ويقطعه بألف ألف درهم غياثية من المحلول. فأجيب ما التمسه وجلس القادر [416] بالله رضوان الله عليه لذلك على العادة.

ولم يف المقلّد بجميع ما أشرطه على نفسه إلّا بحمل المال المعجّل واطلاق الديلم المأسورين ثم استولى على البلاد فقصده الكتّاب والمتصرفون والاماثل وخدموه ونبل قدره واستفحل أمره.

وفيها توفّى العلاء بن الحسن بعسكر مكرم وورد أبو الطيب الفرخان وبعده أبو على ابن أستاذ هرمز شيراز.

ذكر ما جرى عليه الأمر بعد وفاة العلاء بن الحسن

قد تقدم ذكر خروج العلاء إلى عسكر مكرم فى أثر الغلمان العائدين من أرجان مع أبى محمد ابن مكرم ومقامه بها مرتباً للأمور ثم جاءه أمر الله الذى لا يُدفع(١) وورد المنهل الذى لا محيد للبشر عنه.

فلمّا انتهى الخبر إلى صمصام الدولة أنفذ أبا الطيب الفرخان بعد أن

١. والمثبت فى مد: يدفعه.

استوزره لِسدّ مسدّه فورد ولم يكن منه ما ظنّ فيه. فبان منه العجز والقصور وتقاعد به الديلم وملك أصحاب بهاء الدولة السوس وجنديسابور.

وعرف صمصام الدولة ما جرى فأنفذ الصاحب أبا على ابن أستاذ هرمز وأصحبه مالاً ففرّقه على الديلم وسار بهم إلى جنديسابور ودفع الأتراك عنها وجرت مع الأتراك وقائع كثيرة كانت اليد الطويلة لأبى علىّ فيها حتى أزاحهم عن بلاد [417] خوزستان وعادوا إلى واسط.

فخلت له البلاد ورتّب فيها العمّال وجمع منها الأموال[1] وتأمّل حال الاقطاعات بها. فجرى بين سيامرد بن بلجعفر وبين عامل لأبى علىّ تنازع فى حدٍّ وارتفع النزاع فيه إليه فأربى سيامرد فى القول بمجلسه فغاظهُ.

ذكر تدبير يدلّ على قوّة نفس وشهامة

أمر أبو علىّ أن يعمل عملاً بما فى يد سيامرد وداود ولده وأبى[2] على ابن بلعباس فاشتمل العمل على مائة ألف دينار وزيادة فأحضر الثلاثة المذكورين وكتّابهم للموافقة ثم عدل بهم إلى حجرة وقبض عليهم وقيّدوا وأخرجوا بعد أيام على النفى إلى بلاد الديلم.

وجعل إقطاعهم لخمسمائة رجل من الديلم الأصاغر وثلاثمائة رجل من الأكراد بعد أن أفرد منه شيئاً للخاص فتمكنت هيبته فى الصدور وتضاعفت قوّته فى الأمور وتألّف قلوب الديلم وراسل وجوه الأتراك الذين مع بهاء الدولة واستمالهم، فأجابه بعضهم وصار إليه من جملتهم قراتكين الريحى فملأ عينه وقلبه بالإحسان.

واستمرت أحواله على الانتظام والتمكن من أعمال خوزستان من غير

---

١. وفى الأصل الأتراك.

٢. وفى الأصل : أبا.

منازعة إلى أن عاد أبو محمد ابن مكرم والأتراك من واسط.

فلمّا عرف أبو علي ابن أستاذ هرمز رجوعه استعد للحرب وجرت بينهم [418] مناوشات ووقائع. ولم يكن للغلمان قدرة على إزالة الديلم من قصبات البلاد وأشرفوا على الإنصراف ثانياً إلى واسط حتى خرج أبو علي ابن اسماعيل من البطيحة وسيَّر بهاء الدولة من القنطرة البيضاء وكان من الأمر ما يأتي ذكره في موضعه.

وفيها كوتب أبو جعفر الحجّاج بالمسير من بغداد لقصد أبي الحسن علي ابن مزيد وسار ابن ماسرجس من واسط لذلك.

ذكر ما جرى عليه الأمر مع أبي الحسن عليّ بن مزيد

كان عليّ بن مزيد قد استوحش من بهاء الدولة بسبب مال طولب به فكاشفه بالخطاب وانتسب إلى طاعة صمصام الدولة وأقام الخطبة له وأطلق لسانه بكل ما يوجب السياسة الإمساك عنه وانبسطت بنو أسد في الغارة على نواحي واسط.

فغاظ بهاء الدولة فعلهُ وعرض من أمر المقلّد ما استقلّ به عن غيره. فلمّا استقرّت الحال معه كتب بهاء الدولة إلى أبي جعفر بالمسير إلى ابن مزيد من بغداد وسيَّر أبا العباس ابن ماسرجس من واسط فاجتمعا.

واندفع أبو الحسن عليّ بن مزيد من بين أيديهما معتصماً بالآجام وتبعاه فراسلهما واستعطفهما وسأل اصلاح أمره مع بهاء الدولة وبذل على ذلك بذلاً.

وكان الأمر قد ضاق بهما [419] في المقام وتعذّر عليهما وعلى العسكر نقل المير لبعدهم عن السواد فكاتبا بهاء الدولة في أمره وسألاه الصفح عنه وإقراره على ما يتولى الخدمة فيه. فأجاب إلى ذلك وسار أبو جعفر وابن ماسرجس إلى الكوفة. فأمّا أبو جعفر فإنّه عاد إلى بغداد وأمّا ابن ماسرجس

فإنّه أقام بالكوفة مستوحشاً، ثم صار إلى المقلّد ومضى من عنده إلى البطيحة.

وفيها توفّي فخر الدولة أبو الحسن عليّ بن ركن الدولة بالريّ.

ذكر ما جرى عليه الأمر بعد وفاة فخر الدولة

لمّا اشتدّت العلّة به أصعد إلى قلعة طبرك فبقى أيّاماً يعلل ثم مضى لسبيله. وكانت الخزائن جميعها مقفلة ومفاتيحها قد حصلت عند أبي طالب رستم ولده الملقّب من بعده بمجد الدولة، فلم يوجد ليلة وفاته ما يكفّن به لقصور الأيدى عمّا في الخزائن وتعذّر النزول إلى البلد لشدة الشغب حتى ابتيع له من قيّم الجامع الذى تحت القلعة ثوب لُفّ به. وجاء من الشغل بالجند ومطالبتهم العنيفة ما لم يمكن معه حطّه سريعاً. فأراح حتى لم يمكن القرب من تابوته فشدَّ بالحبال وجُرّ على درجة القلعة حتى تكسّر وتقطّع.

وذكر أنّه خلّف من العين والورق والجواهر سوى الثياب والسلاح والآلات ما يزيد على [420] عشرة آلاف ألف[١] درهم فكان نصيبه من أمواله الثوب الذى كفّن فيه وعاقبته من أيامه اليوم الذى حطّ فيه.

فما أقلّه من نصيب مبخوس وأشأمه من يوم منحوس فـ «ما أغنى عنه ماله وما كسب»[٢] ثم ربّه أعلم بما صار إليه من شقاوة أو حوقق[٣] أو سعادة أو سومح.

ورتّب أبو طالب رستم ولده في الأمر وسنّهُ إذ ذاك أربع سنين. فأخذت له البيعة على الجند وأطلقت له الأموال الكثيرة حتى قيل: إنّ الأمر أعجلهم

---

١. والمثبت في مد: ألف ألف.

٢. س ١١١ المسد: ٢.

٣. حاقّه في الأمر: خاصمه ورافعه.

عن حطّ المال من القلعة على رؤوس الرجال فحطّوه بالزبل والبكر والحبال.

والوزيران يومئذ هما أبو العبّاس الضبّى المتلقّب بالكافى الأوحد، وأبو على ابن حمولة المتلقّب بأوحد الكفاة، وبينهما أشدّ عداوة.

فبسط أبو على ابن حمولة يده في اطلاق الأموال واستمالة الرجال. فمالت قلوب الجند إليه ووقعت أهواؤهم عليه وامتنع أبو العباس الضبّي عن مثل ذلك إلّا أنّه معظم لمنزلته المتأثّلة وقدمه المتقدمة.

فتجدّد من ورود قابوس بن وشمكير إلى جرجان واستيلائه عليها ما وقع الخوض في تدبير خطبه[١].

ذكر عود قابوس إلى جرجان وما جرى الأمر معه عليه

كان فخر الدولة عند استقراره في الملك عزم على ردّ قابوس إلى أعماله قضاءً [421] لحقّه ومقابلة على إحسانه، فصدّهُ ابن عبّاد عن رأيه وكثّر ارتفاعها في عينه فوقر هذا القول في سمعه لشحٍّ مطاع كان في طبعه.

فلمّا مات كتب أهل جرجان إلى قابوس وهو بنيسابور يستدعونه، فصار إلى بلادهم وملكها وورد الخبر إلى الريّ بذلك فجرت في ذلك منازعات في الرأي وكوتب بدر بن حسنويه بسببه.

ذكر جواب سديد لبدر خولف رأيه فيه

قال: إنّ الأمير الذى ورث هذا الملك حدث السن ولا ينبغى أن يضيع ماله وذخائره فيما لا تتحقق عواقبه ومصايره والصواب أن تترك الأمر على حاله فإن يك نجيباً على ما عهد من خلائق آبائه قدر على ارتجاع ما أخذ

١. أمّا الوزيران فليراجع إرشاد الأريب ١ : ٧٣ وترجمة قابوس فيه أيضاً ٦ : ١٤٣ (مد).

منه، وأن ضعف عن ذلك لم تكونوا جمعتم عليه [ذهاب] ماله وذهاب أعماله.»

فخالفوا رأى بدر وجرّدوا العساكر وأشار أصحاب أبي على ابن حمولة ونصحاؤه عليه بالخروج فى هذا الوجه واستصحاب الخزائن والأموال وقالوا:

ـ «إنّك إذا حصلت بجرجان وملكتها كنت أميراً لا وزيراً وكانت الحاجة إليك داعية والآمال بك متعلقة وبعدتَ عن الحضرة التى أنت فيها مجاذب على المنزلة.»

وغبى [422] أنّ قاعدة غيره التى يبنى عليها أمره هى بتلك الحضرة وإلى من يزاحمه فى الرتبة يترقب به الفرصة فى نقصها، لكن هيهات قيامه عليها وإذا بعد عنها لسرعت اليد الهادمة إليها.

فعمل فيه قول هؤلاء النصحاء المجتمعين عليه وسار بالخزائن والأموال لأمر تسوقه المقادير اليه وحصل بين عدوَّين: أحدهما أمامه لا يعلم ما يكون منه معه، وآخر وراءه يقصد مقاتله.

ووافى قابوس وتصافّا فى الحرب. فما كانت إلّا حملة واحدة من أصحاب قابوس حتى انهزم أصحاب أبي علىّ ابن حمولة وغنم قابوس وأصحابه غنيمة كثيرة وعاد إلى جرجان. وثبتت قدمه بأحسن السيرة ورفع الرسوم الجارية والضرائب المأخوذة.

وعاد أبو على إلى الرىّ مفلولاً ووقع الشروع فى تجريد العساكر ثانياً إلى جرجان فقال أبو على:

ـ «قد خرجت نوبة وهذه نوبة أبى العبّاس الضبّى.»

وتردد فى ذلك قول كثير ثم أجمع رأي السيدة ورأى بدر بن حسنويه على صرف أبى على بن حمولة والقبض عليه.

ذكر ما جرى الأمر عليه في القبض على ابن حمولة

حضر أبو عيسى سافرى بن محمد كاتب بدر مظهراً تجديد العهد بالخدمة [423] واجتمعت الجماعة في دار الإمارة وخلوا في الحجرة الركنية لتقرير أمر من يخرج إلى جرجان. فاتفق أنّ ابن حمولة نهض لحاجة يقضيها فاتُّبع بمن عدل به إلى موضع في الدار وقُيّد وانصرف أبو العباس الضبي إلى داره وأبو عيسى إلى دار علي بن كامة وكانت برسمه وهي طرف البلد.

وشاع خبر القبض على ابن حمولة فثار الديلم وقصدوا دار أبي عيسى ليهجموا عليه فهدم حائطاً منها يلي الصحراء وخرج منه وركب وتبعه أصحابه ووقف على قرب من البلد حتى أخرج إليه ابن حمولة فسار به إلى بلاد بدر وحبسه في بعض القلاع[1] وأنفذ إليه من الريّ بعد أيام من تولّى قتله.

وأقام الديلم على شغب ونهبوا دار أبي العباس وطالبوا بتسليمه واقتضت الحال عند تفاقم الأمر القبض عليه ففعل ذلك وحُمل في عمارية وهو مقيّد وقد أخرجت رجلهُ منها ليشاهد القيد فيها بحضرة العسكر وأصعد إلى قلعة طبرك.

وكان الجند قد همّوا بالفتك به وكفّ الله سبحانه وتعالى أيديهم عنه وألقى في قلوبهم هيبة منه. فلمّا حصل في القلعة راسل أكابر الديلم واستمالهم وأصلحوا له قلوب أصاغرهم واجتمعوا بعد ثلاثة أيام وتشاوروا بينهم وقالوا: قد مضى ذاك الوزير الذي قد فعلنا هذا الفعل لأجله ولا يجوز أن نتعوض

١. وفي إرشاد الأريب ١: ٧٣ هي قلعة استوناوند (مد).

عن أبى العبّاس [424] مع رياسته المأثورة وكفايته المشهورة بغيره.

فصاروا إلى دار الإمارة وخاطبوا السيدة على ذلك فاستقرّ الرأى على خروجه ونظره. فخرج فى اليوم الرابع من القلعة وتلقّاه الناس على طبقاتهم بتقبيل الأرض واظهار السرور. وسيأتى ذكر ما جرى عليه أمره من بعد فى موضعه.

وفيها قبض المقلّد بن المسيّب على أخيه بالموصل.

ذكر القبض على علىّ بن المسيّب والإفراج عنه وما جرى فى ذلك من الخطوب فى هذه السنة وما بعدها ليتّسق الحديث

قد تقدّم ذكر ما تقرر بين علىّ والمقلّد فى أمر الموصل والمشاركة فيها وما وقع من الخلف بين أصحابهما.

فلمّا عاد المقلّد من سقى الفرات إلى الموصل عزم على الفتك بأصحاب أخيه. ثم علم أنّه متى فعل ذلك بهم فعل علىّ بأصحابه مثله، فقوى رأيه فى القبض على أخيه.

وكان مع المقلّد من الديلم والأكراد وغيرهم نحو ثلاثة آلاف رجل تطلق لهم الأرزاق فى كل شهر. فحين عزم على ما عزم عليه جمعهم إلى داره وأظهر بأنّه يريد المسير إلى دقوقا [425] وحلفهم على الطاعة واستوثق منهم.

ذكر الحيلة التى عملها المقلّد فى ذلك

كانت دار المقلد متصلة بدار علىّ ولم يكن مع علىّ إلّا نحو مائة رجل من خاصته فأمر بالنقب إلى الموضع الذى هو فيه فى ليلة علم فيها أنّه

سكران ودخل إليه ومعه عدّة من خواصه فحمله على ظهر أحد الفراشين وحصّله في خزانته ووكّل به جماعة من غلمانه الأتراك.

واستدعى في الحال غلامين من البادية وسلّم إليهما فرسين جوادين وأرسلهما إلى صاحبته يقول لها:

ـ «إنّي قد قبضت على عليّ فخذي حذرك وأسرعي في الحال بولديك قرواش وبدران إلى تكريت فإنّ أحمد بن حمّاد صديقي وهو يدفع عنكم ولا تخلفي ما تخلفينه وراءك في الحلّة قبل أن يعرف أخي الحسن الخبر فيبادر إليك ويقبض على ولديك.»

فكدّ الغلامان فرسيهما ركضاً وتقريباً[1] ووصلا إلى تكريت في يومهما عند غروب الشمس وجلسا من تكريت في ركوة وانحدرا إلى موضع الحلّة وكانت على أربعة فراسخ منها فأنذرا المرأة وأدّيا إليها الرسالة.

فركبت فرساً وأركبت ولديها فرسين وهما يومئذ صغيران وساروا في الليل إلى تكريت فدخلوها. [426]

وعرف الحسن بن المسيب حال القبض على أخيه من غلام أسرع إليه من الموصل بالخبر فبادر الحسن إلى حلة المقلد ليقبض على ولديه وأهله وعنده أنّه يسبق إليهم ففاتوه وبطل عليه ما قدره من ذلك.

وقام المقلد بالموصل يستدعي وجوه بني عقيل ويخلع عليهم ويقطعهم إلى أن اجتمع عنده زهاء ألفي فارس.

وقصد الحسن حلل العرب بأولاد عليّ وحرمه يستغيثون ويستنفرون ويقولون:

ـ «إنّ المقلد قطع الرحم وعادي العشيرة وقبض على أميرها وانحاز إلى

---

١. التقريب: ضرب من العدو دون الإسراع.

السلطان» فنفر منهم نحو عشرة آلاف رجل وراسل المقلد وقال:

ـ «إنّك قد احتجزت عنا بالموصل وأقمت فإن كان لك قدرة على الخروج فاخرج.»

فأجابه بأنّه يخرج ولا يتأخر وسار على أثر الرسول وأخرج معه عليّاً أخاه فی عمارية وهو محروس فی نفسه مراعی فی أحواله إلّا أنّه مستظهر عليه بالتوكيل.

وقرب من القوم حتى لم يبق بين الفريقين إلّا منزل واحد بإزاء العلث وجد فی أمر الحرب فحضره وجوه العرب واختلفت آراؤهم فقوم دعوه إلى الصلح وصلة الأرحام وقوم حضّوه على المضىّ والإقدام.

وكان فی القوم غريب ورافع ابنا محمد بن مقن فتنازعا القول عند المقلد وظهر من رافع حرص على الحرب وخالف غريب[١].

ذكر كلام سديد لغريب [427]

قال لرافع:

ـ «ما قولك هذا بقول ناصح أمين ولا ناصر معين. فإن كنت فی هذا الرأی عليه فقد أخفرت الأمانة وأظهرت الخيانة وإن كنت معه فقد سعيت فی تفريق الكلمة وهلاك العشيرة وإطماع السلطان.»

والمقلد ممسك لا يتنفس[٢] فدخل عليه داخل وقال له:

ـ «أيها الأمير هذه اختك رهيلة بنت المسيب ـ وكانت عند جعفر بن علی بن مقن ـ قريبة منك تريد لقاءك.»

---

١. وأما غريب ففی إرشاد الأريب ٢: ١٠٣ أنّه كان بعد الأربعمائة صاحب البلاد العليا تكريت ودجيل وما لاصقها (مد).

٢. يريد لا ينبس (مد).

فامتدت الأعين إليها فإذا هی فی هودج علی بعد. فركب المقلد وسار حتی لحق بها وتحادثا طويلاً ولا يعلم أحد ما جری بينهما إلّا أنّه حكی فيما بعد أنّها قالت له:

- «يا مقلد قد ركبت مركباً وضيعاً وقطعت رحمك وعققت ابن أبيك. فراجع الأولی بك وخلّ عن الرجل واكفف هذه الفتنة ولا تكن سبباً لهلاك العشيرة، ومع هذا فإننی أختك ونصيحتی لاحقة بك ومتی لم تقبل قولی فضحتك وفضحت نفسی بين هذا الخلق من العرب.»

فلان فی يدها ووعدها بإطلاق علیّ وعاد فی وقته. فأمر بفكّ قيده وردّ عليه جميع ما كان أخذه منه وأضاف إليه مثله ورتّب له مخيّماً جميلاً ونقله إليه واستكتب له أبا الحسن ابن أبی الوزير وجعله عيناً عليه متصرفاً علی أمره بين يديه.

فأصبح الناس مسرورين بما تجدد من الصلح وزال من الخلف واجتمع المقلد مع علی وتحالفا ومضی علی [428] عائداً إلی حلّته والمقلد سائراً إلی الأنبار لقصد أبی الحسن علی بن مزيد ومقاتلته. فقد كان تظاهر بمعصية علی حين قبض عليه المقلد وطرق أعمال سقي الفرات واجتذب شيئاً منها.

ولمّا انفصل علی بن المسيب اجتمع إليه العرب وحملوه علی مباينة المقلد فامتنع عليهم وقال:

- «إن كان قد أساء فإنّه قد أحسن من بعد.»

فما زالوا حتی غلبوه علی رأيه وأصعد إلی الموصل مبايناً واعتصم من كان معه من أصحاب مقلد بها بالقلعة فنازلها وفتحها واستولی علی ما كان فيها.

فطار الخبر إلی المقلد فكرّ راجعاً واجتاز فی طريقه علی حلّة الحسن وهو فيها فخرج إليه وشاهد من قوة عسكره ما خاف علی أخيه منه فقال

له:

ـ «دعني أصلح ما بينك وبين أخيك وأضمّن لك العهد فيما تريد منه.»

ورفق به حتى استوقفه وسار في الوقت إلى عليّ من غير أن يعود إلى حلته فوصل إليه آخر النهار وقد جهد نفسه وفرسه وقال لعلي:

ـ «إنّ الأعور قد أقبل بقضّه وقضيضه وأنت غافل.»

ثم شاوره فأشار عليه أن يستميل كل من بالموصل من أهالي الجند الذين هم في جملة المقلد ويضعهم على [توسط][١] ما كان بينهم واستمالتهم فإن قبلوا وفارقوا المقلّد قاتله وإن امتنعوا وأقاموا معه صالحه ففعل ذلك.

وكان المقلد قد قرب من الموصل وبات وهو متيقظ قد رتّب الطلائع فظفر بقوم قد وردوا بالملطفات إلى أصحابه فحملوهم إليه [429] ووقف على ما معهم من الكتب فأصبح وقد عبّى[٢] عسكره وزحف إلى الموصل وأيس علي والحسن من فساد جند المقلد عليه فخرج إليه ولاطفه[٣] ثم دخل البلد وعلي عن يمينه والحسن عن شماله.

وناوش العرب بعضهم بعضاً طلباً للفتنة فخرج الحسن حلا وأرهب قوماً وحسم الفتنة وحصل جميع الناس بالموصل على صلح.

ثم خوف عليّ من المقام فخرج هارباً في الليل وتبعه الحسن وترددت الرسل بينهما وبين المقلد واستقرّ أن يكون دخول كل واحد منهما البلد عن غيبة الآخر وجرت الحال على ذلك إلى بقية سنة تسع وثمانين وثلاثمائة.

وسار المقلد إلى الانبار ممضيا[٤] لما كان عزم عليه من حرب علي بن

---

١. ما بين المعقوفتين زيادة من مد.

٢. والمثبت في مد: عبيء. والأصحّ: عبّأ.

٣. يريد: فخرجا إليه ولاطفاه.

٤. والمثبت في مد: ممصيا، بالصاد المهملة.

مزيد فدخل بلده واندفع علي بن مزيد إلى الرصافة ولجأ إلى مهذّب الدولة فقام بأمره وتوسط ما بينه وبين المقلد حتى أصلحه وانصرف المقلد إلى دقوقا ففتحها.

وعدل إلى تدبير أمر الحسن أخيه فإنّ عليّاً مات في أول سنة ٣٩٠ وقام الحسن في الامارة مقامه.

فجمع المقلد بني خفاجة بحللهم وبيوتهم وأصعد بهم إلى نواحي برقعيد يظهر طلب بني نمير ويبطن الحيلة على أخيه.

وعرف الحسن خبره فخاف ومضى في السرّ هارباً على طريق سنجار إلى العراق فأسرى خلفه طمعاً في اللحاق ففاته. وعاد المقلد إلى الموصل وأقام بها ثلاثة [430] أيام وانحدر يقص آثاره فمضى الحسن إلى زاذان واعتصم بالعرب النفاضة وتمم المقلد إلى الأنبار وعادت خفاجة معه. فأتفق في أمره ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله.

وفيها عاد الشريف أبو الحسن محمد بن عمر إلى بغداد نائباً عن بهاء الدولة.

وفيها استكتب ولد أبي الحسن ابن حاجب النعمان للأمير أبي الفضل ابن القادر بالله رضي الله عنهما وجلس الأمير أبو الفضل وسنّه يومئذ خمس سنين فدخل إليه الناس وخدموه.

ودخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

وفيها هرب عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب من الاعتقال في دار الخلافة

شرح حاله وما انتهى إليه أمره بعد هربه

هذا الرجل كان يقرب بالنسب إلى الطائع لله وكان مقيماً في داره. فلمّا

قبض عليه وخلع من الأمر هرب هذا وتنقّل في البلاد وصار بالبطيحة وأقام عند مهذّب الدولة فكاتبه القادر بالله رضوان الله عليه في أمره [431] فأخرجه من بلده.

ثم صار إلى المدائن متنقلاً فانتهى إلى القادر بالله خبره فأنفذ من اعترضه وأخذه مقبوضاً عليه وحبس في بعض المطامير.

فأمكنه فرصة في الهرب من موضعه فهرب ومضى إلى كيلان[1] وادّعى أنّه هو الطائع لله وذكر لهم علامات عرفها بحكم أنسه بدار الخلافة فقبلوه وعظّموه وزوّجه محمد بن العبّاس أحد أمرائهم ابنته وشدَّ منه وأقام له الدعوة في بلده وأطاعه أهل نواحٍ أخَر وأدوا إليه العشر الذي جرت عادتهم بأدائه إلى من يتولى أمرهم في دينهم.

وورد من هؤلاء الجيل إلى بغداد قوم وصلوا إلى حضرة القادر بالله رضي الله عنه، فأوضحت لهم حقيقة الحال وكتب على أيديهم بإزالة الشبه فلم يقدح ذلك فيه لإستقرار قدمه واعتضاده بحميه.

وكان أهل جيلان يرجعون إلى القاضي أبي القاسم بن كج[2] في أمور دينهم وفتاويهم في أحكامهم وله وجاهة عندهم فكوتب من دار الخلافة ورسم له مكاتبتهم بما يزيل الشبهة عن قلوبهم في أمر عبد الله بن جعفر. فكتب إليهم وصادف قوله قبولاً منهم وتقدّموا إلى عبد الله بالإنصراف عنهم فانصرف.

وفيها أصعد أبو علي ابن اسماعيل من البطيحة إلى حضرة بهاء الدولة فانصرف الشريف أبو الحسن محمد بن عمر من بغداد مستوحشاً وعاد إلى البطيحة. [432]

---

١. كيلان : جيلان (كما يأتي في سياق الحديث).

٢. هو أبو يوسف بن أحمد بن كج الدينوري، كان يضرب به المثل في حفظ مذهب الشافعي، كما جاء في تاريخ الإسلام (مد).

ذكر الحال في حصول أبي علي ابن اسماعيل بواسط ناظراً وما جرى عليه أمر الشريف أبي الحسن ابن عمر معه

قد تقدّم ذكر ما جرى عليه أمره في استتاره ثم تنقّل من موضع إلى موضع حتى حصل بالبطيحة وعرض له مرض حدث به منه استرخاء في مفاصله وصار إلى قرية ابراهيم يطلب صحة الهواء بها.

وراسل وروسل وكان بهاء الدولة جميل النية فيه وانضاف إلى ذلك قصور المواد عنه وخروج البلاد عن يده واحتياجه إلى من يدبّر أمره واستقرّ النظر لأبي علي وأصعد إلى واسط. فلمّا حصل بها استوحش الشريف أبو الحسن ابن عمر وانصرف من بغداد إلى حلّة مقلّد ورتّب أبا الحسن ابن اسحق كاتبه في ضياعه بسقي الفرات وتمم إلى البطيحة.

وشرع أبو علي ابن اسماعيل في تتبع أسباب الشريف أبي الحسن وأخرج ثلاثة من المتصرفين لقبض أملاكه ومعاملاته وتحصيل أمواله وغلاّته. فنظروا فيما كان له ببغداد دون ما كان له بسقي الفرات. فإنّ المقلد دفعهم عنها ومكّن أبا الحسن ابن اسحق كاتب ابن عمر منها فكان يتناول ارتفاعها [433] ويحمله إليه وهو بالبطيحة فلمّا انصلح ما بين الشريف أبي الحسن وبين أبي علي ضمن منه المتصرفين الثلاثة بمال بذله عنهم وأطلق يده فيهم وكان ذلك لؤماً منه فما المؤتمر بالظلم بأظلم من الآمر.

ذكر السبب في صلاح ما بين الشريف أبي الحسن محمد بن عمر وأبي علي ابن اسماعيل

كان أبو الحسن ابن يحيى السابسي سعى في الصلح بينهما وانحدر إلى

البطيحة وخلا بالشريف أبي الحسن ابن عمر وقال له:

ـ «أيّها الرجل مالك والتطرح والتشبث كلّما تجدد ناظر ووزير مغرّراً بنعمتك ونعمنا في معاداة من لا تصلح لموضعه ولا يصلح لموضعنا؟ وهذا أبو علي مخايل سعادته لائحة فسالمه ودعني أتوثق لكل واحد منكما من صاحبه.»

ولم يزل به حتى لانت عريكته للقبول.

واتفق أنّ مهذّب الدولة تنكّر على أبي على ابن اسماعيل بسبب تمور كانت لابن الحداد صاحبه فاستقصى أبو على في استقضاء ضريبتها بواسط فأطلق مهذّب الدولة لسانه فيه، ومهذّب الدولة يومئذ بحيث يحتاج إليه الملك ومن دونه. فانحدر أبو على إليه لاستلال سخيمته واستصلاح نيّته، وتقدّمه أبو الحسن ابن يحيى السابسي وقال للشريف أبي الحسن ابن عمر:

ـ «قد ورد أبو [434] علي وأمكنت الفرصة في إصلاح الحال.»

وأشار عليه بتلقّيه وقضاء حقّه. فتلكأ قليلاً ثم فعل ونزل في زبزبه وصار إلى أبي على. فلمّا صعد إليه أكرمه وقام له وأجلسه إلى المخدتين وحضر أبو نصر سابور فجلس إلى جانب أبي على عن يمينه وسلم كل واحد منهما على صاحبه وسأله عن خبره ثم قام الشريف.

وانحدر أبو على إلى مهذّب الدولة واجتمع معه واعتذر إليه وأخذ معه منه خمسة آلاف دينار على وجه القرض وخرج من عنده إلى داره التى كان نزلها قبل الإصعاد.

وجاء أبو الحسن ابن يحيى إلى الشريف وألزمه العود إليه وقال له:

ـ «تلك النوبة كانت للتلقّى وهذه للصلح وتقرير القاعدة.»

فمضى إليه وتقرّر بينهما على أن التزم الشريف عشرين ألف دينار وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الصفاء والوفاء.

وكان الشريف أبو الحسن قد استوثق قبل ذلك من بهاء الدولة بيمين كتبها له بهاء الدولة بخطّه واستظهر بأخذ خط مهذّب الدولة في آخرها يقول:

ـ «إنّ الوفاء للشريف مقرون بالوفاء لي والغدر به معقود بالغدر بي، ومتى عدل به عن العهود المأخوذة فلا عهد لبهاء الدولة في عنقي ولا طاعة عليّ.»

والتفت أبو علي إلى تقرير أمر أبي نصر سابور فواقفه على الإصعاد وآمنه من بهاء الدولة ومن كل ما يتخوفه وقرر أمر أبي غالب محمد بن علي ابن خلف [435] وغيره ممن كان قد بعد خوفاً على خمسة آلاف دينار فحصل معه من هذه الوجوه ثلاثون ألف دينار.

وعاد إلى واسط وفي صحبته الشريف أبو الحسن وأبو نصر سابور وجماعة من كان بالبطيحة من المتصرفين وسكنت الجماعة إلى صدق وعد أبي علي وصحة عهده ولقّب بالموفّق. وأشار على بهاء الدولة بالمسير إلى خوزستان ومباشرة الخطب بنفسه وجدّ في تجريد العساكر فخالفه أبو عبد الله العارض في هذا الرأي وقال:

ـ «إنّ الملوك لا تغرّر ولا تخاطر ولا تضمن لها العاقبة في أمثال ذلك.»

ذكر ما دبّره أبو علي في نصرة رأيه

أرسل إلى الشريف أبي الحسن وقال: إنّي صائر إليك في هذه العشية. وكانت في شهر رمضان ثم صار إليه ومعه أبو العلاء الإسكافي خاله وأبو نصر سابور فأفطروا عنده ثم خلوا وخامسهم السابسي. فقال أبو علي لأبي الحسن ابن عمر:

ـ «قد علمت أيّها الشريف ما عليه أمر هذا الملك من الاختلال وقصور المادة به وخروج البلاد عن يده وإنّنا من هذه الحروب والمطاولة على خطر، ومتى لم يمدد اصحابنا ـ يعني أبا محمد ابن مكرم والغلمان الذين معه

ـ [436] بالمال لم يثبتوا، وإن عادوا فقد سلموا الدولة وإذا أمددناهم ضاق الأمر بهذا الملك ولم يكن له بدّ من مدّ اليد إلى مالك ومال ابن عمك هذا ـ وأشار إلى أبي الحسن السابسي ـ ومال كل ذي ثروة، ولم يدفع عنكم ولا عنّا دافع وإن ساعدتني على ما أشير به من مسير بهاء الدولة بنفسه كنّا بين أن يأتي الله بنصر، فقد بلغنا المراد أو يقضي الله بغير ذلك فقد أبلينا العذر وبذلنا الاجتهاد. وفي غد تستدعى إلى الدار وتشاور فيما قلته. فإن ضربته فقد استرحت منا يبعدنا عنك وعسى الله أن يأذن بالفرج وإن ملت إلى من يشير بخلاف هذا الرأي، فالحال تفضي والله إلى ما حسبته لك.»

فقال الشريف:

ـ «كل هذا صحيح إلّا أنّ المشورة القاطعة على الملوك بمثل ذلك لا تؤمن عواقبها ولكن سأتلطف فيما تريده.»

فانقضى[1] المجلس.

واستدعي الشريف في صبيحة تلك الليلة إلى حضرة بهاء الدولة وجمع وجوه الأولياء وشوورت الجماعة في خروج بهاء الدولة بنفسه فقال الشريف:

ـ «إنّما جعل الله الملوك أعلى منّا يداً وأفضل تأييداً بما خصّهم[2] من الرأي الصائب والنظر الثاقب وإذا كان الملك قد عزم على التوجه بنفسه، فالله تعالى يقرن ذلك بالخير[3] والسعادة ويجعله سبباً لنيل الإرادة.»

فقال أبو علي ابن اسماعيل:

ـ «أيها الملك فقد وافق الشريف رأيي ولم يبق إلّا إمضاء العزيمة

---

١. لعله: فانفضّ.

٢. وما في مد: خصهو.

٣. وما في مد: الخيرة.

وتقديمها.»

وتفرّق الناس [437] على ذلك.

ذكر مسير بهاء الدولة من واسط إلى القنطرة البيضاء

لمّا استقرّ الأمر على المسير بدأ أبو علي بإخراج أبي الحسن محمد بن عمر وأبي نصر سابور وأبي نعيم الحسن بن الحسين إلى بغداد على أن يكون إلى أبي الحسين حفظ البلد وإلى أبي نصر ملاحظة الأمور وإلى أبي نعيم جمع المال وإقامة وجوه الأقساط.

ثم جدّ في تسيير بهاء الدولة وتحصيل ما يزجى به الأمر من الآلات والظهور حتى استعان ببغال الطحانين وسار على اختلال في أهبته واقلال من عدّته، حتى نزل الموضع المعروف بالقنطرة البيضاء. وثبت أبو على ابن أستاذ هرمز بإزائه وجرت بين الفريقين وقائع كثيرة وضاق ببهاء الدولة وبعسكره الميرة فاستمد من بدر بن حسنويه فامدّه بدر بما قام ببعض الأوَد وأشرف الأمر على الخطر.

ووجد أعداء أبي على بن اسماعيل مجالاً في الطعن على رأيه بتعريض الملك وأوغر صدر بهاء الدولة عليه حتى كاد يبطش به. فتجدد من خروج ابني بختيار وقتل صمصام الدولة ما يأتى ذكره وجاء من الفرج ما لم يكن في الحساب وانقلب الرأى الذى كان خطأً إلى الصواب [438]

رُبّما تَجْزَعُ النُّفوسُ مِنَ الأَمْـ ـرِ لَـهُ فُـرْجَةٌ كَـحَلِّ العِـقَالِ

فاجتمعت الكلمة على بهاء الدولة ودخل أبو على ابن أستاذ هرمز ومن

معه من الديلم فى طاعته، وسيأتى شرح ذلك من بعد بمشيئة الله تعالى.

وفيها جلس القادر بالله رضوان الله عليه للرسولين الواردين من أبى طالب رستم بن فخر الدولة وأبى النجم بدر بن حسنويه وكنّى أبا النجم بدراً، ولقّبه نصرة الدولة، وعهد لأبى طالب على الرىّ وأعمالها وعقد له لواء، وحمل إليه الخلع السلطانية الكاملة، وعهد لبدر على أعماله بالجبل وعقد له لواء، وحمل إليه الخلع الجميلة. وذلك بسؤال بهاء الدولة وكتّابه.

فأمّا مجد الدولة فإنّه لبس الخلع وتلقّب، وأمّا بدر فإنّه كان سأل أن يلقّب بناصر الدولة. فلمّا عُدل به عنه إلى نصرة الدولة توقف عن اللقب. ثم أجيب فيما بعد سؤاله فلقب بناصر الدين والدولة، فقبله وكتب وكوتب به.

وفيها حدثت بفارس أمور كانت سبباً لانتقاض ملك صمصام الدولة وقتله فى آخرها.

شرح الحال فى الأمور التى أدّت إلى قتل صمصام الدولة

قد تقدّم ذكر ما كان العلاء بن الحسن اعتمده بعد تلك النكبة التى صار بها [439] موتراً من السعي فى هلاك الدولة بإطماع الجند وايجاب الزيادات التى تضيق المادة عن القيام بها. ثم مضى لسبيله وقد اضطربت أمور صمصام الدولة وطال تبسط الديلم عليه وقصرت موادّه عمّا يرضيهم به.

فامتدت عيونهم إلى إقطاع السيدة والرضيع والحواشى. فبدأ الديلم الذين كانوا بفسا وطالبوا عاملها بما استحقّوه وألزموه مدّ اليد إلى الإقطاعات للمذكورين وإرضائهم بها. فأبى عليهم فثاروا وشغبوا وحملوه إلى باب شيراز على غضب وشغب. فلم يقدم أحد من أصحاب صمصام الدولة على الخروج إليهم وأقاموا ثلاثة أيام ثم قتلوا العامل وذكروا الحواشى بما أزعجهم، فبعدوا

عن مواضعهم خوفاً منهم.

وخرج صمصام الدولة بنفسه إليهم فلقوه بالغلظة ولقيهم بالرفق واشتدوا عليه ولان لهم وأجابهم إلى ملتمساتهم وسكنوا وعادوا إلى مواضعهم بفسا[١] فاستولوا على إقطاعات الحواشى جميعها.

ومضت على ذلك مدّة وزاد الأمر على صمصام الدولة فى انقطاع المواد عنه واجتماع الديلم عنده ومطالبتهم له، فضاق بهم ذرعاً.

ذكر رأى خطأ لم تحمد عواقبه [440]

أشار على صمصام الدولة نصحاؤه بعرض الديلم فى جميع الأعمال وإمضاء كل من كان صحيح النسب أصيلاً وإسقاط كل من كان متشبهاً بالقوم دخيلاً والاتساع بما ينحلّ من الإقطاعات عنهم بهذا السبب فعمل هذا القول فيه وعزم على العمل به وتقدّم إلى مدبرى أمره بذلك فقيل له : إنّ ديلم فسا يتميزون بكثرة العدد وشدة البطش ولا يقدر على عرضهم إلّا أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن فإنّ له معرفة بالأنساب والأصول وهيبة في العيون والقلوب.

فاستقرّ الأمر على استدعائه من كرمان وإخراج أبي الفتح أحمد بن محمد بن المؤمل ليقوم مقامه بها ففعل ذلك وعاد أبو جعفر فأُخرج إلى فسا. فلمّا حل بها وأظهر ما رسم له وبدأ بالعرض ومسير[٢] الصفاء من الاوباش. فما استتم العرض حتى سقط بها ستمائة وخمسين رجلاً وفعل أبو الفتح ابن المؤمل مثل ذلك فأسقط نحو أربعمائة رجل.

وحصل هؤلاء المسقوطون[٣] وهم أرباب أحوال وأولو قوة وبأس

١. وفى الأصل : نفسا.

٢. لعله : وميز.

٣. كذا في مد: المسقوطون، بدل «المسقطين».

متشردين متلددين يطلبون موضعاً يقصدونه ومنشراً[١] يصعدونه.

واتفق أنّ ابني بختيار وهما أبو القاسم اسبام وأبو نصر شهفيروز قد خدعا الموكلين بهما في القلعة، فساعدوهما وأفرجوا عنهما فجمعا إلى نفوسهما من لفيف الأكراد [441] من قوى به جانبهما واتصل خبرهما بمن[٢] أسقط من الديلم فصاروا إليهما فوجاً بعد فوج.

فلمّا استحكم أمرهما سارا لأخذ البلاد وصار أبو القاسم اسبام إلى أرّجان فملكها ودفع أصحاب صمصام الدولة عنها وتردد أبو نصر شفهيروز في الأعمال مستمداً للأموال ومستميلاً للرجال.

وتحيّر صمصام الدولة في أمره ولم يكن بحضرته من ينهض بالتدبير ليقضي الله أمراً سبق في التقدير.

وكان أبو جعفر أستاذ هرمز مقيماً بفسا على ما تقدّم ذكره. فلمّا تجدد من ابني بختيار ما تجدد اجتمع إليه نسوة من نساء أكابر الديلم المقيمين بخوزستان عند أبي على ولده وكنّ يجرين مجرى الرجال في قوة الحزم وأصالة الرأى والمشاركة في التدبير.

ذكر رأى سديد أشرن به على أبي جعفر فلم يقبله

قلن له:

ـ «أنت وولدك[٣] اليوم صاحبا هذه الدولة ومقدماها، وقد لاحت لنا أمور نحن مشفقات منها ومعك مال وسلاح، وإنّما يراد مثل ذلك للمدافعة عن النفس

١. لعله: ونشزاً.
٢. وفي الأصل: ثم.
٣. وفي الأصل: ووالدك. والمراد به هو ابنه أبو على الحسن عميد الجيوش.

والجاه. فالصواب أن تفرّق ما معك على هؤلاء الديلم [442] الذين هم عندك وتأخذهم وتمضي إلى شيراز وتسيّر صمصام الدولة إلى الأهواز وتخلصه من الخطر الذي قد أشرف عليه. فإنّك إذا فعلت ذلك أحييت الدولة وقضيت حق النعمة وتقربت الرجال إلى قلوب رجالنا المقيمين هناك. ومتى لم تقبل هذه المشورة وثب هؤلاء الديلم عليك ونهبوك وحملوك إلى ابني بختيار، فلا المال يبقى ولا النفس تسلم.»

فشحّ أستاذ هرمز بما معه وغلب عليه حب المال فغطى على بصيرته حتى صار ما أخبر به حقاً: فنهب داره واصطبله ونجا بنفسه واستتر في البلد، فدلّ عليه وأخذ[1] وحمل إلى ابن بختيار ثم احتال لنفسه فخلص من يده.

ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة بعد خروج ابني بختيار إلى أن قتل

لمّا أظلّه من أبي نصر ابن بختيار ما لا قوام له به، أشار عليه خواصه ونصحاؤه بصعود القلعة التي على باب شيراز وقالوا له:

ـ «إنّك إذا حصلت فيها تحصّنت بها، وكان لك من الميرة والمادة ما يكفيك الشهر والشهرين ولم تخل من أن ينحاز إليك من الديلم من يقوى به أمرك.»

فعزم علي ذلك وحاول الصعود [443] إليها فلم يفتح له المقيم فيها، فازداد تحيراً في أمره. فقال له الجند وكانوا ثلثمائة رجل:

ـ «نحن عدّة وفينا قوة ومنعة وينبغي أن تقعد أنت ووالدتك في عمارية

١. وفي الأصل: واحد.

لنسير بك إلى الأهواز ونلحقك بأبي على ابن أستاذ هرمز وعسكرك المقيمين معه ومن اعترضنا في طريقنا دافعنا برؤسنا عنك وبذلنا مهجتنا دونك.»

فقال الرضيع:

ـ «هذا أمر فيه غرر. والوجه أن نستدعي الأكراد ونتوثق منهم ونسير معهم.»

فمال إلى هذا الرأى وراسل الأكراد واستدعاهم وتوثق منهم وخرج معهم بخزينته وجميع ذخائره فلمّا بعدوا عن البلد عطفوا عليه ونهبوا جميع ما صحبه وكادوا يأخذونه فهرب وصار إلى الدودمان على مرحلتين من شيراز.

وعرف أبو نصر ابن بختيار خبر انفصاله فبادر إلى شيراز ونزل بدولتاباذ وطمع طاهر الدودماني رئيس القرية في صمصام الدولة واستظهر عليه إلى أن وافى أصحاب ابن بختيار فأخذوه وقتلوه وذلك في ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وكانت مدة عمره خمساً وثلاثين سنة وسبعة أشهر.

وما أقلّها من مدة وأسوأها من عاقبة أمر! فلقد كانت حلاوة دولته يسيرة ومرارة مصائبه في ملكه ونفسه كثيرة، فما وفى شهده بصابه [444] ولا عوافيه بأوصابه، ولم يكن له في أيامه يوم زاهر ولا من ملكه نصيب وافر:

وإنّ امرأً دُنياهُ أكبرُ هَمّهِ لَمُستمْسِكٌ مِنهَا بِحَبلِ غُرورِ

وقبض على والدته وعلى الرضيع وقوم من الحواشي. وجاءت امرأة من الدودمان تسمي فاطمة فغسلت جثته وكفنتها ودفنتها وأحضر رأسه في طست بين يدى أبي نصر ابن بختيار. فلمّا رآه قال مشيراً إليه:

ـ «هذه سنّة [سنّها][١] أبوك.»

---

١. زيادة من مد، يقتضيها السياق.

وأمر برفعها.

وأما والدته، فإنّها سلمت إلى لشكرستان كور فطالبها وعذّبها فلم تعطه درهماً واحداً، فقتلها وبنى عليها دكة. وأما الرضيع، فإنّه قتل بعد ذلك وبعد أن صودر واستصفى ماله.

ودخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة

دخول ابن أستاذ هرمز والديلم في طاعة بهاء الدولة

وفيها دخل أبو على ابن أستاذ هرمز والديلم في طاعة بهاء الدولة واجتمعت الكلمة عليه وملك شيراز وكرمان فاستتبت أموره واستقامت أحواله واستقرت دولته واهتزت سعادته.

شرح ما جرى عليه الحال في ذلك [445]

قد تقدّم ذكر نزول بهاء الدولة بالقنطرة البيضاء. وتكرر الوقائع بين الفريقين وأقام بهاء الدولة شهرين وأكثر يطلب مناجزة الديلم وهم يقصدون مدافعته ومحاجزته وطال الأمر بينهم.

وكان أبو على ابن اسماعيل الملقّب بالموفق، يباشر الحرب ويتولى التدبير وكان معه مناح صاحب محمد بن عياد مع مائة فارس من السادنجان. فرتّبهم في الطلائع وأمرهم أن يقتصوا أمر كل من يخرج من السوس أو يدخلها فيأخذوه.

وضاق الأمر بالديلم من هذا الحصار وببهاء الدولة من تعذّر الميرة وتطاول الأيّام، وأشرف على العود حتى إنّه لو تأخّر ما تقدّم من أمر ابنى بختيار وقتل صمصام الدولة لانهزم بهاء الدولة.

ذكر حيلة رتّبها أبو على ابن أستاذ هرمز برأيه فكشفها أبو على ابن اسماعيل بألمعيته ودهائه

وكان بهاء الدولة وكّل رجاله الفرس لأخذ من يوجد فى الجواد فظفروا برجل معه زنبيل دستنبوا(١) فحملوه إلى المعسكر وسئل عن أمره فقال:

ـ «أنا عابر سبيل أتعيش بحمل هذا المشموم من موضع إلى موضع.» [446]

فهدد وخوّف حتى أقرّ بأنّه رسول الفرخان إلى الصاحب أبى على ابن أستاذ هرمز بملطف معه:

ـ «إنّا سائرون من طريق عند قرب وصولنا فتصمد للقاء القوم.»(٢)

فلمّا وقف بهاء الدولة على ذلك قلق قلقاً شديداً وقال:

ـ «كل من يطعن على رأى [أبى] على ابن اسماعيل ويعاديه......(٣) وإن قصدنا من هذا الجانب فقد حصلنا فى أيدى القوم أسارى وأعوزنا الهرب وضاق بنا المذهب.»

فتابع بهاء الدولة الرسل إلى أبى على ابن اسماعيل وكان فى الحرب يستدعيه فحين حضر أعلمه الحال وأعطاه الملطف فلما قرأه قال:

ـ «هذا محال.»

وخرج من بين يديه وأحضر الرجل المأخوذ وقال له:

ـ «اصدقنى.»

وعاصه بالجميل فلم يزده على القول الأوّل. فأمر بشده وعمد إليه بدبّوس

---

١. كذا فى مد: دستنبوا (بالألف). أصله الفارسي: دستنبو (بدون الواو).

٢. العبارة مضطربة.

٣. بياض فى مد.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فضربه بيده ضرباً مفرطاً فلمّا برّح به الضرب قال:

ـ «خلونى أصدقكم: أنا رجل من أهل السوس استدعانى أبو على ابن أستاذ هرمز وسلم إليّ هذا الملطف وقال لى: امض وتعرّض للوقوع فى أيدى أصحاب بهاء الدولة. فإذا وقعت وسئلت عن أمرك فقل: إنّى رسول الفرخان إلى الصاحب ومعى هذا الملطف. وأصرر على قولك وأصبر للمكروه إن أصابك، فإنّى أحسن إليك.»

فعاد أبو على ابن اسماعيل إلى حضرة بهاء الدولة وأخبره بالصورة وأنّها منصوبة. [447] فسكن قليلاً وقال للحواشى:

ـ «إنّ القول الأوّل هو الصحيح وإنّ الضرب والمكروه أحوجا الرجل إلى هذا القول الثانى.»

ذكر حزم اعتمده أبو علىّ ابن اسماعيل فى تلك الحال

رأى أنّ الأخذ بالحزم أصوب على كل حال، وأنفذ ابن مكرم وألفتكين الخادمى مع عدد من الأتراك إلى دُستر وأمرهما بالنزول على الوادى للمنع حتى إن حضر من يحاول العبور دفعاه فسارا إلى حيث أمرهما وخيّما به وأقاما أيّاماً ووافى خرشيد بن باكليجار[1] [و] الكوريكى فى عدة كثيرة من الديلم والرجّالة فتقدّم ابن مكرم وألفتكين إلى أصحابهما بقلع الخيم والتحمل. لأنّ عدّتهم كانت قليلة وساروا حتى غابوا عن مطرح النظر. ثم كمن ألفتكين الخادمى والغلمان فى بعض المكامن إلى أن عبر الديلم والرجالة وحصلوا معهم على أرض واحدة فحمل ألفتكين وصاح الغلمان وارتفع الغبار وظنّ

---

١. فى الأصل: باكحار.

القوم [أنّهم][١] فى عدد كثير فتواقعوا فى الوادى منهزمين وقتل خرشيد والكوريكى وجماعة من أصحابهما.

وكان ذلك فى اليوم الذى انصلح ما بين الديلم والسوس وبين بهاء الدولة ووقع التحالف ووصل من غد وقد اختلط الفريقان.

وأمّا [448] ما جرى عليه الأمر فى دخول الديلم فى طاعة بهاء الدولة، فإنّ أبا علىّ ابن اسماعيل كان قد اعتمد ما يعتمده من الرأى الأصيل وشرع فى استمالة قوم من العسكر إلى طاعة بهاء الدولة.

وترددت بينه وبين شهرستان مراسلات بوساطة بهستون بن ذرير وقرّر الأمر فى اجتذابه وإمالته. ثم اتفق أنّ المعروف بمناح الكردى المرتّب فى الطلائع ظفر بركابىّ ورد من شيراز فأخذه وأحضره عند أبى على ابن اسماعيل، فسأله عن حاله فأخبره بالخطب الحادث بشيراز وأخرج كتاباً كان معه من بنى زيار إلى شهرستان يشرح ما جرت عليه الحال فى قتل صمصام الدولة. فلمّا وقف أبو علىّ ابن اسماعيل على الكتاب طالع بهاء الدولة مضمونه ثم أعاده على الركابى ليتمم إلى حيث بعث ثم قال أبو على لبهستون:

ـ «إنّه لم يبق لشهرستان بعد اليوم عذر فإن كان على العهد فليقدم الدخول فى الطاعة.»

فمضى بهستون إلى شهرستان وقرّر معه أن يتحيّز فى غد ذلك اليوم مع ثلاثمائة رجل من الجيل إلى بهاء الدولة وتفارقا على هذا الوعد.

فأحسّ فناخسره بن أبى جعفر بما عزم عليه شهرستان فقصده وخلا به.

---

١. زيادة من مد.

ذكر كلام سديد لفناخسره بن أبي جعفر [449]

قال لشهرستان :

ـ «قد بلغني ما أنت عازم عليه وحالي عند بهاء الدولة الحال التي لا تخفى ونيّته في النّية التي تخالف وتحتمي، ومتى عجلت في الانحياز إليه هلكت وهلك الديلم بأسرهم ويلزمك على كل حال صلاح أمرهم فأنظرني ثلاثة أيّام لأسبر جرح هذه القصة بمراسلة بهاء الدولة. فإن رجوت لها برأ واندمالاً اتفقت معك في إمضاء العزيمة واجتماع الكلمة وإن تكن الأخرى أخذت لنفسي وتوجهت أنا وأهلي إلى بلدي ثم أفعل ما بدا لك.» فأجابه شهرستان إلى ذلك.

وبكر أبو علي ابن اسماعيل على رسمه إلى الحرب متوقعاً من شهرستان إنجاز الوعد. فراسله بالعذر المتجدد فضاق أبو علي بذلك ذرعاً واعتقد أنّه كان سخرية ودفعاً. فقال له بهستون :

ـ «إنّ مصداق هذا القول يبين عند غسق الليل فإن جاء رسول فناخسره فقد صدق شهرستان ووفا، وإن تأخّر فقد كذّب وغدر والموعد قريب.»

فلمّا جنّ الليل ورد رسول فناخسره برسالة يعتذر فيها من سابق الأفعال ويطلب الأمان على استئناف الخدمة في مستقبل الحال فأجيب بما يسكن إليه ووثق به.

ووصل في أثناء ذلك كتاب ابن بختيار إلى أبي علي ابن أستاذ هرمز يذكران فيه سكونهما إليه وتعويلهما عليه ويبسطان أمله كما يفعله مبتدئ بملك يروم إحكام قواعده وأركانه [450] واستمالة اعضاده ويأمر أنّه يأخذ البيعة لهم على الديلم قبله والمقام على الحرب التي هو بصددها.

فأشفق أبو علي بما سلف له من الدخول إليهما ولم يثق بوفائهما بعد قتل

أخويهما وحقيق بمن قتل للملوك شقيقاً أن يكون على نفسه شفيقاً.

وبقى متلدداً فى أمره متردداً فى فكره مجيلاً للرأى فى صدره فرأى أنّ الدخول فى طاعة بهاء الدولة أصوب والتحيّز إليه أدنى من السلامة وأقرب.

ذكر ما دبّره أبو على ابن أستاذ هرمز في صلاح حاله مع بهاء الدولة

جمع وجوه الديلم وشاورهم فيما ورد عليه من كتاب ابنى بختيار فأجمعوا رأيهم على الاعتزاء إلى طاعتهما والثبات فى حرب بهاء الدولة على ما هم عليه فلم يوافقهم على رأيهم وقال:

ـ «إنّ وراثة هذا الملك قد انتهت إلى بهاء الدولة ولم يبق من يجوز له منازعة بهاء الدولة فيه وإن نحن عدلنا عنه إلى من داره منّا نائية ونيّته عنّا جافية أضعنا الحزم، والصواب الدخول فى طاعة بهاء الدولة بعد التوثق منه.»

فامتنعوا وقالوا:

ـ «كيف نسلم نفوسنا للأتراك وبيننا وبينهم ما تعلم من الطوائل؟»

فقال لهم:

ـ «إذا كان هذا رأيكم فإنّى أسلّم [451] ما معى من المال والعدّة إليكم وأنصرف بنفسي عنكم وأنتم لشأنكم أبصر.»

وتقوض المجلس، ثم وضع أكابرهم على ما يقولونه ويفعلونه.

وكان قد أنفذ إلى أبى على ابن اسماعيل من يلتمس منه شراباً عتيقاً للعلّة التى به. فقال أبو على ابن اسماعيل لبهاء الدولة:

ـ «إنّه ما طلب منّا شراباً ولكنّه أراد أن يفتح لنا فى مراسلته باباً.»

فأنفذ بهاء الدولة رسولاً يقول:

ـ «إنّه قد كنت أنت والديلم معذورين قبل اليوم فى محاربتي حين كانت المنازعة فى الملك بينى وبين أخي. فأمّا الآن فقد حصل ثأرى وثأركم فى أخى عند من سفك دمه واستحلّ محرمه. فلا عذر لكم فى القعود عني فى المطالبة بالثأر واستخلاص الملك وغسل العار.»

فكان من جواب أبى على ابن أستاذ هرمز [بعد][1] السمع والطاعة لقوله أنّ الديلم مستوحشون والإجتهاد فى رياضتهم واقع وسأل فى إنفاذ أبى أحمد الطبيب لمعرفة قديمة كانت بينهما فأنفذ إليه.

ذكر كلام سديد لأبى على ابن أستاذ هرمز

لمّا حضر الطبيب عنده قال له:

ـ «قد علمت اصطناع صمصام الدولة إيّاى [452] وإحسانه إليّ وما وسعنى إلّا الوفاء فى خدمته وبذل النفس فى مقابلة نعمته. وقد مضى لسبيله وصارت طاعة هذا الملك واجبة عليّ ونصيحته لازمة لى وهؤلاء الديلم قد استمرت بهم الوحشة والنفور واستحكمت بينهم وبين الأتراك الترات والذحول، وبلغهم أنّ الاقطاعات عنهم مأخوذة وإلى الأتراك مسلّمة، ومتى لم يظهر ما يزول به استشعارهم وتسكن إليه قلوبهم وبادرهم لم يصحب جنبهم.»

فمضى الطبيب إلى بهاء الدولة بالرسالة وعاد بالجواب الجميل الذى تسكن إلى مثله وتردد من الخطاب ما انتهى آخره إلى حضور جماعة من وجوه الديلم إلى بهاء الدولة لاستماع لفظ بيمين بالغة فى التجاوز عن كل إساءة سالفة وأخذ أمان وعهد بزوال كلّ غلّ وحقد. فلمّا طابت نفوس هؤلاء

١. زيادة من مد.

بالتوثق كاتبوا أصحابهم المقيمين بالسوس بشرح الحال.

وركب بهاء الدولة في ثاني اليوم إلى باب السوس يتوقع دخول الكافّة فى السلم. فخرج الديلم فقاتلوا قتالاً شديداً لم يعهد مثله معهم فيما تقدّم فضاق صدره وظنّ أنّ ذلك عن فساد عرض أو لأمر انتقض. فقال له الديلم:

ـ «طب نفساً فالآن ظهر تسليمهم الأمر إليك فمن عادتهم أن يقاتلوا عند التسليم أشدّ قتال، لئلاّ يقدّر أنّهم سلموا عن عجز أو ضعف.»

وكان الأمر على ذلك [453] لأنّهم استوثقوا فى اليوم الثالث بنسخة يمين نفذوها إلى بهاء الدولة. فحلف بها هو ووجوه الأتراك.

والتمس الديلم لأبى على ابن اسماعيل أن يحلف لهم فامتنع وقال:

ـ «هذه يمين يدخل فيه الملوك وجندهم، فأمّا الحواشى فهم بمعزل عنها.»

فلم يقنعوا بذلك فألزمه بهاء الدولة الحلف فحلف.

وجلس بهاء الدولة للعزاء بأخيه ثم ركب بالسواد، فتلقّاه الناس وخدموه وصار إليه أبو على ابن أستاذ هرمز واختلط العسكران.

قتل الديلم نقيب نقبائهم

ومن قبل ذلك بيوم أو يومين قتل الديلم أبا الفتح ابن الفرج نقيب نقبائهم.

ذكر السبب في ذلك وما كان من مكيدة أبى على ابن أستاذ هرمز فى أمره

كان هذا الرجل مقدماً فى العسكر فاستدعى أبو على ابن اسماعيل أخاه سهلان من بغداد وجعله وسيطاً معه ليستميله. فلمّا استقرّ معه الدخول فى طاعة بهاء الدولة قال لهم أبو على ابن استاذ هرمز:

ـ «هذا أبو الفتح رجل شرير وهو خبير بأموركم وأسبابكم وأصولكم وأنسابكم. فان اجتمع مع أبى على أظهر له من أسراركم ما لم يطلع عليه ودلّه من أموركم على ما لا يهتدى [454] إليه.»

فقالوا: «سندبّر أمره.»

ثم أجمعوا رأيهم على قتله فقتلوه.

ولمّا اختلط العسكران سار بهاء الدولة إلى السوس ومعه أبو على ابن اسماعيل وحوله الديلم والأتراك.

ذكر رأى طريف رآه أبو علي ابن اسماعيل لا يعلم موجبه

لمّا قرب بهاء الدولة من مضربه عدل أبو على إلى خيمته المختصة به ولم يتمم معه حتى ينزل على ما جرى به رسمه.

ونزل بهاء الدولة وطلب الديلم أبا على فلم يجدوه وقالوا:

ـ «من يكلّمنا.»

وانتهى الخبر إلى بهاء الدولة فأرسل إلى أبى على يستدعيه فاحتجّ بعارض عرض له ولم يحضر فخرج بهاء الدولة بنفسه إليهم وكلّمهم حتى انصرفوا.

وأظهر أبو على ابن اسماعيل الاستعفاء وأقام على أمر واحد فيه حتى وقعت الإجابة إليه وكتب له منشور بمعيشة التمسها. فأذن له فى العود إلى بغداد والمقام فى داره.

وشاع هذا الخبر بين العسكر فركب وجوه الأتراك إلى مضرب بهاء الدولة فأخرج إليهم الحجّاب ليسألوهم عن حاجتهم، فطلبوا لقاء الملك فأخرج إليهم أبا عبد الله العارض ليستعلم منهم مرادهم. فما زادوه على القول الأوّل

فأوصلهم. [455]

ذكر ما جرى بين الأتراك وبين بهاء الدولة من الخطاب

لمّا دخلوا إلى حضرته وقفوا وقالوا:

ـ «يا أيّها الملك قد خدمناك حتى بلغت مُناك ولم تبق لك علينا حجّة ولا بك إلى مقامنا حاجة، وما فينا إلّا من نفذت نفقته ونقصت عدّته، ونسأل الأذن لنا في العود إلى منازلنا لنصلح حالنا ومتى احتيج إلينا من بعد رجعنا.»

فأنكر هذا القول منهم وسألهم عن سببه فراجعوه وراجعهم حتى قالوا:

ـ «هذا وزيرك الموفّق الذى عادت الدولة إليك على يده واستقامت أحوالنا بيمن نقيبته قد صرفته ومالنا من يشهد بمقاماتنا المحمودة عندك سواه، ولا نجد في الوساطة بيننا وبينك من يجرى مجراه، وليس من السياسة صرف مثله ولا قبول قول من يشير عليك ببعده.»

قال بهاء الدولة:

ـ «ومن يريد ذلك؟»

قالوا: «الذى كتب له المنشور عنك وهوّن خطبه عندك.» ـ اشارة الى أبى عبد الله العارض.

قال: «معاذ الله أن أقبل فيه قولاً ولكنّه لجّ فوافقته وسأل فأجبته، والرأى ما رأيتموه من التمسك فكونوا الوسطاء معه فى تطبيب قلبه.»

فانصرفوا عن حضرة [456] بهاء الدولة إلى مخيّم أبى على ابن اسماعيل وقد عرف خبرهم فحجّهم فراجعوه حتى أوصلهم. فلمّا دخلوا عليه عاتبهم على ما كان من خطابهم فى معناه وقال:

ـ «ليس من حقّي عليكم أن تعترضوا عليّ بما لا أهواه.»

فقالوا: «دع عنك هذا القول، فإنّ حراسة دولة صاحبنا التي بها ثباتنا وفيها حياتنا أولى من قضاء حقك في موافقتك على غرضك.»

وما زالوا به حتى ركب إلى مضرب بهاء الدولة فلقي منه ما أحبّه وعاد إلى عادته في تدبير الأمور وتنفيذها.

وأذن لجماعة من الأتراك في العود إلى مدينة السلام وتوجّه [مع][١] بهاء الدولة إلى الأهواز.

ذكر ما دبّره أبو على ابن اسماعيل بالأهواز

أول ما بدا بالنظر فيه أمر الاقطاعات وتقريرها بين الديلم والأتراك وعول في ذلك على أبي على الرخجي الملقّب من بعد بمؤيد الدولة، واستقرّت المناصفة. ثم امتنع ديلم دُستر عن الدخول في هذا الحكم وكادت القاعدة تنتقض والاستقامة تضطرب والشرّ بين الفريقين يعود جذعاً.

فقام الرخجي في التوسط بينهم مقاماً محموداً على أن تكون أبواب المال في قصبات البلاد مقرّة على من هي بيده وتكون المناصفة فيما عداها من الضياع [457] والسواد، فتراضوا بذلك.

وأفردت له خيمة كان يحضر فيها ومعه فَناخُسره بن أبي جعفر وألفتكين الخادمي ومن يتبعهما من وجوه الطائفتين، فتولى تقرير المناصفات وإخراج الاعتدادات وإشراك[٢] طائفة مع أخرى وكتب الاتفاقات فلم تمضِ[٣] أيّام قلائل حتى انتجز الأمر على المراد.

---

١. زيادة من مد.

٢. والمثبت في مد: اشتراك.

٣. والمثبت في مد: فلم تمضى.

وكان الفرخان قد فارق الأهواز ومضى إلى إيذج مستوحشاً وأنفذ أبو محمد ابن مكرم إليه بما وثق به من الأمان فأمنه وعاد به. فلمّا ورد الفرّخان خلع عليه أبو على ابن اسماعيل واستخلفه مدة بين يديه ثم سيّره أمامه إلى بلاد سابور والسواحل.

وأخرج شهرستان بن اللشكرى فى عدة كثيرة من العسكر مقدمة إلى أرّجان فصار إليها ودفع ابن بختيار عنها، فلحق بأخيه المقيم بشيراز.

ذكر رأى أشار به أبو علىّ ابن اسماعيل على بهاء الدولة

أشار عليه بأن يستدعى الأمير أبا منصور ولده ويرتّبه بالأهواز ويضمّ إليه أبا جعفر الحجاج وأن يسير بنفسه إلى فارس وإذا فتحها استدعى الأمير أبا منصور وأقامه فيها وانكفأ إلى الأهواز فجعلها للأمير أبى شجاع [458] وقصد البصرة، فإذا ارتجعها جعلها للأمير أبى طاهر وعاد إلى بغداد فاستوطنها ودبّر أمر الموصل منها.

فلم يعجب بهاء الدولة هذا الرأى وكان أبو على قبل أن يفاوض بهاء الدولة فى ذلك فاوض أبا الخطّاب حمزة بن ابراهيم فيه ـ وأبو الخطّاب يومئذ ينوب عنه بحضرة بهاء الدولة ـ فقال له أبو الخطّاب:

ـ «أنا أعرف بأخلاق الملك وأغراضه. والصواب لك أن تدعه بالأهواز وتسير أنت والعسكر إلى فارس، فإذا فتحتها أقمت بها ورتّبت للنظر فى الأمور بحضرة بهاء الدولة من تأمنه وترتضيه. فإنّك إذا بعدت عنه حصلت من تلك البلاد فى مملكة واسعة وتصرّفت على اختيارك من غير معارضة مانعة. فإنّه متى سار معك كنت بين أن تستبدّ برأيك أو تخالفه فتوغر صدره عليك ولا تأمن ما يكون من بوادره إليك، وبين أن تصبر على معارضته لك

فتجرع الغيظ منه بالإحتمال، أو تظهر من الاستعفاء ما يؤدى إلى فساد الحال.»

فلم يقبل أبو على منه واستبد برأيه وعمل أبو الخطّاب بالأحوط لنفسه وانحرف عن أبي على ومال إلى مطابقة بهاء الدولة فيما ينفق عليه.

قد استمررنا على النهج في ذكر ما وجدناه في التاريخ ونحن نرى أنّ أبا على أصاب في رأيه ولا نرى حزماً فيما أشار به أبو الخطّاب عليه من البعد عن حضرة ملك سريع [459] التقلّب في الأحوال، كثير القبول للأقوال إذا بنى معه أمر نقض، وإذا عقد معه عهد نكث. فإذا كان البانى مع حضوره يخاف انتقاض بنائه فكيف يثق ببنائه إذا غاب عن فنائه؟ وهل مجال الأعداء في الطعن على الوزراء وهم مقيمون في منصب عزّهم كمجالهم إذا خلت الحضرة منهم ببعدهم؟ كلاً إنّ لسان الغيبة يطول عند الغيبة مع البعد عن بساط المراقبة والهيبة، وكلّ مجرٍ في الخلاء يسر[1].

فما أخطأ أبو على فيما رآه، وما عليه ان خانه مقدور، فالقدر حتم والمرء معذور:

غُلامُ وَغىً تَقَحَّمَها فَأَبْلَى فخَانَ بَلاءَهُ الزَّمَنُ الخَؤونُ
وكانَ علَى الفَتى الإقدامُ فيها وليسَ عَليهِ ما جَنَتِ الظُّنُونُ

وأطرف من ذلك مشورة أبي الخطّاب عليه باستخلاف من يأمنه بالحضرة ليحفظ عنه وأين الأمين الذى يرعى العهد إذا لابس الحلّ والعقد؟ أليس أبو الخطّاب وكان نائبه وصنيعته جحد إحسانه وطلب مصلحة نفسه فتبرّأ منه وخانه؟

---

١. تفسير المثل عند الميدانى (طبع بيروت ١٣١٢) ٦: ١٠٦.

وكذلك كل ذى ثقة إذا استحلى الدنيا [صار][١] ظنيناً وكل ذى مقة إذا حسد[٢] صار عدواً مبيناً. وربّ أخ قد شاقّ فى الحسد أخاه، بل ربّما ولد عقَّ فى طلب الرتبة أباه، ومثل ذلك موجود [460] نشهده ونراه. وإنّما كان خطأ أبى على فى إفراط إعجابه وكثرة إدلاله وشكاسة أخلاقه ومنافسته لولى نعمته. فالملوك لا يشاكسون وأولياء النعمة لا[٣] ينافسون.

ومع ذلك فلكل أجل كتاب، والصواب مع الشقاوة خطأ، والخطأ مع السعادة صواب:

والنَّاسُ مَن يَلْقَ خَيراً قائلونَ لَهُ   ما يَشتَهى وَلأمِّ المُخْطئِ الهَبَلُ

ونعود إلى سياقة الحديث.

ولمّا استقرّ ما بين الديلم من المناصفات عوّل على أبى جعفر الحجّاج فى المقام بالأهواز، وسار بهاء الدولة وأبو على إلى الموفّق إلى رامهرمز، وتقدّم أبو على مع العسكر وصار إليه أبو جعفر أستاذ هرمز فى بعض الطريق هارباً من ابن بختيار.

ذكر خلاص أبى جعفر أستاذ هرمز

قد تقدّم ذكر حصوله فى قبضة ابن بختيار فقرّر أمره على ألف ألف درهم وأدّى أكثرها ثم حصل عند لشكرستان كور موكلاً به مطالباً بالبقية فاحتال صاحب له طبرى فى الهرب به إلى دار أحد الجند ثم أحضر قوماً من الأكراد

---

١. زاده فى مد.
٢. وفى الأصل: حسد الدنيا.
٣. وفى الأصل: لأولياء النعمة ولا.

وأخرجه إليهم فساروا به وألحقوه بأبى على ابن اسماعيل. [461] وطوى أبو على المنازل حتى نزل بباب شيراز.

ذكر فتح شيراز

لمّا نزل أبو على بظاهر البلد برز ابن بختيار فى جنده ورجالته وعسكر بإزائه ووقعت الحرب بينهما فتضعضع ابن بختيار فى اليوم الأول وصادف عساكر بهاء الدولة وغدر به كثير من الغلمان ودخلوا الباب ونهبوا بعضه ونادوا بشعار بهاء الدولة.

وكان أبو أحمد الموسوى بشيراز على ما تقدّم ذكره فى مسيره من واسط إليها وظنّ أبو احمد أنّ أمراً قد تمّ فاستعجل وركب إلى المسجد الجامع وكان يوم الجمعة فأقام الخطبة لبهاء الدولة.

ثم ثاب ابن بختيار وعسكره فخاف أبو أحمد واحتال لنفسه وقعد فى سلّة وحمل مغطّى حتى أخرج إلى معسكر أبى على ابن اسماعيل.

وعادت الحرب فى اليوم الثالث بين الفريقين فلم يمض من النهار بعضه حتى استأمن الديلم إلى أبى على وهرب ابن بختيار ناجياً بنفسه وتبعه أخوه فى الهرب. فأمّا أحدهما وهو أبو نصر فإنّه لحق ببلاد الديلم، وأمّا الآخر فإنّه مضى إلى بدر بن حسنويه، ثم تنقّل من عنده إلى البطيحة، وملك أبو على البلد وكتب إلى بهاء الدولة بالفتح وإتمام المسير فسار إلى شيراز واستقرّ فى الدار بها. [462]

ذكر ما جرى عليه الأمر بعد هذا الفتح

لمّا حصل بهاء الدولة بفارس أمر بنهب قرية الدودمان وحرقها وقتل كل من وجد بها من أهلها حتى استأصل شأفتهم.

وكشف عن رمّة صمصام الدولة وجددت أكفانها وحملت[١] إلى التربة بشيراز فدفنت بها وأحسن إلى فاطمة الدودمانية خاصة وبرّها ووصلها. وذلك ثمرة فعلها الجميل. فإنّ المعروف شجرة مباركة أصلها زكيّ وعودها رطيب وورقها نضير، وما خاب من غرسها وسقاها ولا ندم من حفظها ورعاها.

فاجتمع ديلم فارس جميعهم بشيراز وجرى الخوض فى أمر الإقطاعات وارتجاع ما يرتجع منها وإقرار ما يقرر، وترددت فى ذلك مناظرات.

ذكر تقرير للاقطاعات[٢] وتوفير فى المصارفات

تقرر أن تجعل أصول التقريرات مصارفة ثلاثمائة درهم بدينار وأن ينظر [463] ما لكل رجل من الايجاب الاصلى فيعطى به من الاقطاع الذى فى يده ما يكون ارتفاعه بقدره على هذا الصرف ويرتجع الباقى وان يبطل كل ما كان وقع به فى آخر أيام صمصام الدولة.

وجرى الأمر على ذلك فى معاملة الأواسط[٣] والأصاغر. فأمّا أكابر الديلم فإنّ أبا على ابن اسماعيل أعطاهم حتى ملأ عيونهم. وعرفوا مذهبه فى العجب والكبر فوضعوا له خدودهم وخدموه خدمة لا يستحقها الملوك فضلاً عن الوزراء. فكانوا يقبّلون الأرض إذا بصروا به وإلى أن يصلوا إليه عدّة مرّات ويمشون بين يديه إذا ركب كما تمشى أصاغر الديلم.

وزاد الأمر به فيما أعطاهم من الأموال وأعطوه من الطاعة والإنقياد وكل زيادة تجاوزت حدّ الاستحقاق فهى نقصان، وكل عطية سلبت نفع الإرتفاق

١. والمثبت فى مد: وجملت.
٢. والمثبت فى مد: الإقطاعات.
٣. فى مد: معاملته. وفى الأصل: إلّا بواسط (مد).

فهي حرمان.

وعوّل على أبي غالب محمد بن عليّ بن خلف في الغيابة عنه وقدّمه واصطنعه، وفرّق العساكر في النواحي، وأخرج أبا جعفر أستاذ هرمز إلى كرمان والياً عليها، وقبض على ألفتكين الخادمي.

ذكر السبب في القبض على ألفتكين [464]

كان أبو على ابن اسماعيل يرعى لفلح ما أسداه إليه من جميل في استتاره ببغداد. فقدّمه ونوّه بذكره وثقل ذلك على ألفتكين وأضمر به استيحاشاً منه.

واتفق أنّ أبا عليّ في بعض مواقفه بباب السوس قال لألفتكين:

ـ «يا حاجب الحجّاب قد عزمت على[1] أن أمضى في قطعة من الجيش إلى وراء السوس وأدخل أطراف البلد. فإنّ الديلم إذا عرفوا خبرنا اضطربوا وانصرف قوم منهم إلينا فتشوّشت تعبيتهم. فإذا بدت ذلك الفرصة وأمكنتك الحملة فاصنع ما أنت صانع.»

وقرّر ذلك معه وترك أبو عليّ علامته بحالها ودار من وراء الديلم ومعه نُجُبٌ من الغلمان غيرهم ودخل شوارع السوس فانفصل من العسكر الصمصامى شهرستان في خمسمائة رجل وتلقّاهم واقتتلوا قتالاً شديداً واضطرب مصافّ الديلم ولاحت الفرصة لألفتكين في الحملة. فتوقف عنها غيظاً من أبي على الموفّق لأنّه كره أن يتمّ أمر على يده. فنقم أبو على هذا الفعل عليه وأسرّه في نفسه.

وحصل على باب شيراز بإزاء ابن بختيار فظهر من ألفتكين من التقاعد قريب ممّا تقدّم. فلمّا تمّ أمر الفتح وورد بهاء الدولة واستقرت الأمور، عمل

---

١. وفي الأصل: إلى (مد).

في إبعاده. فندبه للخروج إلى بعض الكور وأمره بالتأهب وحمل إليه عشرين ألف درهم نفقة.

فأحضرها [465] النقيب وألفتكين شارب ثمل، فتكلّم بقبيح أعيد على الموفّق، فاغتاظ منه، وقال لبهاء الدولة:

ـ «هذا الغلام كالعاصى علينا والصواب القبض عليه وإقامة الهيبة فى نفوس الغلمان به.»

فأذن له فى ذلك فقبض عليه وحمله إلى القلعة.

ذكر حيلة لطيفة كانت سبباً لسلامة ألفتكين

اجتمع الغلمان ليخاطبوا في أمره. فانتدب أحد وجوههم لأبى علىّ وقال له:

ـ «نحن عبيدك وأمرك نافذ في صغيرنا وكبيرنا وما نطالبك بالإفراج عنه وقد أنكرت ما أنكرت منه، ولكنّا نسألك أن تهب لنا دمه وتعطينا يدك على حراسة نفسه.»

فقال: «أمّا هذا فنعم.»

وأخذوا يده على ذلك وتوثقوا منه. فلمّا عرض لأبى علىّ المسير فى طلب ابن بختيار حين عاد من بلاد الديلم إلى كرمان اجتمع إليه خواصه ونصحاؤه وقالوا:

ـ «ليس من الرأى أن تخرج فى مثل هذا الوجه وتترك وراءك مثل هذا العدوّ.»

وأشاروا إلى ألفتكين فقال:

ـ «ما كنت لأبذل قولي في أمر ثم أرجع عنه.»

ذكر أغلاط لأبى علىّ ابن اسماعيل [466] كانت سبباً لفساد حاله

أدلّ أبو على بعد فتح شيراز على بهاء الدولة إدلالاً أفرط فيه وتجبّر تجبّراً لا توجبه السياسة ولا تقتضيه. واطرح ما يلزم فى خدمة الملوك من التقرب إليهم والتوقّر عليهم وسلك خلاف هذه الطريقة وخرج من حدّ المتابعة والموافقة إلى المنافقة والمضايقة. من غلطاته أنّ أحد النبهاء قال لبهاء الدولة فى مجلس أنسه على سبيل الدعابة:

ـ «زينك الله يا مولانا فى عين الموفّق.»

وبلغه ذاك، فطالبه بتسليمه إليه ودوفع عنه فلم يندفع، وأقام على الاستعفاء حتى سلم إليه فبالغ فى عقوبته.

ومنها أنّه وقع بين غلمان داره وبين غلمان الخيول الخاصة ما يقع من أمثالهم بين أمثالهم عند اللعب بالصوالجة. فغلق بابه ومنع العسكر من لقائه ولم يقبل مشورة أحد من خواصه وراسل بهاء الدولة فقال للرسول:

ـ «يا هذا، إنّ المخاطبة لى على غلمان دارى قبيح وإنّ التعصّب علىّ لأجل منابذة جرت بينه وبين غلمانه، أقبح وتسليمهم إليه ليشفى صدره منهم أقبح وأقبح، فارجع إليه بالمعاتبة اللطيفة، وعرّفه ما عليه فى هذه المراسلة الطريفة.»

فمضت معه خطوب حتى أمسك.

ومنها أنّ بهاء الدولة كان يجلس فى الجوسق[1] الذى فى دار الامارة بشيراز وهو مشرف على الميدان ويجتاز أبو على فيه [467] راكباً وبين يديه

۱. الجَوْسَق: أصله الفارسىّ: كوشك، أى القصر، أو كلّ بناء عال.

أكابر الديلم مشاة فلا يرى أن يترجّل وبهاء الدولة يراه وينفطر غيظاً منه.

ومنها أنّه أنفذ إليه بعض خواصه فى ليلة نيروز يلتمس منه ثلاثة آلاف درهم فقال للرسول:

ـ «لأىّ حاجة يريدها، للخبز أو للحم أم للشعير؟»

فقال له الرسول:

ـ «أيّها الوزير لا يحسن أن يكون جواب الرسالة غير حمل الدراهم.»

فقال له:

ـ «ما ههنا مال.»

وخاف الرسول أن تجرى منافرة يكون هو سببها فحمل الدراهم من ماله وعرف بهاء الدولة ذلك من بعد.

فانظر إلى عجب الزمان وتقلّب الأعيان: هذا أبو على هو الرجل الذى تكلّف واستدان وحمل إلى بهاء الدولة من بغداد ما امتنع من حمله ابن عمر وابن صالحان، فقربت من قلبه منزلته وعلت لديه درجته ورتبته، ثم ينتهى الأمر به إلى أن يطلب منه بهاء الدولة فى ليلة نيروز هذا القدر النزر مع اتساع حاله وتبذّخه على الديلم بعطائه ونواله فيمنعه. هل ذلك إلّا لحادث قد يغطّى على كل بصر وبصيرة؟[1] فشتان بين ابتداء السعادة وانتهائها لقد أحسنت أيامه فى اقبالها وأساءت فى انفصالها والخبر المأثور مشهور: إذا أقبلت الدنيا على قوم كستهم محاسن غيرهم، وإذا ولّت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم.

وكان أبو غالب ابن خلف فى خلال هذه المضايقات يحول إلى بهاء الدولة الدنانير الكثيرة فى الأوقات [468] المتفرقة سرّاً فتمهدت له بذلك حال

١. والمثبت فى مد: على كلّ بصيرة وبصير.

راعاها، وكانت أكبر وسائله عنده. وتأكدت الوحشة بين بهاء الدولة وأبي عليّ وجرى أمره على ما يأتي من بعد ذكره بمشيئة الله تعالى.

ذكر القبض على نقيب نقباء الديلم

وفي هذه السنة قبض بكران بن بلفوارس على الحسين بن محمد بن مما نقيب نقباء الديلم ببغداد ثم أفرج عنه.

ذكر الحال في القبض عليه

كان بكران مستناباً من قبل بهاء الدولة ببغداد على أمور الديلم. فاستوحش من ابن مما وسعى بينهما سعاة بالفساد. فقبض عليه بغير أمر من بهاء الدولة واعتقله في داره ووكّل به كوشيار بن المرزبان مع جماعة من الديلم وضيّق عليه وقلّد أبا الحسين ابن راشد نقابة النقباء وأنزله في دار ابن مما وقيل: إنّه همّ بالفتك به. فتوسط أبو الفتح منصور بن جعفر أمره وضمن عنه عشرين ألف دينار وأخذه إلى داره وأقام خطوطاً وكفالات بالمبلغ.

وعرف الشريف أبو الحسن ابن عمر ما أقدم عليه بكران فأنكره وأطلق لسانه في بكران وفي ابن راشد بكل عظيمة، وكتب إلى بهاء الدولة وإلى أبي عليّ ابن اسماعيل بذلك.[469]

ذكر سياسة قامت بها الهيبة في الإفراج عنه

لمّا وصلت الكتب إلى أبي عليّ ابن اسماعيل امتعض الامتعاض الشديد وكتب إلى بكران بما أغلظ القول فيه، وإلى الشريف أبي الحسن بانتزاع ابن مما من يده وارتجاع الكفالات المأخوذة بالمال منه. وكتب إلى أحمد الفرّاش بملازمة بكران إلى أن يفرج عن الرجل.

فامتثلت الجماعة مرسومه وأفرج عن ابن مما ورُدَّت عليه الكفالات وانحدر إلى الأهواز وجدّد عهداً بالخدمة وعاد موفوراً.

واستدعى بكران وأنفذ شيرزيل أخوه إلى بغداد ليقوم مقامه وقبض على كوشيار وحلّ إقطاعه ووفيت السياسة حقّها فى ذلك.

وفيها توجه الأمير أبو منصور ابن بهاء الدولة إلى الأهواز.

وفيها استولي الأمير أبو القاسم محمود بن سبكتكين على أعمال خراسان بعد أن واقع عبد الملك بن نوح بن منصور ومن فى جملته من توزون وفائق وابن سمجور بظاهر مرو، وهزمهم وأقام الدعوة لأمير المؤمنين القادر بالله رضى الله عنه، على منابر تلك البلاد وكان آل [سامان] مستمرين على اقامتها للطائع لله.

وورد كتاب أبي القاسم [470] محمود إلى القادر بالله رضى الله عنه، يذكر الفتح على ما جرت به العادة فى أمثاله.

انقضت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وبانقضاء أخبارها ختمنا هذا الكتاب، ومن الله تعالى نرجو أحسن التوفيق والهداية للصواب، وبه سبحانه نعوذ من شر القصد وخيبة المنقلب وآفة الإعجاب

وهو حسبنا ونعم الوكيل

آخر ما صنفه الوزير أبو شجاع رضى الله عنه وأرضاه، والحمد لله كثيراً.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الملحق بذيل الروذراورى

وهو الجزء الثامن من تاريخ
أبى الحسين هلال بن المحسّن بن إبراهيم الصابى الكاتب

(حوادث سنة ٣٨٩ ـ ٣٩٣ هجرية)



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح الحال في قبض أبي شجاع بكران بن بلفوارس على أبي القاسم الحسين بن مما نقيب النقباء

استوحش أبو شجاع بكران من أبي القاسم ابن مما وسعى بينهما سعاة بالفساد. فقبض عليه بغير أمر بهاء الدولة والموفق واعتقله وقيّده ووكّل به أباالعباس كوشيار بن المرزبان وجماعة من الديلم وضيّق عليه ومنع كل أحد من الوصول اليه. وقلّد أباالحسين محمد بن راشد نقابة النقباء وأنزله في دار أبي القاسم بسوق السلاح وتتبّع أسبابه وأصحابه وهمّ على ما قيل بالفتك به وطالبه بما يصححه ويقرره على نفسه. وتوسط أمره أبو الفتح منصور بن جعفر [1] وضمن عنه عشرين ألف دينار وأخذه الى داره. وعرف أبو الحسن محمد بن عمر ما جرى فأمسك إمساك لا راض ولا منكر. فلما قيل له: إن أباالحسين بن راشد يتقلد موضعه قامت القيامة عليه غيظاً منه وتذكراً لما كان عامله به، وأطلق لسانه فى أبي شجاع بكران وابن راشد بكلّ قول وكتب إلى الموفق بمثله. وجاءه ابن راشد فحجبه واجتهد فى استعطاف رأيه فلم يجد إلى ذلك سبيلاً.

ونفذت الكتب الى الموفق بالصورة فامتعض الإمتعاض الشديد منها،

وكاتب أبا شجاع بكران بما أغلظ له فيه. والشريف أبا الحسن بانتزاع أبى القاسم بن مما من يده وارتجاع الكفالات التي أخذهما منه بالمال الذى قرّره عليه. وكتب الى أبى العباس أحمد الفراش باعتناق هذا الامر والمضىّ إلى أبى شجاع بكران وملازمته إلى أن يفرج عنه ويردّ عليه خطوط الكافلين به.

وفعلت الجماعة ما رسم لها وأفرج عن أبى القاسم فى يوم الاثنين الرابع عشر من شهر ربيع الأول، وردت عليه الكفالات بالمال المذكور. ثم انحدر من بعد إلى الاهواز وجدد عهداً بخدمة بهاء الدولة والموفق. وأنفذ الموفق أبا الحرب شيرزيل بن أبى الفوارس إلى بغداد للقيام مقام أبي شجاع وبكران أخيه. فكان وروده يوم الخميس لسبع بقين من شهر ربيع الآخر، وردّ أبا القاسم ابن مما فكان وروده يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأولى وقبض على أبى العباس كوشيار وأقطع إقطاعه وكان من أكبر الأسباب فيما جرى على أبى القاسم.

وفي يوم الأحد لعشر بقين من شهر ربيع الأول برز الأمير أبو منصور بويه بن بهاء الدولة إلى المعسكر بالاتانين متوجهاً إلى الاهواز وسار فى يوم الجمعة بعده.

ووجدت[3] فى بعض التقاويم أنّه انقضّ فى يوم الاحد المذكور كوكب كبير ضحوة النهار.

ذكر إحراق دار الحمولى

وفي يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر ربيع الآخر أحرق العامة دار الحمولى، فمضت بأسرها ولم يبق فيها جدار قائم، واحترق ما كان فيها من حسبانات الدواوين.

ذكر السبب في ذلك

كان أبو نصر سابور قد حاول وضع العشر على ما يعمل من الثياب الأبريسميات والقطنيات بمدينة السلام. فثار أهل العتابيين وباب الشأم من ذلك وقصدوا المسجد الجامع بالمدينة يوم الجمعة العاشر من الشهر ومنعوا الخطبة والصلاة وضجّوا واستغاثوا وباكروا الاسواق على مثل هذه الصورة. فلما كان فى يوم الثلاثاء صاروا إلى دار أبى نصر سابور بدرب الديزج، فمنعهم أحداث العلويين منها وخرجوا من درب الديزج الى دجلة وطلبوا من جرى رسمه بالكون فى دار الحمولي من الكتاب والمتصرفين. فهربوا من بين أيديهم وطوحوا النار فى الدار وأهمل إطفاؤها فاتت على جميعها.

وورد أبو حرب شيرزيل ناظراً فى البلد على ما قدمنا ذكره فقبض على جماعة من القامة اتهموا بما جرى من الحريق وصلب أربعة أنفار على باب دار الحمولي، وذلك في يوم الخميس الذى دخل فيه. واستقر الأمر على أخذ العشر من قيم الثياب الابريسميات خاصة، ونودى بذلك بالجانب الغربى فى يوم الأحد الرابع من جمادى الأولى وبالجانب الشرقى فى يوم الإثنين. وثبت هذا الرسم ورتّب فى جبايته ناظرون ومتولّون وأفرد له ديوان فى دار بالبركة. ووضعت الختوم على جميع ما يقطع من المناسج ويباع ويختم. واستمرت الحال على ذلك إلى آخر أيام عميد الجيوش أبى على ثم أسقطه وأزال رسمه على ما سنذكره [4] فى موضعه.

وفى يوم الجمعة لستّ بقين منه توفّى أبو القاسم ابن حبابة المحدث

وصلّى عليه أبو حامد الإسفراينى بمسجد الشرقية[١].

وفى يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى خلع على الشريف أبى الحسين محمد بن على بن الحسن المربنى من دار الخلافة ولقّب: نقيب النقباء.

وفى يوم الإثنين الثانى من جمادى الآخرة توفّى أبو الحسين المتطبب تلميذ سنان[٢].

وفى رجب قلد أبو العلاء الحسين بن محمد الاسكافي الخزائن والاستعمال فيه.

وفيه انحدر أبو شجاع بكران الى واسط.

وفى يوم الخميس لاثنتى[٣] عشرة ليلة بقيت من شعبان توفّى أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبدالله العلوى بالكوفة.

وفى يوم السبت الرابع من شهر رمضان توفّى أبو محمد حسان بن عمر الحريرى الشاهد.

---

١. وفى تاريخ الاسلام: ابن حبابة هو عبيدالله بن محمد بن اسحق بن سليمان المتوثى البزاز روى عنه أبو محمد عبدالله بن محمد بن هزامرد الصريفينى كتاب الجعديات وابو حامد هو الامام أحمد بن أبي طاهر محمد المتوفى سنة ٤٠٦ وفي ترجمته في تاريخ الاسلام: قال أبو حيان التوحيدى فى رسالة ما يتمثل به العلماء: سمعت الشيخ أبا حامد يقول: لا تعلق كثيراً مما تسمع منى فى مجالس الجدل فان الكلام يجرى فيها على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالبته فلسنا نتكلم فيها لوجه الله خالصاً ولو أردنا ذلك لكان خطونا الى الصمت اسرع من تطاولنا فى الكلام وان كنا فى كثير من هذا نبوء بغضب الله تعالى فانا مع ذلك نطمع فى سعة رحمة الله (مد).

٢. هو ابن كشكرايا وقال فيه بن ابى اصيبعة ١:٢٣٨ انه كان فى خدمة سيف الدولة ولما بنى عضدالدولة البيمارستان ببغداد استخدمه وزاد حاله. وله قصة مع جبرئيل بن بختيشوع وردت فى تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص ١٤٩ (مد).

٣. فى مد: لاثنى.

مقتل محمد بن عليّ الحاجب

وفي ليلة الجمعة مستهلّ شوال قتل أبو عبدالله محمد بن عليّ بن هدهد الحاجب الناظر فى المعونة.

شرح الحال فى ذلك

جرت بين ابن هدهد وبين أبي الحسن ابن رهزاذ الأحول نبوة لأمر سأله فيه وردّه عنه، وتزايد ما بينهما إلي أن بذل أبو الحسن فيه بذلاً كثيراً. فقبض أبو نصر سابور عليه وسلّمه إليه واعتقل ابو الحسن في داره. فلما كان فى ليلة يوم الجمعة كبسه العيارون وقتلوه واتهم ابن رهزاذ بأنه وضعهم على ذلك. فقبض عليهم وهم الشريف ابو الحسن محمد بن عمر بأن يقيده به. فسأله أبو القاسم ابن مما فى بابه وأخذه إلي داره وكتب إلي الموفق بما جرى ووقف الأمر على ما يعود من جوابه ثم أفرج عنه.

وفى يوم الثلاثاء لخمس خلون منه قلّد أبو الحسن على ابن أبى علىّ المعونة بجانبى مدينة السلام وخلع عليه. وفى هذا الشهر [5] قصد ابو الحسن على بن مزيد أبا الفواس قلج بدير العاقول، فانهزم من بين يديه ونهب البلد.

وفي يوم الاحد لليلتين خلتا من ذى القعدة ضربت الدراهم التى سمّيت «الفتحية».

وفي يوم الإثنين العاشر منه ورد قاضي القضاة أبو الحسن عبدالجبار ابن أحمد وأبو الحسين على بن ميكال حاجين وتلقّاهما القضاة والفقهاء والشهود ووجوه الناس وأبو القاسم ابن مما وأصحاب الشريف أبى الحسن محمد بن عمر وابى نصر سابور وروعيا بالأنزال والملاطفات.

مقتل أصحاب محمد بن عناز

وفى ذي الحجّة قتل أصحاب أبي الفتح محمد بن عناز: زهمان بن هندى وأولاده دلف ومقداد وهندى.

شرح الحال فى ذلك

حدثنى أبو المعمر ابراهيم بن الحسين البسامي قال: كان زهمان مستولياً على خانقين وما يجاورهما. فلما قتل المعلم عليا ابنه ضعف أمره ولان غمزه. وعاد أبو الفتح محمد بن عناز من حرب بنى عقيل بالموصل مع أبى جعفر الحجاج فقلّد حماية الدسكرة وجرت بينه وبينه مجاذبات ومنازعات والأيام تقوّى أبا الفتح وتضعف زهمان، وكان منه فى قصده ونهبه مع أبى على ابن إسماعيل على ما قدمنا ذكره.

وانتهت الحال بينهما الى الصلح والموادعة والاختلاط والألفة وأرخى أبو الفتح من عنانه وأعطاه من نفسه كل ما تأكد به أنسه. فصار إليه هو وأولاده وتمكن منهم فقبض عليهم ونقلهم إلى قلعة البردان فاعتقلهم فيها وتفرق أصحابه وملك عليهم نواحيهم.

ومضت على ذلك مدة فثار أولاد زهمان وكسروا قيودهم وحاولوا الفتك بالموكلين بهم والاستيلاء على القلعة. فصاح [6] الموكلون واجتمع اليهم من عاونهم فقتلوا الثلاثة المذكورين من أولاد زهمان بحضرته وأخذوه فجعلوه فى بيت وسدّوا بابه وكانوا [يدخلون][1] من كوّة فيه قرصة من شعير وقليل ماء، فبقي أيّاماً ومات.

---

١. ما بين المعقوفتين من مد.

وقد جرت عادة الشيعة في الكرخ وباب الطاق بنصب القباب وتعليق الثياب وإظهار الزينة في يوم الغدير وإشعال النار في ليلته ونحر جمل في صبيحته. فأرادت الطائفة الأخرى من السنّة أن تعمل لأنفسها وفي محالّها وأسواقها ما يكون بإزاء ذلك. فادّعت أنّ اليوم الثامن من يوم الغدير كان اليوم الذي حصل فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر رضي الله عنه، في الغار وعملت مثل ما تعمله الشيعة في يوم الغدير.[١] وجعلت بإزاء يوم عاشوراء يوماً بعده بثمانية أيام نسبته إلى مقتل مصعب بن الزبير وزارت قبره بمسكن كما يزار قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما، بالحائر. وكان ابتداء ما عمل من يوم الغدير[٢] في يوم الجمعة لأربع بقين من ذي الحجة.

وحج بالناس في هذه السنة أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر. وحج فيها الوزير أبو منصور محمد بن الحسن بن صالحان والشريف المرتضي أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي[٣] والرضي ابو الحسن أخوه، والوزير أبو علي الحسن بن أبي الريّان حمد بن محمد.

وفي هذه السنة حصل عمدة الدولة ابو اسحق ابراهيم ابن معز الدولة بالموصل وارداً من مصر وكثر الارجاف له وبه وأقام مديدة ثم سار إلى الرّي وقصد أبرقويه وتلك الأعمال، وعاد بعد ذاك إلى مصر فكانت وفاته بها.

وفيها وافى برد شديد مع غيم مطبق وريح مغرب متصلة، فهلك من [7] النخل في سواد مدينة السلام ألوف كثيرة وسلم ما سلم ضعيفاً. فلم يرجع إلى جلاله وجملته إلّا بعد سنين.

---

١. قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٤٢٢: وفي ثامن عشر ذي الحجة عملت الشيعة يوم الغدير وعملت بعدهم اهل السنة الذي يسمونه يوم الغار (مد).

٢. الصواب هو: الغار (مد).

٣. وردت ترجمته في إرشاد الأريب ١٧٣:٥ وأخوه الرضيّ هو محمد (مد).

وفيها استولى الأمير أبو القاسم محمود بن سبكتكين على أعمال خراسان بعد أن واقع عبدالملك بن نوح بن منصور وتوزون وفائق[١] وابن سيمجور[٢] بظاهر مرو وهزمهم وأقام الدعوة لأمير المؤمنين القادر بالله أطال الله بقاءه وقد كان القائمون بالأمر من بنى سامان مستمرين على إقامتها للطائع لله، وورد من الأمير أبى القاسم محمود بهذا الذكر كتاب نسخته بعد التصدير الذى جرت العادة به فى مكاتبة الخلفاء:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

ـ «أما بعد، فالحمد لله العلى مكانه الرفيع سلطانه الواحد الأحد الفرد الصمد العزيز القهار القوىّ الجبار الذى يكفل بإعلاء الحق ورفعه وإخزاء الباطل وقمعه، الحائق بشيع البغي والعدوان مكره اللاحق بفرق الطغيان، قهره وقسره الحاكم لأوليائه بالعلو والاقتدار، الحاتم على أعدائه بالثبور والتبار، المتفرد بجلاله أن يمانع المتعالى بكبريائه أن يدافع يمهل المغتر بأناته استدراجاً ولا يهمل، ويُملى المخدوع بحلمه احتجاجاً ولا يغفل، بيده الخلق والأمر ومن عنده الفتح والنصر، فتبارك الله رب العالمين رب السموات والأرضين. والحمد لله الذى اصطفى محمداً عليه السلام واختار له دين الإسلام، وفضّله على من تقدمه من

---

١. هو عميد الدولة أبو الحسن الامير فتى السلطان نوح بن نصر الساماني، توفّى ببخارا في هذه السنة، وقد ولى امرة هراة مدة عقد بها مجلس الإملاء، وولى بمدن خراسان نيفاً واربعين سنة. كذا في تاريخ الاسلام (مد).

٢. وهو أبو القاسم على بن محمد بن ابراهيم وله أخ يسمي أبا على محمد المظفر توفى سنة ٣٨٧ (مد).

الرسل، وأنار به مناهج الآيات والسبل، وأرسله إلى الخلق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً، فهدى إلى القرآن والتوحيد ودلّ على الأمر الرشيد، وأهاب بالبرية إلى مستقيم الدين وأناف بهم [8] على العلم اليقين. فصلوات الله عليهم أتمّ صلاة نماء، وأكملها بهاء صلاة، ترتقي إليه جل جلاله في أعلى الدرجات، وتحيي روحه في السموات، وعلى آله أجمعين.

ـ «والحمد لله الذى أنشأ سيدنا ومولانا أمير المؤمنين الإمام القادر بالله أطال الله بقاءه من ذلك السنخ الزكي والعرق النقى أحسن منشأ، وبوّأه من خلافته في أرضه أكرم مبوأ، وجعل دولته عالية والأقدار لإرادته مؤاتية، فلا يخالف رايته عدوّ إلّا حان حينه وسخنت عينه، ولا يجيب[1] دعوته وليّ إلّا كان قدحه في القداح فائزاً، وسعيه للنجاح حائزاً، بذلك جرت عادة الله وسننه، ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

ـ «وقد علم مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، حال الماضين من السامانية فما كانوا فيه من نفاذ الأمر وجمال الذكر وانتظام الأحوال واتساق الأعمال، بما كانوا يظهرونه من طاعة أمير المؤمنين ومبايعتهم، وينحلونه من موالاتهم ومشايعتهم. ولمّا مضى صالح سلفهم وبقي خلف خلفهم خلعوا ربقة الطاعة، وشقّوا مخالفة لمولانا[2] أمير المؤمنين أطال بقاءه عصا[3]

١. وفي الأصل يخالف.
٢. وفي الأصل: مولانا.
٣. والمثبت في مد: عصاه.

الجماعة[١]، وأخلوا منابر خراسان عن ذكره واسمه، وخالفوا في إفاضة القول[٢] وحسم عادية الجور والخبل عالى أمره ورسمه، وعمّ البلاد والعباد فسادهم وبلاؤهم، ونهك الرعايا ظلمهم واعتداؤهم.

ـ «ولم استجز مع ما جمع الله لي في طاعة مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، من عِدَّة وعُدَّة، وشكّة وشوكة، وقوّة أقران وإمكان، وكثرة أنصار وأعوان، إلّا أدعوهم إلى حسن الطاعة، ولا أبذل في إقامة الدعوة لمولانا أمير المؤمنين [9] أطال الله بقاءه تمام الوسع والاستطاعة. فدعوت منصور بن نوح إليها وبعثته بجدّي واجتهادي عليها ولم يُصغ إلى إعذار وتذكير ولم يلتفت إلى إنذار وتبصير، ونهض من بخارا بخيله ورجله وحشده. حفله يجمع على أهل الضلالة من أشياعه، ويحشر من في البلاد من أتباعه. فكان من شؤم رأيه وسوء انحائه أن اصطلمه جنده فكحلوه، وبايعوا أخاه عبدالملك وملكوه. وجريت على عادتي مع هذا الأخير أوفد إليه مرّة بعد أخرى وثانية عقب أولى، من يدعوه إلى الرشاد ويبصره من التمسك بطاعة مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه سبل الرشاد. فلم يزده ذلك إلّا ما زاد أخاه استعصاء واستغواء، وتهوّرا في الضلال واستشراء.

ـ «فلما أيست من فيئه إلى واضح الجدد، ورجوعه الى

---

١. جاء في حاشيته: عسا عظفة منك (كذا).

٢. لعله: العدل.

الأحسن والأعود، ورأيته متتابعاً فى عمايته ومتكسّعاً[١] فى مهاوى غوايته، نهضت إليه بمن معى من أولياء مولانا أمير المؤمنين أدام الله علوّه وأنصار الدين فى جيوش يشرق بها الفضاء ويشفق من وقعها القضاء، تزحف فى الحديد زحفاً وتخد الارض جرفاً ونسفا، إلى أن وردت مرو يوم الثلاثاء لثلاث بقين من جمادى الأولى وهو البلد الميمون الذى به ابتدأ إشاعة الدولة العباسية، وزالت البدعة الأموية على أحسن تعبية وأكمل عتاد، وأجمل هيئة، ووليت أمر الميمنة عبد مولانا أمير المؤمنين أخى نصر بن ناصر الدولة والدين فى عشرة آلاف رجل وثلاثين فيلاً، وجعلت فى الميسرة من الموالى الناصرية اثنى عشر ألف فارس وأربعين فيلاً، ووقفت فى القلب بقلب لا يتقلّب، وطاعة مولانا أمير المؤمنين [10] شعارُهُ عن أضداده، وعزمٍ لا ينتقض ودعوة أمير المؤمنين عتاده فى إصداره وايراده، ومعى عشرون ألف فارس من سائف ورامح ودارع وتارس، وسبعون فيلاً، وبرز عبدالملك بن نوح وعن يمينه ويساره بكتوزون أحد غواته وفائق رأس طغاته وعتاته، وابن سيمجور وغيرهم من مساعديه على ضلالته، مستعدين للكفاح مستلئمين فى شكك السلاح، وتلاقت الصفوف[٢] بالصفوف، واصطلت السيوف بالسيوف، وتوقّدت الحرب واحتدّت واضطرمت نيرانها واشتدت، واختلط الضرب بالطعن، وكبا القرن بالقرن، ولم ير[٣]

---

١. تكسّع فى ضلاله: ذهب. تكسّع: تسكّع.
٢. والمثبت فى مد: الصعوف.
٣. والمثبت فى مد: لم يرى.

إلّا تهاوى الصوارم على حجب الجماجم وأوداق النبال، في أحداق الكماة والابطال. وأهبّ الله ريح الظفر لأوليائه وكشفوا مقانب الأعداء وحملوا[١] فيهم الحتوف وأرووا من دمائهم السيوف، وانجلت المعركة عن ألفى قتيل من شجعانهم وأبطالهم، وألفي وخمسمائه أسير من مشهورى ذادة رجالهم وصناديدهم، واقتفى الأولياء أثار الفلّ من عباديدهم[٢] يقتلون ويأسرون ويسلبون ويغنمون، إلى أن ألقت الشمس يمينها وأبرزت ظلمة الليل جنينها، وعاد الأولياء إلى معسكرهم في وفور من السلامة وتمام من النعمة، وقد ملاوا أيديهم من الغنيمة والنفائس الجمّة، ثم ما نضب منهم أحد ولم ينتقص لهم عدد. و [أكتب] كتابى هذا وقد فتح الله تعالى لمولانا أمير المؤمنين بلاد خراسان قاطبة، وجعل منابرها تذكر اسمه متباهية، وكلمة الحق به عالية والأهواء في موالاته متهادية.

ـ «وبعد فلم أجدّد رسماً في حلّ وعقد وإبرام ونقض، إلى أن يرد من عالى أمره ورسمه ما أبنى الأمر ببنائه، وأحتذى إلى حدائه بإرادة الله سبحانه وتعالى. فالحمد لله [11] العزيز المنّان العظيم السلطان، الذى لا يضيع لمحسن عملاً ولا يغفل عن مسيء وان أرخي له أجلا. ولا يعجزه متغلب بقوّته وحوله ولا يمتنع ممتنع عن سطوته وصوله. ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين رادّ، ولا يصدّ نقمته عن الظالمين صادّ، حمداً يمترى المزيد من إحسانه، ويقتضى الصنع الجديد من امتنانه. وإيّاه

١. وفي الأصل: حلموا.
٢. العباديد والعبابيد (بلا واحد): الفرق من الناس والخيل.

أسأل أن يهنئ مولانا أمير المؤمنين الإمام القادر بالله خير هذا الفتح الجليل خطره الواضح على وجه الزمان غرره. وان يواصل له الفتوح قرباً وبعداً وغوراً ونجداً وبرّاً وبحراً وسهلاً ووعراً، وأن يوفّقني للقيام بشرائط خدمته والمناضلة عن بيضته، إنّه على ما يشاء قدير وبه جدير. فإن رأى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، ان ينعم بالوقوف عليه وتصريف عبده بين أمره ونهيه فعل، إن شاء الله تعالى.»

سنة تسعين وثلاثمائة

اولها يوم الأربعاء والثالث عشر من كانون الأول سنة احدى عشرة وثلاثمائة وألف للاسكندر، وروز آسمان[١] من ماه آذر[٢] سنة ثمان وستّين وثلاثمائة ليزدجرد.

في يوم الإثنين السادس من المحرم توفى أبو الحسين على بن المؤمّل بن ميمان كاتب ديوان السواد.

وفى يوم الجمعة لعشر خلون منه توفّى أبو بكر أحمد بن على السمسار المعروف بأبى شيخ البزاز.

وفى يوم الخميس لسبع بقين منه توفّى القاضى أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي موسى الهاشمي.

احتراق أرسلان البستي

وفى هذا الشهر احترق ارسلان البستي وذاك أنّه كان نائماً في خركاه له

١. روز آسمان: يوم السماء.

٢. ماه آذر: شهر آذر، وهو الشهر التاسع من الشهور الإيرانية.

وبه نقرس مزمن قد منعه الحركة والقدرة على النهضة وفرّاشوه وغلمانه بعيدون منه فسقطت شرارة من شمعة كانت في الخركاه على فراشه فاحرقته وانتبه ولا فضل [12] فيه للقيام من موضعه والنجاة بنفسه فصاح صياحاً حجز الليل ونوم الغلمان[١] عن سماعه، وعملت النار في الفراش والخركاه. فما عرف الخبر إلّا بعد احتراقه وهلاكه.

وفيه خرج الموفّق أبو عليّ إلى جبل جيلويه فى طلب أبى نصر ابن بختيار وانتهى إلى أبرقويه وعاد فى صفر. وفى هذه الخرجة لقّب بعمدة الملك، مضافاً إلى الموفّق، وأذن له فى ضرب الطبل اوقات الصلوات الخمس، ولقّب أبو المغمر ولده بربيب النعمة.

وفى صفر ورد الكتاب من شيراز بتقليب المشطب ابى طاهر سباشى بالسعيد، والإشراك بينه وبين المناصح أبى الهيجاء تختكين الجرجانى فى مراعاة أمور الاتراك فى مدينة السلام.

وفى يوم [الخميس] السابع منه توفّى أبو منصور محمد بن أحمد بن الحوارى بالأهواز.

وفى يوم الإثنين العاشر من شهر ربيع الأول توفّي أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلوى[٢] ودفن في حجرة من داره بدرب منصور مدة، ثمّ نقل إلى المشهد بالكوفة، وحضر جنازته أبو نصر سابور بن أردشير وأبو حرب شيرزيل بن أبى الفوارس، والمناصح أبو الهيجاء تختكين الجرجانى وسائر طبقات الناس.

---

١. فى مد : الغمان.

٢. هو الشريف الجليل بن أبى على عمر بن أبى الحسين يحيى بن الحسين النقيب بن أحمد المحدث ابن عمر بن يحيى بن الحسين ذى الدمعة وذى العبرة ابن زيد الشهيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب، وله قصة مع الوزير المطهر بن عبدالله وردت فى عمدة الطالب، بمبئ ١٣١٨ ص ٢٤٨ (مد).

ذكر ما جرى عليه الامر في تركته وضيعته

لما توفّى انفذ أبو نصر سابور فحظر على ما فى داره وخزانته ووكل باصطبلاته وطلب كتّابه وجهابذته، فلم يجد أحداً منهم. لأنّ أبا الحسن على بن الحسن بن إسحق هرب وهرب الجهبذ معه واستتر الباقون من أصحابه.

وأحضر أبا عبدالله البطحانى العلوى وطالبه بما عنده من وصيته وماله فامتنع من تسليم ذاك وأخلد فيه إلى الإعتلال والإنكار واعتقله اعتقالاً جميلاً. ونفذت الكتب إلى بهاء الدولة والموفق بما تجدّد وكتب أبو الحسن محمد بن الحسن ابن يحيى العلوى[1] وقد كان عاد من الأهواز الى واسط بعد الفتح في أمر الورثة والتركة فعاد الجواب اليه بالإصعاد إلى بغداد والقيام بها مقام أبى الحسن محمد بن عمر. وتقرّر أمر التركة على خمسين ألف دينار تحمل إلى الخزانة.

فحدّثنى أبو القاسم ابن المطلب قال: تقرر الأمر بفارس على خمسين ألف دينار صلحاً عن التركة وأن يكون النصف من الأملاك للخاص والنصف للورثة. ثمّ أفرد قسط السلطان فحصل له به الثلثان لأنّه أخذ عيون الضياع وجمع موجود التركة فلم يف بالتقرير حتى تمم بأثمان أملاك بيعت من جملة ماحصل للورثة من الضياع على أبى على عمر بن محمد بن عمر وأبى عبدالله الحسين بن الحسن بن يحيى وأبى محمد علىّ وابن محمد بن الحسن بن يحيى وأبى على عمر بن محمد بن الحسن بن يحيى.

---

١. أظنّه محمداً كمال الشرف ابن أبى القاسم الحسن الأديب ابن أبى جعفر محمد بن على الزاهد ابن محمد الأصغر الأقساسي ابن أبى الحسن يحيى بن الحسين ذى الدمعة ابن زيد الشهيد، ولّاه الشريف المرتضى نقابة الكوفة وأمارة الحج. فحجّ بالناس مراراً. كذا فى عمدة الطالب ص ٢٣٥ (مد).

وأصعد أبو الحسن بن يحيى إلى بغداد فكان دخوله إياها في يوم الأربعاء الثاني من جمادى الأولى ومعه أبو علي عمر بن محمد بن عمر وأبو الحسن ابن اسحق الكاتب وكان انحدر إلى واسط فلقيه في الطريق وعاد في صحبته وأطلق أبو عبدالله البطحاني وسلّم إليه وراعى أبو الحسن القسط السلطاني من المعمريات وتولّى (أبو) الحسن ابن إسحق النظر فيه.

وارتفع في هذه السنة وهي سنة تسع وثمانين وثلاثمائة الخراجية على ما ذكره أبو القاسم بن المطلب مع حق الورثة وسوى حقوق بيت المال بألفي كرّ ونيّف حنطة وشعيراً وأصنافاً وتسعة عشر ألف دينار وكسر.

وفي يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر ربيع الأول قبل القاضي أبو محمد ابن الأكفاني شهادة أبي القاسم [14] ابن المنذر وأبي الحسين بن الحرّاني وفي يوم الجمعة لليلتين بقيتا منه قبل شهادة أبي العلاء الواسطي.

وفي ليلة يوم الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر وُلد الامير أبو الفوارس ابن بهاء الدولة بشيراز والطالع كوكب من العقرب.

وفي يوم الخميس لخمس بقين منه توفّي أبو عمر أحمد بن موسى العلاف الشاهد بالجانب الشرقي.

وفي يوم الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى خلع على الموفّق أبي علي بفارس بالقباء والفرجيه والسيف والمنطقة والدستي المذهّب، وحمل على دابّة بمركب ذهب وقيّد بين يديه دابّة بمركب مذهّب وبغلة بجناغ نمور ومركب بقبل مذهب وثلاثة أفراس بجلال ديباج، وأعطى دواة محلّاة بالذهب، وحمل معه ترس من ذهب وسائر السلاح وخلع على أبي نصر كاتبه وثلاثة من حجّابه ودوّاتيه وأستاذ داره، وخرج لقتال أبي نصر ابن بختيار ومعه العساكر بعد أن استناب أبا غالب محمد بن خلف بشيراز على مراعاة الأمور وأبالفضل الإسكافي بحضرة بهاء الدولة.

شرح الحال في عود ابن بختيار وما جرى عليه أمر الموفق في قصده إيّاه وظفره به وأمر عسكر ابن بختيار بعد قتله

لما انهزم أبو نصر بن بختيار من باب شيراز صار إلى الأكراد وانتقل إلى أطراف بلاد الديلم. وكاتب الديلم بفارس وكرمان لما استقرت به الدار هناك وكاتبوه واستدعوه واستجرّوه. فصار إلى أبرقويه واجتمعت معه طائفة كبيرة من ديلم وأتراك وزُطّ وأكراد وتردّد [15] في نواحي فارس وتنقل في أطرافها وظهر أمره وشاع خبره وواصل مكاتبة الديلم ومراسلتهم واجتذابهم واستمالتهم. وخرج الموفق أبو عليّ في طلبه إلى جبل جيلويه وانتهى في اتّباعه إلى أبرقويه. وكان يهرب ويراوغ ويدافع ولا يواقف ومضى إلى السيرجان.

فحدّثني أبو عبدالله الفسوي قال: لمّا قصد ابن بختيار السيرجان لم يقبله الديلم الذين بها وكرهوا حصوله عندهم ومقامه بينهم.

وكان أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن بجيرفت فنبا بابن بختيار المقام بهذا المكان وسار إلى خانين والفرخان، وهما ناحيتان بين فارس وكرمان وفيهما خلق كثير من حملة السلاح وفي أكنافهما حلل الزطّ الذين هم أشد الرجالة الفارسيين شوكة وأكثرهم عدة، واستمال منهم طائفة كثيرة وأقبل الديلم وغيرهم إليه أرسالاً من نواحي كورة درابجرد ومن سائر الأصقاع.

وعمل أستاذ هرمز على قصده قبل استفحال أمره، فجمع عساكر كرمان وتوجه لطلبه، وسبقه ابن بختيار الى دشتير، والتقيا في موضع يعرف بزيرل، من ظاهرها واستأمن إلى ابن بختيار كثير من الديلم الذين كانوا مع أستاذ هرمز، فانهزم أستاذ هرمز في خواصه وأقاربه من القوهية وصار الى

السيرجان. ومضى ابن بختيار إلى جيرفت ورتب العمال وجبى الأموال وأنفذ الى شقّ بمّ من استغوى له الجند الذين فيها ودعاهم إلى طاعته وملك أكثر كرمان واستولى عليها وانتشر أصحابه فيها يطرقون أعمالها ويستخرجون ارتفاعها وأستاذ هرمز بالسيرجان ينفذ السرايا إلى النواحي ويكبس أصحاب ابن بختيار [16] ويسلك سبيل الغيلة والمكيدة في طلبهم والإيقاع بهم.

ثم ورد عليه كتاب الموفق بأنّه سائر، ورسم له قصد بردشير وسبق ابن بختيار إليها. ففعل ذاك وحصل بباب بردشير وصعد من كان بها من ديلم ابن بختيار إلى قلعتها ومنعوا نفوسهم فيها وتوجه الموفّق إلى كرمان على طريق درابجرد. فلما وصل إلى فسا عسكر بظاهرها، وعرف ابو عبدالله الحسين بن محمد بن يوسف وهو عامل كورة درابجرد خروجه من شيراز فبادر لاستقباله وخدمته، فوافق وصوله إلى معسكره أن كان نائماً. فما انتبه إلّا بصهيل الخيل وضجيج الأتباع والحشم فشاهد من كثرة حواشيه وضففه وسعة كراعه ورجله ما عظم في نفسه وحمله حسده عليه على أن قبض عليه وعلى أصحابه وأخذه معه محمولاً على جمل، بعد أن احتوى على جميع ماله.

فكان إذا نزل في المنزل أحضره وطالبه وضربه وعذّبه حتى تقدم في بعض الأيام بأن يعلق بإحدى يديه في بعض أعمدة الخيم وأن يحمل على الجمل معلّقاً، وهو مع هذه المعاملة لا يستجيب إلى التزام درهم ولا يذعن بقليل ولا كثير، وكان أكثر ما انتهى به الموفق إليه لغيظه من تقاعده وتماتنه.

فذكر أبو عبدالله أنّه عرف من بعض أصحابه ـ يعني الموفق ـ انه قال:

ـ «ما رأيت أشد نفساً من هذا الرجل فقد عذّب اليوم بكل نوع من العذاب وحلّ الساعة عن الشدّ والتعليق وهو جالس يسرح لحيته بيده وما عنده فكر في كل ما لحقه.»

وعرف ابن بختيار مسير الموفّق، فاستخلف الحسين بن مستر قرابة ملك ديلمان بجيرفت في جماعة من رجاله وسار طالباً لبردشير وعاملاً [17] على التحصن بها، إلى أن تلحق به أصحابه ببمّ ونرماسير، وقد كان كاتبهم واستدعاهم وهم جمرة قوية. فلما توسط الطريق إليها بلغه حصول أستاذ هرمز بها وصعود أصحابه إلى القلعة فعدل الى طريق بمّ ونرماسير وكاتب من بهما من عسكره بالمصير الى دار زين، وتمم هو إليها. فنزلها منتظراً لوصولهم اليه ورحل الموفق من فسا وطوى المنازل حتى أطلّ على جيرفت واستأمن إليه من بها من الديلم لأنّهم لم يجدوا مهرباً ولا منصرفاً وكانوا نحو أربع مائة رجل.

فاستوقف عندهم أبا الفتح ابن المؤمّل وأبا الفضل محمد ابن القاسم بن سودمند العارض وقال لهم:

ـ «قد أقمتهما عندكم ليعرضاكم ويقررا أموركم».

ووصاهما بأن يقتلاهم. فجمعاهم إلى بستان فى دار الإمارة على أن يعرضوا فيه من غد ذلك اليوم ثم جمعا الرجالة الكوج واستدعيا واحداً واحداً على سبيل العرض وقتلاه وكان هذا الفعل منهما ليلاً. ثم خافا أن ينقضى الليل ويدرك الصباح قبل الفراغ فرموا بقيتهم فى بئر كرد كانت فى البستان وطرح التراب فوقهم.

وعرف الموفق من جيرفت خبر ابن بختيار وأخذه طريق بمّ ونرماسير، فخلف أثقاله وسواده واتبعه فيمن خفّ ركابه وثبتت دوابّه وخاطر بنفسه وبالمملكة فى هذا الفعل منه.

فحدثنى أبو منصور مردوست بن بكران، وكان معه وإليه خزانة السلاح السلطانية التى فى صحبته وهو داخل في ثقاته وخاصته قال: كلّت أجسامنا ودوابّنا من مواصلة السير وإغذاذه وترك الإراحة في ليل أو نهار، ووصلنا

إلى جيرفت وما نعرف لابن بختيار خبراً. وقعد الموفق وجمع [18] الوجوه من الديلم والأتراك واستشارهم. فكلّ أشار بالتوقف والتثبت وتجنب المخاطرة بالاقدام والتهجم فامتنع من قبول ذاك فأقام على أمره في الإسراء وراء ابن بختيار واستدعى منجماً كان صحبه من شيراز فقال له:

ـ «أليس حكمت بأنني آخذ ابن بختيار وأظفر به في يوم الاثنين الآتي».

قال: «نعم».

قال: «أين ذاك ونحن على هذه الصورة والرجل مستعجم الخبر وانما بقى من الأيّام خمسة أيام؟»

فقال: «أنا مقيم على قولي في حكمي، ومتى لم تظفر في اليوم الذى ذكرته فدمي لك حلال، وإن ظفرت فأيّ شيء تعطيني؟»

قال [أبو منصور][1]: فتضاحكنا به وهزئنا منه وسار فكان الظفر في اليوم الذي نصّ عليه.

وحدثني أبو نصر السنّي كاتب الموفّق قال:

لمّا عظم أمر ابن بختيار وملك كرمان واجتمع عليه الديلم قلق بهاء الدولة بذلك وطالب الموفق بالخروج لقصده وحربه وكان مخاطباً له على الإستعفاء وقال له:

ـ «لو أجبتك[2] إلى الاستعفاء لما حسن بك ان تتقبّله في مثل هذا الوقت وقد علمت أنّنى لم أخرج من واسط إلّا برأيك ولا وصلت الى ما وصلت إليه من هذه الممالك إلّا برأيك واجتهادك. وإذا قعدت بي في هذه الضغطة فقد أسلمتني وضيّعت ما قدّمته في خدمتي. ولكن تمضي في هذا الوجه وتدفع عنّي هذا العدوّ وتجعل للاستعفاء والخطاب عليه وقتا آخر فيما بعد.»

---

١. ما بين المعقوفتين من مد.

٢. والمثبت في مد: أجبتك.

فلم يمكنه فى جواب هذا القول إلّا الطاعة والقبول، وخلع عليه وسار والديلم والأتراك يخرجون معه أرسالاً بغير مطالبة ولا تجريد، حتى إنّه كان يردّ قوماً منهم فيسألونه ويضرعون إليه فى استصحابهم.

ولمّا حصل بفسا وجد بها جوامرد أبا ذرعانى معتقلاً عند [19] أبى موسى خواجه بن سياهجنك، وهو اذ ذاك والى فسا. وقد كان جوامرد عند إفراج الموفق عنه بشيراز حصل فى جملة خمارتكين البهايى وفارقه وهرب إلى ابن بختيار عند وروده وحصل معه واختص به. ثم أنفذه إلى الغلمان بفسا ليتخبرهم له وأنفذ وندرين بن بلفضل هر كامج إلى الديلم ووندرين ممن كان بفسا وهو وجه متقدم وأصحبهما رقاعاً وخواتيم.

فحدثنى الحسين أبو عبدالله ابن الحسن قال:

أنفذ ابن بختيار وَنْدرين ابن بلفضل إلى الديلم بفسا لاستمالتهم وإفسادهم وموافقتهم على الانحياز إليه والنداء بشعاره. فوصل واستتر فى دار حبنة بن الاسبهسلار ولامج. وكان يحضر عنده طوائف الديلم سراً ويستجيبون له إلى ما يدعوهم إليه ويتسلمون الرقاع والخواتيم منه.

وكان أبو الفضل أحمد بن محمد الفسوى فى الوقت متصرفاً على باب دخول دار (كذا) خواجه بن سياهجنك (سباهجنك؟) لانه كان والى الكورة.

فحدثنى غير واحد أنّ أبا الفضل كان يعشق خادمة فى دار حبنة الذى قدمنا ذكره وتواصله وتزوره فى أكثر الأوقات، فتأخرت عنه. لأنّ حبنة وكّلها بخدمة المستتر عنده. فراسلها أبو الفضل يعاتبها ويستبطئ عادتها فى زيارته.

فحضرته فأخبرته بعذرها وكان عارفاً بالديلم فاستوصفها الرجل فوصفته وعرفه وسألها أن تتلطف فى إدخاله الدار ليلاً وخبئه ليشاهد من يجتمع به.

ففعلت ذلك وحضر الدار سراً وشاهد وندرين وخرج من فوره إلى

وندرش بن خواجه بن سياهجنك فقال له:

ـ «عندى نصيحة تتعلق بالدولة وفيها لوالدك زيادة جاه ومنزلة. فان أحسن إليّ وقرّبني وجعلني من خواجائية الديلم وخلع عليَّ وقدّمني، أخبرته بها.»

فحمله وندرش إلى خواجه [20] أبيه حتى توثق منه فيما اشترطه لنفسه ثم حدّثه حديث وندرين. وكان الوقت ليلاً فأشفق أبو موسى خواجه بن سياهجنك من تزايد الأمر وظهور الفساد وأنفذ وندرش وسياهجنك ابنيه وجماعة من خواصه إلى دار حبنة حتىكبسوها وقبضوا على وندرين وحملوه إليه فقتله.

ووفى لابى الفضل بما كان وعده وكان هذا ابتداء أمر أبى الفضل وتقدمه حتى انتهت به الحال الى ما سنورده في موضعه.

وعرف أبو موسى خبر جوامرد أبى ذرعاني، فقبض عليه واستأذن الموفق في أمره، فرسم له اعتقاله.

قال أبو نصر:

فلمّا حصل الموفق بفسا أحضر جُوامَرْد ليلاً وقال له:

ـ «قد سلمت انني مننت عليك بنفسك أولاً بشيراز وثانياً عندما ظهر من إفسادك فى هذه الدفعة، والآن فإن كان فيك خير وعندك مقابلة لهذه الصنيعة[1] فعلت بك المنزلة العالية الرفيعة.

قال له:

ـ «فيما أمرتني به وجدتني عند إيثارك ورضاك فيه.»

قال: أفرج عنك سرّاً وتمضى إلى ابن بختيار وتظهر له أنّك جئته هارباً

---

١. الجملة تبدو ناقصة.

وتتوصّل إلى أخذه أسيراً. فإذا أطلت عليك أو ألفتك بـه ان لم تـتمكن مـن أخذه، تصير[١] إليّ لالحقك منازل الاكابر من نظرائك».

قال: «أفعل».

وواقفه وعاهده وشرط عليه أن يقلّده حجبة حجاب الأمير أبي مـنصور وخلّاه ليلاً، واشيع من غد بأنه هرب من الإعتقال، وصار جوامرد إلى ابن بختيار وعاود خدمته.

وسار الموفق مجدّاً مغذّاً حتي أطلّ على جيرفت واستأمن إليه من بها من أصحاب ابن بختيار ودخلها ونزل بظاهرها واجتمع إليه أبو سعد فناخسره ابن باجعفر وأبو الخير شهرستان بن ذكى وأبو موسي خواجـه بـن سـياهجنك وغيرهم من الوجوه وقالوا له:

ـ «قد أسرفت أيّها الموفق فى هذا السير الذى سرته وحملت نفسك [21] فيه علي ما لا تؤمن عاقبته وأنت في فعلك بين حالين: إمّا أن تهجم هجوماً ينعكس علينا فقد أهلكت نفسك ونعوذ بالله بيدك وأهلكتنا، وإمّا أن تـظفر بهذا الرجل فقد زال به ما كانت الحاجة داعية إليك والينا فيه. ومتى أمن هذا الملك كان أمنه سبباً للتدبير علينا وامتداد عينه إلى نعمنا وأحوالنا، وتركك الأمر على جملته ووقوفك فيه عند ما بلغته أولى وأصلح.»

فقال لهم:

ـ «قد صدقتم فى قولكم ونصحتم فى رأيكم؛ ولكنّى قد حملت هذا من قصد هذه البلاد على ما خالفت فيه كل أحد من نصحائه وأصـحاب رأيـه ولزمنى بذلك وبحكم ما لبسته من نعمته أن أوفيه الحق فى مناصحته وأبذل له الوسع فى طلب عدوه. ولابد أن تساعدونى وتحملوا على نفوسكم فـى

١. فى مد: وتصير، بزيادة الواو.

انجاز هذا النجاز معي».

فقالوا له:

ـ «لم نقل ما قلناه لنخالف عليك أو نقعد عنك، وإنما أوردنا ما وقع لنا أنه خدمة لك وإذا لم ترد ذلك فنحن طوعك».

وقال أبو نصر: وبينما هو في ذلك حضر من عرّفه أنّ ابن بختيار بدرفاذ وهي على ثمانية فراسخ من جيرفت. فاختار ثلثمائة رجل من الوجوه وذوى القوة والعدة من الديلم والاتراك وأخذ معه الجمازات والبغال والدواب عليها الرجل الخفيف والسلاح الكثير ومن لابد منه من الركابية والأتباع وترك السواد والاثقال والحواشي والحشم بجيرفت وسار.

فلما وصل إلى درفاذ لم يجد بها ابن بختيار. وقيل: إنّه كان بها ومضى إلى سَرْوِستان كرمان. فمضى على طيته ووافي سروستان وقد سار ابن بختيار إلى دارزين فاضطر إلى اتباعه وخبره على صحته كالمستعجم عليه. وكان في ذلك وقد تقدم بضبط الطرق وأخذ كل وارد وصادر اذ أحضر رجل رستاقي[1] معه كتابان [22] لابن بختيار بخط ابن جمهور وزيره: أحدهما إلى أهل سروستان بأن يعدّوا الأنزال والميرة، فإنه على الإنكفاء إليهم عند وصول عسكره من بمّ للتوجه إلى بردشير، والآخر إلى جانويه بن حكمويه أحد الدعاة بجبال جيرفت يقول فيه:

ـ «بلغنا حصول ابن اسماعيل بالسيرجان وأنّه على المسير إلى جيرفت وينبغي أن تأخذ عليه المضيق الفلاني (لطريق بين جبلين لابد من سلوكه إلى جيرفت ويمكن فيه الاعتراض على العساكر بالعدة القليلة ومنعها الإجتياز).»

قال أبو نصر:

---

١. وفي الأصل: إذا حضر رجلاً رستاقياً (مد).

وسأل الموفق الرسول عن ابن بختيار وأين هو[١]؟ قال:

ـ «تركته بدارزين ينتظر وصول عسكره من بمّ ونرماسير.»

فسرّ بما تحقق من خبره وسار من ليلته فيما بين العشاء والعتمة.

فلما قطعنا فرسخين رأينا ناراً تلوح فظننّا أن ابن بختيار قد عرف خبرنا وسار لتلقّينا وحربنا، وانزعجنا واضطربنا وبادر أبو دلف لشكرستان بن ذكيّ ونفر معه لتعرف الحال. فعادوا بعد ابعاد وذكروا أنها نار صيادين وتثاقل الموفق في سيره إلى أن قدّر أن يكون وصوله إلى دارزين عند الصبح. فلمّا قربنا تسرّع عسكرنا وبادر ابن بختيار فركب وجمع أصحابه وحمل على أحد الديلم رماه بزوبين أثبته في جبهته ورمى مرداويج بن باكاليجار فجرح فرسه وصاح واشتلم وتراجع أصحابنا عنه، وتلاحقوا وصفّوا مصافّهم واجتمع أصحاب ابن بختيار ووقفوا يقاتلون ووصل الموفق ـ قال أبو نصر ـ فوقف على ظهر دابّته ومعه الصاحب أبو محمد ابن مكرم وأبو منصور مردوست وأنا وغلمان داره.

فقال أبو محمد:

ـ «انزل أيها الموفق واركب الفرس الفلاني» ـ لفرس كان من عدده.

فقال: «إن نزلت لم آمن أن تضعف قلوب [23] أصحابنا ويظنوا أنّ فعلى ذاك عن استظهار للهرب.»

[قال][٢] وتركنا وسار في غلمان داره حتى خرج على ابن بختيار من ورائه وحمل وصاح غلمانه صياح الأتراك. فقدّر ابن بختيار أنّ الغلمان كثيرون، وارتفع الغبار وحمل أصحابنا من إزاء القوم فكانت الهزيمة. وركب ابن بختيار فرساً كان من عدده وسار طالباً للنجاة بنفسه ومعه جوامرد أبو

١. وفي الأصل: وان هوة.

٢. زيادة إيضاحية من مد.

ذرعاني. فأراد أن يعبر نهراً بين يديه واعتقله جوامرد وضربه بلتّ كان في يده فسقط عن فرسه ونزل ليرفعه على الفرس ويحمله إلى الموفق فتكاثر عليه طلاب النهب وأخذوا فرسه وفرس جوامرد وسلاحه. فترك جوامرد ابن بختيار ومضى طالباً للموفق فلما لحقه قال:

ـ «أنا فلان وقد قتلت ابن بختيار.»

فاستهان بقوله ولم يصدقه وصار يقتص أثر ابن بختيار وعنده أنّه قدّامه وأنفذ مع جوامرد محمد بن أميرويه المجرى ليعرف حقيقة ما ذكره. وقد كان بعض الديلم عرف ابن بختيار فنزل إليه وشاله وأركبه دابة كانت تحته ليحمله إلى الموفق لانه قال له: احملني اليه. وبينما الديلمي في ذلك اعترضه غلام تركي من غلمان قلج، فقال له:

ـ «تريد ان تبقى على من حاربنا ولو ملكونا لما أبقوا علينا.» ـ وعنده أنّ ابن بختيار أحد الديلم. فقال له:

ـ «يا بنيّ، هذا ابن بختيار وأريد أن أحمله إلى الموفّق».

فقال له: «تحمله أنت ويكون الأثر والجعالة التي جعلت لمن يحضره لك».

قال: «لا، ولكن نتشارك في ذلك».

وتراضيا. وعرف قوم من الساسة والأتباع ماهما فيه، فقالوا:

ـ «بل نحن أحق بحمله.»

ووقعت المنازعة فيه وقوعاً انتهى إلى قتله وحزّ رأسه وأن أخذه التركي وركب فرسه وحرك ولقيه محمد بن أميرويه وجوامرد أبو ذرعاني فعادا معه.

فذكر أبو نصر أنّ ابن أميرويه بادر [24] الى الموفق وقد حصل على فرسخ من دارزين وأعلمه الصورة. فانكفأ حينئذ عائداً وجلس على سطح

دار وأحضر رأس ابن بختيار فطرح بين يديه. وصعد وجوه الديلم وهنّأوه[١] بالظفر ودعوا له وفي وجوههم الوجوم وفي قلوبهم الغم إلّا رزمان بن زريزاذ، فانه لمّا رأى الرأس رفسه برجله وقال للموفق:

ـ «الحمد لله الذى بلّغك غرضك وأجرى قتله وأخذ الثأر منه على يدك وحقق رؤياى التى كنت ذكرتها لك.»

قال أبو نصر:

وقد كان رزمان قال للموفق في بعض الأيّام بشيراز:

ـ «رأيت البارحة فى المنام صمصام الدولة وهو يقول لى: امض الى الموفق فقل له حتى يأخذ بثأرى من ابن بختيار.»

ثم نزل الموفق من السطح إلى خيمة لطيفة ضربت له وكتب إلى بهاء الدولة بالفتح كتاباً بخط يده نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

ـ «علقت هذه الأحرف غدوة يوم الإثنين لثلاث ليال بقين من جمادى الآخرة من الموضع المعروف بدارزين على خمسة فراسخ من بمّ وبين يدى رأس ابن بختيار وقد استولى القتل على أكثر من خمسمائة رجل من الديلم. وأما الرجّالة والزطّ فلم يقع عليهم إحصاء. بلّغ الله تعالى مولانا شاهانشاه فى جميع أموره وسائر أعداء دولته نهاية آماله وآمال خدمه وكتابى ينفذ بالشرح ليوقف عليه ويعظم الشكر لله عز اسمه على ما وفق له من هذا الفتح المبارك بمنّه. وقد استوهب البشارة جماعة من

١. والمثبت في مد: وهنوه.

الأولياء المقيمين معي وذكرت ذلك لئلا يوهب شيء منها لغيرها إن شاء الله تعالى.»

قال أبو نصر: وأمرني بإحضار هميان من جملة همايين كانت على أوساط غلمانه الأتراك [25] وفتحه وصبّ دنانير كانت فيه وقال:

- «نادوا من جاء بديلمي فله كذا وبراجل كوجيّ أوزطّيّ فله نصف ذلك.»

فكان يؤتى بالديلمي والراجل فيقتلان على بعد من موضعه ومرأى من عينه حتى قُتل عدد كثير[1]. وحضره نيكور بن الداعي وولد للفاراضي وسألاه في قريب لهما قد كان أخذ وحمل ليقتل. ولم يزالا يخضعان ويقبلان الأرض وهو يقول لهما:

- «قد عرفتم إحساني إليكم وما جعل لكم من الذنوب عند الملك بالتوفر عليكم وهؤلاء القوم طلبوا الملك وساعدوا الأعداء ولا يجوز الإبقاء عليهم والصفح عنهم.»

فبينما الخطاب يجري بينهما وبينه، اذ دخل نقيب لهما فقال:

- «قد قتل الرجل.»

فنهضا من مجلسه وقعدا للعزاء به وصار اليهما معزّياً.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ما دار بين الموفّق وبرنجشير المنجّم

وسألت أبا نصر عن المنجم الذي ذكر أبو منصور مردوست من حكمه ما ذكره فقال:

«نعم. هذا رجل يكني بأبي عبدالله ويعرف ببرنجشير، وكان يخدم

---

١. والمثبت في مد: عدد كثيراً، وهو سهو.

صمصام الدولة. فلما قتل صار فى جملة رزمان بن زريزاد بالصمصامية. وكان رزمان يحضر كثيراً بين يدي الموفق ويؤاكله ويشاربه وينادمه ويؤانسه. فجرى في بعض الليالي عند حصولنا بفسا ذكر للنجوم والأحكام، فقال:

- «معى منجم يدّعى من علم ذلك طرفا. فان رُسم إحضاره أحضرته.»

فقال له الموفق:

- «هاته.»

فاستدعاه. فلما رآه قبلته عينه وقلبه وسقاه، وقال له:

- «ما عندك فيما قصدناه.»

قال: «الظفر[1] لك يا مولانا، وأنت تملك وتقتل ابن بختيار فى اليوم الفلانى.»

قال له الموفق:

- «ان كنت تقول هذا زرقاً لتجعله فألاً محموداً قبلناه، وإن كان عن علم وعلى حكم من أين استدللت عليه؟»

قال: «ما هو زرق، ولكنّه [26] قول على أصل ومعى مولد ابن بختيار وعليه قطع فى اليوم الذى ذكرته لبلوغ درجة قسمة طالعه فى تربيع المريخ.»

فقال له الموفق:

- «إنّ صحّ حكمك خلعت عليك وأحسنت إليك واستخدمتك واختصصتك وإن بطل فبأى شيء تحكم على نفسك؟»

قال: «بما حكمت.»

١. وفي الأصل: المظفر.

[قال][١]: «ولما حصلنا بجيرفت عاودت هذا المنجم الخطاب وقلت له:
ـ «أنت مقيم على ذلك الحكم؟»
قال: «نعم.»
وكان قد جاءنا خبر ابن بختيار بأنّه بدرفاذ فقلت له:
ـ «الرجل على منزل منّا ونحن سائرون إليه الليلة وقد بقى إلى اليوم الذي نصصت عليه خمسة أيام.»
فقال: «أمّا ما حكمت به فأنا مقيم عليه، ولست أعلم ما بقى بينكم وبين ابن بختيار.»
وكانت الوقعة وقتل ابن بختيار في اليوم الذى ذكره.

قال أبو عبدالله الفسوى:

ودفن جسد ابن بختيار فى قبة بدارزين دفن فيها أبو طاهر سليمان بن محمد بن إلياس لما قتله زريزاذ عند عوده من خراسان لقتال كوركير بن جستان[٢] ومضى من كان مع ابن بختيار من الأتراك إلى خبيص وراسلوا الأتراك الذين مع الموفق حتى خاطبوه فى ايمانهم وقبولهم وأجابهم فوردوا واختلطوا بالعسكر.

قال أبو نصر: وسار الموفق طالباً لبردشير وأبو جعفر أستاذ هرمز مقيم فيها على حصار من فى القلعة من أصحاب ابن بختيار. فلما وردها وعرف القوم هلاك ابن بختيار راسلوا الديلم الذين مع الموفق وسألوهم أخذ الأمان لهم ليفتحوا القلعة ويدخلوا فى الطاعة فخاطبوه على ذلك فقال:
ـ «لا أمان لهم عندى إلّا على أن ينصرفوا بمرقعات ويخلوا عن أموالهم

---

١. إيضاح من مد.
٢. وهذا فى سنة ٣٦٠ كما تقدم ذكره.

وأحوالهم.»

فاستجابوا له إلى هذا الشرط. فكان الرجل ينزل هو وولده بمرقعات وكراريز [27] ويركبون الطريق ووقع الإحتواء على ما في القلعة من المال والثياب والرحل والدواب.

قال أبو نصر: وأحضر إلى المعسكر ببردشير من لحقه الطلب وأسر من أصحاب ابن بختيار وفيهم بلفضل بن بويه فتقدم الموفق بأن ضربت له خيمة مفردة، ثم استدعى أبادلف لشكرستان بن ذكي وأبا الفضل ابن سودمند[1] العارض والوقت عتمة فقال لهما:

ـ «أمضيا إلى بلفضل ووبّخاه على مفارقته هذه الدولة وخدمته ابن بختيار وبالغا له في القول والتعنيف.»

وخرجا من بين يديه وبين أيديهما الفراشون بالشموع. وكانت الخيمة التى فيها أبو الفضل (كذا) ابن بويه قريبة من خيمته فنهض وقال لوندرش ابن خواجه بن سياهجنك وكان عنده:

ـ «قم بنا لنسمع ما تقوله رسلنا لبلفضل وما يجيبهم به.»

وقال لي:

ـ «تعرف الطريق الذى يؤدى بنا إلى خيمته على الإصطبل؟»

قلت: «نعم.»

قال: «كن دليلنا.»

ومنع الفراشين من اتباعه ومضى في الظلمة وهو متكئ على يد وندرش وأنا بين يديه، حتى حصلنا من وراء الخيمة ووقفنا وهو قاعد بينى وبين وندرش فسمع أبادلف لشكرستان يعاتبه ويوبخه فقال له:

١ـ والمثبت في الأصل ومد: سودمنذ (بالذال المعجمة).

ـ «يا أبادلف، دع هذا القول عنك فوالله ما بقي أحد من أكابر عسكركم وأصاغرهم إلّا وقد كاتب ابن بختيار واستدعاه وأطاعه ووالاه، حتى لو قلت إنّه ما تأخر عنه إلّا كتاب الملك والموفّق خاصّة لكنت صادقاً.»

وعاد الموفق إلى خيمته وعاد أبودلف لشكرستان وأبو الفضل ابن سودمند[١] بعده ودخلا اليه فقال لشكرستان:

ـ «يا مولانا قد اعتذر فيما كان منه وسأل اقالته العثرة فيه.»

فقال له الموفق:

ـ «وما الذى قاله [28] لكما وحدّثكما به؟»

فورّى لشكرستان ثم صدقه وقال:

ـ «ما فى عسكرك إلّا من هو متهم وما يمكنك أن تأخذ الجماعة بما فعلوه ولا أن تظاهرهم بما استعملوه وطيّ هذا الحديث أولى فى السياسة.»

وحُمل بلفضل بن بويه والديلم المأسورون إلى شيراز عند عود الموفق. فأمّا بلفضل ونفر معه فإنّهم اعتقلوا إلى أن قبض على الموفق ثم أفرج عنهم. وأمّا الباقون فإنّ وجوه الديلم سألوا الموفق فيهم فخلّى سبيلهم.

ونرجع إلى ذكر ما فعله الموفق بعد ذلك ببردشير.

قال أبو نصر:

ثم جمع الديلم الكرمانية من سائر النواحى وقال لهم:

ـ «من أراد المقام فى هذه الدولة على أن يستأنف تقرير ديوانه ويوجب له ما يجوز إيجابه لمثله، فليقم على هذا الشرط وعلى أنّه لا ضيعة ولا إقطاع وإنّما هو عطاء وتسبيب ومن أراد الإنصراف فالطريق بين يديه.»

فاستقرّ الأمر معهم على أن يعرضوا وتُحلّ الإقطاعات التى فى أيديهم

---

١. والمثبت فى مد: سودمنذ (بالذال المعجمة) كما فى المواطن السابقة.

وتستقبل التقريرات[١] معهم كما تستقبل بالعجم الذين يردّون من بلاد الديلم. وجلس لذلك ووجوه الديلم عن يمينه ووجوه الأتراك عن يساره والعرّاض والكتّاب والجرائد بين يديه. فكان يحضر الديلمي الذى له بكرمان السنون الكثيرة وفي يده الإقطاعات الكثيرة وأقلّ المقرّر له: خمسمائة ألف درهم، فيقبّل الأرض ويقف ويسأل عن اسمه واسم أبيه وعن بلده ثم يقرّر له التقرير القريب إلى أن حلّ الإقطاعات كلّها وردّ أصول التقريرات إلى بعضها وصرف الحشو وارتبط الصفو.

ولما فرغ من ذلك صرف أبا جعفر أستاذ هرمز عن كرمان وأخذ حاله الظاهرة لأنه ينقم عليه [29] قبضه على أبي محمد القاسم بن مهدر فروخ، لما كان مقيماً معه بغير إذنه ولا أمره وقلّد أبا موسى خواجه بن سياهجنك الحرب وخلع عليه وحمله على فرس بمركب ذهب وعوّل على أبي محمد القاسم[٢] فى أمر الخراج وخلع عليه وأخذ خطه بتصحيح ثلاثة آلاف ألف درهم من النواحي فى مدة قريبة قررها معه.

واتفق أن ورد عليه كتاب من أبي الفضل الإسكافي يخبره فيه ما غاظه من ذكر الحواشي له عند ورود كتابه بالفتح بالطعن عليه والقدح فيه. فما ملك نفسه عند وقوفه على ذلك، وتداخله من الامتعاض ما أقلقه وأزعجه. واستدعى أبا منصور مردوست وأنفذه إلى شيراز وقاد معه خيلاً وبغالاً وحمله رسالة الى بهاء الدولة يقول فيها:

«قد خدمت الملك أولاً وأخيراً ووفيته حقّ الصنيعة وحكم النصيحة ووجب أن ينجز لي ما وعدنيه من الإعفاء بعد الفتح، فإنّى لا أصلح لخدمة ولا عمل بعد اليوم.»

---

١. في الأصل: تقررات.

٢. والمثبت في مد: القسم.

وأظهر الإنكفاء بعد إنفاذه أبا منصور مردوست، فاجتمع اليه وجوه الديلم الذين يسكن اليهم ويعول عليهم وعرّفوه غلط الرأى فى عوده قبل أن يرتب الامور ويمهدها ويسددها ويهذبها وأشاروا عليه بالتوقف والتوفر على إصلاح الأعمال من جمع الأموال وإذا تكامل له ما يريده بعد مدة حمل إلى بهاء الدولة ما يرضيه به. وكان بين أن يقيم بموضعه ان طاب له المقام، فيه أو يسير إلى أصبهان ويأخذها وينتقل منها الى الجبل أو الى العراق. وحذّروه من الإجتماع مع بهاء الدولة والكون عنده وأعلموه أنه غير مأمون عليه مع خلو ذرعه وأمنه الاعداء. فلم يقبل [30] منهم ما صدقوه فيه ونصحوه به وحمله فرط الإدلال على أن عاد إلى شيراز. وكان دخوله إياها فى يوم الأربعاء الثانى عشر من شعبان.

فحدّثني غير واحد أنّ بهاء الدولة خرج لاستقباله. فلمّا لقيه وخدمه ورجعا داخلين إلى البار، فارقه الموفق فى وسط الطريق وعدل إلى داره والعسكر بأسره معه في موكبه وبقى الملك فى غلمان خيله وخدمه وخاصته وانّ ذلك شق على بهاء الدولة وبلغ كل مبلغ منه وتحدّث به الناس وأكثروا الخوض فيه، وامتنع بهاء الدولة بعد هذا الاستقبال من استقبال أحد من وزرائه.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ونعود إلى ذكر الحوادث على سياقة الشهور

وفى يوم الاثنين الرابع من رجب توفى أبو الحسن أحمد بن على بن شجاع الشاهد.

وفي يوم الاثنين الحادى عشر منه توفّى أبو حفص عمر بن إبراهيم

الكتاني المقرئ[1].

خروج لدفع القرّاد

وفي يوم الجمعة لثمان بقين منه توفي الامير أبو سعد ابن بهاء الدولة ببغداد.

وفي يوم السبت لسبع بقين منه خرج أبو الحسن علي بن الحسن البغدادي وأبو طاهر يغما الكبير إلى بادوريا دافعين لأصحاب قرّاد بن اللديد عنها.

ذكر السبب في ذلك
وما جرت عليه الحال فيه

كان لأبي طاهر يغما إقطاع جليل ببادوريا وانضاف إليه أن يقلّد ولايتها ونازع قراد بن اللديد فيها وأبو الحسن رشا الخلدي اذ ذاك كاتبه والمدبر لاموره وفيه استقصاء في المعاملة وغلظة ولجاج ومنافرة. فاستعمل الإستقصاء مع أبي طاهر يغما والمنافرة والغلظة مع أبي نصر سابور بن أردشير [31] في أمور اعترض فيها وأوامر امتنع فيها وثقل على المقطعين والأكرة، وردماً كان يؤخذ من مال الخفارة والحماية ورقاً قيمة الدينار به مائة وخمسون درهماً إلى العين مصارفة عشرين درهماً بدينار عتيق. فتضاعف التقرير وزاد التثقيل. وعملت لأبي نصر سابور الأعمال في بادوريا وأطمع في مال يحصل له منها: إمّا على الحرب أو على الصلح وأدت الحال إلى خروج يغما والياً للحرب وأبي الحسن البغدادي ناظراً في استخراج الرسوم العربية، وأقاما مدة على ذلك. ووافى قراد ورشا في

---

١. هو عمر بن ابراهيم بن أحمد بن كثير. وفي تاريخ الإسلام أنه قرأ على ابن مجاهد وحمل عنه كتاب السبعة. وليراجع فيه الأنساب للسمعاني ص ٤٧٥ س ٤ (مد).

جمع جمعاه ونزلا بالسندية ويغما وأبو الحسن البغدادى بالفارسية وبينهما أربعة فراسخ. وتطرق أصحاب قراد فقتلوا ثلاثة غلمان من الأتراك يقال لاحدهما: بايتكين الياروخى، وللآخر: الهارونى، وللثالث: المجدر، وصلبوا الهارونى ببيذ على شاطئ نهر عيسى.

فخرج أبو نصر سابور وأيوب حرب شيرزيل بن بلفوارس بالعسكر الى الفارسية وقرب قراد وأصحابه منها وتسرع سياهجنك ابن خواجة بن سياهجنك في نفر من الديلم لمناوشة قوم من العرب. فاستجروه حتى فارق العسكر وحصل عند القرية المعروفة بالكلوذانية على رمية سهم من الفارسية. ثم خرج من ورائه جماعة منهم قد كانوا تكمنوا فى ذرة قائمة هناك فأخذوه أسيراً. واضطرب الناس بذاك وكاتب أبو نصر سابور قلج ـ وكان ببغداد ـ بالخروج، فخرج فى عدّة من الغلمان والأكراد الذين برسمه، وسارت الجماعة إلى السندية وخيموا فى الجانب الشرقى بازائها ومضى قراد إلى حديثة الأنبار وهى على أربعة فراسخ منها. فما مضت أيام يسيرة حتى غضب قلج من شىء سأله فتوقف أبو نصر سابور [32] عنه وخلع خيمه وخلع الغلمان خيمهم معه وعادوا واضطرّ أبو نصر سابور وأبو حرب شيرزيل والديلم إلى العود بعودهم وذلك فى شهر رمضان.

فأذكر وقد ورد علىّ كتاب أبى الحسن رشا يسألنى توسط أمره واستئذان أبى نصر سابور فى ورود صاحب له. فصرت اليه وأقرأته الكتاب فتباعد فى الجواب وقال:

ـ «اكتب اليه وقل له: والله لا قرّرت معك أمراً إلّا بعد أن اشفى منك صدراً.»

وخرجت من حضرته وتوقفت فى كتب الجواب ورد الرسول. فلم تمض ساعة حتى قلع قلج والغلمان ورحلوا فاستدعانى أبو نصر وقال:

ـ «ما الذى أجبت به رشا؟»

قلت: «ما قلته.»

فقال: «وقد مضى رسوله.»

قلت: «لا.»

قال: «ارتجع الكتاب واكتب اليه: بأنّ وطأة الأولياء ثقلت على النواحي ولم أحب إخرابها بتطاول مقامي فيها وإذا كنت قد ندمت على ما مضى واستأنفت الطاعة والخدمة فأنفذ صاحبك».»

وركب عائداً إلى بغداد وكتبت الجواب قائماً على رجلى لأنّ الأمر أعجل عن التلبث والتثبت، وخفنا أن يعرف العرب خبرنا فيكسبوا معسكرنا ويأخذوا من تأخر منّا أو يعارضونا فى طريقنا فيبلغوا أغراضهم منّا مع تفرقنا ودخولنا كما يدخل المنهزمون.

ووصل كتابى إلى أبى الحسن رشا فأنفذ أبا الفضل ابن الصابونى الموصلى واستقرّ الأمر مع المنصرف القبيح والطمع المتجدد على إطلاق سياهجنك فى الوقت وحده واندرجت القصّة على تزايد الفضيحة وتضاعف الأخلوقه. وقد كانت الكتب نفذت إلى الموفق بذكر ما فعل وعاد جوابه ينكره ويمنع من التعرض لبنى عقيل أو هياجهم[1].

وفى يوم الأحد لستّ [33] بقين منه توفّى[2] أبو الحسن على بن محمد ابن عبيد الزجاج الشاهد، وكان مولده فى شهر رمضان من سنة خمس وتسعين ومائتين.

وفى يوم الخميس لليلتين بقيتا منه توفى أبو القاسم عبيد الله بن عثمان

---

١. فى الأصل: هاجتهم.

٢. والمثبت فى مد: توق.

ابن حنيقا المحدّث[١].

وفى يوم الثلاثاء الرابع من شعبان توفّى القاضى ابو الحسن محمد بن عبيد الله بن احمد بن معروف.

وفى يوم الخميس السادس منه توفى ابو عبدالله الحسين بن محمد بن الفراء الفقيه الشاهد بالجانب الشرقى[٢].

ذكر القبض على الموفّق بشيراز

وفى يوم الخميس لعشر بقين منه قبض على الموفّق أبى على ابن اسماعيل بشيراز.

شرح الحال فى ذلك
وفيما تقرّر عليه أمر النظر بعده

لما عاد إلى شيراز على ما قدمنا ذكره أقام على الإستعفاء وأعاد القول فيه وكرّره. وكانت فى قلب بهاء الدولة منه أمور قد ملأته وأوغرته وأحالت رأيه فيه وغيرته، وزال عنه ما كان يراعيه ويراقبه ويحتمله لأجله وبسببه. وخافه الحواشي ومن كان بحضرة الملك لأنه ذكرهم وأطلق لسانه فيهم فأغروه به.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فحدّثنى أبو نصر بشر بن ابراهيم السنى قال:

---

١. قال أبو الفرج ابن الجوزى فى المنتظم: كذا ذكره الخطيب بالنون وهو يعنى (ابن حنيقا) جد القاضى أبى يعلى ابن الفراء لامه. وقال أبو على البردانى: قال لنا القاضي أبو يعلى: الناس يقولون «حنيقا» بالنون وهو غلط. إنما هو «حليقا» باللام (مد).

٢. وفى تاريخ الاسلام انه كان على مذهب أبي حنيفة وانه والد القاضى أبى يعلى شيخ الحنابلة: وأبو يعلى هو محمد بن الحسين ولد سنة ٣٨٠ وفيه قال الخطيب. له تصانيف على مذهب أحمد ودرس وأفتى سنين كثيرة وولى القضاء بحريم دار الخلافة (مد).

لما ورد الموفق قادماً من كرمان أقام على الإستعفاء وواصل مراسلة بهاء الدولة فيه والإلحاح في مسألته إياه. فحضر عنده أبو سعد فناخسره بن باجعفر وأبودلف لشكرستان ابن ذكي وكانا يختصان به في الليلة التي قبض عليه من غدها وقالا له وأبو العلاء الإسكافي حاضر:

ـ «أيها الموفق أيّ شيء آخر ما أنت عليه من ركوب الهوى ومخالفة الرأى في هذا الإستعفاء، وما الذي تريده لنبلغه لك: إمّا بالملك أو بنفوسنا؟ فإن كان قد غاظك من أبي علي ابن أستاذ هرمز [34] أو أبي عبدالله الحسين بن أحمد فعل أو تريد بهما أمراً فنحن نضع عليهما من يفتك بهما ونقود الملك إلى أخذهما وتسليمهما إليك. أو كان في نفسك غير ذلك فاصدقنا عنه وأطلعنا عليه لنتبع هواك فيه.»

فقال لهما:

ـ «أمّا أبو على ابن استاذ هرمز، فبيني وبينه عهد منذ كوننا بالأهواز وما أرجع عنه، وأمّا أن يكون في نفسي ما أطويه عنكما فمعاذ الله. ولكنني قد خدمت هذا الملك وبلغت له أغراضه وما أريد الجندية بعد ما مضى.»

فقالا ـ وقال أبو العلاء الاسكافي ـ له:

ـ «لا تفعل ودع ما قد ركبته من هذه الطريق وأقمت عليه من هذا اللجاج. فانه يؤدي إلى ما تندم عليه حين يتعذر الاستدراك ومتى قدّرت أنك تعفي وتقيم في منزلك وينظر بعدك ناظر، وقد بلغت من الدولة ما بلغته وتقدمت بك المنزلة إلي ما تقدمت اليه، فقد قدّرت محالاً. والصواب أن تدعنا لنمضي إلى الملك ونعرّفه عدولك عن رأيك ومقامك على خدمته والنظر في أموره.»

فأبي ثم قالوا له:

ـ «فاذا كنت على ما أنت عليه فأخّر ركوبك في غد وارجع فكرك ونحضر

عندك ويستقرّ بيننا في غير هذا المجلس ما يكون العمل به.»

فلم يقبل وركب من غد إلى دار المملكة ومعه العسكر. فلما دخل وجلس في البيت الصلي[١] نظر فيما جرت عادته بالنظر فيه وأوصل جماعة القواد اليه وخاطبهم وقضى حوائجهم.

ثم قال لأبي الفضل ابن سودمند[٢] العارض والنقباء:

ـ «اخرجوا إلى الناس وانظروا في أمورهم وتسلّموا رقاعهم بمطالبهم.»

وترددت المراسلات بينه وبين بهاء الدولة في حديث الإعفاء وبهاء الدولة يدفعه عن ذلك وهو مقيم عليه ومقيم على المطالبة به. ثم رأينا في الدار أموراً متغيرة ووجوهاً متنكرة.

فقال [35] له الصاحب أبو محمد ابن مكرم:

ـ «قد أحسست بما أنا مشفق منه، والرأي أن تقوم وتخرج، فانّ أحداً لا يقدم على منعك، واذا حصلت في دارك دبّرت أمرك بما تراه صواباً لنفسك.»

فقال له: قد خفت أيها الصاحب وخرت فقم وانصرف. فراجعه القول قليلاً ثم انصرف وركب وتبين الموفق من بعد أمره.

[قال أبو نصر][٣] فقال لي:

ـ «امض وخذ لنفسك.»

فقلت: «بل أقيم وأكون معك.»

فزبرني وقال:

ـ «اخرج كما يقال لك.» فخرجت ولم يبق عنده إلّا أبو غالب بن خلف وأبو الفضل الإسكافي:

---

١. كذا في مد. و لعلّه: المصلّى.

٢. والمثبت في الأصل: سودمنذ، بالذال المعجمة.

٣. إيضاح من مد.

فحدثت أنّ الحسين الساباطى الفراش خرج وقال لابى غالب:

ـ «يا أستاذ اخرج.»

وقال لابى الفضل مثل ذلك وأغلق باب البيت وزَرْفَنَهُ ووكّل الفراشين به وأخذ أبو غالب وأبو الفضل واعتقلا ووكل بهما. وشاع الخبر بين الديلم الحاضرين فى الدار فتسللوا واحداً واحداً وتفرقوا فريقاً فريقاً ولم يجر من أحدهم قول فى ذلك. وأنفذ إلى دار الموفق من نقل جميع ما كان فيها من المال والثياب والرحل والسلاح والخدم والغلمان، وإلى اصطبلاته فحوّل ما فيها من الكراع والحمال.

[قال أبو نصر]: وترشح الامين أبو عبدالله للنظر وأمر ونهى فى ذلك اليوم. فلما كان آخره استدعى الصاحب أبو على الحسن بن أستاذ هرمز ـ وقد كان بعد فتح الأهواز اعتزل الأمور وأقام فى منزله واقتصر على حضور الدار فى الأوقات التي يجلس فيها بهاء الدولة الجلوس العام ـ واستخلف له أبو الفضل بن ماوزند فوقفت الامور ولم تكن له ولا لابى الفضل دربة بالتمشية والتنفيذ وخلّى أبو العباس الوكيل وقد كان قبض عليه وقرر أمره وأعيد إلى ما كان ناظراً فيه.

[قال أبو نصر][1]: وكان أبو الخطاب يكره أبا غالب ابن خلف ولا يريده فقال له أبو منصور مردوست: [36]

ـ «أراك تكاتب الوزير أبا العباس ابن ماسرجس وغيره فى الورود ليردّ اليهم النظر في الأمور وقد عوّلت من الصاحب أبي عليّ على من ليس يحلى ولا يمرّ فيما يراد منه. وهذه أسباب تدعو إلى الوقوف والحاجة الى ردّ الموفق وما كان يمشى الأمر ويخفف فيه إلّا أبو غالب. فلو أطلقته

---

١. إيضاح من مد.

واستخدمته لَترخّي على يده ما لا يترخى على يد غيره وكفينا دخول من لا يؤمن بيننا.»

فقبل منه وأطلقه وجعله خليفة للصاحب أبي عليّ ونظر وكفى. وكان بهاء الدولة يرعى له ما كان يخدمه به فى أيام الموفق والحواشي يحتمونه لانبساطه فى عطائهم وقضاء حوائجهم. ومضت مديدة فأعجب أبا الخطاب تخفيفه عنه، واستمال الجند وتوفر عليهم وأعطته الكفاية والسعادة ما كان له فى ضمنهما وتمسك بأبى الخطّاب وتمسك أبو الخطاب به وتفرد بالأمور وتقلدها وزارة ورئاسة. وخرج الصاحب أبو على من الوسط.

حوادث عدّة

وفى ليلة الجمعة لليلتين بقيتا منه توفّي أبو الحسن محمد بن عبدالله بن أخي ميمى المحدث.

وفى يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان ورد الكتاب إلى أبى نصر سابور بذكر القبض على الموفق وأن يقبض على ولده وأهله وأصحابه وأسبابه فاستعمل الجميل وأنذر ولده وأقاربه حتي انصرفوا عن دورهم وأخذوا لنفوسهم. ثمّ أنفذ إلى منازلهم فكانت خالية منهم وأجاب عن الكتاب بأنّ الخبر سبق الى القوم قبل ورود ما ورد عليه به واقتصر على ان أدخل يده فى ضياعه بطريق خراسان مديدة. ثم كتب من فارس بالإفراج لولده أبى المعمر وأُقرّ أبو نصر [37] سابور وأبو القاسم الحسين بن محمد بن مما وأبو نعيم المحسن بن الحسن على ما كانوا يتولّونه.

وفى يوم السبت لليلتين بقيتا منه توفّي أبو الحسين ابن أبى الزيال الشاهد.

وفى روز أبان من ماه شهريور الواقع فى هذا الشهر أخرج الصاحب أبو

محمد بن مكرّم إلى عُمان متقلداً لها.

وفي روز مهر من ماه شهرير[١] الواقع فيه أخرج أبو جعفر أستاذ هرمز ابن الحسن الى كرمان.

وفي ليلة يوم الإثنين الثالث عشر من شوال احترق سوق الزرّادين بباب الشعير.

وفي يوم الخميس لسبع بقين منه قلد القاضي أبو عبدالله الحسين بن هرون الضبّي مدينة المنصور رحمة الله عليه مضافة إلى الكرخ والكوفة وسقي الفرات وقلد القاضي أبو محمد عبدالله بن محمد الأكفاني الرصافة وأعمالها عوضاً عن المدينة التي كان يليها وقلد القاضي أبو الحسن الخرزي طريقي دجلة وخراسان مضافاً إلى عمله بالحضرة وقرئت عهودهم على ذلك.

وفي هذا الشهر ورد الخبر بأنّ المقلد بن المسيب ملك دقوقاً وخانيجار.

وأقرّ بها أبا محمد جبرائيل الملقب بدبوس الدولة نائباً عنه.

وفي يوم الخميس مستهل ذي القعدة ورد الكتاب من فارس بتقليد أبي علي ابن سهل الدورقي ديوان السواد واستخلافه عليه ابا منصور عبدالله ابن الإصطخري الكاتب فيه.

وفي يوم الأحد الرابع منه توفّي أبو محمد القاسم بن الحسين الموسوي العلوي.

وفي يوم الإثنين الخامس منه تكلّم الديلم في أمر النقد وفساده وكانت المعاملات يومئذ بالورق وقصدوا دار ابي نصر سابور [38] بدرب الديزج على سبيل الشغب.

---

١. شهرير (= شهريور) الشهر السادس من السنة الشمسية الإيرانية.

أقوى الأسباب في تملّك الخانيّة وانقراض السامانيّة

وفي هذا الشهر ورد الخبر بأنّ بغرا خاقان[١] قصد بخارا واستولى عليها ودفع ولد أبي القاسم نوح بن منصور عنها.

وحدثني أبو الحسين ابن زيرك قال: حدثني أبو الحسين ابن اليسع التميمي الفارسي وكان من أعيان التجار قال:

كنت ببخارا حين وردت عساكر الخانية فصعد خطباء السامانية إلى منابر الجوامع واستنفروا الناس وقالوا عن السامانية قد عرفتم حسن سيرتنا فيكم وجميل صحبتنا لكم وقد أطلنا هذا العدوّ وتعيّن عليكم نصرنا والمجاهدة دوننا، فاستخيروا الله تعالى في مساعدتنا ومضافرتنا.

وأكثر أهل بخارا حملة سلاح وأهل ماوراء النهر كذلك. فلما سمع العوام ذلك قصدوا الفقهاء عندهم واستفتوهم في القتال فمنعوهم منه وقالوا:

ـ «لو كان الخانية ينازعون في الدين لوجب قتالهم فأمّا المنازعة[٢] في الدنيا فلا فسحة لمسلم في التغرير بنفسه والتعرض لإراقة دمه. وسيرة القوم جميلة وأديانهم صحيحة واعتزال الفتنة أولى. فكان ذاك من أقوى الأسباب في تملك الخانية وهرب السامانية وانقراض ملكهم ودخل الخانية بخارا فأحسنوا السيرة ورفقوا بالرعية.

وفيه ورد أبو الحسن محمد بن أحمد بن علان العارض من فارس لتجريد الغلمان إلى هناك واجتمع الشريف أبو الحسن ابن يحيى والمناصح أبو الهيجاء والسعيد أبو طاهر وأبو الحسن ابن علان في دار أبي نصر سابور. فأحضروا

---

١. كذا في الأصل والراجح انه أخوه ايلك الخان. انظر تاريخ الإسلام سنة ٣٨٣ (مد).

٢. والمثبت في مد: والمنازعة (بزيادة الواو).

الغلمان وخاطبوهم على الخروج فطالبوا بما تأخر لهم من الأقساط والإقامات وبذل لهم سابور إطلاق القسط لمن يخرج دون من يقيم حتى إذا أعطى المجردين تنظر فى أمر المقيمين وترجح القول ووقف الاستقرار.

وفى يوم الاثنين الثامن عشر من ذى الحجة توفى أبو الفرج المعافى بن زكريا المعروف بابن طرارا بالنهروان وكان رجلاً يعرف علوماً كثيرة[١] وفى هذا يوم الجمعة لليلة بقيت منه توفى أبو عبدالله الحسين بن يحيى بن الحندقوقا الهاشمى عن ست وخمسين سنة وثلاثة أشهر.

وفي اليوم الثالث من الخمسة المسترقة خرج بهاء الدولة إلى كوار وسار منها إلى فسا.

وحج بالناس فى هذه السنة أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر.

ورود طاهر بن خلف كرمان

وفى هذه السنة ورد طاهر بن خلف المعروف بشير يار بك كرمان منافراً لخلف أبيه. ثم تغلب عليها وملكها وانضوى إليه كثير من عساكرها وانتهى أمره إلى الهزيمة والعود إلى سجستان.

شرح ذلك على ما حدثنى به أبو عبدالله الفسوى

وقد سقناه سياقة لم نذكر فيها أيام ما جرى وشهوره لاشكال ذلك علينا. إلّا أنّ المدة على غالب ظنى فيما بين سنة تسعين وثلاثمائة.

وصدر من سنة احدى وتسعين وثلاثمائة.

---

١. قال صاحب تاريخ الاسلام: قال فيه أبو حيان التوحيدى: رأيت المعافا بن زكريا قد نام مستدبر الشمس فى جامع الرصافة فى يوم شات وبه من أثر الضر والفقر والبؤس أمر عظيم مع غزارة علمه (مد).

لما قلد الموفق أبو على أبا موسى خواجة بن سياهجنك أعمال كرمان وصرف من صرف من الديلم على السبيل التى قدمنا ذكرها، صار أبو موسى الى جيرفت فتتبع أموال الديلم المبعدين واستثار ودائعهم وطالب حرمهم وأسبابهم وصادرهم وقبض على جماعة الباقين وقتلهم وطردهم وصلب [40] نفسين من وجوه الكتّاب لإنكاره عليهما تصرفهما مع ابن بختيار وأظهر الإستقصاء والغلظة.

واتفق أن نافر طاهر بن خلف خلفا أباه ونازعه الأمر وجرت بينهما حروب أدّت طاهراً إلى الهرب وقصد كرمان ملتجئاً إلى بهاء الدولة. فلما دخل المفازة التي بين سجستان وبينها ضلّ الطريق فيها ولحقه ولحق من معه جهد شديد. ثمّ خلص على أسوا حال. ولقيه الديلم الفلّ والمنفيون من أصحاب ابن بختيار فأطمعوه[١] فى أخذ كرمان والتغلب عليها وأعلموه أنّ من وراءهم من الديلم على نفور من بهاء الدولة وكراهية له لما عاملهم الموفّق به وأنهم وإياهم يجتمعون على طاعته ويخلصون فى مظاهرته.

فصبا إلى ذلك وحدّث نفسه به وعقد عزمه عليه ولم يكن له قدرة على إظهاره مع الشدة التى لاقاها فى طريقه ونزل نرماسير وكتب إلى أبى الفتح عبدالعزيز بن أحمد العامل بها وبيمّ بأنه ورد منحازاً إلى بهاء الدولة وداخلا فى جملته. فتلقاه أبو الفتح بالجميل وحمل إليه ما يحمل إلى مثله من الأنزال وواصله بذلك مدة من الأيام وكان يزيد له ولمن معه فى كلّ يوم اثنى عشر الف درهم وكتب بخبره إلى أبي موسى خواجة بن سياهجنك وأبى محمد القاسم بن مهدر فروخ.

ثم بدت من طاهر بوادى الفساد ولاحت شواهد سوءالاعتقاد وبلغ ذلك

---

١. وفي الأصل: فاطمعوه.

أبا محمد القاسم وهو ببردشير فانزعج منه وكان يقاربه أكراد قتال يعرفون بالمالكية فاستدعاهم وتوجه معهم الى دارزين وخرج اليهم بما يريده من قصد طاهر والايقاع به فقالوا له:

ـ «هذا رجل قد اجتمع إليه الديلم [41] وكثرت عدته وقويت شوكته وما نستطيع لقاءه ومقاومته ولكننا نسلك سبيل الحيلة عليه ويمضي منا جماعة على وجه الاستئمان اليه فاذا حصلوا عنده طلبوا غرّته فى بعض متصيداته فإنّه كثير الصيد مشغوف بالركوب إليه فى كل وقت فتكون قد بلغت الغرض ولم تركب الخطر.»

فكتب أبو محمد الى أبى موسى خواجة بن سياهجنك بما جرى بينه وبين هؤلاء الأكراد واستشاره فيه فأجابه بـ:

ـ «انّي أعرف بهذه الامور وأملك لها وأولى بها منك، وينبغي أن تخلى بيني وبينها وتدعني وما أدبره منها وتتشاغل بشأنك وتتوفر على ما يتعلق بك.»

فاغتاظ من هذا الجواب وصرف الاكراد وأقام بموضعه من دارزين وصار أبو موسى خواجة من جيرفت اليه على أن يجتمعا ويقصدا طاهراً بنرماسير. فلما حصل على مرحلة من دارزين جمع ابن خلف عساكره فاستشارهم فيما يفعله فقالوا له: أحوالنا ضعيفة وعددنا قليلة ولا فضل فينا للحرب إلّا بعد الاستظهار بالدواب والاسلحة. واستقر الرأى بينه وبينهم على أن يتوجهوا إلى الجروم ويعتصموا بأهلها وهم قوم عصاة متغلبون وفيهم بأس وقوة فصاروا إليها ورجع أبو موسى وأبو محمد إلى جيرفت واستعاد الأكراد المالكية فلم يعودوا. وجمعا من معهم من الجيل وأطلقا لهم المال ووافقاهم على النهوض لقصد الجروم وقصدِ ابن خلف وفى مضىّ ما مضى من الايام ثبت ابن خلف وحصّل لنفسه وللديلم الذين معه عدة وسلاحاً وكراعاً. وتوجه أبو موسى وأبو محمد للقائه فلقياه في القرية المعروفة بنهر خرههرمز

على مرحلة من جيرفت لأنه قد كان سار إليها، وصفّا مصافّهما. [42] وكان من عادة ابن خلف في حروبه أن يتفرد في سرية من غلمانه بعد أن يطعمهم ويسقيهم ويتردّد على مصافّه فيسوى أصحابه ويرتبهم ويتأمّل مصاف من بإزائه فإن وجد فيه خللاً حمل على موضعه. فرأى في بعض تردده ضعفاً في جانب من مصاف أبي موسى فحمل عليه وكسر المصاف منه وقتل جماعة وأسر أبا موسى وقد أصابته ضربة في رأسه وأبا محمد القاسم وثلاثين رجلاً من القواد منهم وندرين بن الحسين بن مستر وشوزيل بن كوس (كذا) وشيرزيل بن علي ومن يجري مجراهم وكفّ عن القتل واستباح السواد وغنم هو وأصحابه منه ما تأثلت أحوالهم به وتمم الى جيرفت ودخلها واستولى على معظم أعمال كرمان وملكها وطالبه الديلم وقصدوه وتكاثروا عنده وأرادوه. وصار الفلّ من جيش بهاء الدولة الى السيرجان واجتمعوا فيها وكانوا عدداً كثيراً وكاتبوا بهاء الدولة بالصورة فانزعج منها وقد كان قبض الموفق قبل هذا الحادث بمديدة.

وعمل ابن خلف على قصد السيرجان فخرج عنها من فيها طالبين شيراز. فلما حصلوا بقطرة ورد عليهم كتاب بهاء الدولة بالتوقف في موضعهم وأعلمهم تجريده أبا جعفر أستاذ هرمز بن الحسن إليهم لتدبير أمرهم وقصد عدوهم. فتوقفوا ولحق بهم أبو جعفر فأخذهم وعدل إلى هراة اصطخر.

فادخل يده في اقطاعات الديلم بفارس وتناول ارتفاعها واستخرج أموالها وأطلق لمن معه ما أرضاهم به واستدعى من بهاء الدولة المدد فأنفذ اليه مردجاوك التركي مع طائفة كبيرة من الاتراك وثلاثمائة رجل من الديلم الخوزستانية ووعده [43] بأن يتبعه بعسكر آخر ورسم له قصد ابن خلف ومناجزته.

فسار في نواحي كورة اصطخر ومدّ يده إلى كل موجود في الاقطاعات

المحلولة وصار الى السيرجان وأقام بها خمسة أيام على انتظار حانويه بن حلمويه (كذا) للزطّي وكان قد استدعاه. فوافاه في عدة وافرة من أصحابه ورحل الى ناختة وهى على عشرين فرسخاً من السيرجان ونزل بها. ورتب فى السيرجان ركابية وقوماً من المجمزين ليبادروا إليه بخبر للعسكر الذى يتوقع خروجه من شيراز فورد إليهم أحدهم وأعلمه بانفصال القوم من شيراز وقربهم من السيرجان وأنهم على إغذاذ السير وطى المنازل.

وكان بنو خواجه بن سياهجنك وأقارب القواد المأسورين يهنجمون فى كل يوم على بهاء الدولة ويطالبونه بتجريد العساكر مع صاحب جيش كبير لاستنقاذهم واستخلاصهم ويقولون: إنّ ابا جعفر أستاذ هرمز شيخ كبير لم تبق فيه حركة ولا نهضة. فجرد المظفر أبا العلاء عبيد الله بن الفضل وضم اليه وجوه الديلم والاتراك من شهرستان بن اللشكرى وأمثاله وأرسلانتكين الكوركيرى وخيركين (كذا) الطيبى ومن جرى مجراهما.

قال ابو عبدالله:

فحدثنى من كان حاضراً مجلس أستاذ هرمز يوم جاءه الخبر بانفصال أبى بالعسكر من شيراز وعنده جماعة من الديلم يأكلون على مائدته أنه لما عرف ذلك اضطرب وخفف الاكل ونهض وقد تقدم بضرب البوق للرحيل فاجتمع اليه مردجاوك ووجوه الاولياء وقالوا له:

ـ «تغرر بنا وبدولة سلطاننا وتحمل نفسك وتحملنا على هذا الخطر الذى يوجب الحزم وتجنّبه والتوقف على الاستظهار [44] الذى هو أولى ما أخذنا به.»

[قال المحدث لابى عبدالله][1] وأبو جعفر يسمع أقوالهم ويقول: اضربوا

---

١. إيضاح من مد.

البوقات، وحملوا.

فلما تردد الخطاب منهم وقلّ إصغاء ابى جعفر إلى ذلك قال له مردجاوك:

ـ «اذا كنت قد أقمت على أمرك فامض لشأنك فإنّنى لا أتبعك.»

فقال له أبو جعفر حينئذ:

ـ «اذا وصلنا اسبهسلار أبو العلاء غداً وفتح كان الاسبهسلار وكنت أنت مردجاوك وصرت انا استاذ هرمز ورجعنا على أعقابنا إلى باب السلطان بالذلّ والخيبة وتصورنا بصورة من لم يكن عنده خير حتى جاء مجوسى فعمل وأغنى.»

هذا لفظ أستاذ هرمز فكان هذا القول حرّك مردجاوك وهزّه وبعثه على متابعته فقال له:

ـ «الأمر لك.»

وسارا حتي نزلا بخشار وقد كان طاهر بن خلف أحسن معاملة أبى موسى خواجة بن سياهجنك ودعا أبا محمد القاسم إلى وزارته والنظر فى أموره، فعلله ودافعه وواصل أبا جعفر أستاذ هرمز بالرسل والملطفات وعرّفه أخبار طاهر ومجارى أموره ومتصرفات تدبيره ومتقرّرات عزائمه.

فلما حصل أبو جعفر بخشار وبينها وبين جيرفت عشرون فرسخاً وبين بمّ[١] مثل ذلك وابن خلف بجيرفت وافاده كتاب أبي محمد يذكر فيه ما عمل عليه ابن خلف بجيرفت من قصده بمّ ويشير عليه بسبقه الى دارزين واعتراضه فى طريقه ـ ودارزين هذه فى سهل يحيط به شعاب وجبال ـ فانفذ أبو جعفر قطعة من جيشه امرهم بأن يكمنوا لابن خلف وأصحابه فى المواضع التى لا يحسون بهم فيها ثم يخرجوا عليهم منها عند تفرقهم فى

١. وفى الأصل: ثم.

السير فيوقعوا بهم فمضوا وفعلوا ذلك وبلغوا فيه المبلغ الذى أدركوا [45] بعض غرضهم به واسروا جماعة من رجاله وقواده ثم عادوا إلى ابى جعفر وقد رحل من خشار إلى سروستان كرمان وهي على اثنى عشر فرسخاً من بم.

وسار ابن خلف إلي بم وتوجه أبو جعفر للقائه وقد رتب المصاف وجعل سيره زحفاً على تأهب واستعداد حتى اذا حصل بدارزين وافاه من عرّفه خروج ابن خلف لتلقيه وقتاله. فماج الناس وخافوا واضطرب الجند وحاروا واجتمعوا على أبي جعفر وقالواله:

ـ «غررتنا وغررت بنا وأشرنا عليك بالصواب فخالفتنا ولم تقبل منا وحملك العجب بنفسك والخوف على اسبهسلاريتك على التوجه فى هذا الوجه قبل وصول المدد إلينا وتحصيلنا فى هذا الموضع على مثل هذه الصورة.»

وبادر الفرسان من الاتراك والاكراد ليعرفوا الخبر فصادفوا ابن خلف قد خرج من بم كالطليعة فى عدة يسيرة ليشاهد عسكر أستاذ هرمز ويحزر عدته. فواقعوه وعاد الى بم وعادوا الى دارزين. وأصبح ابو جعفر والعسكر مُشغِّب عليه وهو متحير فى أيديهم. فبينما هو يلاطفهم ويداريهم أحضره الأكراد رجلاً ذكروا أنّه جاسوس لابن خلف فقال له:

ـ «أنت جاسوس ابن خلف».

قال: «لا ولكنى رسول ديررشت بن ماهويه لصاحب لابى جعفر ببم وهذا كتابه اليك يخبرك فيه بانصراف ابن خلف الى سجستان.»

فلما سمع قوله ووقف على الكتاب أظهره عند العسكر فسكنوا وزالوا عما كانوا عليه من الهنجمة وسار بعد ان قدم جماعة من المعروفية الى باب بم ليمنعوا الناس من دخولها ويعدلوا بهم إلي قرية تعرف بقرية [46] القاضى

على فرسخين منها فى سمت نرماسير ونزل بقرية القاضى واستأمن اليه كثير من الديلم الكرمانية الذين انضووا إلى ابن خلف وكان الموفق قد طردهم فقبلهم ورد عليهم إقطاعهم.

ولما حصل بهذه الناحية اجتمع اليه وجوه العسكر وألحّوا عليه فى اقتفاء أثر ابن خلف وانتزاع الماسورين من يده. فعللهم ودفعهم من يوم الى يوم الى ان عقدوا هنجمة اقترحوا فيها النهوض بهم فى طلبه. فاستدعى الوجوه وقال لهم:

ـ «قد أيّدنا الله تعالى ونصرنا وبلغنا في الظفر غاية ما أمّلنا وقدرنا، وليس يجب ان تقابل ذلك بالبغي وطلب الغاية التي ربما ادّت الى الندامة وقد مضى العدو هارباً من بين أيدينا وان اتبعناه الى رأس المفازة ولززناه فى القتال والمكافحة ورأى المفازة أمامه والعسكر وراءه لم نأمن أن يحمل نفسه على الأشد ويقاتل قتال المستقتل وربما نصر ورجعنا على أعقابنا مفلولين فنكون قد أضعنا الحزم وحصلنا على الندم بعد الفوت.»

فكان هذا القول طريقاً الى سكون القوم ورجوعهم عما كانوا عليه من المطالبة بالمسير. وعاد ابن خلف الي سجستان ومعه أبو موسى خواجه بن سياهجنك وأبو محمد القسم بن مهدر فروخ والقواد المأسورون وانتقل أستاذ هرمز إلى بمّ وأقام بها أياماً والكتب واردة عليه بأنّ المظفر أبا العلاء مجدّ فى المسير الى مستقره.

وحصل أبو العلاء بقرية الجوز وأنفذ حاجبين من حجابه برسالة الى أبي جعفر والعسكر يعلمهم فيها قربه منهم وهم اذ ذاك بقرية القضى ويشير عليهم بالاتمام الى بمّ ليقع [47] الاجتماع بها. وكان غرضه فى هذه الرسالة يعرف ما عند القوم وأن يزور الامر فيما كان وقف عليه من صرف أبي جعفر وردّه

الى شيراز مع الأولياء الشيرازيين والمقام[١] بكرمان ناظراً فيها.

وكان قد صحب أبا العلاء عبدُالله بن عبدالعزيز برسم خلافة الوزارة. فلما وردت هذه الرسالة على أبي جعفر تبين المراد[٢] فيها واستدعى وجوه الديلم سراً وقرر معهم ما يجيبون به عنها. وحضر الرسولان[٣] في الحفل وأعادا القول فقام الوجوه وقالوا:

ـ «هذه البلاد لنا ونحن فتحناها بعد تغلب السجزية عليها وهذا الرجل ـ وأومأوا الى أبي جعفر أستاذ هرمز ـ اسبهسلارنا ومن جائنا فتكناه وفعلنا به وصنعنا ويجب أن تعيدا هذا الجواب وتنصحا لهذا المجوسي حتى ينصرف ولا يفسد أمراً قد صلح ويحلّ نظاماً قد ترتّب.»

وكادوا يثبون بالرسولين حتى خلّصهما أبو جعفر وصرفهما وعادا الى أبي العلاء وعرّفاه ما جرى فكتب الى بهاء الدولة به وعلم أنه لا فائدة في مقامه فعاد مع العسكر الى شيراز. وصار أبو محمد عبدالله بن عبدالعزيز الى ابي جعفر وأقام أبو جعفر والياً وأبو محمد موقعاً عن مجلس الوزارة، ثم أنفذ أبو اسحق ابراهيم ابن احمد بدلاً من أبي محمد.

وكان الوزير أبو غالب محمد بن علي لانحرافه عن أبي علي ابن أستاذ هرمز وأبي جعفر والده قال لبهاء الدولة:

ـ «إنّ بكرمان إقطاعات محلولة وأموالاً موجودة وقد استولى عليها أبو جعفر وأقاربه وتوزعوها وتقسموها.»

وأشار بالاختيار من ينفذ للنظر في ذلك ويقرر الأمر في الاقطاعات وافراد ما يفرد للخاص واجتذاب ما يلوح من الاموال. فعوّل على أبي [48]

---

١. والمثبت في مد: والمقم. وهو خطأ.

٢. والمثبت في مد: المرد.

٣. والمثبت في مد: لرسولان.

الفضل محمد بن القاسم[١] بن سودمند[٢] العارض في الخروج وتولّى هذه الحال وخرج على طريق الكورة.

فلما حصل في جيرفت حمل أبو جعفر الديلم على الهنجمة فعقدوا هنجمة قتلوا فيها عليّ بن احمد بن يحيى وكان أحد الكتاب الكفاة الدهاة وإليه الإشراف على أبي إسحق إبراهيم بن أحمد ونهبوا دور الحواشي وبلغ أبا الفضل ذلك، فقبض على أبي القاسم الطويل الحاجب صاحب أستاذ هرمز وضربه ألف عصا وراسل أستاذ هرمز بالانكفاء الى شيراز وأنّه متىلم يفعل قبض عليه. فخرج وصار الى حضرة بهاء الدولة.

وتوسط أبو الفضل الاعمال وأقام بها ستة أشهر وأقام الهيبة ورتّب الأمور وأسقط جماعة من الديلم وطردهم وقرر للباقين أقساطاً وسلم بها الى أكثرهم ضياعاً وأفرد للخاص ما كان له ارتفاع وافر وقبض على الإصفهبذ بن ذكي وكنجر بن العلوي وكانا خرجا في صحبته من شيراز.

قال أبو عبدالله:

فحدثني بعض الحواشي المختصين، أنّ أقوى الدواعي كان في إخراج أبي الفضل ابن سودمند الى كرمان ما كان في نفس بهاء الدولة على الاصفهبذ بن ذكي لانه كان واجهه في سنة الصلح مع الديلم بالاهواز بالقول القبيح وامتنع من البيعة له إلّا بعد المراوضة الطويلة والتعب الكثير وانه دبّر ما أراده من القبض عليه وشفاء صدره منه باخراج أبي الفضل واخراجه معه حتى تمّ له ببعده ما حاوله فيه. وعاد أبو الفضل الى شيراز على طريق الروذان ومعه خمسمائة ألف درهم وشيء كثير من السلاح والثياب.

---

١. في مد: القسم.

٢. والمثبت في مد: سودمنذ (بالذال المعجمة).

[49] ذكر ما جرى عليه
أمر طاهر بن خلف بعد عوده

لمّا انصرف من بم دخل المفازة وصار إلى سجستان ومعه أبو موسى خواجة بن سياهجنك وأبو محمد القاسم بن مهدر فروخ والديلم المأسورون وحصل على باب البلد. فخرج اليه خلف أبوه وقاتله وجرت بينهما وقائع كثيرة فى أيام متتابعة ووقف الأمر فى المناجزة. وراسل الديلم المأسورون طاهر ابن خلف وكانوا من الأعيان المذكورين والشجعان المشهورين وبذلوا له فتح البلد وأخذه اذا اطلقهم وأعطاهم من السلاح ما يرضيهم وشرطوا عليه تخليتهم اذا بلغ مراده بهم ليرجعوا الى منازلهم. فتقبل البذل منهم والتزم الشرط لهم وأفرج عنهم وسلّم اليهم سلاحاً اختاروه وقاتلوا قتالاً شديداً وأبلوا بلاء كثيراً ونصرهم الله تعالى وأجرى الفتح على أيديهم وملك طاهر وصعد أبوه إلى قلعة له تعرف بقلعة الحبل، على خمسة فراسخ من البلد، وتحصن بها ووفى طاهر للديلم بما وافقهم عليه وأعطاهم وخلع عليهم وحملهم وزودهم وخلّى لهم عن سبيلهم. وبقي أبو موسى وأبو محمد فى يده. فأمّا أبو موسى، فإنّه قرّر عليه صلحاً صح له بعضه وكان أولاده على حمل باقيه وتوفيته، فعاجلته المنية وترامى به جرح الضربة التى أصابته فى رأسه الى الوفاة، لأنّها وقعت فى موضع ضربة قديمة. واستقام أمر طاهر وأقام أبو محمد القاسم عنده. وشرع خلف فى أن يفسد على ابنه ويصرف الديلم عنه. فلم يتمّ له ذاك لأنهم [50] كانوا مائلين اليه وحاول الفساد للرعية أيضاً. فكانت رغبتهم فى ابنه أفضل منها فيه لسوء معاملة الشيخ لهم وقبح سيرته بهم وإن أظهر من التمليس ما كان يظهره حتى اذا اعتاد الفساد على هذه الوجه عدل الى اعمال الحيلة وراسل ابنه وقال له :

ـ «قد اخذنا من المقاطعة بأكثر حظّ وانتهينا فيها الى أبعد حدّ. وتأملت امرى فلم أجد لى ولداً باقياً غيرك ولا خلفاً مأمولاً سواك، ووجدتنى قد كبرت وتقضّى عمرى إلّا القليل وقد رأيت أن أسلم الأمر والبلد والقلعة وما لى فيها إليك وأزيل الوحشة العارضة بيني وبينك وأتوفّر على أمر الله تعالى فى المدة الباقية لى معك وأقتصر على البلغة من العيش فى كنفك ومن يدك. فإنّى لست آمن أن يقضي الله تعالى عليّ قضاءه، فيستولى على هذه القلعة من فيها ويخرج مالى ونعمتى وما جمعته طول تدبرى إلى غير ولدى ومن بقاؤه بقاء ذكرى.»

ولم يزل يراسله ويطمعه حتى استغرّه وخدعه وتقرر بينهما أن يركب ابنه إلى أسفل القلعة وينزل خلف ويجتمعا على قنطرة كانت لخندق من دونها ويشاهد كل واحد منهما صاحبه ويوصي خلف إليه ويعرّفه ماله ومواضعه. وركب طاهر وحده وجاء الى تحت القلعة ونزل خلف على مثل هذه الصورة والتقيا على القنطرة وقبّل طاهر يد أبيه وعانقه أبوه وضمّ رأسه إلى صدره وكان تحت القنطرة فى حافات الخندق دغل كثير من بردى وحشيش يستتر فيه المستتر به، وقد كمّن له خلف مائة رجل فى أيديهم سيوف. فلما ضمّه خلف إلى صدره بكى بكاء أجهش فيه حتى علا صوته، وخرج القوم [51] فأمسكوا طاهر وأصعدوا به الى القلعة وقتله خلف وغسله بيده ودفنه. وتأدى الخبر الى أصحاب طاهر فاستسلموا لخلف وسلّموا البلد إليه وعاد إلى موضعه منه.

وتوصّل أبو محمد القسم الى أن أحضر جمازات وأكراداً وجعلها على قرب منه ثم خرج وركبها وهرب وصار الى شيراز فقلد العرض ووزر بعد ذلك على مانذكره في موضعه.

وكان أعداء خلف يراقبونه لأجل طاهر ابنه وما ظهر من نجابته ورجلته

وشجاعته ونجدته. فلما هلك طمع فيه وجرّد إليه يمين الدولة أبو القاسم محمود عسكراً واستولى على بلده وقلعته وأخذه الى خراسان فجعله بالجوزجان مخلى فيها كمعتقل ومطلقاً كمحبوس، وأجرى عليه ما احتاج اليه لاقامته ونفقاته، ثمّ توفى بعد مدة وحصلت سجستان مع خراسان إلى هذه الغاية[١].

سنة احدى وتسعين وثلاثمائة

اولها يوم الأحد وأول يوم من كانون الأول سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة وألف للاسكندر وروز رام من ماه آذر سنة تسع وستين وثلاثمائة ليزدجرد.

فى يوم الأربعاء الحادى عشر من المحرم حضر الأتراك دار أبى نصر سابور بن أردشير بدرب الديزج وتردد بينه وبينهم خطاب فى أمر التجريد أدّى الى توثيبهم به على ابى الحسن ابن علان العارض وهرب أبو نصر ووقع الفتنة بين الغلمان والعامة.

شرح الحالة فى ذلك

قد ذكرنا ورود أبى الحسن ابن علان لاخراج الغلمان إلى فارس وكان أبو نصر سابور قد حصل من المال ما سلّمه الى أبى الحسن وأعدّه عنده لينصرف [52] فى نفقاتهم وما يتقرر عليه أمورهم.

---

١. قال صاحب تاريخ الاسلام: وتوفّى خلف شهيداً فى الحبس ببلاد الهند رحمه الله فى قبضة محمود بن سبكتكين وكان محمود فى سنة ٩٣ قد حاصره ونازله واستنزله بالأمان من قلعته ووجهه الى الجوزجان فى هيئة ووفور هيبة. ثم بلغ السلطان عنه بعد أربع سنين من ذلك انه يكاتب ايلك خان الذى استولى على بخارا، فضيق عليه السلطان بعض الشىء إلى أن مات فى رجب سنة ٣٩٩ وورثه ولده أبو حفص (مد).

فلما كان في يوم الاربعاء المذكور حضر أبو الحسن دار ابى نصر وحضر الغلمان. فجدد الخطاب معهم فى الخروج وجد بهم فيه. فامتنعوا منه إلّا بعد أن توفّوا استحقاقاتهم وتردد فى ذلك ما انتهى الى بذل ابى نصر للخارجين اطلاق الثلث مما وجب لهم بالحضرة والثلث بالأهواز والثلث الباقي بشيراز، وأن يكون الاطلاق العاجل لمن يخرج خاصة. فأغضبهم ذلك ووثبوا بأبى الحسن وهجموا على أبى نصر وهرب من بين أيديهم. وبادر العلويون والعامة فدفعوهم عن الدار ورموهم بالآجرّ من السطوح وخرج الأتراك مغيظين محفظين وثارت الفتنة بينهم وبين أهل الكرخ واجتمعوا من غد وصاروا الى قتال العامة من القلايين وباب الشعير وعظم الامر وانضوى الى الأتراك اهل السنة من سائر المواضع وصار أهل الكرخ إلى ابى الحسن ابن يحيى العلوى وشكوا اليه حالهم وما قد أظلّهم. فقال لهم:

ـ «لا قدرة لى على هؤلاء القوم ولا طاقة لى بهم.»

وأنفذ ابو القاسم ابن مما جماعة من الديلم فأجلسهم على القنطرة لمنع القتال من تلك الجهة وعبر أبو الحسن ابن يحيي فى اليوم الثالث الى دار المملكة ومعه وجوه العلويين والفقهاء الذين بالقطيعة واجتمعوا مع وجوه الأتراك وأعلموهم أنّهم لا يعلمون لابى نصر سابور خبراً ولا عندهم محاماة عنه وسألوهم كفّ الأصاغر عن الفتنة والإبقاء على المستورين من الرعية وأنفذوا بالمعروفية وصرفوهم. وطالب الأتراك أبا الحسن ابن علان بإطلاق ما حصل من المال فى يده فى الأقساط والتمس الديلم ما يجب لهم فيه فسلم وذاك فرق وبطل [53] التجريد.

وتصور أبو نصر سابور وهو فى الاستتار وقوع التوازر عليه واتفاق الجماعة من أبي الحسن ابن يحيي وأبي يعقوب أخيه وأبي القاسم ابن مما على التجعد منه والعداوة له. فخرج عن بغداد الى القصر ومنها الى سورا ثم

الى البطيحة. وكتب الى بهاء الدولة بما أوغربه صدره عليهم ونسب فيه جميع ما جرى من الفساد وأخذ المال ووقف أمر التجريد واثارة الفتنة اليهم.

وفي يوم السبت لليلتين بقيتا منه توفى مرمارى بن طوبى الجاثليق[١].

وفي روز خرداذ من ماه ذى[٢] الواقع فى هذا الشهر عاد بهاء الدولة من فسا إلى شيراز.

ولما فارق أبو نصر سابور موضعه ونظره خاف أبو الحسن على ابن أبى على، لأنه كان صاحبه ومختصاً به، فاخفى شخصه وبعد عن البلد. وزادت الفتنة وتسلط أهل الذعارة فقلّد أبو الفوارس بهستون ابن ذرير الشرطة ونزل دار أبي الحسن محمد بن عمر التى على دجلة وقبض على جماعة من العيارين وقتلهم وكبس دورهم ومنازلهم واستعمل السطوة وأقام الهيبة فاستقام الأمر به. وحدث من الأتراك معارضة له فى بعض ما فعله، فاستعفى وعاد إلى داره بالجانب الشرقي وأقام ابو القاسم ابن العاجز على النظر.

ذبح المقلّد على فراشه

وفي ليلة الاربعاء لسبع بقين من صفر قتل حسام الدولة أبو حسان المقلّد بن المسيب العقيلي بالأنبار غيلة.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

١. هو من أهل الموصل من أولاد الرؤساء والكتّاب وتربى فى الدواوين وكتب لبنت أحمد امرأة ناصر الدولة ولما اضطربت أمور بنى حمدان لقبض أولادها على أبيهم بغير إذنها وسائر الأخوة ووقع بينهم القتال اثر الترهب. كذا فى ترجمته في كتاب المجدل لماري بن سليمان طبع فى رومية الكبرى سنة ١٨٩٩ المسيحية ١٠٤:١ وفيه أنه مات سنة ٣٩٠ وأن مدة جثلقته أربع عشرة سنة قمرية (مد).

٢. ذىٰ (= دىٰ): الشهر العاشر من السنة الشمسية الإيرانية.

ذكر الحال في ذلك

قد ذكرنا ما كان من غلمانه الأتراك في خروجهم من داره وأخذهم دوابّه وهربهم منه وأنه تبعهم وظفر بهم وقتل وقطع أحد عشر غلاماً منهم وأعاد الباقين إلى خدمته وهم على خوف منه وإشفاق من عظم هيبته وسوء [54] معاملته. فقيل: إنّ أحدهم راعى الفرصة منه وذبحه في الليلة المذكورة وهو سكران وهرب. وقد قيل: إنّ أحد فراشيه فعل ذلك به، إلّا أنّ الغلام أثبت.

وقد كان المقلد راسل جماعة كثيرة من وجوه الأولياء ببغداد واستمالهم ووعدهم وأطمعهم وحدث نفسه بدخول الحضرة والإستيلاء على المملكة وأصّل في ذلك أصولاً كاد غرضه بها يتم. فاتفق من أمر الله تعالى جل وعزّ مالا يغالب فيه.

ذكر ما جرى عليه الأمر
بعد قتله على ما حدثني به ابوالفتح عيسى بن إبراهيم

قال لما قتل المقلد لم يكن قرواش حاضراً بالأنبار وهو الاكبر من أولاده وكانت خزائنه بها وعساكره بسقي الفرات. وخاف أبو الحسين عبدالله بن ابراهيم بن شهرويه بادرة الجند ونهبهم. فراسل أبا منصور قراد بن اللديد وكان قريباً منه بالسندية واستدعاه اليه وقال له:

ـ «أنا اجعل قرواش ولداً لك وأزوّجه ببعض بناتك وأقرر معه مقاسمتك على ما خلفه أبوه في خزائنه وتكون عوناً له على الحسن عمّه. فانه ربما طمع في الاستيلاء على الأمر بعد المقلد. فأنفذ الرسل إلى قرواش يحثّه على المبادرة واللحاق. وصار قراد إلى الأنبار ونزل في دار الإمارة بها وحرس الخزائن وحسم الأطماع وحضر قرواش بعد أيام واجتمعا وتقاسما على المال

وتحالفا وتعاقدا على التعاضد. وقد كان قراد قبل ورود[١] قرواش أطلق للجند شيئاً من ماله وارتجع عوضه بعد ذلك. فلمّا عرف الحسن بن المسيب ما جرى واستبداد قرواش بقراد، علم أن الامر والغرض قد فاته وامتنع عليه من الامر [55] ما كان يقدّره. فشكا الى عسكر ابن أبي طاهر وأبي المضاد كلاب بن الكلب وجماعة من المسيّبيين[٢] الحال وقال:

ـ «يا قوم يرث قراد بن اللديد مال بني المسيب وهم أحياء؟»

فقال له عسكر:

ـ «هذا من عملك ولخوف ابن أخيك منك.»

فقال: «ومن أي شيء خاف وما الذى يريده؟»

قال: «لو سكن منك إلى خلوص النية وصلة الرحم وحفظه فيما خلفه أبوه له لما أدخل بينك وبينه غريباً ولكنت أولي به وكان أولي بالمحاماة عنك.»

فقال له الحسن:

ـ «أنا على ذاك ومهما ستمونيه من توثقة عليه بذلته لكم.»

وكتب عسكر ابن أبي طاهر الى قرواش بما جرى وترددت الرسل بينه وبينه فيه حتى استقر الامر على أن يسير الحسن الى الانبار مظهراً فاذا وقعت العين على العين قبضا على قراد وارتجعا منه ما أخذه ولم يدخل أبو الحسين ابن شهرويه في القصة ولا عرفها.

وانحدر الحسن وقرب من الانبار وبرز قرواش وقراد للقائه. وبينما الفريقان متصافّان متواقفان إذ جاء بعض العرب فأسرّ الى قراد شيئاً. فولّى هارباً يطلب طريق البرية وتبعه قرواش والحسن وأصحابهما وجدّوا فى

---

١. وفي الأصل: قبل وزود.

٢. والمثبت في الأصل: المسيبين.

طلبه. ففاتهم واجتاز بحلته فلم يدخلها ومضى على وجهه. وتلاقى الحسن وقرواش وتعانقا وبكى كل واحد منهما وقال الحسن لقرواش قولاً جميلاً استماله به وبذل له أن يكون بحيث يؤثره ويحبه، واتفقا على ارتجاع ما أخذه قراد من الخزائن. وأنفذا الى زوجته بنت محمد ابن مقن وأخت غريب ورافع وطالبها بما في بيوتها من ذلك فامتنعت عليهما وخاطبتهما خطاباً فيه بعض الغلظة وأجاباها بمثله وأدخلا الى البيوت من أخرج المال والأعدال اللذين حصلا بقسم قراد [56] من مال المقلد وأخذاها وانكفآ الى الانبار وأقاما أياماً.

وحمل قرواش الي الحسن عمه ثياباً وفرشاً وسلاحاً وغير ذلك وسار الى الكوفة وواقع بني خفاجة بناحية زبارا[1] وظفر بهم ومضوا بعد هذه الوقعة الى الشام وكانوا هناك إلى أن استدعى أبو جعفر الحجاج أبا على الحسن بن ثمال فورد ووردوا على ما نذكره من بعد في موضعه.

وفي ليلة يوم الأربعاء مستهل ربيع الاول توفّي أبو الحسن على بن محمد الإسكافي.

وفي يوم الخميس لليلتين خلتا منه توفّي أبو بكر ابن حمدان البزاز.

القادر بالله يجعل ابنه أبا الفضل وليّ عهده ويلقّبه الغالب بالله

وفي يوم الأحد الخامس منه جلس الخليفة القادر بالله أطال الله بقاءه للحاج الخراسانية وأعلمهم أنّه قد جعل الأمير أباالفضل ابنه وليّ عهده ولقّبه: الغالب بالله، وقرئت عليهم الكتب المنشأة بذلك.

---

١. وفي الأصل: ربارا.

شرح الحال فی ذلك

جلس علی السدّة العالیة بثیاب سود متقلداً سیفاً بحمائل فی البیت المعروف ببیت الرصاص، وبین یدیه نهر یجری الماء فیه الی دجلة، ودخل الیه الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء وأهل خراسان العائدون من الحج وقرئ فی المجلس علی رؤوس الملأ کتاب بتقلیده أبا الفضل ولده العهد بعده وتلقیبه الغالب بالله تعالی ولا غالب إلّا الله وحده لا شریك له، وکان له من السن فی هذا الوقت ثمانی سنین وأربعة أشهر وأیام. وکتب الی البلاد بأن یخطب له بعده علی نسخة قررت بحضرته وکانت بعد اتمام الدعاء له:

«اللهم وبلّغه الأمل فی ولده أبی الفضل الغالب بالله تعالی ولی عهده فی المسلمین. [57] اللهمّ وال من والاه من العباد وعاد من عاداه فی الأقطار والبلاد، وانصر من نصره بالحق والسداد، واخذل من خذله بالغی والعتاد. اللهمّ ثبّت دولته وشعاره وانبذ الی من نابذ الحق وأنصاره».

ذکر السبب فی تقلیده العهد علی هذه السن

قد ذکرنا فیما قدمناه من أخبار خراسان حال الواثقی[1] ووقوعه الی هرون بن ایلك بغراخاقان واستیلاءه علیه وتقدم منزلته عنده. وکان أبو الفضل التمیمی الفقیه قصد بلاد الخانیة واجتمع مع هذا الواثقی فاتفقا علی ان افتعلا کتاباً عن الخلیفة اطال الله بقاءه بتقلید الواثقی العهد بعده واظهرا ذلك عند بغراخاقان وأنّ أبا الفضل ورد فیه. وصادف هذا الامر رأیاً جمیلاً من بغراخاقان فی الواثقی ومنزلة لطیفة له عنده فقوّاه واکّده، وتقدم بأن یخطب

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

١. قال الصفدی فی الوافی بالوفیات: هو عبدالله بن عثمان بن عبدالرحیم بن ابراهیم بن الواثق وکان یلقب بالصادع بالحق (مد).

له في بلاده بعد الخليفة أطال الله بقاءه. وشاع الحديث في أعمال خراسان ووردت به الكتب الى الخليفة أطال الله بقاءه فأنكره وأكبره وغاظه ما تمّ منه وأزعجه. وأوجب الرأى عنده أن رتّب الأمير أبا الفضل ولده في ولاية عهده وكتب الى سائر الاعمال والاطراف بذلك والى أمراء خراسان والخانية بتكذيب الواثقى وتفسيقه وبعده عن استحقاق ما ادعاه لنفسه.

فحدثني القاضي ابو القاسم علي بن المحسن التنوخي[١] قال:

كان هذا الرجل وهو عبدالله بن عثمان من ولد الواثق بالله يشهد بنصيبين عند الحكام فيها وعند صدقة بن علي بن المؤمّل خليفة القاضي أبي علي التنوخي والدي على القضاء [58] بها، وإليه مع الشهادة الخطابة في المسجد الجامع. وكان يفسد على صدقة ويحاول أن يقوم مقامه في خلافة والدي. واجتمع صدقة وأهل نصيبين على أن كتبوا محضراً بتفسيقه وشهدوا بذلك عند صدقة شهادة سمعها وقبلها وأنفذ الحكم بها وكتب إلى والدي بالصورة وانفذ اليه المحضر والسجلّ عليه. فقبل ذلك والدي وأمضى الحكم به وأنفذه وأشخص الواثقى إلى بغداد.

فلما ورد خاطبه خطاباً قبيحاً وأوقع به مكروهاً واعتقله في حبس الشرطة حتى خاطبه في أمره أبو الفرج عبدالواحد بن محمد الببغاء[٢] الشاعر للبلدية التي كانت بينه وبين الواثقى فأطلقه. ونزل غرفة في الفرضة بإزاء دار المملكة وذلك في أيام عضد الدولة.

قال القاضي ابو القاسم:

وكان يواصله ابو العباس احمد بن عيسى المالكي لصداقة بينهما وبلدية.

---

١. وردت ترجمته في إرشاد الأريب ٣٠١:٥ وترجمة والده ابي علي الذي صنف كتاب الفرج بعد الشدة وكتاب نشوار المحاضرة، ووردت فيه ايضاً ٣٥١:٦(مد).

٢. توفي سنة ٣٩٨ وهو المخزومي الحنطبي. كذا في الانساب للسمعاني ص١٧٩(مد).

فحدّث ابو العباس قال: حضرت عنده ليلة فى غرفته وقلت له:

ـ «الصواب أن تستعطف القاضي أبا علي التنوخي وتوسط بينك وبينه ابا الفرج الببغاء وتصلح أمرك معه.» ـ[1] وأنا أخاطبه وأكرر هذا الرأى عليه وهو معرض عنى فقلت له:

ـ «أسمعت ما أشرت عليك به؟»

فقال لى:

ـ «يا أبا العباس، أنت جاهل. أنا مفكر كيف أطفئ شمع هذا الملك الذى نحن بـإزاء داره وأخذ ملكه وأنت تقول لى: استصلح التنوخي.»

قال أبو العباس:

فلما سمعت قوله قلت: «سلاماً» وقمت من فورى منصرفاً عنه وخائفاً من أذية تتطرق عليّ به وقطعته.

قال القاضى أبو القاسم:

فلما ظهر من حديثه فيما وراء النهر بخراسان ما ظهر، وقلد الخليفة أطال الله بقاءه أبا الفضل ولده ولاية عهده وطعن على الواثقى فأنكر أمره، بـلغه [59] حال المحضر الذى كان أنفذ الي والدى من نصيبين بتفسيقه من جهة بعض ما أخبر به بحديثه[2] فاستدعيت الى الدار العزيزة استدعاء حثيثاً لم تجر عادة به فمضيت ودخلت على أبي الحسن ابن حاجب النعمان فقال لى:

ـ «ما الذى جرى منك، فإنّ الطلب لك ما ينقطع».

قلت: «ما أعلم انّه حدث ما يقتضى ذلك.»

وكتب بخبرى فخرج الجواب بأنّه: بلغنا حال محضر أنفذ إلي والده من نصيبين بتفسيق الواثقى وأنّه أسجل به. فتطالبه بـإحضاره وإحضار السجلّ

---

١. وزاد فى مد: «قال» للايضاح ولا لزوم له.

٢. لعله: من حديثه.

عليه. فأقرأنى ذلك وقلت:

- «السمع والطاعة.»

وانصرفت وأنا خائف من أن يكون هذا المطلوب قد ضاع فيما ضاع لنا وتشاغلت بالتفتيش عنه فوجدته وحملته من غد وسلّمته. فلما حمل إلى حضرة الخليفة أطال الله بقاءه، رده وقال للرئيس:

- «سله هل حفظ على والده إقراره بما أسجل به.»

فسألنى عن ذلك فقلت:

- «نعم قد كان أقرّ عندى به.»

ورسم إحضار القضاة والشهود والفقهاء، ففعل ذاك. وحضر القوم ومنهم القاضى أبو محمد ابن الأكفانى والقاضى أبو الحسن الخرزى وأبو حامد الإسفراينى والشهود بأسرهم وعمل كتاب على سجلّ والدى بإنفاذى ما سمعته من حكمه به وأشهدت الجماعة المذكورة على نفسي فيه. وكان ذلك فى جملة ما أنفذ الى خراسان وجرح الواثقى به.

وحكى القاضى أبو القاسم:

انّ هذا الواثقى دخل بغداد بعد ما جرى له بخراسان ونزل داراً وراء داره بباب البصرة. ثم انتقل عنها لما عرف خبره وشاع أمره وانه رآه فى بعض الايام بالكرخ وهو لا يعرفه [قال] فرأيت رجلاً عليه قباء [60] واذارى[1] وعمامة شاهجانية وهو يمشى منحنياً ويداه معقودتان من ورائه كفعل الخراسانية. وكان معى أبو العباس المالكى. فلما رآه سلم عليه وقبّل كتفه فنهره وزبره بلفظ الفارسية الخراسانية فقال له المالكى:

- «إنّما سلّمت عليك وعندى أنّك صديقنا الذى يعرفنا ونعرفه. فإذا

١. قال المقدسى ص ٣٢٤ س ١٨: ومن وذارا ثياب الوذارية وهى ثياب على لون المصمت وسمعت بعض السلاطين ببغداد يسميها ديباج خراسان (مد).

أنكرت ذلك فالله معك.»

والتفت إليّ وقال:

ـ «تعرف هذا الرجل؟»

قلت: «لا.»

قال: «هذا الواثقى الذى ادّعى ولاية العهد بخراسان.»

ذكر ما جرى عليه أمر الواثقى بعد ذلك
على ما عرفته من القاضي أبي جعفر السمناني (١)

لم يسمع بغراخاقان فيه قول قائل ولا أحاله عن العناية به والعصبية له محيل. فلمّا توفّى وملك أحمد بن على قراخان كاتبه الخليفة أطال الله بقاءه، بإبعاده. فلم يكن عنده الموضع الذى كان له عند بغراخاقان. فأنفذه إلى موضع يعرف بأسفاكند وجعله كالمحبوس فيه بعد أن أقام له ما يحتاج اليه وأقام هناك مدة ثم صار الى بغداد كاتماً نفسه ونزل بباب البصرة وانتهى الى الخليفة أطال الله بقاءه خبره فتقدم بطلبه، وانتقل الى التوثة ولقيه جماعة من الفقهاء فأعطاهم وبرّهم ووصلهم. ثم انحدر الى البصرة ومضى منها الى فارس وكرمان وعاود بلاد الترك فلم يتم له ما حاوله من قبل ونفذت كتب الخليفة أطال الله بقاءه بتتبعه وأخذه فهرب من هناك وصار إلى خوارزم وأقام بها. ثم فارقها وقصد الامير يمين الدولة أبا القاسم محموداً وأخذه وأصعد به الى بعض القلاع فكان فيها محبوساً محروساً موسعاً عليه الى أن مات.

وفى شهر ربيع الأول توفى أبو شجاع بكران بن بلفوارس [61] بواسط.

---

١. في تاريخ الإسلام هو محمد بن احمد بن محمد بن احمد قاضى الموصل شيخ الحنفية سكن بغداد. قال فيه الخطيب: يعتقد مذهب الاشعرى وقد ذكره ابن حزم فقال: هو أكبر أصحاب الباقلانى ومقدم الأشعرية فى وقتنا. توفى سنة ٤٤٤ (مد).

وفي يوم الأربعاء لليلة بقيت منه قبل القاضي أبو عبدالله الضبّي شهادة أبي الحسن علي بن الحسن بن العلاف الواسطي.

وفي سحرة يوم الجمعة لليلة خلت من شهر ربيع الاول توفّي أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح(١) وصلّى عليه القاضي أبو عبدالله الضبّي وقد كان أبو القاسم جلس وحدث وصار اليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي(٢) وخلق كثير. فسمعوا منه وكتبوا عنه وكان رجلاً فاضلاً يعرف علوماً كثيرة من علوم الدين والمنطق والفلسفة.

وفي هذا اليوم توفي أبو النضر كعب بن عمرو البلخي المحدث.

وفي يوم الخميس السابع منه قلد القاضي أبو حازم محمد بن الحسن الواسطي القضاء بواسط وأعمالها وقرئ عهده في الموكب بدار الخلافة.

وفي يوم الخميس لسبع بقين منه توفي أبو حفص عمر بن وهب المقرئ وكان شيخاً صالحاً.

ذكر قتل عليّ بن طاهر الكاتب

وفي ليلة السبت لسبع بقين منه قتل أبو الحسن علي بن طاهر الكاتب.

شرح الحال في ذلك

قد كان مضى إلى مصر هارباً من أبي الحسن محمد بن عمر، فأقام بها

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

---

١. قال صاحب تاريخ الاسلام انه كان يرمى بشيء من مذهب الفلاسفة وترجمته موجودة في تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص ٢٤٤ (مد).

٢. وقال فيه: هو شيخ أهل الرأي ومفتيهم انتهت اليه الرياسة في مذهب أبي حنيفة بالعراق وانه كان يقول: ديننا دين العجائز ولسنا من الكلام في شيء. وكان له امام حنبلي يصلي به وقد دعى الى ولاية الحكم مراراً فامتنع توفي سنة ٤٠٣ (مد).

مدة وعاد في هذا الوقت مع الحاج، وتحدث الناس بأنه ورد بموافقة من صاحب مصر وللشروع له في الفساد على الدولة العباسية.

فلما كان في الليلة المذكورة كبسه العيارون في داره بدرب المقير من سويقة[١] غالب وعلوه بالسيوف ليقتلوه فقامت جاريته من دونه للمدافعة عنه فضربوا يدها ضربة أبانتها، وضربوه عدة ضربات فاضت منها نفسه وأخذوا جميع ما وجدوه من ماله ورحله وانصرفوا. وحضر أبو الحسن محمد بن احمد بن علان من غد فتولّى تجهيزه ودفنه في داره.

وفي يوم الأحد لست بقين منه خرج أبو القاسم الحسين بن محمد بن مما إلى شيراز بمرقعة.

[62] ذكر السبب في ذلك
وما جري عليه أمره في خروجه
إلى حين رجوعه

لما انحدر أبو نصر سابور من بغداد مستتراً على ما قدمنا ذكره، وأخذ المال المجموع للتجريد وأطلق في الاقساط كتب أبو نصر إلى بهاء الدولة وأحال في جميع ما جرى على أبي الحسن ابن يحيى وأبي يعقوب أخيه وأبي القاسم ابن مما.

وكان ينوب عن أبي القسم بفارس أبو الحسين ابن عبدالملك ابن على النقيب وبين أبي القاسم وبين أبي الخطاب والأمين أبي عبدالله مودة قديمة، وهما اذ ذاك المتقدمان والمدبران وعلى عناية بأبي القاسم ومحاماة عنه.

فخرجا الى أبي الحسين [ابن][٢] عبد الملك بما يكتب به أبو نصر سابور

---

١. كذا في مد. ولعله «سويقة».

٢. زيادة زادها.

فيه وبما قد كوتب به أبو نصر من الاستدعاء إلى فارس ورسما له مكاتبة أبي القاسم بذلك وبأن يسبقه الى الورود والحضور.

فخرج متعجلاً بمرقعة ووصل في يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الاولى قبل أبي نصر سابور ونزل على الأمين أبي عبدالله، فتكفل بامره وخاطب بهاء الدولة فيه ونضح هو عن نفسه فيما كان قرف به، وعاونته الجماعة عداوة لأبي نصر سابور وعناية به، واستقامت حاله ورسم له المقام الى أن يحضر أبو نصر ويصلح ما بينه وبينه ويعود الى بغداد في جملته.

فأقام ووصل أبو نصر وأبو جعفر الحجاج، فقرر لهما النظر في أعمال العراق واصلح أمر ابى القاسم معهما على دخل من رأى أبي نصر وباطنه فيه وأخرج امامهما لتوطئة ما يجب توطئته قبل موردهما.

تقليد الحسن بن أستاذ هرمز
أعمال الأهواز

وفي هذا الوقت ورد الخبر بتقليد الصاحب أبي علي الحسن بن أستاذ هرمز أعمال الاهواز وأنه أخرج إليها ولقّب بعميد الجيوش.

ذكر ما جرى في ذلك

حدثني أبو الحسين فهد بن عبيدالله كاتب عميد الجيوش [63] قال: لما دخل الصاحب أبو على فى طاعة بهاء الدولة بسالسوس وسلّم الأمر إليه اعتزل الأمور وسار فى صحبته إلى فارس وأقام على بابه.

فلما مضت له سنة وكسر استأذن فى المضيّ إلى خراسان، فمنع من ذلك وروسل بما سكن منه به ووعد الوعد الجميل فيه.

وقبض على الموفق أبي على ابن اسماعيل وكان نافراً منه فردّت إليه

الأمور بعده ومشّاها بحسب طاقته ووسعه وأفرج عن أبي غالب ابن خـلف وجعل خليفته فتولى العمل وكان متدرباً به واستعفى الصاحب أبو على وأقام في داره.

ثم راسل بهاء الدولة بعد مدةيخطب إليه تقليده أعمال خوزستان ويعلمه أنه خبير بها وبما فيه استقامة أمرها وقد كانت اخـتلّت بـمقام ابـى جـعفر الحجاج فيها ونظر ابى القاسم ابن عروة في عمالتها واستعماله المجازفة التي كانت عادته جارية بها. فأجيب إلي ذلك وقلد وخوطب على قـبول الخـلع واللقب واستعفى من الخلع وقبل اللقب بعميد الجيش وسار إلى الاهواز في روز ديبمهر من ماه اسفندارمذ الواقع في شهر ربيع الأول، وقد كان أبو جعفر فارقها وتوجّه الى واسط.

وأقام عميد الجيوش على أحسن سيرة وأقوم طريقة فأصلح الفاسد وضم المنتشر وتألف الرعية ورفع المصادرة وساس الجنود أفضل سياسة وجمع فى أقرب مدة مالاً حمله إلى بهاء الدولة وأكّد موضعه عنده به.

حوادث عدّة

وفى يوم الثلاثاء الرابع من جمادى الأولى قبل القاضى أبو عبدالله الضبّى شهادة أبى القاسم عمر بن ابراهيم بن الحسن بن اسحق البزاز.

وفى يوم الأربعاء الخامس منه توفى أبو عبدالله محمد بن اسحق ابـن المنجم المغنى العواد بشيراز ولم يخلف [64] بعده من يقاربه فـضلاً عـمن يشاكله.

وفى يوم السبت الثامن منه خرج أبو الحسن ابن علان العارض عائداً الى فارس وبطل ما ورد فيه من أمر التجريد.

وفى يوم الأحد التاسع منه استحجب ابو القاسم على بن أحـمد الأمـين

أبا[١] عبدالله للخليفة أطال الله بقاءه.

ورود الحجاج بن هرمز واسطاً ثمّ خروجه منها سائراً إلى شيراز

وفي يوم الخميس الثالث عشر منه ورد أبو جعفر الحجّاج بن هرمز فيه واسطاً منصرفاً عن الأهواز، ثمّ خرج منها سائراً إلى شيراز.

ذكر ما جرى عليه أمره في ذلك

لما عرف ابو جعفر حال عميد الجيوش في تقلده الأهواز سار إلى بَصِنَّى[٢] يوم الأحد الثاني من الشهر وأنفذ أبا الحسن رستم بن أحمد كاتبه برسالة إلى بهاء الدولة يتألم فيها من صرفه عن بلد بعد بلد وكسر جاهه في أمر بعد أمر ويعدد ما عومل به بالموصل وبغداد ويسأل الإذن له في اللحاق ببلد الديلم.

فلما أعاد أبو الحسن على بهاء الدولة من ذلك ما أعاده ثقل عليه نفوره واستيحاشه ورده وأنفذ معه أبو سعيد زادانفروخ بن آزادمرد بجواب يسكنه فيه ويعرّفه تأكد حاله عنده ولطف منزلته في ...[٣] ويرسم له التوجه إلى شيراز ليقرر معه أمر بغداد ويرده إليها مع أبي نصر سابور فسار ليلة يوم الاثنين لأربع بقين من شعبان ووصل وقد حصل أبو نصر سابور هناك وورد أبو نصر إلى حضرة بهاء الدولة فخلا به وأورد عليه في جماعة من بمدينة السلام من أبي الحسن ابن يحيى العلوي وأبي يعقوب أخيه وأبي القاسم ابن

---

١. وفي الأصل: ابي.

٢. بَصِنًّا: مدينة من نواحي الأهواز صغيرة، رجالهم ونساؤهم يغزلون الصوف (مراصد الإطلاع).

٣. بياض.

مما كل ما أوغر به صدره وضمنهم بمائتى ألف دينار. فأذن له فى القبض عليهم واستخراج المال منهم وقرر عليه ما يحمله إلى خزانته منه [65] وخلع عليه وعلى أبى جعفر الحجاج ولقبه القسيم ذا الرئاستين، وذلك في روزآبان من ماه مهر الواقع فى آخر شوال وسارا. فكان وصولهما إلى واسط يوم الأربعاء سلخ ذي الحجة ونحن نذكر ما جرى عليه أمرهما بعد ذلك فى أخبار سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

حوادث عدّة

وفي يوم الجمعة الخامس من جمادى الآخرة توفى القاضى أبو الحسن عبدالعزيز بن أحمد الخرزى[١] وأقر ابنه أبو القاسم على عمله وقرئ عهده بذلك في يوم الاثنين لليلة بقيت منه. ثم تعقب الرأى فى بابه وصرف بعد مديدة قريبة.

وفى يوم السبت السادس منه قتل المعروف بأرسلان الذى كان يتصرف في الوقوف. قتله العامة بالآجر وفدغوا رأسه.

مقتل بهستون بن ذرير

وفى يوم الخميس الثامن عشر منه قتل بنوسيّار أحد بطون بنى شيبان أبا الفوارس بهستون بن ذرير.

شرح الحال فى ذلك

كان بهستون صديقاً لأبى الفتح محمد بن عناز ومماثلاً له ومسارعاً إلى

١. قال صاحب تاريخ الاسلام: هو شيخ أهل الظاهر قدم من شيراز في صحبة السلطان عضدالدولة وأخذ عنه فقهاء بغداد (مد).

معونته في كل أمر ينوبه: فاتفق أن سار اليه من الجبل من يقصده ويطلبه فاستصرخ بجند الحضرة وسألهم الإنجاد والمعاضدة وخرج بهستون في جملة من خرج ومعه جماعة من أهله وأصحابه.

فلما عاد نزل بالخالدية وهي إقطاعه وأغارت الخيل من بني سيّار على بقر بهذه الناحية وطردت بعضها وعبرت بها الى شرقي ديالى وسلكت طريق براز الروز.

فركب بهستون في الوقت ومعه أخواه القاراضي والأعرابي وثلاثة نفر من الديلم وطلبوا الخيل الغائرة فأدركها بهستون سابقاً ولحق به أخواه وأصحابه وعرفه القوم فأخرجوا له الطرد ومضوا [66] فحمله من كان معه على اتباعهم والإيقاع بهم. فسار ولحقهم وجرت بينه وبينهم مطاردة فطعنه أحدهم طعنة فاضت منها نفسه في موضعه وطعن القاراضي أخوه طعنة أخرى في إحدى عينيه فذهبتا جميعاً عند علاجها.

وحمل أبو الفوارس الى الخالدية على ترس وجعل على بغل وأدخل الى داره ببغداد فأقيمت عليه المناحات وعملت له المواتيم العظام وحضر جنازته والصلاة عليها سائر الوجوه والأكابر.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وفاة الحجّاج شاعر السخف

وفي يوم الثلاثاء لسبع بقين منه توفي أبو عبدالله الحسين بن أحمد الحجاج الشاعر في طريق النيل وهو عائد منها. وورد تابوته الى بغداد في يوم الخميس بعده.

ذكر حاله وطرف من أمره

هذا الرجل من أولاد العمال وكان أول أمره مرتسماً بالكتابة وكتب بين

يدى أبي اسحق ابراهيم بن هلال الصابىّ جدّى مدة فى أيام حداثته ثم تأتّى له من المعيشة بالشعر ما عدل إليه وعوّل عليه وكان أكسب له مما كان متشاغلاً به.

وتفرّد بفن من السخف لم يسبقه إليه سابق وكان مع تعاطيه هذه الطريقة مطبوعاً في غيرها. وقد اختار الرضي أبو الحسن الموسوى من شعره السليم قطعة كبيرة فى غاية الحسن والجودة والصنعة والرقة. ولم يزل أمره يتزايد وحاله تتضاعف حتى حصل الأموال وعقد الأملاك وصار محذور الجانب متقى اللسان مخشى التسكر مقضى الحاجة مقبول الشفاعة.

وحمل اليه صاحب مصر عن مديح مدحه به ألف دينار مغربية على سبيل الصلة وشعره مدون مطلوب فى البلاد. ووجدت له رقعة الى أبى اسحق جدّى قد صدّرها بأبيات فاستحسنت مذهبه فيها [67] ونسختها لذاك وهى:

«فَداكَ اللهُ بِى وَبِكُلِّ حَىٍّ ... مِنَ الدُّنيَا دنىٍّ أو شريفِ
يَحلُّ لكَ التغافلُ عَن أُناسٍ ... تَوَلّوا ظُلمَ خادِمِكَ الضعيفِ
ولستُ بكافرٍ فيحلَّ مالِى ... وَلا الحجاجُ جَدِّىَ مِنْ ثقيفِ
فَمُرْ بدِراهِمِى صَرْباً وَإلّا ... جعلتُ سبال قُوفَا فِى الكنيفِ

قوفا هو أبو الحسن محمد بن الهمانى.

«هوذا يبلغ هؤلاء السُّقَّل منى مرادهم إضراراً بى أطال الله بقاء سيدنا ويدفعون عن ازاحة علّتى عناداً وقصداً. ووالله لو كان مكان هذه الدريهمات ارتفاع بادوريا[1] ما داهنتهم ولا ذاجيتهم ولا احتملتهم.

---

١. وبادوريا من جلة العمالات ليراجع ما قال فيها أحمد بن محمد بن الفرات: وزراء ص ٧٦ وفى معجم البلدان لياقوت الحموى ١: ٤٦٠(مد).

«وقد سار ما مضى من القول واتصل بهم وقوفا متعلق الحشاشة بالقدرة بين أوداجه وحلقومه وهو يوصي بأذاى ويعهد إلى ابن العلاف في مكروهي. فإن أخذ سيدنا بيدى وتولى مطالبتهم ببعض الغلمان وأرهقهم حتى لا يجدوا منه محيصاً طمعت فيها وإلّا استشعرت الإياس وبعت الأشهب واشتريت بثمنه ورقاً وحبراً وزيتاً للسراج وأحييت ليلتى بهجاء القرود. فإنّ القائل يقول:

مَالِي مَرِضْتُ وَلَم يَعُدنِي عائدٌ مِنكُمْ ويَمرضُ كَلبُكُمْ فَأَعُودُ

«سمّى شاعر الكلب، وسأسمّى أنا بسبب قُوفا شاعرَ القرد. واليوم الثالث من ضمان ابن العلاف الدراهم لسيدنا وعرفنى من رآه عند قوفا يستأمره فأظنه منعه من الإطلاق وأعوذ بالله من أن أكون أنا فى طمع هذين النذلين وأبو جوّال[1] بالسواء. حسبي بهذا تحريصاً على صفع القوم وتحريكاً فى مناجزتهم.

«وأنا منذ الغداة قرين الزبزب فى مشرعة دار صاعد حتى نزل محمد الدواتي وعرفت خبر انحداره راكباً فانصرفت والله تعالى يودعنى فيه السلامة. وقد أنفذت الاشهب [68] بهذه الرقعة وتقدمت اليه ان لم يرَ وجهاً لتحريك أمره فى تسببه ان يشد نفسه مع البغال ويعتلف الى ان يفرج الله تعالى ثم يعود الى اصطبله ثم لم يكن فيه نهوض للحضور فان تأخر هذا الباب طرحته علىالماء حتى ينحدر الى المشرعة وربطته مع الزبزب ان شاء الله تعالى.»

وله إلى أبى اسحق من جملة مدائح له فيه كثيرة أبيات وجدتها فى نهاية

---

١. جاء فى الحاشية: أبو جوال ملاح كان لأبى اسحق فى زبزبه.

الرقة والطبع فذكرتها وهي :

يَا مَن وقفتُ عَليهِ   هَواىَ سِراً وجَهراً
اللهُ يَعلَمُ أنّي   مُذْ غِبتَ لم أُعطَ صَبْرَا
ولا عَصَيتُ لِداعِي الْـ   أَسَى وَلا الوَجْدِ أمرَا
وَلاَلله اطَّرَحتُ بِنَأيِي   عَلَيكَ نَظماً ونَثْرَا
وَلَا رأيتُ بِعَينِي   فِي الأَرضِ بَعدَكَ بَدْرَا
قدمتُ قَبلَكَ حَتَّى   تكونَ أطوَلَ عُمرَا
هَذَا لِغَيبةِ عَشْرٍ   وَكيفَ لَوْ غِبْتَ شَهْرَا

ومما يغنّى فيه وان كان كثيراً :

يا مَن مواعيدُ رِضاهُ ظُنُونْ   مَا آنَ أنْ تخرُجَ مِمَّا تَخُونْ
سألتَ عن حالِيَ يَا سَيِّدِي   كلّ عَدُوٍّ لَكَ مِثلِي يَكُونْ

ومنه :

ومُدلَّلٍ أمَّا القَضيبُ فَقَدُّهُ   شَكْلاً وأمَّا رِدْفُهُ فَكَثيبُ
يَمشيَ وَقَد فَعَلَ الصِّبَى بِقَوامِهِ   فِعلَ الصَّبا بالغُصنِ وَهْوَ رَطيبُ
متلوّنٌ يُبدِي ويُخفِي شَخصَهُ   كَالبَدْرِ يَطلعُ مَرّةً ويَغيبُ
أرمِي مَقاتلَهُ فَتُخطِي أسهُمِي   غَرَضِي وَيَرمِي مَقتلِى فَيُصيبُ
نَفسِي فداؤكَ إنّ نَفسِي لَم تَزَلْ   يَحلُو فداؤكَ عِندَها ويَطيبُ
مالِي وما لَكَ لا أراكَ تَزورُني   إلّا ودونَكَ حاسدٌ ورَقيبُ

ومنه :

أيا مولاىَ طابَ لكَ اجتنابِي   وَقلبِي بِاجتنابِكَ لا يَطيبُ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وصرتُ إذا دعوتُكَ مِن قريبٍ تَصيخ إلى الدعاءِ ولا تُجيبُ
وأصدُق مَا أَبثّك أنَّ قَلبِي بِعهدِكَ لا عَدِمتُكَ مُستريبُ

[69] ومنه :

قل لمن رفقتهُ مِسْـ ـكٌ ونَدٌّ ومُدامُ
والذي حلّلَ قَتلي وَهْوَ محظورٌ حرامُ
أيّها النائمُ غَمزاً[1] عينُه ليسَ تَنامُ
كلُّ نارٍ عند نَارِي فيكَ بَرْدٌ وسَلامُ

ومنه :

باحَتْ بِسرّي فِي الهَوى أدمُعِي ودَلَّتِ الواشي عَلى موضِعِي
يا مَعشرَ العُشّاقِ إنْ كُنتُمْ مِثلي وَفِي حالِي فَمُوتوا مَعِي

ومنه سخفه قوله في بعض قصائده :

رأيتُ أيْراً مُغلّساً سجَدَا يَرفُلُ في حُلّتَيْ دَمٍ وَخَرَا
فقلتُ مِن أين؟ قالَ : مِن شَرَحٍ أفلَتُّ منه كمَا تَرى وَأرا

ومنه في قصيدة :

جَلَسَ الأيرُ سُرّمَها في خَراهَا ذاتَ يومٍ عَلى سبيل اللّجاجِ
فقَصدتُ النواةَ في ذاكَ حتّى أخَذَتْ لِي التوقيعَ غيرَ[2] فِراجِ

وهو كثير وفيما أوردناه من أنموذج كل فن كفاية.

حوادث عدّة

وفي يوم الخميس العشر من رجب توفى أبو الحسين أحمد بن الحسين ابن احمد بن الناصر العلوى.

---

١. وفي الأصل: غمز.

٢. والمثبت في الأصل: بغير. وهو مخالف للوزن.

وفي يوم الخميس لثمان بقين من شعبان قلد القاضى أبو محمد ابن الأكفاني ما كان الى أبي الحسن الخرزى من الجانب الشرقى فتكامل له جميعه.

وفي يوم السبت الثاني من شهر رمضان توفى أبو الحسن على بن نصر الشاهد بالجانب الشرقي.

وفى يوم الإثنين الحادى عشر منه قبل القاضى أبو عبدالله الضبّى شهادة أبى الحسن على بن أحمد بن صبح.

وفى يوم السبت السادس عشر منه توفي القاضي أبو الحسن محمد بن محمد بن جعفر الأنبارى صهر ابن سيار القاضى وكاتبه.

وفى يوم الاثنين العاشر من شوال قبل القاضى ابو عبدالله الضبّى شهادة [70] أبى القاسم ابن علان وأبى على ابن العلاف وأبى عبدالله ابن طالب.

وفى يوم الخميس الثالث عشر منه قبض أصحاب قراد بن اللديد على أبى الحسن ابن الحسن محمد بن يحيى النهرسابسى بباقطينا وحملوه الى حلّة قراد ثم أفرج عنه وعاد الى بغداد.

شرح الحال فى ذلك

كان الديلم قد طالبوا أبا الحسن ابن يحيى بإطلاق أقساطهم لأنّ المعاملات التى كانت المادة منها انتقلت الى نظره بعد هرب أبى نصر سابور فمنعهم واعتصم بالكرخ والعلويين والعيارين...(١) وجرت بين الفريقين حروب لأجل ذلك.

واتفق أن دخل الديلم طاق الحرانى فأحرق العامة ماوراءهم وأمامهم

١. بياض فى الأصل.

واحترق منهم جماعة وعظمت الفتنة واستحكمت الوحشة.

فخرج أبو الحسن إلى باقطينا وهي من العمريات التي يدبر أمرها وعرف أصحاب قراد خبره فطمعوا فيه وصاروا اليه وأخذوه وحملوه الى صاحبهم وعمل قراد على مطالبته بالمال والسوم عليه فيه.

فركب قراوش وغريب اليه ولم يفارقاه إلّا بعد استخلاصه وانتزاعه من يده وسيّراه إلى المحول فوصل إليها يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شوال.

وقد كان أبو القاسم ابن مما عاد من شيراز فتوطأ[١] ما بينه وبين الديلم حتى صلح واستقام، وأعطاهم ما رضوا به ودخل داره يوم الاثنين لثامن من ذي القعدة.

وفي الساعة الثالثة من يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة ولد الامير أبو جعفر عبدالله ابن القادر بالله أطال الله بقاءه، والطالع العقرب على كدح والشمس في الميزان على كالو.

وفي يوم الإثنين الرابع عشر منه قبض [71] معتمد الدولة أبو المنيع على أبي الحسن ابن العروضي.

وفي يوم الأحد لعشر بقين منه توفيت زبيدة بنت معز الدولة بأصبهان.

وفي يوم الأحد السادس منه تقلد يُوانيس الجاثليق[٢].

وحج بالناس في هذه السنة أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوي.

سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة

أولها يوم الخميس والعشرون من تشرين الثاني سنة ثلاث عشرة

---

١. وفي الأصل: فتوّط.

٢. هو من كرخ جدان مات سنة ٤٠٢ للهجرة وكانت مدته مدةعشر سنين قمرية كذا في ترجمته في كتاب المجمل لماري بن سليمان ١:١١٠(مد).

وثلاثمائة وألف للاسكندر وروز اسفندار مِنْ ماه آذر سنة سبعين وثلاثمائة ليزدجرد.

قد ذكرنا ورود أبى جعفر الحجاج وأبى نصر سابور الى واسط عائدين من شيراز ووعدنا بذكر ما جرى عليه أمرهما بعد ذلك. ولما ورد الخبر بنزولهما واسطاً انحدر أبو القاسم الحسين بن محمد بن مما اليهما متلقياً لهما ومعتداً بما فعله فى إصلاح الجند وتوطئة الأمر. واستمال أبا جعفر بما حمله اليه ولاطفه به وعقد بين أخيه أبى على وبين أبى شاكر أحمد بن عيسى كاتب أبى جعفر عقداً على بنت أبى شاكر استظهر لنفسه فيه وأعطى أبا عبدالله أستاذ هرمز داره وملك أمره بما حصله في كفته به وعلم أنّ رأى أبى نصر سابور لا يخلص له فاعتضد بهذه الجهة وأظهر مداخلتها ومخالطتها.

وكان أبو الحسن ابن اسحق قد فارق أبا الحسن ابن يحيى على وحشة ومضى ليقصد شيراز فردّه أبو نصر سابور من طريقه وعوّل عليه عند حصوله بواسط فى خلافته وأنفذه الى بغداد أمامه وردّ معه أبا القاسم ابن مما وقرر معهما القبض على أبى يعقوب العلوى النقيب [72] وأصحاب أبى الحسن ابن يحيى عند نفوذ كتابه إليهما بذلك وأصعدا.

وانحدر أبو الحسن ابن يحيى لخدمة أبى جعفر وأبى نصر والاجتماع معهما وقد كانت نفسه نافرة منهما لتقريره سوء الاعتقاد فيه منهما ولمّا وصل نزل داره بالزيدية وكان أبو نصر سابور نازلاً فى دار أبى عبدالله ابن يحيى أخيه المجاورة لها. وكتب على الطائر بالقبض على أبى يعقوب فى يوم عين لأبى القاسم ابن مما وأبى الحسن ابن اسحق عليه وأمرهما بالمبادرة اليه بذكر ذلك ليقبض هو على أبى الحسن وأصحابه بواسط.

فخرج أبو القاسم الىأبى يعقوب بالسرّ وراسله بالإنذار لمعاهدة كانت بينهما ولأنه لم يأمن أبا نصر متى استقامت حاله ومشى أمره واطرد له ما

يريده.

واستظهر أبو يعقوب وكبست [داره][١] فلم يوجد فيها وشاع الخبر وكتب أصحاب الشريف أبي الحسن اليه بالصورة على الطيور.

وأخر أبو نصر إمضاء ما يريد أن يمضيه في أبي الحسن إلى أن يعرف حصول أبي يعقوب لأن أكثر غيظه كان عليه وأحسّ أبو الحسن فهرب ليلاً ومضى على بغلة متعسفاً إلى الزبيدية وأصبح أبو نصر وقد أفلت أبو الحسن.

وورد عليه الكتاب بإفلات أبي يعقوب. فقامت قيامته وتحير في أمره وندم على تفريطه وراسل أبا جعفر واستشاره فيما يفعله فقال له:

ـ «لو عملت بالحزم لبدأت بمن عندك وكان بين يديك من غاب عنك ولكنك استبددت برأيك».

وشرع أبو نصر في تتبع أموال أبي الحسن وتحصيل غلاته والإحتياط على معامليه ومعاملاته وختم على الدور والحانات واعتقد تفتيشها وأخذ ما يجده لابي الحسن واخوته ووكلائه واسبابه فيها ثم عدل عن ذلك الى [73] تأنيسه ووافق أبا جعفر على مراسلته وتردد في ذلك ما انتهى الى إجابة أبي الحسن الى العود على أن يوثق له أبو جعفر من نفسه ويحلف له على التكفل بحراسته ومنع كل أحد عنه.

فأذكر وقد ورد أبو أحمد الحسين بن علي ابن أخت أبي القاسم ابن حكار رسولاً عن ابي الحسن من الزبيدية الى أبي جعفر ليحلفه له فقال لي أبو جعفر:

ـ «اجتمع معه على عمل نسخة لليمين.»

فقال أبو أحمد:

١. زيادة زادها في مد.

ـ «قد عملها الشريف وأصحبنيها وها هي ذه.» وأخرجها من كمّه وأخذها أبو جعفر من يده وأعطانيها ورسم لي قراءتها عليه فقرأتها وكان يفهم العربية ولكنّه يجحدها.

وخرج أبو أحمد من حضرته على أن يجتمع أبو جعفر مع أبى نصر ويقفه عليها ثم استدعانى أبو جعفر وأعطانى النسخة وقال لى:

ـ «امض إلى أبى نصر سابور فأعرضها عليه وقل له: ما الذى تراه فى هذا الأمر فإنّنى إن حلفت[1] لهذا الرجل وأعطيته عهدى لم أمكنك منه وحلت بينك وبينه.»

فمضيت الى أبى نصر سابور ووقفته على النسخة وأوردت عليه الرسالة فقال:

ـ «أنا أروح العشية اليه ونتفاوض ما يجب أن يعمل عليه.»

فعدت الى أبى جعفر بهذا الجواب وركب اليه أبو نصر آخر النهار واجتمعا وخلوا ثم استدعيا أبا احمد وحلف له أبو جعفر وعاد.

وأصعد ابو الحسن ابن يحيى وبات فى داره ليلة ثم خرج ورجع الى الزبيدية فيقال: إنه أخذ دفيناً كان له في الدار وانحدر به حتى استظهر فى أمره وعاد بعد يومين وانحل أمر أبى نصر سابور واستطال عليه أبو الحسن ابن يحيى. ثم أصعد [74] أبو جعفر وأبو نصر الى بغداد فكان وصولهما اليها آخر نهار يوم الخميس الثانى من جمادى الأولى.

وصدرت الكتب الى بهاء الدولة بما جرى عليه الأمر. فغاظه سوء تدبير أبى نصر وفساده وطعن عليه من كان بحضرته من خواصه وقد كان أبو الحسن بن يحيى كاتب بهاء الدولة من الزبيدية واستعطفه وأذكره بما قدّمه

---

١. وفى الأصل: عفت.

في خدمته وأسلفه وبذل له في أبي نصر سابور بذلاً يقوم بتصحيحه من جهته وذكر ما عليه الجند والرعية من بغضه والنفور من معاملته. وكتب الى أبي جعفر بالقبض عليه وإلى أبي الحسن بن يحيى بتسلمه. واستقرّ الأمر بين أبي جعفر وأبي الحسن ابن يحيى وأبي القاسم ابن مما على ذاك.

فتراخى أبو الحسن وأبو القاسم في القبض عليه لغرض اعتمداه في بعده والخلاص منه وعرف أبو نصر الصورة فاستظهر لنفسه وعلما قوته[1] فكبسا عليه دار بني المأمون بقصر عيسى ولم يوجد فيها وأراد ابو الحسن بما أغفله وأهمله من أخذه الاحتجاج على بهاء الدولة بهر به فيما كان بذله فيه وأبو القاسم ابن مما الاستراحة من حصوله[2] وما عسى أن يحمل عليه من ركوب الفشخ معه.

ومضى أبو نصر الى البطيحة ونظر في الأمر ببغداد بعده ابو الحسن على بن الحسن البغدادى ثم أبو الفتح القنّائى ثم أبو الحسين عبيدالله بن محمد بن قطرميز وخوطب بالوزير فتقبل ذلك وصار أضحوكة عند أبي جعفر والناس به وكان العمل كله أخذ الاموال من المصادرات والتسلق على التجار بالتأويلات.

لاجرم أنّ البلد خرب وانتقل أكثر اهله [75] عنه فمنهم من مضى إلى البطيحة ومنهم من اعتصب بباب الأزج ومنهم من بعد إلى عكبرا والأنبار.

ولقد حدثني جماعة من الناس أنهم شاهدوا صينية الكرخ فيما بين طرف الحذائين والبزازين والفواخت والعصافر تمشي في أرضها انتصاف النهار وفي الوقت الذى جرت العادة بازدحام الناس فيه بهذا المكان.

فلما ورد أبو نصر وأبو جعفر الى واسط كتبا وأعادا أبا الحسن على بن

---

١. لعله: فوته.

٢. لعله: حضوره (مد). هذا وتبدو العبارة مضطربة.

أبي علي إلى النظر في المعونة.

وفي يوم السبت العاشر من المحرّم توفّى ابو القاسم اسماعيل بن سعيد ابن سُويد الشاهد.

وفي يوم الأربعاء الثامن عشر(١) منه انحدر أبو الحسن ابن يحيى إلى واسط لانحدار المقدم ذكره.

وفي هذا الوقت توفي أبو الطيب الفرّخان بن شيراز بجويم السيف وخرج الوزير أبو غالب محمد بن علي بن خلف من شيراز لطلب أمواله وتحصيلها.

شرح حال أبي الطيب منذ ابتداء أمره وإلى حين وفاته وما جرى في طلب أمواله وذخائره على ما عرّفنيه أبو عبدالله الحسين بن الحسن الفسوى

كان الفرّخان بن شيراز من أهل بعض القرى بكرّان وتصرف أوّل أمره في الداريجية وما شاكلها من الأعمال القريبة وتدرج إلى أن ولي كتابة الديوان بسيراف وانتقل عنها إلى عمالتها وبقي على ذلك زماناً طويلاً ثم قلد عُمان فعبر إليها وحسنت حاله فيها وجمع الأموال التى لم يسمع لمثله بمثلها [76] وبنى بنائبند الدار المعروفة به وكانت من الدور التى تضرب الأمثال بها وحصل فيها من أصناف الفرش والأثاث والرحل الشيء الكثير الجليل ورتّب بها من الحفظة والحراس وحملة السلاح خلقاً كثيراً لأن نائبند على ساحل البحر وليس بها من الناس كثير أحد.

وتحدث في البلاد بما جمعه في هذه الدار من الأموال فرمقتها العيون وتعلقت بها الأطماع وهمّ بقصدها وطلبها الخوارج وأصحاب الأطراف وكان

---

١. لعله: الثامن والعشرين.

في يد أبي العباس ابن واصل[1] عبادان والبحر وفي يد لشكرستان بن ذكي البصرة وفي يد السيفية والزطّ السواحل وقصب البلاد التي تجاورها.

وكانت أكثر مادة صمصام الدولة بفارس من الفرّخان لأنه كان يمده بالأموال والحمل في كل وقت فسعى قوم في إفساد أمره عنده وقالوا له: إنه على العصيان. ومنع جانبه وقطع ما جرت عادته بحمله والإمداد به.

فكاتبه صمصام الدولة بالورود إلى بابه مختبراً بذاك ما عنده وقد كان الخبر انتهى الى الفرّخان بما تكلم به فيه. فصار اليه بهدايا واموال حسن موقعها منه فخلع عليه واستحجبه ورده الى موضعه وجرى على رسمه في الخدمة والتزام شرائط الطاعة.

وتوفى العلاء بن الحسن بعسكر مكرم، فلم يكن في مملكة صمصام الدولة أوجه من الفرّخان ولا اوسع حالاً وأعظم هيبة في نفوس الجند منه. فاستقرت الوزارة له على أن يتوجه إلى الأهواز ويدبر أمورها وأمور الأولياء الذين بها ويستخلف له بشيراز أبو اسحق ابراهيم بن أحمد ومنصور بن بكر.

فأقام أبو اسحق بحضرة صمصام الدولة وصار منصور إلى فسا لتقرير أعمالها ولم [77] يطل مقامه بها حتى استعيد وأنفذ إلى شقّ الروذان ثم لم يثبت هناك وانصرف من غير إذن الى الباب فأنكر صمصام الدولة فعله وأمر بإحضاره وضربه. فضرب وانصرف عن شركة أبي اسحق وتفرد أبو اسحق

---

١. قال فيه صاحب تاريخ الاسلام: أبو الغنائم ابن واصل كان يخدم في الكرخ وكانوا يقولون انه يملك ويهزؤن به ويقول بعضهم: ان صرت ملكاً فاستخدمني ويقول الآخر اخلع عليّ. فآل أمره الى أن ملك سيراف ثم البصرة ثم قصد الاهواز وحارب السلطان بهاء الدولة وهزمه ثم تملك البطيحة وأخرج عنها مهذب الدولة على ابن نصر الى بغداد فنزح مهذب الدولة بخزائنه فأخذت في الطريق واضطر الى ان ركب بقرة واستولى ابن واصل على داره وأمواله. ثم ان فخر الملك أبا غالب قصد ابن واصل فعجز عن حربه واستجار بحسان الخفاجي ثم قصد بدر بن حسنويه فقتل بواسط في صفر سنة ٣٩٧(مد).

بالنظر.

وورد الفرّخان الأهواز فلم يمش الأمور بين يديه على ما كان يتقرر من ذاك وأنفذ أبو علي الحسن بن أستاذ هرمز وجرى أمره على ما تقدم ذكره في موضعه.

ووصل بهاء الدولة الى فارس والفرخان في جملة من صحبه من الناس. فتكلم عنده على حاله وعظمها وأمواله وكثرتها فقبض عليه وألزم صلحاً وسلّم إلى أبي العلاء عبيدالله بن الفضل ثم إلى الصاحب أبي محمد ابن مكرم وأفرج عنه بعد أدائه إيّاه وخروجه منه.

وأنفذ إلى جويم السيف لقتال الزط والسيفية وصار الى فسا واستصحب أكثر الديلم الذين بها وجرد إليه مردجاوك في طائفة كثيرة من الغلمان العراقية وأقام بجويم مدة واستخرج أموالاً من النواحي الغربية وامتنع عليه من اعتصم بقلعة او أوى إلى الجبال الحصينة.

وقضى نحبه في أثناء ذلك ووقع الاحتياط على ما صحبه من مال وتجمل وحمل بأسره إلى شيراز وكان بهاء الدولة يعتقد في ثروته ويساره أمراً عظيماً.

فلمّا توفّى كثر القول عليه فيما تركه من الحال وخلفه من الودائع وأودعه داره من الذخائر، فندب الوزير أبا غالب للتوجه إلى نائبند وسيراف واستقضاء ذلك أجمع وإثارته وتحصيله ورسم له قصد الدار بنفسه وهي من سيراف على خمسة عشر فرسخاً وأن يبالغ في الكشف والفحص عنه ولا تقنع إلّا بأن يتولى كل [78] أمر تولى المشاهدة والمباشرة. وكان للفرّخان ثقة[1] يعرف ببابان مجوسى ويحيط علمه بكل ما يملكه الفرّخان فوق الأرض

---

١. في مد: يقة.

وتحتها. فقبض عليه الوزير أبو غالب واستدلّه على الأموال التي للفرخان فدلّه على أموال عظم الناس قدرها وجواهر تلك حالها وحصلها الوزير ثم عاقبه بعد ذلك عقوبة شديدة حتى ذبح نفسه في الحمام.

وعاد الوزير أبو غالب الى شيراز فتحدث اعداؤه بما أخذه من مال الفرخان ودفائنه وودائعه وواصلوا الخوض فيه وادّعوا عليه أنه قتل باابان ليتستر بموته ما اخذه منه وعلى يده وأدّت هذه الأقاويل وما اتصل ببهاء الدولة منها إلى القبض على الوزير أبي غالب وسنذكر ذلك في وقته وموضعه.

عدة حوادث منها وفاة ابن جنّي

وفي يوم الإثنين العاشر من صفر قبل القاضي ابو عبدالله الضبّي شهادة أبي القاسم على بن محمد بن الحسين الوراق.

وفي يوم الجمعة لليلتين بقيتا منه توفي أبو الفتح عثمان بن جنّي النحوي[١] وكان أحد النحويين المتقدمين وله تصنيفات وقد فسر شعر ابى الطيب المتنبى تفسيراً استقصاه واستوفاه وأورد فيه من النحو واللغة طرفاً كبيراً ولقّب ذلك بالفسر وهو من أهل الموصل وخدم عضد الدولة وصمصام الدولة وشرفها وبهاءها[٢] طرفاً كبيراً في دورهم برسم الأدباء النحويين.

وفي شهر ربيع الأول قتل أبو الحسين محمد بن الحسن العروضي بالانبار.

---

١. وردت ترجمته في إرشاد الاريب ١٥:٥ وقال صاحب تاريخ الإسلام أن عدد أوراق ترجمته هذه هي ثلاث عشر ورقة. وقال أيضاً ان لأبي الفتح كتاباً سماه البشرى والظفر وشرح فيه بيتاً واحداً من شعر الأمير عضد الدولة وقدمه له وهو:

أهلاً وسهلاً بذي البُشرَى ونَوبتِها ... وباشتمالِ سَرايَانا عَلى الظَّفرِ

وأوسع الكلام في شرحه واشتقاق ألفاظه (مد).

٢. لعله سقط: فحصل (مد).

وفي يوم الإثنين السابع من شهر ربيع الآخر ثار العامة بالنصارى ونهبوا البيعة بقطيعة الرقيق وأحرقوها فسقطت على جماعة من المسلمين رجالاً وصبياناً ونساء وكان الأمر عظيماً.

[79] وفي ليلة يوم الخميس لست بقين منه كبس ابن مطاع وأصحابه حسون بن الخرما وأخاه العلويين بفم الأسناية وقتلوهما وكانت هذه الطائفة قد أسرفت في التبسط والتسلط وركوب المنكرات وإتيان المحظورات.

وفي يوم الاثنين الخامس من جمادى الأولى وهو اليوم الثانى والعشرون من آذار وافى برد شديد جمد الماء منه.

وفي يوم الجمعة التاسع منه خطب لبهاء الدولة ببغداد بزيادة قوام الدث صفى أمير المؤمنين وقد كان الخليفة أطال الله بقاءه لقبه بذلك وكاتبه به الى شيراز.

وفي يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه استتر أبو نصر سابور الإستتار الذى ذكرناه في سياقة خبره.

وفي هذا الشهر بلغت كارة الدقيق الخشكار ثلثة دنانير مطيعية، ثم زادت في جمادى الآخرة فبلغت خمسة دنانير ولحق الناس من ذلك شدة ومجاعة.

وفي جمادى الآخرة خرج أبو طاهر يغما الكبير الى جسر النهروان هارباً من أبي جعفر الحجاج بن هرمز فيه.

ذكر السبب في ذلك
وما جرى عليه الأمر فيه

تأدى إلي أبي جعفر شروع يغما في قلب الدولة وإفساد الغلمان، وتردّد مكاتبات ومراسلات بينه وبين مهذب الدولة في ذاك ووعده إياه بحمل مال.

فاستمال أبا الهيجاء الجماقى واجتذبه الى نفسه وهمّ مكاشفة يغما وأخذه وقد كان يغما وثب الغلمان عليه ووضعهم على مطالبته والخرق به.

وأحس يغما باعتقاد أبى جعفر فيه وتدبيره عليه فتجعد عن لقائه والاجتماع معه ثم خاف بادرته. وكان [80] أبو جعفر مهيباً متّقىً فخرج إلى جسر النهروان ليفعل ما يفعله على الطمأنينة والامان وعبر ديالى لاشفاقه من اسراء أبى جعفر خلفه. وتبعه جماعة من وجوه الغلمان ثم فارقوه ورجعوا عنه.

وتأخر المال الذى وعده مهذّب الدولة بانفاذه اليه ووعد هو الغلمان به فبطل أمره بذاك ومضى وعبر من الصافية إلى الجانب الغربى ولحق بأبى الحسن على بن مزيد وأقام عنده وأقطع أبو جعفر إقطاعه وما كان فى يده ببادوريا لأبى الهيجاء الجماقى.

وفيه فاض ماء الفرات على سكر قبين وغرق سواد الأنبار وبادوريا وبلغ الى المحول وقلع حيطان البساتين واسود فى الصراة.

وفى يوم الأحد لست بقين منه صلب أبو حرب كاتب بكران على باب حمام بسوق يحيى وجد فيه مع مزيّة جارية بكران على حال ريبة.

وفى يوم السبت مستهل رجب أخرج أبو جعفر الحجاج أبا الحسن على ابن كوجرى فى جماعة من الديلم والأكراد إلى المدائن لدفع أصحاب بنى عقيل عنها.

شرح ما جرى عليه الأمر فى ذلك
وما اتصل به من خروج أبى اسحق إبراهيم
أخى أبى جعفر وهزيمته

سار أبو الحسن على بن كوجرى إلى المدائن فنزلها وانصرف دعيج

صاحب قرواش وأصحابه عنها وقبض ببغداد على أصحاب بني عقيل ومعامليهم وأخرج العمال إلى بادوريا ونهر الملك. ونفذت الكتب الى مرح بن المسيب وقرواش بن المقلد وقراد بن اللديد وهم بنواحي الموصل بما جرى، فإلى أن يجمعوا العرب وينفذوهم(١) جمع دعيج الى نفسه جمعاً كثيراً وقصد [81] أبا الحسن بن كوجرى وحصره بالمدائن وكتب أبو الحسن إلى أبي جعفر يستمده ويستنجده فجرد المنجب أبا المظفر بارسطغان لأنه كان والى البلد وخرج في عدة من الغلمان فاندفع دعيج من بين يديه وكتب الى أبي الحسن علي بن مزيد يلتمس منه المعونة علي أمره.

وقد كان أبو الحسن استوحش من أبي جعفر وخافه فأنجده بأبي الغنائم محمد أخيه واجتمع دعيج وجمعه وأبو الغنائم بن مزيد ومن معه ونزلوا ساباط.

وكتب المنجب أبو المظفر بارسطغان وأبو الحسن على بن كوجرى الى أبي جعفر بتكاثر القوم وقوة شوكتهم واستنهض الغلمان للخروج فتقاعدوا وتثاقلوا وتأخر المدد عن المنجب أبي المظفر وعلى بن كوجرى فانكفآ إلى باقطينا(٢) وندب أبو جعفر أبا اسحق أخاه للخروج وأنهض معه الديلم وساروا جميعاً مع المنجب أبي المظفر وعلى بن كوجرى وتوجهوا طالبين للعرب.

وكتب أبو الغنائم ابن مزيد ودعيج الى أبي الحسن علي بن مزيد بذلك فصار اليهما واجتمع معهما ووقعت الوقعة بباكرمي يوم الاربعاء الثامن من شهر رمضان فانهزم أبو اسحق واستبيح العسكر وأسر كثير من الديلم والاتراك وقتل أبو منصور ابن حليس وشابا بن اوندا وجماعة، وعاد الفلّ إلى بغداد

---

١. في مد: ما جمع (بزيادة ما).

٢. لعله: باقطايا.

على أسوإ حال وغاظ ذاك أبا جعفر وأزعجه.

ذكر ورود ابن ثمال

وورد أبو علي الحسن بن ثمال الخفاجي بعقبه في يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر رمضان في عدة قريبة من أصحابه فلم يشعر به حتى نزل صرصر.

ذكر الحال في وروده

كان أبو جعفر لاعتقاده ما يعتقده في بني عقيل وما عاملوه به قديماً لا يحلم إلّا بهم ولا يفكر [82] إلّا في قصدهم وحربهم وأخذ الاهبة لشفاء صدره منهم واجتذاب من يجعله خصماً لهم.

وكاتب أبا علي بن ثمال وحرص على أن يستدنيه وكان يبعد في الظنّ أن ينزل الشام ويرد إلى العراق.

فأذكر وقد حضر عندي أبو القاسم ابن كبشة وهو رجل كثير الدهمسة حامل نفسه على الأخطار العظيمة وممن خدم عضد الدولة في الترسل والتجسس المدة الطويلة وقال لي:

ـ «أراكم تكاتبون الحسن بن ثمال وتستدعونه وهو يعدكم ويعللكم، ولو أنفذني صاحب الجيش ببعض كتبه إليه لما فارقته حتى آخذه وأجيئكم به.»

فذكرت ذلك أيضاً لصاحب الجيش فقال:

ـ «ابن كبشة كثير الكذب والفضول، ولكن اكتب على يده وأنفذه وأرحنا منه.»

فكتبت له كتاباً واستطلقت له نفقة من الناظر في الأمور ومضى وليس عند صاحب الجيش أبي جعفر أنّه يفلح ولا يرجع. فلم تمض مديدة قريبة حتى ورد وقال:

ـ «هذا أبو علي بن ثمال قد نزل صرصر.»

فسرّ أبا جعفر ذاك وكان عقيب ما لحق أبا اسحق أخاه من ابن مزيد وبني عقيل وأنفذ إليه من تلقّاه وأنزله في الدار التي كانت للمعروفي وحمل إليه الإقامات وأطلق لأصحابه النفقات.

وورد على أبي جعفر خبر عميد الجيوش أبي علي في تقلده العراق وما هو عليه من المسير إليه فزادت هذه الحال في غيظه وشاعت بين الناس. فتبسط عليه الأتراك وأساءوا معاملته واجتمعوا في بعض الايام على بابه ورموا روشنه بالآجر والنشاب فضجر وضاق صدراً بأمره وخرج إلى جسر النهروان في يوم الأحد لأربع بقين من شهر رمضان ومعه أبو إسحق أخوه والظهير بن جَستان وخُسرُشاه [83] وخُسرُ فيروز[1] أخواه وأبو الحسن على ابن كوجرى وأبو علي ابن ثمال وأبو الحسين ابن قطرميز ومن تبعه من الديلم الباراوحية وغيرهم.

وراسل النجيب ابا الفتح محمد بن عناز وسأله المسير معه إلى أبي الحسن علي بن مزيد وبني عقيل فدافعه وعلله ثم أجابه وساعده وسار إليه واجتمع معه وعبرت الجملة دجلة وكان انفصال أبي جعفر عن جسر النهروان يوم الأحد لعشر خلون من شوال، وعبوره في يوم السبت مستهلّ ذي القعدة، وتوقّفه إلى أن لحق به أبو الفتح.

وورد إلى دعيج أبو بشر بن شهرويه مدداً من الموصل في عدة كثيرة من بني عقيل واجتمع أبو الحسن بن مزيد معهم في خيله ورجله ووقعت الوقعة بينهم في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة فقتل أبو بشر بن شهرويه وأسر دعيج وانهزم أبو الحسن بن مزيد وتفرقت جموعهم ونهب

---

١. أصلهما الفارسي: خُسْرَوْ شاه، وخُسْرَو فيروز.

سوادهم وكراعهم وذلك فى الموضع المعروف ببزيقيا.

فحدثني الحاجب أبو طاهر الحسين بن على الظهيرى قال:

لما انهزم ابن مزيد وبنو عقيل من الوقعة ببزيقيا تمم صاحب الجيش أبو جعفر إلى القصر ونزل بباشمسا ورتّب فى البلد من منع من نهبه والتعرض لأهله وسار من غد طالباً للنيل ومقتصاً أثر ابن مزيد. فكان قد مضى الى موضع يعرف بشق المعزى بحلله وأهله.

فنزل أبا الحسن على بن كوجرى بالنيل ومعه أثقاله ودعيج والرجالة الديلم وسار ومعه أبو الفتح بن عناز وأبو على ابن ثمال. فلما قاربوا ابن مزيد وشاهدوا حلله وقفوا لأخذ أهبة الحرب وضرب المضارب، وبرز ابن مزيد للقتال.

وقد كان راسل أبا الهوا اسود بن سوادة الشيبانى وهو فى عدة كثيرة من بني شيبان مع أبى [84] الفتح ابن عنّاز ووعده وخدعه ووافقه على أن ينهزم إذا وقعت العين على العين ويفلّ أبا جعفر ففعل وانصرف وتبعه قوم من الأكراد وبقى أبو جعفر فى ثلاثين رجلاً من أهله وأقاربه لأنّه كان تقدم بالنيل أن يحمل بعض الديلم الرجالة على البغال والجمال فأغفل ذاك وأبو الفتح ابن عنّاز في مائتى فارس من الشاذنجانية ومائتى فارس من الجاوانية كانوا صحبوا أبا جعفر.

واتفق أن مضى حسان بن ثمال أخو أبى على مع أكثر بنى خفاجة فى طريق غير الطريق التى سلكها أصحابنا فبقى أبو على فى عدة قليلة. ولما تبين أبو جعفر ما هو فيه وشاهد قلة ما بقى معه وحمل أبو الحسن ابن مزيد عليه وكثره بخيله ورجله وعبيد الحلة وإمائها وملك عليه خيمه تحير فى أمره.

وأحس من أبى الفتح ابن عنّاز بعمل على الهرب والانصراف. فقال للظهير

ابى القاسم وأهله:

ـ «احفظوا لى أبا الفتح ولازموه ولا تفارقوه لئلّا يخاتلنا ويتركنا لأنّنى[١] أعول على النصرة به، ولكنه متى رجع فلّنا وكسرنا وأطمع عدونا.»

فلازمه الظهير وهجم أبو جعفر لما ضاق به الأمر على البيوت وعلا على تلٍّ كان فى وسطها وعرف أبو الحسن ابن مزيد ذلك وقد كان ملك مضارب أبى جعفر ونزل وصلّى فى أحدها شكراً لله تعالى على الظفر. فركب وقصده وحمل حملة نكس فيها نفراً من غلمان دار أبى جعفر وداسهم بحوافر خيله حتى سطح رؤوسهم ووجوههم وخلطها بأجسادهم واستظهر كل الاستظهار.

وثبت أبو جعفر وحمل حملات متتابعة وطرح النار فى بعض البيوت وحمل فى أثر ذاك فانهزم ابن مزيد وملكت حلله وبيوته وأمواله وذلك فى يوم السبت لثمان بقين من [85] ذى القعدة.

قال الحاجب أبو طاهر:

ونهب أصحابنا ذلك فأخذوا من العين والورق والحلى والصياغات والثياب الشيء الذى تجاوز الحصر وأرسل أبو جعفر إلى أبى على ابن ثمال: بأنك أحق بالنساء[٢] والحرم فاحرسهن وامنع العجم منهن.

فتشاغل أبو على بجمعهن إلى بيوت أفردها لهن ولم يتعرض لشيء من النهب على وجه ولا سبب.

واستغنى الشاذنجان والجاوان ومن حضر من بنى خفاجة بما حصل من الغنائم وامتلأت أيدى الجميع وحقائبهم بالمال والجلال من الاثاث وانكفأ أبو جعفر إلى النيل.

وقد كان أبو الحسن على ابن كوجرى لما رأى بنى شيبان عائدين

---

١. والمثبت فى مد: لا أنّنى.

٢. وفى مد: النساء.

ومظهرين للهزيمة وسمع عنهم أنهم قالوا: قد كسر صاحب الجيش، خاف وجمع الديلم الرجالة وحمل الأثقال وصار إلى الجبل وضرب رقبة دعيج وصلبه بالمدائن وعرف من بعد حقيقة الأمر واستحيا ودخل إلى بغداد كالمستوحش من أبي جعفر ثم كاتبه وعذره فرجع اليه. وصار أبو جعفر بعد ذاك إلى الكوفة ومعه أبو على ابن ثمال ورجع أبو الفتح ابن عنّاز إلى طريق خراسان.

قال الحاجب أبو طاهر:

ـ «ولما حصل صاحب الجيش أبو جعفر بالكوفة نزل فى دار ابى الحسن محمد بن عمر ثم لم يبعد أن وردت الأخبار بانحدار قرواش ورافع بن الحسين وقراد بن اللديد وغريب ورافع ابنى محمد بن مقن فى جمرة بنى عقيل ومن استجاشوا به من طوائف الأكراد ونزولهم الانبار عاملين على قصد الكوفة ولقاء أبي جعفر وأبى على بن ثمال. وعرف بنو خفاجة ذاك ففارقوا أبا على وتوجهوا منصرفين.

فقال أبو على لابى جعفر:

ـ «يا صاحب الجيش، أنفذ معى من يردّهم [86].»

فأنفذ معه الظهير أبا القاسم وخرجا حتى انتهيا إلى قريب من القادسية والقوم متفرقون قد أخذ كل قوم منهم طريقاً ومنهم من يريد البصرة ومنهم من يريد البرية. فقال أبو على للظهير لمّا شاهدهم:

ـ «تقدم بضرب البوقات.»

ففعل ذاك. فلما سمعوا الصوت وكل إنسان منهم قد أخذ وجهته لووا رؤوس خيلهم واجتمعوا إلى أبى علىّ وقالوا له:

ـ «ما الذى تريده منا.»

فقال لهم:

ـ «يا قوم تخلوني وتخلون هذه البلاد وقد نزلناها وأخذناها بالسيف وصارت لنا طعماً ومعايش.»

فقالوا: «نريد المال والعوض عن إسلام النفوس للرماح والسيوف.»

ولم يزل هو والظهير بهم حتى رجعوا على أن يفسح لهم فى نهب النواحى عوضاً عن العطاء والاحسان واستعملوا من ذاك ما جرت عادتهم به وعظمت المعرّة منهم.

وبرز صاحب الجيش الى الموضع المعروف بالسبيع من ظاهر الكوفة وأراد أن يجعل انتظاره لبني عقيل ولقاءه لهم فيه. فقال له ابو على بن ثمال:

ـ «يا صاحب الجيش قد أسأنا معاملة أهل البلد وثقّلنا الوطأة عليهم وهم كارهون لنا وشاكون منّا، ومتى كانوا فى ظهورنا عند وقوع الحرب لم نأمن ثورتهم من ورائنا ومعاونتهم لأعدائنا علينا. والصواب أن نجعل بيننا وبينهم بعداً.»

فساروا ونزلوا فى القرية المعروفة بالصابونية على فرسخين من الكوفة ومع أبى على بن ثمال نحو سبعمائة فرس ومع صاحب الجيش أبى جعفر نحو العدة من الديلم.

ولما خرج صاحب الجيش الى هذا الموضع لم يتبعه من الديلم إلّا دون ثلاثمائة رجل وتأخر الباقون عنه وطالبوه بالمال واطلاقه لهم، وقد كان عميد الجيوش وأبو القاسم ابن مما راسلاهم وأفسداهم [87] فردّ أبو جعفر الظهير أبا القاسم إليهم حتى أخرج اكثر المتأخرين لأنهم استحيوا منه وتذمّموا من الامتناع عليه.

وورد بنو عقيل فى سبعة آلاف رجل بالعدد والمنجانيقات والأسلحة والقزاغندات، وطلعت راياتهم وضربت بوقاتهم ودبادب مواكبهم وزحفوا كما تزحف السلطانية.

وقد كان أبو علي بن ثمال قصد المشهد بالغريّ على ساكنه السلام، وزار وصلّى وتمرّغ على القبر وسأل الله تعالى العون والنصر وقال لاصحابه :

ـ «هذا مقام الموت والذل بالفشل والخور ومقام الحياة والعز بالثبات والظفر.»

فوعدوه المساعدة وبذل نفوسهم في المدافعة. ورتب صاحب الجيش مصافّه بين يدى بيوت الحلّة وجعل الظهير أبا القاسم فى ميمنته وخُسرُشاه فى ميسرته ووقف هو في القلب وبرز النسوان فى الهوادج على الجمال وبين أيديهن الرجالة بالدرق والسيوف. وتقدم أبو علي في الفرسان وصار بيننا وبينه مدأ بعيدأ ووقع التطارد فلم يكن إلّا كلا ولا، حتى وافتنا الخيل المغنومة مجنونة والرجال المأسورون يقادون والعرب من بنى خفاجة وفى أيديهم الرماح المتدفقة[1]. وأرسل أبو علي ابن ثمال الى صاحب الجيش بأن: سر وتقدم إلينا.

فقال له :

ـ «ما هذا مكان التقدم لمثلى ولا يجوز أن أفارق مصافي وأصحر للخيل فى هذا البرّ.»

فراجعه دفعات وهو يجيبه بهذا الجواب حتى قال له أبو علي في آخر قوله :

ـ «فأنفذ الى جماعة من العجم ليشاهدهم القوم فتضعف نفوسهم ويعلموا أنك وراءنا.»

فأنفذ إليه الظهير أبا القاسم فى عدة من فرسان الديلم وأتراك كانوا بالكوفة وخرجوا مع صاحب الجيش فما وصلوا إلى موضع المعركة حتى انهزم بنو

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١. لعله: المثقفة.

عقيل وأسر منهم نحو ألف رجل وحملوا إلى البيوت بعد أن أخذت ثيابهم ودوابهم [88] وأسلحتهم.

وكف أبو علي عن القتل ومنع منه. فلم يقتل إلّا أبو على ابن القلعى كاتب رافع بن محمد.

وقد كان نساء بني خفاجة وعبيدهم وإماؤهم عند تلاقى الجمعين ركبوا الخيل والجمال وصاروا إلى معسكر بنى عقيل وبينه وبين موضع الحرب بعد، وكبسوه ونهبوه وولّى بنو عقيل لا يلوى اول منهم على آخر، وغنم بنو خفاجة أموالهم وسلاحهم وكراعهم وسوادهم.

فحدثني أبو على الحسن بن ثمال: انه اتبع بنى عقيل فى عرض البرية مع فوارس من أصحابه إلى المشهد بالحائر على ساكنه السلام، وهم منقطعون. فلمّا تجاوزوه بات وزار وعاد إلى حلّته من غد.

فذكرت ذاك للحاجب أبي طاهر فقال: قد كان. ولما فقده أبو جعفر قلق قلقاً شديداً به وظنّ أنّ حادثاً حدث فى بابه. فقال له اصحابه:

ـ «لو لحقه لاحق لعادت بنو عقيل.»

حتى اذا كانت صبيحة تلك الليلة وافى ومعه اثنا عشر فارساً.

وحكى انه اتبع المنهزمين حتى تجاوزوا المشهد بالحائر وباتوا هناك وانه لو كان فى عدة قوية لكشف نفسه وأخذ أموالهم ورؤساءهم.

وعاد أبو جعفر وابو على إلى الكوفة فأقاما بها وسنذكر ما جرى عليه أمرهما من بعد فى موضعه بإذن الله تعالى[1].

وفي شعبان قبض على الموفق ابى على ابن اسماعيل وأعيد إلى القلعة.

---

١. قال صاحب تاريخ الاسلام: توفى الحجاج بالأهواز فى ربيع الاول سنة ٤٠٠ فذكر أبو الفرج ابن الجوزى انه توفى عن مائة سنة وخمس سنين وحاصل الامر انه أسنّ معمر (مد).

شرح الحال في هربه من القلعة عند اعتقاله أولاً فيها وحصوله عند الديوانى[١] وعوده الي شيراز بعد التوثقة التي أعطيها وما جرى عليه أمره الى أن قبض عليه ثانياً وردّ الي القلعة وكلّ ذلك علي ما [89] حدّثني به أبو نصر بشر بن إبراهيم السني كاتب الموفق

قال أبو نصر: لما حصل الموفق فى القلعة أولاً ردّ الامر فى التوكل به وحفظه، إلى أبى العباس أحمد بن الحسين الفراش وكانت فيه غلظة وفظاظة وقد عرف من رأى بهاء الدولة ووسطائه فيه ما يدعو إلى التضييق عليه وإساءة المعاملة له. فاعتقله فى حجرة لطيفة وتركه في وسط الشتاء وشدة البرد بقميص واحد وكساء طبرى حتى أشفي على التلف.

ولما فعل هذا الفعل به اختار الموت على ما يقاسيه وحمل نفسه على الأشدّ فى طلب الخلاص منه واستمال الموكلين المقيمين معه من قبل أبى العباس الفراش وخدعهم ووعدهم وأرغبهم وراسلنى على أيديهم واستدعى منّى طعاماً أمدّه به وثياباً ونفقة وكان يأتيه من جهتي ما يريده شيئاً شيئاً.

وكان يتقدم الموكلين فراش يختصّ بأحمد الفراش ويتميز بفضل الثقة عنده ونفسه ساكنة إلى موضعه فطاوع الموفق وساعده وتردّد فى رقاعه وأجوبتها بيني وبينه واستقرت الموافقة معي على أن أحضر جماعة من أصحاب الديوانى وأقيمهم ليلاً تحت القلعة ويتدلى الموفق والفراش فى نقب ينقبانه فى بيت ما يتصل بالحجرة التى هو فيها ففعلت ذلك وأحضرت الفرسان بعد ان حصلت عند الموفق على يدى الفراش مبرداً يبرد به قيده

---

١. وفى الأصل: ابن الديواني.

وزبيلاً وحبلاً ينزل فيها وبرد القيد ونقب النقب ونزل الموفق والفراش بعده ليلة النوروز الواقع فى شهر ربيع الآخر يوم الإثنين لليلتين بقيتا منه وقد أعددت له ما يركبه. فركبه وسرنا فلم يصبح إلا ببلاد سابور وخرج الديواني[١] فاستقبله [90] وخدمه.

قال أبو نصر: فلما نزل وسكن جأشه قلت له:

ـ «قد خلصت وملكت أمرك، إلّا أنّ بهاء الدولة خصمك والبلاد له والناس فى طاعته، واعتقاده فيك الاعتقاد الذى تعرفه. والصواب أن تأخذ لنفسك وتسبق خبرك إلى حيث تأمن فيه من طلب يلحقك.»

وقال له الديواني قريباً من هذه المقالة، ووعده أن يسير به حتى يوصله الى أعمال بدر بن حسنويه وأعمال البطيحة، فلم يقبل وقال:

ـ «بل أراسل الملك واستصلح رأيه.»

وراجعناهُ وبيّنّا له وجه الرأى فيما أشرنا به. فأقام على المخالفة وألزمنى أن أعود الى شيراز واجتمع مع أبى الخطاب واستعلم رأيه له فيما يدبّر به أمره. وكتب كتاباً الى بهاء الدولة بـ:

ـ «اننى لم أفارق اعتقالك خروجاً عن طاعتك ولا عدولاً عن استعطافك من تحت قبضتك ولكنّنى عوملت معاملة طلبت بها نفسى فحملنى الإشفاق من تلفها[٢] على ما طلبت به خلاصها وها أنا مقيم على ما يرد به أمرك وما أريد إلّا رعاية خدمتى فى استبقاء مهجتى».

---

١. قال الاصطخرى فى كتابه مسالك الممالك: إن من زموم بلاد فارس زمّ الحسين بن صالح ويعرف بزمّ الديوان: وان لكل زمّ مدناً وقرى مجتمعة قد ضمن خراج كل ناحية منها رئيس من الأكراد: وأما زم الديوان فنقله عمرو بن الليث إلى ساسان بن غزوان من الأكراد فهو فى أهل بيته إلى يومنا هذا. وصنف الاصطخرى كتابه فى حدود ٣٤٠(مد).

٢. وفى الأصل: تلقها.

إلى غير ذلك من القول الجارى فى هذه الطريقة.

قال أبو نصر: وكلّفنى من هذا العود والرسالة ما حملنى فيه على الغرر والمخاطرة ثم لم أجد بداً من القبول والطاعة ورجعت إلى شيراز وقصدت دار أبي الخطاب ليلاً فقال لى:

- «ما الخبر؟ فإنّ القيامة قد قامت على الملك بهرب الموفق وتصور له أنه سيتمّ عليه به فساد عظيم.»

فاعلمته ما جئت فيه فقال:

- «ليس يجوز أن أتولّى إيصال الكتاب وإيراد ما تحملته فى معناه على الملك وهو يعلم ما بينى وبينكم. ولكن امض إلى المظفر أبي العلاء عبيدالله بن الفضل واسأله أن يكتم خبرك فى ورودك وأن يوصل الكتاب كأنه وصل مع بعض الركابية ويستر الأمر [91] ويعرف ما عند الملك فيه.»

فصرت إليه ووافقته على ما وافقنى عليه أبو الخطاب فلشدة حرص المظفر على اعلام بهاء الدولة الخبر وازالة قلقه به ما باكر الدار وعرض الكتاب ولم يكتم ورودى بل ذكره فسكنت نفس الملك إلى هذه الجملة فقال:

- «فما الذي يريد.»

قال: «التوثقة على يدي الشريف الطاهر أبى أحمد الموسوى.»

فأجاب إليها ووعد بها. وراسلنى أبو الخطاب بأن أقتصر فيها ولا أستوفيها ووعدت بذاك ثم لم أفعله وعملت لليمين نسخة استقصيت القول فيها وحضرت الدار بها وحضر الشريف الطاهر أبو أحمد والمظفر أبو العلاء فخرج إليّ الأمين أبو عبدالله وقال لى:

- «الملك يقول: ما الذي تقترحه من التوثقة؟»

فأخرجت النسخة من كمّى وسلّمتها إليه وقلت:

ـ «هذه نسخة أصحبنيها الموفق ورسم لى الرغبة إلى الكرم الفائض فى أن تحرر بخط مولانا الأمين وأن تشرف بتلفظ الحضرة العالية بها بمحضر من الشريف الطاهر.»

فقال: «أقوم وأعرضها.»

ودخل وعرضها. فلمّا رأى الملك طولها وتأكّد الإستيفاء فيها، قال لأبى الخطاب:

ـ «أليس رسمنا لك مراسلة أبى نصر بالاقتصار والتخفيف؟»

قال: «قد فعلت.»

ووعد ثم لم يفعل. فتقدم إلى الأمين بتحريرها فحررها حرفاً حرفاً وأحضرت المجلس وحضر الشريف الطاهر أبو أحمد والمظفر أبو العلاء وأبو الخطاب والأثير أبو المسك عنبر والأمين أبو عبدالله. وبدأ الملك بقراءتها. فلما مضى شطرها قطعها بأن قال قولاً استفهم به شيئاً منها ثم عاد لاستتمامها[1] فقبّلت الأرض ورفع رأسه وقال:

ـ «مالك؟»

قلت: «الخادم الغائب يسأل الإنعام بأن يكون قراءة هذا التشريف بغير عارض يقطعه.»

فاغتاظ غيظاً بان فى وجهه، ثم [92] أعاد قراءتها من أولها إلى آخرها. فلمّا فرغ منها قبّلت الارض. فقال:

ـ «أىّ شىء تريد أيضاً؟»

قلت: «التشريف بالتوقيع العالى فيها.»

فاستدعى دواة وكتب: «حلفت بهذه اليمين والتزمت الوفاء بها على ما

١. وفى الأصل: لاستتماها.

اقترحه من ذلك».

وأخذتها وخرج الشريف الطاهر أبو أحمد والمظفر أبو العلاء وخرجت الى الموفق ليرد معنا.

وقد كان بهاء الدولة جرّد مع أبي الفضل ابن سودمَنْد[١] عسكراً إلى سابور لطلب الديواني ودخل الديواني الماهور وأقام ابو الفضل على حصاره.

فلما وصلنا أقام المظفر أبو العلاء عند العسكر ودخلت أنا والشريف أبو أحمد وصرنا إلى الموفق ومعي خيل وبغال وثياب ورحل أنفذ ذلك المؤيد أبو الفتح اذكوتكين والمظفر أبو العلاء اليه على سبيل الخدمة له به واجتمعنا معه وعرف من الشريف الطاهر جملة الأمر ومنّي شرحه. وسار وسرنا وسار المظفر أبو العلاء الى شيراز وكان وصولنا في روز آبان من ماه أرديبهشت[٢] الواقع في جمادى الآخرة.

وأظهر الموفق لبس الصوف وخرج إلينا أبو الخطاب والأمين أبو عبدالله متلقّين. فلما أراد الإنصراف قال لأبي الخطاب:

ـ «أريد الخلوة معك.»

فقال له:

ـ «لا يمكنني ذلك مع كون الأمين معي، ولكن أنفذ إليّ أبا نصر الكاتب الليلة.»

ودخل الموفق البلد ونزل داراً أعدّت له فيه.

---

١. والمثبت في مد (وفقاً للأصل): سودمنذ (بالذال المعجمة) والذال إنما تأتي في الفارسية بعد الحركة، أو حرف مدّ.

٢. أرديبهشت: الشهر الثاني من السنة الشمسيّة الإيرانية.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ذكر ما جرى عليه أمره بعد دخوله

قال ابو نصر: وصرت الى أبي الخطاب وقلت له:

ـ «يقول لك الموفق بأي شيء ترى إن أدبر أمري؟»

قال: قل له:

ـ «قد كنت أشرت عليك بآراء خالفتها فلم تحمد عقبى خلافها، وأنا أعرف بأخلاق بهاء الدولة منك. [93] والصواب الآن أن تنفذ جميع ما حصل عندك من الدواب والبغال التى قادهما الأولياء إليك وتراسل الملك وتقول له: من كان مثلى على الحال التى أنا معتقدها من اعتزال الأموال والرغبة عن العمل، فلا حاجة به إلى دوابّ وبغال. وقد قدت ما قاده الأولياء إليّ إلى الاصطبل. لأنه أولي به ومتى اردت مركباً أركبه استدعيت منه ما أريده فى وقت الحاجة إليه وإنّ من شروط ما اعتزمته أيضاً ان أقلّ الاجتماع مع الناس وانفرد بنفسي والدعاء للملك وأسال أن يختار أحد ثقات الستريين ويرتّب على بابى لردّ من يقصدنى ومنع من يحاول الدخول إليّ. فإنّه اذا رأى مثل هذا الفعل وسمع عنك مثل هذا القول سكن وأنس وأمكنك وأمكننا ان نتلطف لك من بعد فى اخراجك الى منزلك ببغداد او الاستئذان لك فى قصد بعض المشاهد وتملك حينئذ نفسك فتصرفها على اختيارك.»

قال أبو نصر: فلما سمعت من أبي الخطاب هذه المشورة علمت أنها صادرة عن النية الصحيحة وعدت إلى الموفق فأخبرته بما كان. فكان من جوابه: أبو الخطاب يريد أن يردنى إلى الحبس رداً جميلاً. ولم يقبل هذا الرأى ولا دخل له قلباً ولا خالط فكراً. وأقام الدواب بين يديه الى المراود والكرداخورات يسمنها ويضمرها وفتح بابه وقعد فى ثلثة مخادّ بين اثنتين منها سيف والى جانبه ترس وزوبينات وعليه قميص صوف وكان يدخل إليه

أبو طالب زيد بن عليّ صاحب الصاحب أبى محمد ابن مكرم وأبو العباس أحمد بن على الوكيل فيحدثهما ويحدثانه ويباسطهما ويباسطانه ويعيدان عليه ما يتسوقان عنده به ويعيدان عنه ما يتسوقان به عليه.

وورد الوزير أبو غالب قادماً [94] من سيراف وقد كان خرج إليها بعد وفاة الفرّخان بن شيراز لتحصيل أمواله وإثارة ودائعه وترددت المراسلات بينه وبين الموفق بالجميل الذى كنت أسدى وألحم فيه وأخذت لكل واحد منهما عهداً على صاحبه ومضى على ذلك زمان.

فأعاد أبو العباس الوكيل وأبو طالب زيد على الوزير أبى غالب على الموفق ما أوحشاه به وكان مخالفاً لما أورده عليه عنه وشكّ فى قولهما وقولى وأراد امتحان صدقهما أو صدقى. فاستدعى أستاذ الأستاذين أبا الحسن علمكار، وكان الموفق شديد الثقة به والوزير أبو غالب على مثل هذا الرأى فيه. فقال:

ـ «أريد ان أخرج اليك بسرّ أشرط عليك أولاً كتمانه ثم استعمال الفتوة والنصيحة فيه.»

فقال: «ما هو؟»

قال: انّ أبا نصر الكاتب يجيئنى ويورد علىّ عن الموفق الجميل الذى يسكن إلى مثله يجيئنى بعده أبو طالب وأبو العباس فيحدّثانى عنه ما يناقض ذلك ويقتضينى والنفور منه[١] وأريد أن تمتحن ما فى نفسه وتطاوله مطاولة يستخرج بها ما عنده وتصدقنى عما تقف عليه لأعمل بحسبه.

فوعده أبو الحسن وصار الى الموفق وأقام عنده طويلاً وجاراه من الحديث ضروباً. ثم أورد فى عرض ذلك ذكر الوزير أبى غالب فخرج اليه بالشكر له وسوء الرأى فيه وعاد أبو الحسن الى الوزير أبى غالب فقال له:

---

١. كذا ما فى مد.

ـ «قد صدقك أبو طالب وأبو العباس ونصحا لك.»

فانقبض الوزير أبو غالب حينئذ منه وعلم أنه على خطر متى ثاب أمره.

قال أبو نصر: ومضت مديدة أخرى وأبو الفضل بن سودمند[١] مقيم مع العسكر على حرب الديواني ومضايقته لأنّه طولب بعد خروج الموفق من عنده بقصد الباب ووطء البساط فلم يفعل وعول على أنّ أمر الموفق يستقيم فيمنع منه ويردّ العسكر عنه.

فوضعت [95] موضوعات وكتبت ملطفات على أنها من الموفق إلى الأولياء الذين بإزاء الديواني وروسلوا بالشغب وإظهار العود الى شيراز وحملت الملطفات الى بهاء الدولة وقيل له: إن العسكر المقابل للديواني قد هنجم وعمل على الإنكفاء الى الباب وهذا أمر قد قرره الموفق ورتبه وفيه من الخطر عليك وعلى دولتك ما لا خفاء به، وإن ورد هؤلاء القوم أخرجوا الموفق وكاشفوا بالخلاف.

فاغتاظ بهاء الدولة وشكّ شكاً شديداً فظن ما قيل وعمل حقاً فتقدم عند ذاك بالقبض على الموفق وردّه الى القلعة.

فانفذ اليه أبو طالب الصغير في وقت العشاء من روز أمرداذ من ماه تير[٢] الواقع في يوم الأحد السابع من شعبان حتى أخذه وحمله إلى القلعة.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامى

ذكر ما جرى عليه أمره عند ردّه إلى القلعة

وكّل به أبو نصر منصور بن طاس الركابسلار، فأحسن معاملته ووسع عليه مقعده وملبسه ومأكله ومشربه وتحمل عنه جميع مؤنه وكلفه. وكان يدخل اليه ويقول له:

---

١. والمثبت في مد: سودمنذ (بالذال المعجمة).

٢. ماه تير: شهر تير، وهو الشهر الرابع من السنة الشمسية الإيرانية.

ـ «أنا خادمك ونفسي ومالي مبذولان لك.»

ومضت على ذلك أيّام ثم جاءه وخلا به وقال:

ـ «أيها الموفق قد عرفت مخالفتي للسلطان في كل ما أعاملك به وأخدمك به ونفسي معرضة بك معه وإن وثقت إلى من نفسك بانه لا تُسلّمني وأن تكون الحافظ لها دوني كنت على جملتي في خدمتك وتولّي أمرك. وان كنت تحاول أمراً آخر فاخرج إلى بسرك لأكون بين أن أساعدك عليه أو ان استعفي استعفاء لطيفاً أتخلص به.»

فقال الموفق له:

ـ «لك عليّ عهد الله أنني لا أفارق موضعي [96] ولا أخرج منه إلا بأمر سلطاني وما فارقته في الدفعة الأولى إلا لسوء معاملة أحمد الفراش لي وطلبه نفسي.»

فشكره أبو نصر ووثق بهذا الوعد منه وكان يتردّد بينه وبين أبي الخطاب في رسائل يتحملها من كل واحد منهما إلى صاحبه ومضت مدة على هذه الحال. ورتّب في القلعة اللشكري بن حسان لمانكيمح (كذا) فراسل الموفق يقول له أنت على هذه الصورة ورأى السلطان فيك فاسد وأعداؤك بين يديه كثيرون والامر الآن في يدي وأنا آخذك وأخرجك معي إلى الريّ فإذا حصلت بها ملكت أمرك وبلغت هناك معما شاع من ذكرك وتحصل في نفوس الديلم لك أكثر مما بلغته هاهنا.

فقال له:

ـ «قد عاهدت أبا نصر الركابسلار على ألّا أغدر به ولا أفارق موضعي وأسلمه.»

فعاود مراسلته وقال له:

ـ «دع هذا القول عنك واقبل رأيي. فإنّ النفس لا عوض عنها وترك

الفرصة إذا عرضت عجز.»

فلم يقبل.

قال أبو نصر: ثم إنّ أبا الخطاب أراد امتحان ما عند الموفق. فقال لأبي نصر المجرى:

ـ «أريد أن تذمّني اذا خلوت أنت والموفق وتستكتمه ما خرجت به إليك في أمري وتنظر ما يقوله لك فتعرّفنيه.»

فجاءه أبو نصر وقال له في بعض ما يجاريه إياه:

ـ «لك أيها الموفق عليّ حقوق إحسان أوليتنيه ومن حكم ذلك أن أصدقك. أراك تعوّل من أبي الخطاب على من هو سبب فساد أمرك وتغير الملك عليك وسوء رأيه فيك. فلو عدلت عنه لكان أولى وأصلح لك ومتى أردت أن أوصل لك رقعة الى الملك سرّاً فعلت.»

فصادف هذا القول منه شكّاً في أبي الخطاب وتهمة له وحمله الإسترسال واطراح التحفظ على أن اطلق لسانه [97] فيه بكل ما كان مكنوناً في صدره وسأله أن يوصل له رقعة إلى الملك فبذل له ذاك.

وكتب بخطه إليه كل ما استوفى اليمين على نفسه به في أنه الخادم المخلص الذي لم يتغير عن مناصحته ولا هم بخيانة وأنه وأنه... وذكر ابن الخطاب بما طعن عليه فيه وقال:

ـ «انني لم أهرب لمّا هربت إلّا برأيه وموافقته وعلمه ومعرفته.»

قال أبو نصر السني: وكان الأمر كذلك وأخذ أبو نصر الركابسلار الرقعة وجاء بها إلى أبي الخطاب. فلمّا وقف عليها كتمها ولم يعد قولاً في معناها أدت الحال الى ما سيرد ذكره في موضعه من قتله[1].

---

١. قتله بهاء الدولة في سنة ٣٩٤ كذا في تاريخ الاسلام عن أبي الفرج ابن الجوزي (مد).

وفى شعبان توفّى أبو عبدالله ابن أيوب الشيرازى الكاتب.

وفى شهر رمضان عظمت الفتنة ببغداد بعد خروج أبى جعفر الحجاج عنها وزاد أمر العلويين العيّارين وقتلوا النفوس ووأصلوا العملات[1] واخذوا الاموال واشراف الناس منهم على خطة صعبة.

وفيه ورد الامين أبو عبدالله الحسين بن أحمد إلى واسط برسائل إلى أبى جعفر الحجاج فى معنى أمر عميد الجيوش أبى علي وخروجه إلى العراق. فلمّا عرف حصول أبى جعفر بسقى الفرات وتشاغله بحرب أبى الحسن ابن مزيد وبنى عقيل توقف.

وفي ليلة الأربعاء لثمان بقين منه طلع كوكب الذؤابة.

مسير بهاء الدولة من الأهواز

وفى هذا الشهر تواترت الأخبار بتعويل بهاء الدولة على عميد الجيوش في أمور العراق. ثم سار من الأهواز فى يوم الجمعة الثانى من شوال.

شرح الحال في ذلك

لما استقام بعميد الجيوش ما استقام من أمور الأهواز وأعادها إلى حال السكون [98] والعمارة وساس الجند والرعية فيها السياسة الشديدة واضطربت أمور بغداد وانحلّ نظامها وعظمت أسباب الفساد والفتن فيها كوتب بقصد العراق وإصلاح احوالها وإزالة ما عرض من انتشارها واختلالها وأنفذ الامين أبو عبدالله إلى أبى جعفر الحجاج لتطييب قلبه واستدعائه إلى فارس.

---

١. وفى الأصل: العملات. ولعله: الحملات.

وورد عميد الجيوش واسطاً بعد أن أقام ابا جعفر أستاذ هرمز بالأهواز والده ناظراً في الحرب ورتّب أبا عبدالله الحسين بن علي بن عبدان في مراعاة الامور والاعمال.

فاستبشر الناس به لما بلغهم من حسن سياسته وزوال المجازفة والظلم عن معاملته، وكتب إلى الفقهاء وأماثل التجار بمدينة السلام كتباً يعدهم فيها بالجميل ومحو آثار ما تقدم من المصادرات وتضاعفت المحبة له وتزايدت المسرة به.

وكاتب أبا القاسم الحسين بن محمد ابن مما مما تألفه وأمره بحفظ البلد وضبطه إلى حين وصوله وأنفذ اليه تذكرة بأسماء جماعة ورسم له قتلهم وأخذهم وكان منهم مرتوما ابن ققى (كذا) النصراني التاجر لأنه ذكر عنده بالسعاية والغمز فاقتصر أبا القاسم على أخذ المعروف بابن دجيم وقتله في وسط الكرخ. وكان أحد الملاعين السعاة وأنذر الباقين لأنهم خدموه من قبل.

وسار عميد الجيوش من واسط فتلقاه أبو الفوارس قلج سابقاً الى خدمته ثم تلاه الأولياء على طبقاتهم والناس على ضروبهم فبسط لهم وجهه ووفى كلامهم حقه. ورأوا من لين جانبه وقرب حجابه وسهولة اخلاقه وعذوبة الفاظه مع عظم هيبته ما لم يعهدوا مثله. وعرف الاشرار والدعار[1] قوته وما يأخذ به نفسه فذهبوا كل مذهب وهربوا [99] كل مهرب.

ونزل النجمي فزينت له الاسواق ونصبت القباب وأظهر من الثياب والفروش الفاخرة والاواني والصياغات الكثيرة ما كان مخبواً للخوف، ودخل يوم الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة وقد أقيم له في الاسواق الجواري

---

١. الدُعّار: الفسقة، الفسدة.

والغلمان فى أيديهم المداخن بالبخور وخلقت وجوه الخيل ونثرت عليه الدراهم فى عدة مواضع ودعى له من ذات الصدور وعدل من طاق الحرانى الى دجلة ونزل فى زبزبه وعبر إلى دار المملكة وخدم الأميرين أبا الشجاع وأبا طاهر وعاد فصعد الى الدار بباب الشعير وهى التى كانت لأبى الحسن محمد بن عمر.

وطلب العيارين من العلويين والعباسيين وكان اذا وقعوا تقدم بأن يقرن العلوى بالعباسى ويغرقان نهاراً بمشهد من الناس. وأخذ جماعة من الحواشى الاتراك والمتعلقين بهم والمشتهرين بالتصرف والتشصص معهم فغرقهم أيضاً. وهدأت بذلك الفتن المستمرة وتجددت الاستقامة المنسية وأمن البلد والسبل وخاف الغائب والحاضر.

وكان ممن قتل المعروف بأبى على الكرامى العلوى وقد هتك الحريم وارتكب العظائم ونجا إلى أبى الحسن محمد بن الحسن بن يحيى وظنّ أنه يعصمه ويمنع منه فركب أبو الحسن علىّ بن أبى علىّ الحاجب الى داره حتى قبض عليه من بين يديه وهو يستغيث به فلا يجيبه وحمله إلى دار عميد الجيوش وقتله.

وقد كان المعروف بابن مسافر العيار حصل فى دار الأمين أبى عبدالله فآواه وستره ولم يزل أبو الحسن على بن أبى على يراصده حتى عرف أنه يجلس فى دهليزه ثم كبس الدهليز والأمين أبو عبدالله غائب. فأخذه [100] وضرب عنقه.

وامتعض الأمين أبو عبدالله من ذلك فلم ينفعه امتعاضه وشكا الى عميد الجيوش فلم يكن منه إلّا الإعتذار القريب منه. وتتبعت هذه الطوائف فى النواحى والبلاد فلم يبق لهم ملجأ ولا معقل ومضت إلى الاطراف البعيدة وكفى الله شرها وأزال عن الناس ضرّها.

وحدثنى أبوالحسن على بن عيسى صاحب البريد قال:

كان ابن ابى العباس العلوى ممن سلك الطريق الذميمة وارتكب المراكب القبيحة. فلمّا ورد عميد الجيوش هرب إلى ميافارقين وبلغه خبر حصوله فيها ومقامه فيها فبذل مائة دينار لمن يفتك به ويقتله ووسط ذاك بعض من أسر إليه وعوّل فيه عليه وأنهي الأمر الى تعديل الدنانير عند بعض التجار فى ذلك البلد، وتقدّم عميد الجيوش بأخذ سفتجة بها وإنفاذها. وبينما هو في ذلك عرض عليه كتاب بوفاة ابن أبي العباس هذا. فضحك وقال لي:

ـ «قد بلغنا أيّها الأستاذ المراد وربحنا الغرم ونحن نصرف الآن هذه الدنانير في الإراحة من مفسد آخر.»

وسلك مثل هذه الطريقة مع أهل الشر من الكـتّاب والمتصرفين وغرق منهم جماعة في أوقات متفرقة ومن جملتهم طاهر الناظر كان في دار البطيخ وله صهر من الأتراك يعرف بالأعسر من وجوههم ومفسديهم، وأبو على ابن الموصلية عامل الكار.

فأذكر وقد جاءنى ابن الموصلية هذا ليلاً وكان هارباً مستتراً وقال لي:

ـ «قد خدمتك الخدمة الطويلة وأوجبت عليك الحقوق الكثيرة وفى مثل هذه الحال أريد ثمرة ذلك ورعايته.»

فقلت: «ما الذي تريده لأبذل جهدى فيه.»

قال: «عرفت حالي في وقوع الطلب لي ومتى ظفر بى قتلت أو بقيت على جملتي فى التوقّي والتخفّي لم يكن لى مادة أمشّى بها أمرى وأستر من ورائي واريد أن تخاطب الصاحب أبا القاسم بن مما فى بابى وتذكره بخدمتي وحرمتي [101] وتسأله خطاب عميد الجيوش فى إظهارى وإيمانى.

قلت: «أفعل ولا اترك ممكناً فى ذلك.»

فشكرنى وانصرف وباكرت أبا القسم فقلت:

ـ «جاءنى البارحة أبو على ابن الموصلية ورأيته على صورة يرحم فى مثلها الأعداء فضلاً عن الخدم والأولياء وله عليك حقوق وإنما أعدّها لمثل هذا الوقت ومتى لم[١] تخلصه وتلطف فى أمره هلك في وقوعه واستتاره.

فقال لى:

ـ «لو كنت غائباً عن هذه الأمور لعذرتك. فاما وأنت حاضرها فلا عذر لك.»

فراجعته وقال لي:

ـ «أنت تلقى عميد الجيش دائماً وهو يميل اليك ويتوفّر عليك فخاطبه وتحمل رسالة عنّي بما تورده عليه.»

فسررت بذلك وظننت أننى سأبلغ الغرض به ودخلت إلى عميد الجيوش في آخر نهار وهو خالٍ. فخاطبته فى أمر ابن الموصلية ورققته وسألته كتب الأمان له. فقال: أفعل. وتبسّم. ثم قال لي:

ـ «لست عندى فى منزلة من أعده ثم أخلفه وأقررمعه ما يقتضيه وأنا أصدقك عما فى نفسى. ليس لهؤلاء الاشرار عندى أمان ولا أرى استبقاءهم على كلّ حال. فإن أردت أن تنجز الأمان على هذا الشرط فما أمنعك بعد أن يكون[٢] على بينة من رأيي واعتقادى.»

فقبلت الأرض بين يديه وشكرته على صدقه فيما صدقنى عنه ورجعت الى أبي القاسم فعرّفته بما جرى فقال:

ـ «قد كنت أعلمه وإنما أحببت أن تشركنى فيه وتسمعه بغير إسناد منّى وربما اتهمته.»

وعاد إلى ابن الموصلية من بعد فى مثل الوقت الذى قصدنى أوّلاً فيه.

---

١. وفي الأصل تحصله.

٢. ولعلّه: تكون.

فشرحت له الحال على حقيقتها وقلت له:

ـ «ما توجب الديانة ولا المروءة أن أغرّك.»

وفارقني وهو عاتب مستزيد على ما حدثت به من بعد ومضى الى أبي عمرو بن المسيحي وأبي اسحق صاحب أبي القاسم بن مما، فسألهما مثل ما كان سألنيه [102] وعاودا خطاب أبي القاسم وتنجّزا له الأمان. فما مضت مديدة حتى أخذه أبو الحسين بن راشد.

وكان لعمري من أهل الشر إلّا أنّ التأول عليه كان بمكاتبته أبا جعفر الحجاج عندحصوله بالنعمانية، ولأن أبا القاسم بن مما أغرى به للعداوة السابقة بينه وبينه.

وأخذ أيضاً أبو الحسن محمد بن جابر وأبو القاسم عليّ بن عبدالرحمن ابن عروة ليفعل بهما مثل ما فعل بمن قدمنا ذكره.

فتلطف مؤيد الملك أبو علي الحسين بن الحسن في خلاصهما واستنقاذهما وكان ذلك فيما بعد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، إلّا أننا أوردناه في هذا الموضع لاتصال بعض الحديث ببعض.

وتقدم عميد الجيوش عند مورده بسمل أبي القاسم بن العاجز وقد كان قبض عليه وأنفذ اليه الى واسط فسمل وضربت رقبته بعد السمل وطيف برأسه في جانبي مدينة السلام وطرحت جثّته في دجلة وذلك في يوم الأحد لثمان بقين من ذي الحجة.

ذكر ما عمله عميد الجيوش وأجرى أمور الأعمال والدواوين عليه

فوّض إلى مؤيد الملك أبي علي أمور الأعمال وتقليد العمال وتحصيل الأموال وكان ورد معه نائباً عنه وله في الكتابة والكفاية القدم المتقدمة وفي

العفة والامانة الطريقة المعروفة. فاستقام بنظره ما كان مضطرباً وانحرس بحفظه ما كان متشذباً واستمرّ على الخلافة له في مقامه وسفره.

وجعل أمر الديلم الى أبي القاسم الحسين بن محمد بن مما وأبو نصر سعيد بن عيسى على الديوان وأمر الأتراك إلى أبي محمد عبد الله بن عبدالعزيز، وأبو غالب سنان ابن عبد الملك يتولى الديوان. وأقرّ أبا على الحسن بن سهل الدورقي على ديوان السواد، وأبو منصور [103] الاصطخرى خليفته عليه، وأبا الحسن محمد ابن الحسين بن سابلويه على ديوان الزمام وأبا الحسن سعيد بن نصر على ديوان الخاصة وأبا منصور يزدانفادار[١] بن المرزبان على الأشراف في ديوان الجيشين. وقلّد أبا نعيم المحسن بن الحسن واسطاً وضرب ضرباً قرّر قيمة الدينار الصاحبى به على خمسة وعشرين درهماً وباقى النقود على حسب ذلك واستعرض الجرائد وميز الناس وأسقط كثيراً من الحشوة وردّ جميع الاقساط لسائر الطوائف الى سبعة آلاف دينار في كل خمسة وثلاثين يوماً وامتنع من تسليم ما ينحل من الإقطاعات إلّا بالأقساط وأقطع جماعة على هذه القاعدة فلو تمادت به المدة على خلو الذرع والطمأنينة لسقطت الأقساط بالواحدة لكنّه مُنى من أبي جعفر الحجاج بمن أفسد نظام أمره وأبطل عليه جميع ترتيبه وتدبيره. وسيأتى ذكر ذلك في أوقاته ومواضعه.

وما رأيت رجلاً أعف ولا أظلف نفساً من عميد الجيوش ولقد رفع المصادرات وأزال المجازفات رفعاً وإزالة اقتدى به جميع ولاة بهاء الدولة على بلاده فيها، وصار له الإسم الكبير والذكر الجميل بها[٢].

---

١. كذا في مد ولكن بالإهمال الكامل.

٢. وفي تاريخ الاسلام انه توفي سنة ٤٠١ عن احدى وخمسين سنة وكان أبوه من حجاب الملك عضد الدولة فجعل أبا على برسم خدمة ابنه صمصام الدولة. وفي تدبيره أمور العراق قيل انه ←

ونعود الى ذكر الحوادث
فى الشهور الداخلة فى هذه السياقة

وفى يوم الأربعاء السابع من شوال توفّى أبو محمد عبدالله بن أبى أحمد يحيى الجهرمى القاضى.

وفى هذا الشهر توفي أبو بكر محمد بن محمد بن جعفر الدقاق الشافعى العارض المعروف بخياط.

وفيه توفّى أبو الفتح القنّائي الكاتب.

مقتل ابن شهرويه وأبى عبدالله المستخرج وابنه

وفى يوم الإثنين لأربع بقين منه قتل أبو عبدالله بن الحيرى أبا الحسين ابن شهرويه وأبا عبدالله المستخرج وابنه فى داره بالموصل.

[104] ذكر الحال فى ذلك

حدثني أبو الحسين بن الخشاب البيع الموصلى قال:

كان ابن الحيرى يبيع الخرف بالموصل ثم ضمن كوازكه وتنقل من حال الى حال حتى نظر فى جميع أبواب المال وتجاوز ذاك الى ان كتب لأبى عامر الحسن بن المسيب.

→

أعطي غلاماً له دنانير وقال: خذها على يدك وسر من النجمي الى الحاصر الاعلى فان اعترض بك معترض فدعه يأخذها واعرف الموضع. فجاء نصف الليل فقال: قد مشيت البلد كله فلم يلقني أحد. ودخل مرة الرخجي وقال: مات نصراني مصري ولا وارث له. فقال: يترك هذا المال فان حضر وارث والا أخذ. فقال الرخجي: فيحمل الى خزانة مولانا الى ان تتيقن الحال. فقال: لا يجوز ذلك. ثم جاء أخو الميت فاخذ التركة (مد).

وكان ارتفاع البلد مشتركاً بين الحسن وبين معتمد الدولة ابى المنيع قرواش وكاتبه أبو الحسين بن شهرويه. وكان ابن الحيرى يستطيل على أبى الحسين بالإسلام وبأنّ صاحبه الأمير ويتبسط عليه فى المعاملة والمناظرة.

فأقام أبو الحسين أبا عبدالله المستخرج فيما يتعلق بمعتمد الدولة من البلد والارتفاع ورمى ابن الحيرى منه بمن هو أشد قحة وثقل عليه أمره فعمل على الفتك به وبابن شهرويه وشرع فى ترتيب أسباب ذلك.

وكان معه جماعة من الرجالة الذين يحملون السلاح ويسلكون سبيل العيارة فواقف قوماً منهم على أن يلازموا داره ـ وكانت فى بنى هائدة ـ ليلاً ونهاراً ويترقبوا حضور ابن شهرويه وابى عبدالله المستخرج، فاذا حضرا أوقعوا بهما ووضعوا عليهما.

وتقدم إليهم بأن يظهروا فى منازلهم وعند رفقائهم أنهم مقيمون فى الحلّة، وكان الحسن بن المسيب فى حلّته بظاهر الموصل ومعتمد الدولة مخيم بالحصباء يريد الإنحدار إلى سقى الفرات وهو عليل قد بلغت العلّة منه، وأظهر ابن الحيرى العلة وشكر له[1] وتأخر فى منزله.

فركب اليه أبو الحسين بن شهرويه وأبو عبدالله لعيادته على عادة كانت لأبى الحسين في مغالطته ومنافقته. فلما صاروا قريباً من داره فارقهما أبو ياسر النصرانى وكان معهما فقال [105] له أبو الحسين:

ـ «لم لا تساعد على عيادة هذا الصديق؟»

فقال له مازحاً:

ـ «يجوز أن يسلم منا من يعرف خبرنا.»

وتمم أبو الحسين وأبو عبدالله ونزلا ودخلا الى الدار ومنها إلى حجرة

---

١. لعله: وشد رجله.

عليها باب حديد وثيق وتأخر عنهما ابن أبي عبدالله المستخرج في الدار الاولى ونزل الرجالة من الغرفة التي كانوا فيها ووضعوا عليهما وقتلوا أبا الحسين وأبا عبدالله وأفلت ابن أبي عبدالله وصعد إلى السطح ورمى نفسه الى دار قوم حاكة فاتبعه أصحاب ابن الحيرى وأخذوه وقتلوه وأخرج الثلثة من الدار وطرحوا على الطريق.

وحلّ ابن الحيرى رجله وخرج من سرداب قد عمله تحت الأرض في داره إلى درب يعرف بفندق عروة على بعد من بني هائدة واستتر وأخفى شخصه وقد كان استظهر بإخلاء داره وتحويل ما كان فيها من ماله وثيابه.

وبلغ الخبر معتمد الدولة فركب في الحال على ما به وهاج الناس بين يديه وطلب ابن الحيرى فلم يجده. وأظهر الحسن بن المسيب الإنكار لما فعله صاحبه وراسل معتمد الدولة يعده بالتماسه والأخذ بالحقّ منه.

وكان كمال الدولة أبو سنان غريب قد نزل في ليلة ذلك اليوم على ابن الحيرى كالضيف له. فلما جرى ما جرى بادر هارباً على وجهه إلى البرية وانحدر معتمد الدولة إلى العراق.

وظهر ابن الحيرى وخرج إلى حلّة الحسن وأقام عذره عنده فيما فعله وقبض على شيوخ أهل الموصل وصادرهم. واعتلّ الحسن علة قضى فيها وقام مرح أخوه في إمارة بني عقيل بعده وانتقل إليه النصف من معاملة الموصل وتوسط بينه وبين ابن الحيرى حتى أذم له [106] وعاهده واستكتبه وكانت بينه وبين أبي الحسن ابن ابي الوزير عداوة لأنه سعى به إلى مرح حتى قبض عليه ونكبه.

فاجتمع أبو الحسن وأبو القاسم سليمان بن فهد وأبو القاسم ابن مسرّة الشاعر على ابن الحيرى وأغروا مرحاً به أوغروا صدره عليه وأفسدوا رأيه فيه فقبض عليه ووجدوا له تذكرة تشتمل على نيف وخمسين ألف دينار،

فأثاروا ذلك وحصّلوه، ثم سملوه فمات ودفن، ونبشه أهل البلد من بعد وأحرقوه لسوء معاملته لهم وما قدّمه من القبيح اليهم.

حديث طريف

وحدّثني أبو الحسن ابن الخشاب عن ابي الحيرى بحديث استطرفته فأوردته قال:

أراد أن يقتل الحسن بن المسيب بسمّ يطعمه إياه ويهرب الى الشام. فسأله أن يحضر في دعوته فحضر فقدّم إليه بطّيخاً مسموماً. فقال له الحسن:

ـ «تقدم يابا عبدالله وكل.»

فأظهر له الصوم وقال لأبي الفتح ابنه:

ـ «أجلس وكل مع الأمير.»

فجلس وأكل ومات وتراخت مدّةُ الحسن فعاش قليلاً ومات.

وتجدّدت بين أبي الحسن ابن أبي الوزير وابي القسم بن مسرة وحشة فوقع فيه أبو الحسن عند مرح بن المسيب وكثر عنه حاله وماله وأغراه بنكبته ومصادرته فقبض عليه وقرر أمره على جملة أخذها منه وخاف عاقبة ما عامله به فقال لمرح:

ـ «هذا شاعر وقد أسأت إليه وإن أفلت من يدك هجاك ومزّق عرضك.»

فقتله وشقّ بطنه وملاه حصى ورمى به في دجلة. فاتفق أن وجدته امرأة كانت تغسل على الشاطئ فأخرج ودفن بالموصل.

انقضاض كوكب وتشقّقه

وفي ليلة يوم الاثنين الثالث من ذي القعدة انقضّ [107] كوكب في برج الحمل والطالع آخر الثور أضاء كضوء القمر ليلة التمام ومضى الضياء وبقي

جرمه يتموّج نحو ذراعين فى ذراع برأى العين وتشقق بعد ساعة.

وفي آخر يوم الأحد التاسع من ذى القعدة كبس العيارون دار ابى عبدالله المالكي للفتك به وكان ينظر فى المواريث وبعض معاملات أبواب المال وفيه جزف فى المعاملة. فلم يجدوه ووجدوا أبا طالب بن عبدالملك أخا أبى غالب سنان وكان صهر أبى عبدالله على ابنته فقتلوه. وقتل العيارون فى هذا اليوم أيضاً حماد بن السكر الشهرونى وكان وجهاً من وجوه الرستاقية وأهل الرفق والعصبية.

دخول الحاجّ الخراسانية بغداد وعودهم إلى بلادهم

وفي يوم الثلاثاء الحادى عشر منه تكامل دخول الحاج الخراسانية بغداد وعبروا بأسرهم إلى الجانب الغربي، ثم وقفوا عن التوجه لخلوّ البلد من ناظر وفساد الطرق ومقام أبى جعفر الحجاج بالكوفة وانتشار العرب من بنى خفاجة وبنى عقيل فى البلاد، وعادوا إلى بلادهم فى يوم الخميس لعشر بقين منه، وبطل الحج من المشرق فى هذه السنة.

ذكر ورود عليّ بن عبدالرحمن مطلقا من أسر بني عقيل

وفي يوم الإثنين الثانى من ذى الحجة ورد أبو القاسم على بن عبدالرحمن بن عروة مطلقاً من أسر بنى عقيل.

ذكر الحال في أسره وإطلاقه

كان قد خرج مع أبى اسحق إبراهيم أخى أبى جعفر الحجاج ناظراً فى

الاعمال وتمشية أمور العسكر. فلمّا وقعت الوقعة بينه وبين أبى الحسن بن مزيد ودعيج وبنى عقيل بباكرما وانهزم، أسره أحد العرب وبقى في يده مدة. وابتاعه [108] أبو الحسن رشا بن عبدالله الخالدى منه بمال قرّره عليه وضمن أبو بكر الخوارزمى المال لرشا وأطلق.

حوادث عدّة

وفى يوم الأحد الثامن منه قتل ابن بندار المستخرج والحسين بن بركسه غلام ابن كامل وقبض على أبى طالب الصياد الهاشمى وابن زيد العلوى وغرقا.

وفى يوم الاثنين التاسع منه ولد الأميران أبو على الحسن وأبو الحسين ابنا بهاء الدولة توأمين وعاش أبو الحسين ثلث سنين وشهوراً ومضى لسبيله وبقى الأمير أبو على وملك الأمر بالحضرة ولقّب بشرف الدولة. وأخباره تأتى فى موضعها بإذن الله تعالى.

وفى يوم الأحد لثمانى بقين منه ورد الأمين أبو عبدالله بغداد عائداً عن أبى جعفر الحجاج بن هرمز فيه ومعه أبو شاكر أحمد بن عيسى كاتبه وقد كان الأمين توقّف بواسط لما وردها على ما قدمنا ذكره. فلما وصل عميد الجيوش أبو على وأصعد، أصعد معه وعدل من النعمانية الى أبى جعفر فلقيه بالكوفة.

وفى يوم الإثنين لسبع بقين منه خرج الصاحب أبو القاسم بن مما إلى أبى الفتح محمد بن عنّاز، فدعاه إلى طاعة عميد الجيوش وخدمته وقاده إلى الدخول فى جملته، ووعده عنه بما طابت نفسه به، وعاد من عنده وقد أصلحه ونسج ما بين عميد الجيوش وبينه.

وفى يوم الثلاثاء لست بقين منه توفّى أبو يعقوب محمد بن الحسن ابن

يحيى العلوى الحسينى النقيب.

وفي هذه السنة هرب أبو العباس الضبّي من الريّ وصار إلى بروجرد لاجياً إلي بدر بن حسنويه.

شرح الحال فى ذلك وفيما جرى عليه أمر الوزارة بالريّ بعده على ما اخبرني به القاضي [109] أبو العباس أحمد بن محمد البارودى

قد ذكرنا من قبل صلاح أمر أبي العباس مع الجند بالرى ونزوله من القلعة في اليوم الرابع من القبض عليه وحمله إليها وعوده إلى النظر والتدبير ولمّا كان ذلك أقام مدّة سنة والإستقامة جارية والأمور مترخية والحال بينه وبين بدر بن حسنويه عامرة والعصبية له منه واقفة. وكانت فى أبى العباس شدّة تغلب على طبعه وشحّ يفسد عليه كثيراً من أمره. فاتفق أن توفّى الإصفهبذ الأكبر ابن أخى السيدة والدة مجد الدولة وفاة أتهم أبو العباس بأنه دبّر عليه وسمّه. وطلبت السيدة منه ما قدره مائتا دينار لإقامة رسم العزاية. فقال فى جوابها:

ـ «لو اشتغلت بما يعطاه الجند المطالبون لكان أولى من تشاغلها بعمل المواتيم للموتي الماضين.»

فاغتاظت وقالت:

ـ «صدق، وكيف يقيم مأتمه من قتله. وبلغه قولها فأسرّ الإستيحاش منها وعلم ماوراءه من تغير رأيها. فراسل أبا القاسم بن الكج القاضى بالدينور واستدعى منه مطالعة بدر بن حسنويه بأمره واستئذانه فى خروجه إلى بلاده وتجديد التوثقة عليه له. فخاطب ابن كج بدراً على ذلك فقال:

ـ «الرأى له أن يقيم بموضعه ولا يفسد حاله بيده ويتلطّف فى إصلاح السيدة.»

فلم يقبل أبو العباس هذا الرأى، لأنـه خـاف السيدة، وعـاود بـدر بـن حسنويه فقال:

ـ «أمّا ما عندى من المشورة والنصيحة فقد قلتها، وأمّا ما يراه لنفسه من غير ذلك فله عندى فيه كل ما يحبّه ويؤثره.»

وأقام أبو [110] العباس بعد السنة الاولى سنة أخرى حتى حرز أمـوره وأنجز علائقه وأحرز أمواله. وكان يعتقد الثقة بأبى على الحسين بن القـاسم العارض الملقب بالخطير، ففاوضه أمره وما قرّر عليه عزمه.

وكان أبو على ذا حيلة ومكيدة وكراهية له وعداوة. فقال له:

ـ «الصواب فيما رأيته. فإنّ أحداً لا يقوم مـقامك فـيما تـقوم فـيه وإذا فارقت مقامك تلقّاك بدر بن حسنويه بساوة وقام بمعونتك ونصرتك وتشييد أمرك، وخاف السيدة والجند منه، فنزلوا على حكمك وعدت جديد الجـاه قوىّ الأمر.»

قال القاضى أبو العباس: فحدثنى أبو الحسن البندارى وكان كـاتب أبـى العباس الضبّى على مكاتباته وسرّه. قال:

ـ «جارانى الكافى أبو العباس ما أشار به عليه الخطير أبو على.»

فقلت: «قد غشّك وما نصح لك، ومتى زالت قدمك عن موضعك تغيرت الأمور وحالت عن تقديرك.»

فقال: «ما كان أبو على ليشير بغير الصواب مع إحسانى إليـه وتـوفّرى عليه.»

فلما كانت ليلة خروجه ترك داره بما فيها من فرشه وآلاته ورحله وأثقاله وغلمانه وكانوا سبعين غلاماً وخرج ومعه أبـو القـاسم ابـنه وأبـو الحسـن البندارى كاتبه وغلام تركى من غلمانه ونفر من حواشيه ممن احتاج اليهم لخدمته ونزل على فرسخ من البلد.

وأصبح الناس وقد شاع الخبر. فماجوا واجتمع الجند وانتدب الجند الخطير أبا علي لخطابهم وقال:

ـ «قد هرب هذا الرجل بعد أن فرغ الخزائن وأخذ الأموال ومزّق الأعمال وحلّ النظام. والمواد اليوم قاصرة والإضاقة ظاهرة والاستحقاقات كثيرة. فإن قنعتم بما كان فخر الدولة يطلقه لكم [111] قمت به وبذلت الإجتهاد فيه وفي تحصيله وتفرقته عليكم. وإن أردتم غير ذلك فانظروا لنفوسكم واختاروا من يتولّى أموركم.»

فلمّا سمعوا من هذا القول ما سمعوا وعرفوا من صحته ما عرفوه قالوا له:

ـ «قد رضينا بتدبيرك وقنعنا بما بذلته لنا من نفسك ولك علينا السمع والطاعة والإنقياد والمساعدة.»

فتولّى الأمر وأخذ ما كان في دار الكافي أبي العباس وكان كثيراً وتتبع أمواله وأموال أصحابه وأقطع أملاكه وإقطاعه وذكره في الكتب بأحمد بن إبراهيم المخلّ، وعلى المنابر بالطعن والقدح والوقيعة والجرح، بالغ في كلّ ما اعتمد مساءته به والغضّ منه فيه ومشت الأمور بين يديه.

ووصل أبو العباس الضبّي إلى بروجرد فلم يستقبله بدر بن حسنويه ولا احد من أصحابه لكنه أنفذ اليه بمن يقيم له اقامة فكان يأخذ من ذلك يسيراً وينفق من عنده كثيراً حتى أخذ نحواً من خمسة آلاف درهم سوداً. ثم سأل إعفاءه مما يقام له من جهة بدر بن حسنويه فأعفى. ووافاه أصحابه من البلاد لاحقين وانكسر جاهه وانتشر أمره وندم[1] الندم الشديد على فعله.

قال القاضي أبو العباس: وكنت اذ ذاك ببروجرد. فاستشارني أبو الحسن البنداري عنه في أمره فقلت:

---

١. والمثبت في مد: ندوم.

- «يريد أن يطيب نفساً عمّا أقطع من أملاكه وإقطاعاته وينزل عنه لمن جعل له فيلاطف السيدة ومجد الدولة ووجوه القواد بما يستميلهم فيه ويقلّهم عن ابى على الخطير به. فإنّه إذا فعل ذلك أطاعه القوم وبلغوا له مراده.»

فقال أبو الحسن:

- «يحتاج لهذا إلى نحو مائتى ألف دينار ونحن فارقنا [112] مكاننا وأفسدنا أمرنا من أجل مائتى دينار وامتناعنا من إطلاقها.»

ومضت للخطير مدة سبعة عشر شهراً ثم قبض عليه فبادر أبو سعد محمد بن إسمعيل بن الفضل من همذان إلى الريّ مدلًّا بوصلة بينه وبين السيدة وبماله من الحال الكبيرة والضياع الكثيرة والمادة الواسعة والمكنة التامة.

وكره بدر بن حسنويه أن يتم له أمر لسوء رأيه فيه، وأنه كان ينقم عليه قبيحاً عامله به. فأنفذ أبا عيسى شاذى بن محمد ومعه أبو العباس الضبى الى الريّ فى ثلاثة آلاف رجل ليعيده الى نظره ويردّه فى الوزارة إلى أمره، وكتب فى ذلك بما أكّده وأشار بالعمل عليه وترك خلافه فيه. فلما نزلوا بظاهر البلد ووصلت الكتب من بدر بن حسنويه - وقد تردّد فى معناها ما تقدم من قبل - راسلت السيدة ومجد الدولة ووجوه القواد أبا العباس بأن:

- «أدخل فان الأمر ممهد لك والرضا واقع بك».

وانفذت إليه ثقات كانوا له فى القوم بأن:

- «الباطن فيك غير الظاهر لك وقد رتّب الأمر على الغدر بك والقبض عليك».

فخاف ورجع.

ذكر تقلّد أبى الفضل الوزارة
ثمّ عود الخطير إليها

وتقلّد أبو سعد بن الفضل الوزارة وتوسع فى نظره بماله واستغلال أملاكه

وهادي مجد الدولة والسيدة بما ملأ عيونهما به وأعطاهما وأعطى الأكابر ما استخلص نيّاتهم فيه.

وكان شديد العجرفة عسوفاً فى المعاملة متهجّماً على الجند بالمخاطبة الوحشة فكرهوه واجتمعوا وقصدوه. فهرب الى بروجرد بعد أن استصلح بدر بن حسنويه، وعاد الخطير أبو على إلى الوزارة، وسام بدراً ان يخاطبه بالوزير، فامتنع من ذلك وامتنع أبو على من خطابه [113] بسيدنا، وانتهى ما بينهما إلى الشرّ والمباينة والمكاشفة بالقبيح والعداوة وكتب الخطير إلى أصحاب الأطراف يبعثهم على بدر بن حسنويه ويغريهم به ويهون عليهم أمره وواصل هلالاً ابنه وأفسده عليه وحمله على مباينته ومقاطعته فكان ذلك من أقوى الأسباب فيما خرج اليه معه.

وسنذكر شرح هذه الجملة وما انتهت إليه الحال بين الخطير وبين بدر فيما نورده آنفاً بمشيئة الله تعالى.

ذكر السبب فى فساد رأى بدر بن حسنويه على أبى سعد ابن الفضل وما عامله به عند هزيمته من الريّ وقصده إياه

حدثنى القاضى أبو العباس البارودى قال:

كان أبو سعد ابن الفضل ينظر فى أعمال همذان والماهين وسهرورد وأبهر من قبل مجد الدولة ويعطى شمس الدولة من ارتفاع ذلك مالاً معيناً ومبلغاً مقنناً.

فشرع بدر بن حسنويه فى أن يبتاع خاناً بهمذان ويفرده باسمه ويقيم فيه بيعاً يبيع ما يرد من الأمتعة المختارة في أعماله وكانت الحمولات كلها واصلة منها ومحمولة فيها وبذل له فى ارتفاع هذا الخان إذا تقرّر أمره ألف

ألف ومائتا ألف درهم.

وأنفذ أبا غالب بن مأمون الصيمرى إلى همذان لترتيبه وعقده على الراغب فى ضمانه. وشقّ على أبى سعد ابن الفضل تمام ذلك وتصور أنه طريق إلى خروج ارتفاع البلد عن يده. فوضع قوماً من الديلم على أن يقصدوا أبا غالب ويوقعوا به وكان نازلاً فى دار أبى عبدالله محمد بن على بن خلف النيرمانى لأنه برسم النيابة عن بدر بهمذان. [114] فقصدوه وكبسوا الدار وهرب من بين أيديهم وعاد إلى بروجرد.

وادّعى أنّه قد نهب منه جملة كثيرة من المال الذى كان معه، وكتب إلى بدر بالصورة واستأذنه فى الإعتراض على ضياع أبى سعد ابن الفضل وأن يأخذ منها عوض ما أخذ منه. فأذن له فى ذلك واستخرج ما قدره خمسون ألف دينار.

فقال أبو سعد لما بلغه الخبر:

ـ «أحسب ان يحيى بن عنبر [لرجل قاطع طريق][1] أخذ مالى واعترض على ضياعى.»

وبلغ بدراً ذلك فأحفظه.

وقبض على الخطير أبى على بالرىّ فبادر أبو سعد ابن الفضل طامعاً فى الوزارة وكره بدر أن يتمّ له أمره فأنفذ أبا العباس الضبّى مع أبى عيسى شاذى فى ثلاثة آلاف رجل لتقرير الوزارة له وجرى فى ذلك ما قدّمنا ذكره.

وتولّى النظر أبو سعد ابن الفضل فأقام عليه سنتين ثم وقف أمره وشغب الجند عليه. فهرب وقيل إنّه دلّى فى هربه فى زبيل من سطح دار وقصد بدر بن حسنويه فما شعر به حتى حصل بالكرج[2] وتمّم إليه الى سابورخواست

١. من مد.

٢. وفى الأصل: بالكرخ (مد).

فأحسن تقبّله وأكرم منزله وحمل اليه ثلاثمائة رأس غنماً وأصنافاً كثيرة فيها حمل سكر أبيض ولم يكن حمل مثل ذلك إلى أبى العباس الضبّى، لأنّه علم أنّ أبا سعد واسع المروءة كثير التجمل، ووصل إليه من هذا المحمول ما وصل، فما انقضى يومه حتى فرّقه واستعمله. وأقام عنده أياماً ثم صار إلى بروجرد.

قال القاضى أبو العباس:

فتأخر أبو العباس الضبّى عن استقباله واحتج بنقرس كان عرض له وأنفذ أبا القاسم سعيداً ابنه للنيابة عنه فى قضاء حقه وخرجت معه فسلم كل واحد من ابن أبى العباس وأبي سعد على صاحبه وسارا [115] داخلين إلى البلد فتقدم عليه ابن أبي العباس.

فلما كان فى آخر ذلك اليوم ركب إليه أبو العباس الضبّى فى محفّة، ودخل داره وهو يخرج من بيت الماء ويشدّ سراويله، وتلقاه وقبّل صدره فى المحفّة وخاطبه أبو العباس بالوزير وقد كان أبو سعد كاتب أبا العباس من الريّ عند وزارته وخاطبه بالأستاذ الرئيس. فلما التقيا هذا الالتقاء اعتمد أبو العباس فى خطابه بالوزارة أن يعلمه ان الصرف لا يزيل اسمه من الوزارة. ولم يجتمعا بعد هذه الدفعة.

وفى هذه السنة أنشأ مهذب الدولة داره بالصليق فوسّع صحنها وعظّم أبنيتا وكبّر مجالسها وسلك مسالك الملوك فيها ونقل إليها من الآلات والساج الشيء الكثير. فجاءت أحسن دار وأفخمها وأجلها وأعظمها.

وقد رأيتها فى أيامه وكانت من أبنية الملوك وذوى الهمم الكبيرة منهم، وما شاهدت صحناً كصحنها فى انفساحه واتساعه. وكانت راكبة لدجلة ولها روشن وشبابيك عليها.

ونقضت هذه الدار فى سنة سبع عشرة وأربع مائة حتى قلعت

أسـاساتها وجعلت دكة في تعفّي آثارها. وكان سبب ذاك أن باع العمال فى أيام الفترة بعضها على أرباب الاقساط وطمع الجند بهذا الابتداء فأتوا على جميعها.

استتار

وفيها خرج أبو الحسن ابن اسحق كاتب أبي الحسن محمد بن عمر كان الى فارس على استتار.

شرح الحال في ذلك وفيما جرى عليه أمره الى أن قتل

لما أصعد أبو الحسن الى بغداد مع الصاحب أبي القاسم بـن مـما عـلى القاعدة التى قدمنا ذكرها بدا [116] من أمره ما كان مستوراً خافياً وقبض على جماعة من التجار وصادرهم وتأول عليهم وجازفهم واعتقل الجاثليق ووكل به وبالغ فى الغضّ منه واستعمال القبيح معه.

وحاول فى القبض على أبي يعقوب العلوى ما حاوله. فـلما لم يـتم له وعرف خبر أبي الحسن بن يحيى فى عوده الى واسط وانحلال أمر أبي نصر سابور وانتقاض قواعده استتر وخرج الى أوانا وأقام بها مديدة.

ثم توصّل الى الحصول بالبطيحة وتوجّه منها الى فارس بمرقعة تـعويلاً على حال كانت بينه وبين أبي الخطاب. ونزل على أبي العلاء عبيدالله بـن الفضل فأكرمه وشرع في مراسلة بهاء الدولة من داره فى أمور كثر الكـلام فيها عليه. فتجعد أبو العلاء منه وخاف أن يتطرق عليه سوء به وانتقل أبـو الحسن عنه متغضباً عليه.

وقبله بهاء الدولة واعتقد فيه تأدية الأمانة فيما يقوم له بـه. فـأنفذه الى ناحية شق الروذان وكانت يومئذ مفردة للخاص فدبّرها وقرّر ارتفاعها وحمل

إلى بهاء الدولة منه ما قامت سوقه عنده به وثقل ذلك على أبي غالب محمد بن علي وهو إذ ذاك ناظر في الوزارة وعلى أبي الفضل ابن سودمند[١] بعده.

وتوجه بهاء الدولة الى الاهواز لقتال أبي العباس بن واصل فقبض الوزير أبو غالب على أبي الحسن وحبسه في دار المملكة مدة حتى بلغت منه الضغطة والشدة.

ثم بلغ الوزير ان بهاء الدولة سأل عنه وقال ما فعل ذلك البائس ابن اسحق. فاشفق ان يكاتبه بإنفاذه الى حضرته فاحتال عليه بان استدعاه من محبسه [117] وخلا به وقال له:

ـ «قد استولي أبو غالب الحسن بن منصور[٢] على كرمان واستأكل أموالها ومنعني مما كنت أرجو حصوله منها وعملت على أن أخرجك اليها كالمقرّر لارتفاعها. فاذا ثبتت قدمك واستقرت الدار بك قلّدتك وسلّمت أبا غالب إليك لتستقصي أمره وترتجع منه ما أخذه واحتجنه. وأعلم أن المحنة قد بلغت منك وأنك محتاج إلى ما تعيد به تجملك وقد وقّعت لك الي أبي عبدالله بن يوسف الفسوي بعشرين ألف درهم تصرفها في ذلك وينبغي أن تسبقني الى فسا وتستوفي هذا المال وتبتاع به رحلاً وبهائم. فإنني سأتبعك إلى هناك وأقرر ما بيني وبينك وأنفذك.»

وحمل اليه ثياباً من خزانته ونفقة. فاغترّ أبو الحسن وقدر هذا القول حقاً وما وراءه من الاعتقاد سليماً.

---

١. والمثبت في مد: سودمنذ (بالذال المعجمة).

٢. هو السيرافي ذو السعادتين الوزير. وفي تاريخ الاسلام انه تصرف بالاهواز وخرج الى شيراز وصحب فخر الملك فاستخلفه ببغداد ثم توجه الى فارس للنظر في الممالك بحضرة سلطان الدولة فناخسرو وخلف الوزير جعفر بن محمد (بن فسانجس) فلما قبض السلطان على جعفر ولاه الوزارة. وفي آخر أمره وقع خلف بين الجيش فقتلوا أبا غالب في صفر سنة ٤١٣ (مد).

وواقف قوماً من الزطّ على اتباعه والفتك به. فمضوا واعترضوا القافلة التي كان فيها ومعهم من يعرف أبا الحسن. فلما بصر به دلّهم عليه فأرجلوه من دابته وقالوا له:

ـ «أنت قريب الوزير ولنا عنده رهائن ونحن نأخذك ونعتقلك الى أن يفرج عنهم.»

وعدلوا به عن الطريق الى بعض الشعاب وذبحوه وخلوا عن القافلة ولم يعرضوا لها.

وكان أحمد حاجب ابن اسحق معه فأطلع على باطن القصة وتحدّث به وبلغ الوزير أبا غالب فحاول[1] فخاف أن يتصل ببهاء الدولة من جهته فأحضره ووعده الجميل ومعاملته به وأطلق له نفقة سابغة وكان يراعيه مدة كونه بفارس.

وهذا الخبر أرويه عن أبى عبدالله الفسوى وحدّثنى معه أنه بلغ من [118] مراعاة بهاء الدولة لأمر ابن اسحق وعنايته به أن أنفذ إليه بأحد خواصه من الفراشين وقد هنجم غلمان الخيول بشيراز وكانوا ألفاً ومائتى غلام، وانضاف اليهم الخارجون عن الدار وقال له:

ـ «احرس نفسك من أبى غالب ابن خلف واحذر ان يتم له عليك حيلة. وكانَ أمرُ الله قَدَراً مقدوراً.»[2]

سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة

أولها يوم الإثنين والتاسع من تشرين الثانى سنة أربع عشرة وثلاثمائة

---

١. لعله زائد.

٢. س ٣٣الأحزاب: ٣٨.

وألف للاسكندر وروز مار اسفند من ماه آبان[1] سنة احدى وسبعين وثلاثمائة ليزدجرد.

منع عميد الجيوش أهل الكرخ وباب الطاق في عاشورا من النوح في المشاهد وتعليق المسوح في الأسواق. فامتنعوا. ومنع أهل باب البصرة وباب الشعير من مثل ذلك فيما نسبوه إلى مقتل مصعب بن الزبير.

وفي رشن من ماه آذر الواقع يوم الخميس لخمس بقين من المحرم قبض علي أبي غالب محمد بن علي بن خلف وتقلد الوزارة أبو الفضل محمد بن القاسم بن سودمند في روز خرداد من ماه ...[2] الواقع في يوم الاربعاء الرابع عشر من شهر ربيع الاول.

ذكر حال أبي الفضل
وما جرى عليه الأمر في تقليده

أبو الفضل هذا أحد الكتاب الذين وردوا العراق من فارس مع أبي منصور بن صالحان في أيام شرف الدولة وكان يكتب بين يديه في جملة كتّاب الانشاء. ثم قلّده عمالة عكبرا وانتقل منها إلى النظر في بعض الأعمال بالأهواز [119] وتدرجت به الأحوال بعد ذلك الى أن تقلد عرض الديلم وتقدم في أيام الموفق وخرج بعد وفاته الى كرمان على ما قدمنا ذكره.

ولما عاد الوزير أبو غالب بن خلف من سيراف وعرف عوده من كرمان بعد أن فعل في تقرير أمورها ما فعله وحمل إلى الخزانة من مالها ما حمله ووقوع ذلك من بهاء الدولة موقعه وتأكد حاله عنده به وموضعه، شقّ عليه

١. آبان: الشهر الثامن من شهور السنة الشمسية الإيرانية.

٢. بياض.

أمره وأغراه المفسدون به. فقبض عليه ونكبه واضطره إلى التبذل والتسلّم فى تصحيح ما قرره عليه وطالبه به.

وخرج من النكبة، فكتب الى بهاء الدولة رقعة جعل سفيره ووسيطه فيها الحسين المزين وامرأته وسعى بالوزير أبى غالب وبذل فيه بذلاً كثيراً.

وقد كان تحصل فى نفس بهاء الدولة منه ما تكلم عليه به فى أمر تركة الفرّخان وما أخذه منها فأجابه إلى ما أراده ووافقه على القبض عليه. فسلّمه النظر فى الأمور بعده.

فلمّا كان فى يوم القبض دخل أبو الفضل دار الوزير أبى غالب بقميصين ورداء على زىّ المتعطلين والمنكوبين وحضر مجلسه وخدمه ثم خرج من بين يديه وقعد فى الدهليز.

وكان قد رتّب أمر القبض من الليل وواقف كل رجل من أصحابه على أخذ كل واحد من أصحاب الوزير أبى غالب فقبض عليه وعلى حواشيه وأصحابه وألزم الجماعة من المصادرة على قدر حاله وموجب تصرفه، وقرر على أبى غالب مائة ألف دينار قاسانية قيمتها أربعة آلاف ألف درهم من نقد الوقت وجدّ به فى الأداء والتصحيح جدّاً. فخرج فيه إلى بعض العسف والإرهاق من غير أن يمكنه ..... (١)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١. والنسخة كانت مبتورة. هذا، وفى الوزير فخر الملك أبى غالب قال صاحب تاريخ الاسلام: قتل مظلوماً فى سنة ٤٠٧ وقد ذكره هلال بن المحسن فى كتاب الوزراء من جمعه، فأسهب فى وصفه وأطنب وطول ترجمته. ولم يكن فى وزراء الدولة البويهية من جمع بين الكتابة والكفاءة وكبر الهمة والمروءة والمعرفة بكل أمر مثله. فان أعيان القوم أبو محمد المهلبى وأبو الفضل ابن العميد وأبو القاسم ابن عباد وما فيهم من خبر الاعيان وجمع الاموال مثل فخر الملك (مد).

فهرس العناوين

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

MISKAWAYH
(932-1030)

TAJĀRIB AL-UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED
by
A.Emāmi, Ph.D.

VOL. 7
Continuation

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(AL-DHAIL & AL-MULHAQ)
by
RUDHRAWARI & HILAL AL-SABI

Soroush Press
Tehran 2001

MISKAWAYH

(932-1030)

TAJĀRIB AL- UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A.Emāmi, Ph.D.

vol.7

Continuation

(AL-DHAIL & AL- MULHAQ)

by

RUDHRAWARI & HILAL AL-SABI

Soroush Press

Tehran 2001



بها: شمیز ۳۵۰۰۰ ریال
کالینگور ۴۰۰۰۰ ریال

ISBN:964 - 435 - 552 - 0   شابک: ۰ - ۵۵۲ - ۴۳۵ - ۹۶۴

ISBN:964-435-331-5(7Vol SET)   شابک: ۵-۳۳۱-۴۳۵-۹۶۴(دوره ۷ جلدی)

